

السيرة النبوية

الجزء الأول

تأليف
المفتي محمد صالح المنجد

منشورات دار السلام



مرکز تحقیقات کتب و علوم اسلامی

السيرة النبوية



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

السيرة النبوية

الجزء الأول

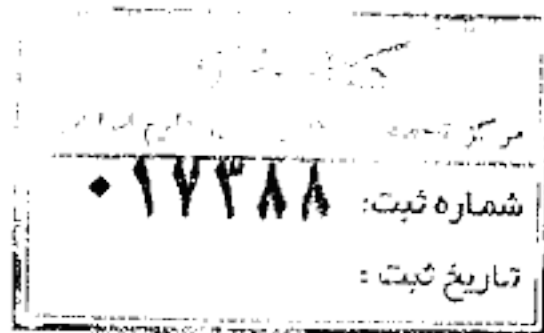


مركز تقيتكم كويت بر علوم و رسدي

تأليف
المفكر نجح الطائي

مؤسسة البعثة





جميع حقوق الطبع محفوظة.

الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م
مركز توثيق التراث القومي الفلسطيني

مؤسسة البعث

للطباعة والنشر والتوزيع



الكتاب : الفكر العربي منذ القرن التاسع - ط ٢ - المستودع : صغير - جانب فري الأمراء.
ص.ب. ١١ - ٧٤٥٢ بيروت ٢٢٥٠ - ١١٠٧ - هاتف : ٠١/٥٥٢١١٩ - ٠٢/٥١٤٩٠٥ - بيروت لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

لقد طلب مني الكثير من اصدقائي العلماء والمثقفين وطلابي في اليابان والصين وبريطانيا كتابة السيرة النبوية بأسلوبى المعروف في انتخاب الروايات الصحيحة والتعليق عليها وذكر الشواهد والقرائن المفيدة فكان هذا المشروع الذى بين ايديكم .

ويعرج هذا السفر على ذكر موضوعات تهم حالة سكان جزيرة العرب قبل الاسلام لعلاقتها الماسة بظهوره ووقائع المسلمين، فذكر حالة مكة قبل الاسلام بشجونها واتراحها وافراحها وهجوم ابرهة عليها. وكيف مكر الله تعالى بهم فجعلهم كفراش مبثوث ، إذ قتلهم بالطف خلقه الطيور وبحجيرات صغيرة !

وذكر الكتاب شيئاً عن ملوك اليمن لعلاقة ذلك بأحداث شبه الجزيرة قبل الاسلام، وافصح عن حال المدينة المنورة قبل الاسلام بيهودها وأوسها وخزرجها وكيف سكنت هذه الطوائف يثرب ، وهدفها المنشود لقاء النبي محمد ﷺ . لانتشار بشارة ظهور الرسول ﷺ بين سكانها . واطلاع الناس على اخبار الرسول في المدينة واطرافها، وانتظار الناس تلك الطلعة البهية لرسول الله ﷺ قرونا طويلة من السنين .

وذكر الكتاب ايمان آباء النبي ﷺ وتعبدهم في غار حراء وبقاءهم هناك أياماً طويلة كما كان يفعل جدُّهم ابراهيم عليه السلام واسماعيل عليه السلام ومثلما فعل حفيدهم محمد ﷺ . واختلافهم عن باقي سكان جزيرة العرب بتخلقهم بأخلاق الأنبياء وتتبعهم لاحكامهم .

وفي الكتاب رؤى وتحاليل وبحوث جديدة على القراء والباحثين والعلماء تغني المكتبة

الاسلامية انشاء الله تعالى على أمل الخطوات اللاحقة من المحققين والمؤرخين الآخرين في مسيرة التكامل الانساني التي نخطوها .

ويثبت الكتاب زيف الكثير من الموضوعات الباطلة المعدة من قبل المغفلين وغيرهم مثل قضية الغرائيق، والسفرة الثانية للحبشة، والدعوة السرية المحدودة زمنيا لرسول الله ﷺ .

ويحقق قضية وجود بنت باسم أم كلثوم للرسول ﷺ ولعلي ويفند زواج خديجة من رجلين قبل النبي ﷺ .

ويكذب الكتاب قصص الاعداء المشينة في حق رسول الله ﷺ في صباه وشبابه ورجولته .

وفي الجملة تحتوي صفحات الكتاب على الكثير من النتائج والثمار الجديدة التي لا يستغني عنها العالم والمثقف الاسلامي في قضايا السيرة النبوية .

وبين الكتاب رحلة النور التي قادها رسول الله ﷺ في نشر الاسلام في وسط شبه جزيرة الظلام ، وكيف بددت شمس الاسلام ظلام الجهل والكفر والطغيان .

والمسيرة الطويلة تبدأ بخطوة ، فكانت الكلمة الاولى من الله تعالى كلمة العلم والعقل ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ .

وكلما خطى رسول الله ﷺ خطوة في طريق النور تراجع رجال الجهل والمكيدة خطوة في طريق الظلام، فخيب الله تعالى سعيهم وأبطل مكرهم .

وكان رجال الطغيان يمكرون باللعب بالألفاظ فصوروا النبي الأمي ﷺ المولود والساكن في أم القرى مكة أمياً وسار على مكرهم الغافلون .

فأفرد هذا الكتاب موضوعاً باسم النبي الأمي ! لا يقاط النائين ، وتوعية الجاهلين . ويعتمد الكتاب في أطروحاته التبويب التاريخي في وقائع الأحداث تسهيلاً للوصول

إلى موضوعاته وبحوثه فيتابع أحداث مكة مع الاسلام والمسلمين بتحليلات واضحة بيّنة . وكانت السيرة النبوية المباركة حركة اهلية لهداية البشر وصف المسلمين في وحدة رائعة

وتنظيم الناس في مسيرة مليونية في طريق الله سبحانه وتعالى لتحقيق الركن القرآني في

حركة البشر الذي جاء في الآية القرآنية المباركة :

﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾

فعبادة الجن والإنس لله سبحانه وتعالى تحتاج لسيرة نبوية مقدامة وقدوة بخطوات ثابتة بقيادة خاتم الانبياء .

والملاحظ لسيرة النبي ﷺ الأعظم يجد ثورة جذرية علمية عقلية خالدة على الأعراف السائدة والانظمة البالية والجهل المستشري والطغيان الحاكم . فتحطمت حركة المستكبرين في استعباد الناس وقهرهم وسلب اموالهم وممتلكاتهم.

وانتهت عبادة الاصنام وحل محلها عبادة الرحمن ، إذ صعد الامام علي عليه السلام على كتف النبي ﷺ فحطم الأصنام وطهر الكعبة الشريفة من رجسها لتسقط وإلى الابد عبادة الاحجار في جزيرة العرب.

وكم كانت الصورة جميلة يوم صعد وليد الكعبة علي عليه السلام على كتف خاتم الانبياء ﷺ لانهاء عبادة الصخور والاوثنان .

وقهر الرسول ﷺ الأنظمة الجاهلية البالية الحاكمة في جزيرة العرب والأعراف البائدة مثل عادة قتل البنات وتبني الغرباء ونكاح زوجات الآباء .

وقد هيا الله سبحانه وتعالى الأمور لسيرة نبوية رائدة عبر اخبارات الأنبياء السابقين واخبار الكتب السماوية بظهور نبوة محمد ﷺ ، فجاءت بشارات اليهود والنصارى . وكانت هذه الامور من دواعي انتصار الرسول ﷺ والرسالة .

وهيا الله تعالى معاجز كثيرة لرسوله ﷺ ملأت الخافقين وشاعت وتواترت اخبارها الصحيحة بين الناس، فكانت من دواعي ايمان الناس بالاسلام .

واستمرت هذه المعاجز مع الرسول ﷺ منذ ان كان في ظهر أبيه ثم انتقل إلى بطن أمه ، ويوم كان طفلاً صغيراً وصيباً يافعاً ورجلاً كبيراً .

وانهر الناس بمعجزاته الكثيرة الخطيرة التي تثبت رسالته السماوية وتعزز منزلته النبوية.

وباعتبار القرآن واحدة من معجزات الله سبحانه وتعالى وكتاباً شاملاً لاحكامه فقد

وضعنا له فصلاً خطيراً في هذا الكتاب بين الساعين لنسخ القرآن وتفسيره والمعارضين لذلك. وكيف لا نذكره وهو الثقل الثاني في الاسلام بقوله ﷺ: اني تارك فيكم الثقلين^(١). وتناول الكتاب مكارم أخلاق الرسول ﷺ باعتبارها ركناً هاماً من اركان نشر الاسلام وانتصاره. وانها الصفة الملازمة لرسول الله ﷺ. وتسليط الأضواء على مكارم أخلاق الرسول مطلب مهم في السيرة النبوية.

ويتناول الكتاب معارك الرسول ﷺ المهمة؛ بدرأً وأحداً والخندق وخيبراً وحنينا و... ولأهمية هذه المعارك في انتصار الاسلام وبيان ايمان المسلمين ووحدتهم وحماسهم فقد اوليناها اهتماماً بالغاً فذكرنا الفارين والمقاتلين في تلك الحروب الحاسمة. وعرجنا على تدوين الحروب في السيرة النبوية لانها مفتاح الاطلاع على حماسة المسلمين في المعارك.

وذكرنا منزلة ومناقب الثقل الثاني. المؤثر في سيرة المسلمين تأثيراً بيّناً في زمن البعثة النبوية وما بعدها، فهم أعلام الأمة، ومفسرو القرآن وناقلو الحديث.

ويتناول الكتاب الوصية النبوية ورزية يوم الخميس ومقتل النبي ﷺ. صحيح أن الكثير من المؤسسات قد امتنعت عن طباعة ونشر وقراءة الكتب الصحيحة وفتحت المجال امام الكتب البالية الا ان هذا لا يعني انتصاراً لهم بل انتصاراً لنا.

لان اغلاقهم للابواب امام هذا يبين الاقبال العالي على اقتنائها من قبل الجماهير المتعطشة للسيرة النبوية الصحيحة، والمعلومات الواقعية الحقة. والناس اليوم لا ينتمون لحزب لعقة الدم ولا الحزب القرشي بل ينتمون لطائفة الساعين وراء الحقائق الساطعة المدعمة بالدليل الحلوة منها والمررة.

وهؤلاء ينبذون كتب السيرة والحديث التي كتبها لهم كتاب البلاط ووعاظ السلاطين مثل ابن كثير والخطيب.

وقد طوّر الله تعالى العلم فجعله فوق سيطرة الانسان لتدخل المعلومات الواقعية الى بيوت الناس واذهان الأمة الانسانية ليبدأ العصر السامي.

وقد وفقني الله تعالى لحقائق لم تكن معروفة إلا عند الخواص في العصر الاسلامي الاول ويجهلها العلماء والمحققون والمثقفون في عصرنا الحاضر لما فعله الطغاة في كتم الحقائق وتحريف الوقائع وكسر الاقلام النابذة ، واحراق واتلاف الكتب العلمية وقتل علماء الحق والحقيقة واحراق تراث الروم والفرس والبابليين وغيرهم ؟!

واعقب ذلك حركة النساخ المشبوهة في تحريف الاحداث ومحو الروايات الصحيحة . وتلا ذلك جهود الناشرين المأجورين اذ ناب السلطات الغاشمة في تغيير المسلمات التاريخية والتلاعب بالالفاظ وحذف النصوص المتينة ، فانشأت كل مؤسسة داراً لتزييف الكتب العلمية وطمس معالم الدين ، لتكتب اصابعها تراث الأمة بالشكل الذي تريده ، وتحوك قيادتها نظريات السماء وشرائع الباري بالصورة التي تسعى اليها !

وقد وفقني الله تعالى للوصول الى بعض الحقائق التي حاولوا طمسها ودفنها منها : سيرة الأحداث في السقيفة كما هي وابطل الاتهامات الواردة في حق سعد بن عباد والانصار في محاولتهم الاستيلاء على الحكم ، ومنها :

كشف اللثام عن عملية اغتيال ابي بكر والصحابة الكبار في جهاز دولته وكشف حقيقة الوصية المنسوبة اليه ، وبيان الغايات والاسباب الكامنة وراء ذلك ، واطلاع الأمة على الموضوعات المؤثرة في شريعتنا واحكامنا وكتبنا المنهجية .

وقد عارض مشروعي الحاسدون واتباع الهوى واعوان ابليس بجيوبهم المنتفخة والسنتهم المدحورة !

واستحسن كتبي المتحررون من اصحاب الدراسات العلمية الاكاديمية والعلماء المخلصون المتخلصون من برائن العبودية . وكان الشباب في طليعة هؤلاء الابرار . ووجدت حماساً منقطع النظير في متابعة وقراءة هذه الكتب بتوفيق من الله سبحانه وتعالى فانتشر قراء كتبي في قارات عديدة .

والسيرة النبوية التي بين ايديكم فيها تلك الكنوز الدفينة التي سجنها اتباع الظلام ، فأرجوا من قارئ العزيز فهم ما اریده في كتابي لأنني كتبت واكتب عن أمكر الدهاة

وزعماء الاحتيال من رجال الحزب القرشي الذين هزمهم رسول الله ﷺ فقتلوه! وسعوا لتغيير رسالته .

فهو في مجموعه رحلة جديدة في عالم السيرة بالاعتماد على روايات صحيحة وأسس سليمة في البحث والاستقصاء والوصول للاهداف السامية .

ولقد افنيت خمس سنوات من عمري لكتابة هذه السيرة الصحيحة والجديدة نرجو من الباري تعالى القبول انه نعم المولى ونعم النصير .

نجاح الطائي



مركز تحقيقات كميوتيز علوم دینی

الفائدة من دراسة السيرة النبوية

يسأل القارئ للسيرة النبوية عن الفائدة من هذا العلم ومدى الحاجة لهذا الموضوع ومن حقّ الإنسان السؤال عن أهداف أي موضوع ومبلغ حاجة المجتمع إليه، وعلاقته بالمواضيع الأخرى.

والسيرة النبوية علم حيّ يفصح عن حقيقة سيرة رسول الله ﷺ والوقائع المرافقة لحياته الكريمة.

مركز تحقيقات كميّة علوم إسلاميّة

وعن أهمية هذا الموضوع الخطير نذكر النقاط التالية لبيان ذلك:

١ - عرض شخصية النبي ﷺ على الإنسانية باعتبارها النموذج الأسنى للبشرية. كما قال تعالى:

لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة^(١)، فهذه الدراسة تبين حقيقة وجود قدوة للأمم يمكن الاحتذاء بها وأنه سارت على نظرياتها ومبادئها وأحكامها بصورة عملية بعد نطقها لها بصورة عملية.

وجعل الله سبحانه الأنبياء أسوات حسنة لكلّ أمم الأرض باختلاف أزمانهم وأماكنهم فكان آدم أسوة حسنة وكذلك كان نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليه السلام.

وجعل الباري عزّ وجل فاطمة عليها السلام قدوة حسنة للنساء فقال النبي فاطمة سيّدة نساء

العالمين، وفاطمة سيّدة نساء أهل الجنة كما كانت حواء لقومها وكما كانت مريم لأمتها. وكذلك كان أوصياء الأنبياء قدوات حسنة تحتذي بهم الأمم والشعوب فعلي بن أبي طالب أحد الأئمة الإثني عشر من أوصياء خاتم الأنبياء محمد ﷺ وآخرهم المهدي ﷺ الذي سيملا الأرض قسطاً وعدلاً وكما ظهر إيليس لأبعاد آدم عن منهجه الديني والأخلاقي فقد ظهر لكلّ نبي ووصي من يعكّر عليه صفو حياته وينغص عليه عيشه وينافسه في نظريّاته ومبادئه، ويعارضه في سلوكه وسيرته فعارض قابيل هابيل عليه السلام، وصارع فرعون موسى عليه السلام، وحارب أبو سفيان محمداً ﷺ، ونافس أهل السقيفة عليّاً عليه السلام، وسيقاتل الأعور السفياني مهدي أهل البيت عليه السلام.

٢ - معرفة رسول الله ﷺ على حقيقة باعتبارهِ نبياً من أنبياء الله بالأدلة الصحيحة بعيداً عن السحرة والكهنة والعباقره والدهاة.

٤ - الإطلاع على حقيقة رسول الله ﷺ في ولادته وتاريخ نبوته وتربيته وعصمته وكيفية ارتباطه بالوحي الإلهي.

٥ - معرفة علاقة النبي ﷺ بالقرآن وبداية نزول القرآن ومكان نزوله وواسطة ذلك وهل نزل بصورة تدريجية أم دفعة واحدة وتفسير رسول الله ﷺ للقرآن وحرمة تفسيره من قبل الذين لا يعلمون، وأن القرآن وأهل بيت محمد ﷺ هما ثقلا هذه الأمة كما قال خاتم الأنبياء في قوله:

إني تارك فيكم كتاب الله وعترتي أهل بيتي وأحدهما مساوٍ للآخر لا يفرقان حتى يردا عليّ الحوض يوم القيامة وأهل بيتي أعلم منكم فلا تتقدموهم فتهلكوا.

وأهل البيت هم مفسّروا القرآن وعندهم علم الكتاب.

والاطّلاع على حقيقة تدوين القرآن من خلال السيرة النبوية وهل دونه رسول الله قبل موته أم لا؟ وهل يجوز للنبي ﷺ أن يرحل من الدنيا دون جمعه للقرآن وهو الثقل الثاني للبشريّة؟

وكانت آيات القرآن الكريم تبين السيرة النبوية وسيرة المسلمين في الوقائع والأحداث المعاصرة لحياة النبي ﷺ.

٦- الاطلاع على السيرة النبوية وسيرة أهل بيته والصحابة والمخلصين أمر مهم باعتباره تراث الإسلام وأدبيات المؤمنين وثقافة المتقين فهل يمكن للمسلم الحياة دون الاطلاع على هذا الموضوع المهم الذي يعتبر الأساس لمعرفة مواضيع كثيرة. فأودعت السيرة علوم التاريخ والحديث والتفسير والفقه والنحو واللغة فهي دائرة معارف.

٧- معرفة الطرق القريبة السليمة والصحيحة المتبعة نبوياً، في معاملته مع أهل بيته ونسائه وأرحامه وأصحابه والمؤيدين له والمحاربين له، للاستفادة منها في الحياة.

٨- الحصول على ثروة علمية غنية في الإدارة والحرب والاقتصاد في تأسيسه ﷺ للدولة وكيفية إدارة رسول الله ﷺ لدولته وعلاقته بالدول الأخرى. والاطلاع على علاقته بأفراد مجتمعه وطبيعة رابطة مع أهل الكتاب والكفار. وما هي الأفعال التي أجراها في سبيل الوحدة الإسلامية والوطنية ودراسة نظريته الاقتصادية وأثرها في إدارة أمور الدولة والشعب.

٩- الحصول على ثروة غنية في موضوع العقائد وطرق النبي ﷺ في الوعظ ونشر الدين وبت الأخلاق في صفوف أفراد الأمة، وهل توسل بالعنف والقوة في اذاعته للدين أم اعتمد على تعريف الدين نظرياً وعملياً، أم أنه اعتمد على المنهجين في هذا الباب؟

١٠- السيرة النبوية تطرح كيفية العلاقة بين رسول الله والآخرين يوم كان طفلاً يتيماً وصبيّاً وحين أصبح رجلاً سوياً، وطبيعة هذه العلاقة قبل البعثة النبوية وبعد البعثة النبوية، وهل اختلفت هذه العلاقة بعد تسلمه لزعامة الدولة الإسلامية وازدهار هذه الدولة وتوسّعها؟

١١- وتبين السيرة النبوية طبيعة علاقة خاتم الأنبياء بالله سبحانه وتعالى في طاعته وعبادته والإخلاص له ومدى تطبيق رسول الله ﷺ لمبادئ الله تعالى وأحكامه؟

وكان معظم كُتّاب السيرة يكتبون للملوك فقد كتب محمد بن اسحاق السيرة بأمر المنصور ليعلمها ابنه المهدي وكتب الواقدي مغازيه بأمر المأمون العباسي. وسعى العباسيون لتغيير السيرة مثلما سعى الأمويون لتحريفها.

وكاتب السيرة محمد بن اسحاق المدني المتوفى سنة ١٥٣ هجرية، قال فيه ابن شهاب: لا يزال بالمدينة علم جم ما كان فيها ابن اسحاق ووثقه أحمد بن حنبل ويحيى بن سعيد القطان وابن معين وابن عيينة وأبو زرعة وصحّح له الترمذي وروى له أبو داود والنسائي وابن ماجة. ودافع عنه الخطيب في تاريخ بغداد وابن سيد الناس في عيون الأثر ولم يجدا في تشييعه ما يرد به روايته وذكره البخاري في التاريخ ووثقه مسلم وأبو حاتم وابن قتادة^(١).

وقال الخطيب: كان ابن اسحاق يرى التشيع^(٢)

وقال الشافعي: من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على ابن اسحاق^(٣).

وقال شعبة عنه: أمير المؤمنين في الحديث^(٤)

ودافع ابن سيد الناس عن تشييعه وصدقه^(٥).

وكل كتاب وضع في السيرة هو غرفة في بحره وأخذ ابن هشام سيرة ابن اسحاق عن البكائي فهذبها كما قالوا أي حذف منها ما يخالفه الحزب القرشي من مثالب الشيخين وما يؤيد حقوق أهل البيت عليهم السلام وأثبت بدلاً عنه ما يحلو له من السيرة!

قال ابن هشام: وإني تارك أشياء بعضها يشنع الحديث به، وبعض يسوء بعض الناس ذكره، وبعض لم يقرّ لنا البكائي بروايته^(٦).

فاعترف ابن هشام بارتكابه أعظم عملية تحريف في السيرة. وكانت الحكومتان

(١) الروض الأنف، السهيلي ٤٠ / ١.

(٢) مقدّمة عيون الأثر.

(٣) مقدّمة عيون الأثر.

(٤) مقدّمة كتاب عيون الأثر.

(٥) مقدّمة عيون الأثر.

(٦) مقدّمة سيرة ابن هشام.

الأموية والعبّاسية تجيز تحريف السيرة ثم جاء السهيلي الأشعري العقيدة والمالكي المذهب وشرح سيرة ابن هشام وهكذا.

وفُقدت سيرة ابن اسحاق الموضوعيّة التي تسير على نظرية ذكر الحقائق في الحديث والسيرة كما هي، وحلّ محلّها سيرة ابن هشام الذاتية التي تعتمد على تحريف الأحداث وفق منهج الكاتب في أفكاره وأهوائه وأهدافه. وكان فرويد اليهودي داعياً للمنهج الذاتي في الكتابة.

ورغم مرور ٥٠ سنة فقط على وفاة ابن اسحاق ومجيء ابن هشام فقد نفّذ ابن هشام هذه المنهجية القائمة على خيانة الأحداث وإسقاط الباري عزّ وجل في أكبر عملية تزوير في السيرة النبويّة.

وكان ابن كثير الأموي من أتباع مدرسة المنهج الذاتي في السيرة النبويّة وهذا مصداق لقوله تعالى: **كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ** وسار الطبري وابن الجوزي وابن الأثير وبقية رجال مدرسة الحزب القرشي على هذا المنهج الفرويدي اليهودي.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کلمه نور علوم اسلامی

باب

العرب قبل الاسلام





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

العرب قبل الاسلام

بقيت الجزيرة العربية بعيدة عن سلطة الدولتين العظيمتين (في ذلك الوقت) الفارسية والرومية. فقد دفع الله سبحانه شرهما عن بيته الحرام، وبقيت مكة حرة مستقلة بعيدة عن الانجاس الارجاس.

ولما حاول ملك الحبشة السيطرة عليها ضربه الله تعالى شرّ ضربة تسببت في مقتل جنوده وإلحاق شر هزيمة به.

فكانت هذه الحادثة درساً لكل طامع في مكة أثرت عن خوف كسرى الفرس، وهرقل الروم من إرسال جيوشها إلى هناك.

وفي جزيرة العرب وبالأخص مكة عادات حنيفة جيدة ورثوها من إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام مثل اكرام الضيف. وفيها عادات سيئة ورثوها من طغاة العرب وكفارها.

فقد روي أنّ العرب يوارون موتاهم ويكفنونهم في القبور ويلحدونهم، ويعرمون نكاح البنات و الاخوات، ويحجون إلى البيت الحرام ويعظمونه، ويقرؤون بالتوراة والانجيل^(١)، و في دين اسماعيل عليه السلام الزام بغسل الجنابة وقطع يد السارق الأيمن^(٢). ولكن اهل الجاهلية لم يطبقوا هذه التعاليم.

أما العبادة فالأكثريّة الكاثرة تعبد الأصنام، كل صنم لقبيلة، ودُّ بدومة الجندل لكلب، وسواع لهذيل ويعوث لمذحج، ولقبائل من اليمن، ونسر لذي الكلاع، بأرض حمير، ويعوق

(١) الاحتجاج، ج ١/ ٩٢، ٩١، البحار ٨/ ٧٨، تاريخ ابن الوردي ٨٤/ ١

(٢) تاريخ ابن الوردي ٨٤/ ١

لهمدان، واللات لثقيف بالطائف، والعزى لقريش وهي كنانة، ومناة للأوس والخزرج، وهبل أعظمها على ظهر الكعبة، وإساف ونائلة على الصفا والمروة^(١).

والعرب ثلاثة أقسام بائدة وعاربة ومستعربة، فالبائدة ذهب عنا تفاصيل أخبارهم لتقدم عهدهم كعاد وثمود وجرهم الأولى. والعاربة عرب اليمن من ولد قحطان.

قال ابن الوردي: المستعربة من ولد إسماعيل عليه السلام^(٢)، الذي جاء من الشام إلى مكة مع أبيه، وتعلم اللغة العربية هناك وهو أبو العرب المستعربة^(٣).

وعرب الجاهلية ثلاثة أصناف: صنف أنكروا الخالق والبعث وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني، قال تعالى عنهم:

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾^(٤).

وصنف اعترفوا بالخالق وأنكروا البعث:

﴿أَفَعَيَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾^(٥).

وصنف عبدوا الأصنام كل صنم لقبيلة.

ومنهم من تهود ومنهم من تنصر، ومنهم صابئة، ومنهم عابدوا الملائكة وعابدوا الجن^(٦).

وكان عمرو بن لحي أول من جاء بعبادة الأصنام من الشام، إذ جلب هبل معه ووضع

عند الكعبة، ثم وضعوا إساف ونائلة على الصفا والمروة^(٧).

والأفعال القبيحة التي كانت عند عرب الجاهلية تتمثل في:

وأد البنات وزواج الأبناء من نساء الآباء عدا الامهات، والجمع بين الاختين وغزو

(١) تاريخ ابن الوردي ٨٤/١

(٢) تاريخ أبي الفداء ١٥٤/١ تاريخ ابن الوردي ٨٤/١

(٣) تاريخ ابن الوردي ٨٤/١ تاريخ أبي الفداء ١٦١/١، الملل والنحل، الشهرستاني. ٢٤٤/٢ - ٢٤٧.

(٤) الجاثية: ٢٤.

(٥) ق ١٥.

(٦) تاريخ ابن الوردي ٨٤، الملل والنحل، الشهرستاني ٢٤٤/٢ - ٢٤٧.

(٧) تاريخ اليعقوبي ٢٥٤/١.

القبائل الأخرى. فجاء في القرآن الكريم ذكر لقضية وأد البنات: (وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) ^(١).

قال جعفر بن ابى طالب لملك الحبشة: كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف ^(٢). فكان الكثير منهم يدفنون بناتهم وهن أحياء فقد دفن قيس بن عاصم اثنتي عشرة ابنة له ^(٣).

وحفر عمر بن الخطاب قبراً لابنته الصغيرة وهي تنفض التراب عن لحيته، ثم قبرها! ^(٤). فالموءودة عند العرب البنت المدفونة حيّة خوف الفقر وخوف أسرها في عمليات الغزو والسطو. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ أَمَلٍ﴾ ^(٥).

فالمرأة في الجاهلية إذا هي حملت فكان أوان ولادتها حفرت حفرة فتمخضت على رأس تلك الحفرة، فان ولدت بنتاً رمت بها في تلك الحفرة، وإن ولدت غلاماً حبسته ^(٦). والحمد لله تعالى الذي قضى بالإسلام على هذه العادات الموروثة.

ومن عادات الجاهلية الجمع بين الاختين في الزواج ^(٧) فقضى الإسلام عليها بذكره تعالى للمحرمات:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ.... وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾ ^(٨).

وشاع في الجاهلية زواج الأبناء من نساء الآباء فحرمها الله تعالى بقوله: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا

(١) التكوين ٨/٨، ٩.

(٢) سيرة ابن هشام ١ / ٣٦٠، تاريخ الخميس ١ / ٢٩٠.

(٣) تفسير ابن كثير ٤ / ٧٨٨.

(٤) عبقرية عمر، العقاد ص ٢١٤.

(٥) سورة الأنعام ٦ / ١٥١.

(٦) الدر المنثور، السيوطي ٦ / ٣١٩.

(٧) تاريخ ابن الوردي ١ / ٨٤.

(٨) النساء ٢٣.

ما نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا^(١).
وعندما دخل الإسلام في قلوب سكان جزيرة العرب كان الكثير من هذه الزيجات موجودة. فكان الابن يضع ثوبه على رأس من يريد من نساء أبيه علامة رغبته فيها.
ومن عادات الجاهلية الباطلة غزو الجيران والأرحام والغرباء بهدف سلب الأموال وأسر النساء والأطفال دون اعتناء باراقة الدماء وإحراق الدور وتخريب الزرع!
وتلك العادات المشؤومة أفقدت البلاد أمنها واستقرارها ورخاءها وتطورها. فانتشر الخوف والفقر والجهل والمرض في كل مكان، فأكل الناس العلهز^(٢). فسمي ذلك العصر بحق العصر الجاهلي.

وبسبب الفقر الموجود في البلاد وأراضيها الصحراوية الشاسعة وتناثر السكان هناك وصلابة أهلها فقد امتنعت الدولتان الرومية والفارسية من احتلالها. فبقيت البلاد حرة مستقلة بعيدة عن الحكم الدكتاتوري.
لهذا كله فقد حرّم الإسلام العادات السيئة وقبرها، فأدى ذلك إلى انتعاش التجارة والزراعة والثقافة. فذهب المسلمون للجهاد في البلدان البعيدة دون خوف على أموالهم وعوائلهم. ولولا عامل الأمن والاستقرار لما تمكن المسلمون من فتح آسيا ومعظم أفريقيا وأجزاء من وأوربا.

حرب الفجار

قال الحلبي والسهيلي: إنَّ حرب الفجار كان سببها في الأشهر الحرم ووقعت في شعبان^(٣).

وكانت العرب تمتنع عن الحرب في الأشهر الحرم وهي رجب وأشهر الحج ذو القعدة وذو الحجة ومحرم. ولما وقعت الحرب بين كنانة وقريش من جهة وقيس وثقيف

(١) سورة النساء ٢٢.

(٢) الدم والوبر مخلوطاً.

(٣) السيرة الحلبي ١/٢٢٨، الروض الانف، السهيلي ٧١/٢.

من جهة اخرى سميت حرب الفجار والفجار ككتاب أربعة أفجر.
ولم يشترك رسول الله ﷺ في تلك الحرب الظالمة الواقعة في الأشهر الحرم لفقدان المبرر لحضورها. وقد قال تعالى في كتابه:
(كلا إن كتاب الفجار لفي سجين وما ادراك ما سجين كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين)^(١).

(إن الإبرار لفي نعيم، وإن الفجار لفي جحيم)^(٢).
فالنبي ﷺ لا يمكن أن يكون من فجّار الجحيم، ولكن أفراد الحزب القرشي كانوا كذلك، والإبرار هم أهل البيت^(٣)
ووقعت الحرب بين كنانة وقيس فوقفت قريش إلى جانب كنانة. وعمر النبي يومها عشر سنين وفي الفجار الأول وهو يوم شمطة كانت الهزيمة فيه على قريش ومدته ثلاثة أيام في سوق عكاظ.

وقال البيهقي: الفجار اثنان، أمّا الفجار الأول فالحرب فيه ثلاث مرّات: أما المرّة الاولى فسببها أن بدر بن مغيث الغفاري ممن كان يفخر على الناس فبسط يوماً رجله وقال: أنا أعز العرب فمن زعم أنه أعز مني فليضربها بالسيف، فوثب الأحمر من بني نضر بن معاوية فضربه بالسيف على ركبته وقطعها فاقتتلوا.^(٤)

أما المرّة الثانية فكان سببها أن امرأة من بني عامر كانت جالسة بسوق عكاظ فطاف بها شاب من قريش من بني كنانة وكان معه رفقة فسألوها أن تكشف عن وجهها فأبت، فقام أجدم فجلس خلفها فعقد طرف درعها الى ما فوق عجزها بشوكة، فلما قامت انكشف دبرها فضحكوا منها، فقالوا: منعينا النظر الى وجهك وجدت لنا النظر إلى دبرك فنادت المرأة: يا آل عامر فثاروا بالسلاح وأقتتلوا مع بني كنانة فوق وقع بينهما دم.^(٥)

(١) المطففين ١٠.

(٢) الانفطار ١٣، ١٤.

(٣) تفسير نور الثقلين ٥/ ٥٣٦، الدر المنثور ٤/ ٨٥.

(٤) السيرة الحلبية ١/ ١٢٧، تاريخ الخميس ١/ ٢٥٥، معجم ما استعجم ٣/ ٩٦١.

(٥) تاريخ الخميس ١/ ٢٥٥، السيرة الحلبية ١/ ٢٧، نسب قريش ٤٠٨.

وهو فجار المرأة القيسية، وقيس من العدنانية.

وأما المرة الثالثة فكان سببها دين لرجل من بني جشم بن عامر على رجل من بني كنانة فلم يعطه فاقتتل الحيّان، وقالوا: استمرت حرب الفجار أربعة أعوام متواليات، والفجار الثالث هو فجار القرد أو الرباح^(١).

وأما الفجار الرابع وهو الحرب الأخيرة فكان عمره ﷺ عشرين سنة^(٢) وهو فجار البراض لمدة أربعة أيام. وسببه أن عروة الرجال من هوازن أجاز تجارة للنعمان بن المنذر ملك الحيرة ونافسه في ذلك البراض من كنانة (حلفاء قريش) فقتله في الشهر الحرام فوصل الخبر إلى سوق عكاظ فانهزمت كنانة خوفاً من الثأر فلحقها هوازن^(٣)

وسميت بالفجار لأن العرب فجرت فيه بوقوعه في الشهر الحرام أو أن سببه كان في الشهر الحرام وكان الانتصار فيها للطرفين ورجال حرب الفجار شاركوا في حرب بدر فقتلهم الله تعالى^(٤).

ولأن آية «... أم نجعل المتقين كالفجار» نزلت في علي ﷺ وحمزة وعبيدة بن الحارث وعتبة وشيبة والوليد فقد سعى الكفار لتجديد عتبه وإرجاع قضية إيقاف حرب الفجار إليه^(٥)!

لكن جماعة ذكروا اشتراك النبي ﷺ فيها وصرعه لبطل العرب أبي البراء ملاعب الاسنة فأرداه عن فرسه. وبهذا فقد أراد الكفار ادخال الرسول ﷺ في حرب الفجار واخراج زعماء قريش منها.

وذكروا أيضاً: وعرفت كنانة بأن نصرها يأتي في أيام حضور النبي ﷺ الحرب إلى جانبها، وتهزم في غيابه فقالوا: يا ابن مطعم الطير وساقى الحجيج لا تغب عنا، فإننا نرى مع

(١) تاريخ الخميس ١ / ٢٥٥، السيرة الحلبية ١ / ١٢٨، الوفا ابن الجوزي ١٣٢، الاعلام الزركلي ٢ / ١٤، التنبيه والاشراف، ١٧٨.

(٢) تاريخ خليفة ٢٧، السيرة الحلبية ١ / ١٢٧.

(٣) السيرة الحلبية ١ / ١٢٧، الوفا ١٣٢، تهذيب الكمال ١٥ / ٤٥٦، سيرة ابن هشام ١ / ١١٩.

(٤) فتح القدير، الشوكاني ٣ / ١١١، الروض الأنف ٢ / ٧١.

(٥) شواهد التنزيل، الحسكاني ٢ / ١٧٣، السيرة الحلبية ١ / ١٢٧، تاريخ الخميس ١ / ٢٥٥، الدر المشور ٤ / ٨٤.

حضورك الظفر والغلبة.

قال ﷺ: فاجتنبوا الظلم والعدوان والقطيعة والبهتان فإني لا أغيب عنكم.

فقالوا: ذاك لك. فلم يزل يحضر حتى فتح عليهم^(١).

ولكن القول الأقوى يبقى إلى جانب امتناع بني هاشم من المشاركة في حرب الفجار إذ قال أبو طالب: هذا ظلم وعدوان وقطيعة رحم واستحلال للأشهر الحرم ولا أحضره، ولا أحد من أهلي فلم يُقتل أحد من بني هاشم في تلك المعركة في حين قتل من بني أسد حزام بن خويلد (أبو حكيم)، وخويلد بن أسد (أبو خديجة)^(٢).

وللتستر على ابن جدعان وحرب بن أمية فقد جاء: وقال عبدالله بن جدعان التيمي وحرب بن أمية: لا نحضر أمراً تغيب عنه بنو هاشم^(٣).

والظاهر أن الحزب القرشي اختلق قضية مشاركة النبي ﷺ في حرب الفجار لتشويه سمعته، في حين أنكر حضور حرب بن أمية فيها! مثلما وصموا رسول الله ﷺ بأكل القرابين المذبوحة للأصنام قبل الإسلام ونزّهوا آخرين عنها.

ولا يوجد سبب عقلائي يدعو أبا طالب زعيم بني هاشم ورسول الله ﷺ للمشاركة في حروب قبلية لاناقة لهم فيها ولا جمل، خاصة وأنها حرب فاجرة يعقنها الله تعالى. والمشهور لدى معظم المؤرخين وأصحاب السير أن حرب الفجار الأخيرة قد وقعت وعمره ﷺ عشرون سنة. إلا أننا نجد من ينقل:

«وقال الزهري إنه ﷺ ولد بعد عام الفيل بثلاثين سنة وبين الفجار والفيل أربعون سنة مخالفاً بذلك المشهور»^(٤) أي أن عمره ﷺ كان عشر سنوات وهو عمر لا يؤهله للاشتراك في الحروب أبداً. والراي الاول هو الصحيح عندنا.

(١) تاريخ اليعقوبي ١٦/١.

(٢) سيرة ابن هشام ٢٠١/١، السيرة الحلبيّة ١٣٨/١، البحار ١٦/١٢، البداية والنهاية.

(٣) تاريخ اليعقوبي ١٥/٢.

(٤) البداية والنهاية ٢٦٢/٢.

حلف الفضول

عقد حلف الفضول بين قبائل قريش لنصرة المظلوم والوقوف في وجه الظالم. وهو أفضل حلف عقدته قبائل قريش لنصرة الحق ومحاربة الباطل. واشترك الرسول ﷺ في حلف الفضول وعمره عشرون سنة. ووقع حلف الفضول بعد حرب الفجار الآخرة بأربعة أشهر^(١). وسمي حلف الفضول لأنه جمع فضل، أي حلف الفضائل^(٢) وقد دعا الزبير بن عبدالمطلب إلى حلف الفضول، فاجتمع بنو هاشم وبنو المطلب وزهرة وتيم^(٣).

وثبت عندنا كذب اشتراك بني أسد في حلف الفضول برواية الحميدي في أجتاع هاشم وزهرة وتيم بن مرة لحلف الفضول فأين قبيلة أسد^(٤) في حين افترى الزبير بن بكار بإدخال بني أسد في حلف الفضول^(٥) لأن بني أسد بن عبد العزى من جماعة لعقة الدم المشتركين في حرب الفجار حيث قُتل فيها حزام بن خويلد ونجا فيها أبنه حكيم^(٦). وقتل خويلد بن أسد أبو خديجة. وكانت عرب الجاهلية تشرب الدم إلى أن حرمه الإسلام^(٧). وحاول ابن حجر العسقلاني السائر على خطى الحزب القرشي سلب الزبير بن عبد المطلب الهاشمي فضيلة تشكيل حلف الفضول واعطائها إلى الأرقم إستاناداً إلى رواية أموية^(٨).

ومن الأكاذيب في حلف الفضول هو انعقاد الأجتاع في دار ابن جدعان لشرفه وسنه^(٩)

(١) تهذيب الكمال ١ / ٣٥٢.

(٢) تفسير القرطبي ١٠ / ١٦٩.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير ٢ / ٢٩٣، شرح النهج، المعتزلي ١٤ / ١٢٩، الأغاني، ٦٦ / ٦٥، الروض الأنف، السهيلي ٢ / ٦٣.

(٤) البداية والنهاية ٢ / ٣٥٦، الوفا، ١٣٥.

(٥) الوفا ١٣٤.

(٦) تهذيب الكمال ٧ / ١٧٢.

(٧) ورأيت كفار الصين يشربون الدم في المدن الصينية جميعاً.

(٨) تعجيل المنفعة، ابن حجر العسقلاني ٢٧.

(٩) سيرة ابن هشام ١ / ٨٧.

في حين كان الاجتماع قد عقد في دار عبد المطلب. ولم يكن لابن جدعان التيمي شرف اجتماعي وأخلاقي فداره أكبر مبعًى وافسد دار عرفتها العرب حيث جرت فيها عمليات الزنى بصور جماعية وكذلك عمليات الأنجاب وبيع المواليد غير الشرعية^(١). وكانت لقريش دار الندوة تعقد فيه اجتماعاتها في ذلك الحين. وكان أبو طالب سيد قريش أعظم وأشرف من ابن جدعان الموصوف في التاريخ بالصعلوك والشرير^(٢).

قال الزبير بن عبد المطلب لاهالي حلف الفضول:

حَلَفْتُ لنعقد حلفاً علينا - وإن كنا جميعاً أهل دار نسميه الفضول إذا عقدنا - يعزّ به الغريب لدى الجوار^(٣).

فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته، فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول، وعقد في بيت أبي طالب بدليل أن اخته البيضاء هي التي أحضرت لهم جفنة من طيب فغمسوا أيديهم فيها^(٤). وهو دار عبد المطلب سابقاً. وقد وصف الرسول ﷺ ذلك الحلف قائلاً: لقد شهدت حلفاً، ما أحبُّ أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت^(٥).

وسبب الحلف أن رجلاً من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل فحبس عنه حقه، فاستعدى عليه الزبيدي الأحلاف الذين كانوا يسمون لعقة الدم. لأنهم تحالفوا بغمس أيديهم بالدم، ولعقوا ذلك الدم^(٦) على خلاف المطيبين الذين تحالفوا بغمس أيديهم في الطيب.

والأحلاف هم عبدالدار ومخزوم وسهم وجمح وعدي بن كعب واسد فأبى الأحلاف

(١) مختصر تاريخ دمشق ٥ / ٢٥٤، المعارف ٥٧٦، المثالب، الكلبي ١٣٩.

(٢) تاريخ الخميس ١ / ٢٥٦، المثالب، الكلبي ١٣٩.

(٣) التنبيه والاشراف ١٧٩.

(٤) الروض الأنف ٢ / ٦٧.

(٥) الروض الأنف ٢ / ٦٣، البداية والنهاية ٢ / ٢٩٣، ٢٩١ وتاريخ الخميس ١ / ٢٦١ والسيرة النبوية، دحلان ١ / ٥٣.

الأغاني ١٦ / ٦٦، ٦٧، السيرة الحلبية ١ / ١٣١، سيرة ابن هشام ١ / ١٤٢، اعيان الشيعة ٢ / ١٣.

(٦) الروض الأنف ٢ / ٦٨.

معوثة الزبيدي على العاص بن وائل وانتهروه لمكانة العاص بن وائل حليف بني أمية. وقد استشرى ظلم حزب لعقة الدم بعد عودتهم من حرب الفجار، وهذا امر طبيعي بعد الأحلاف والحروب الظالمة.

ولما رأى الزبيدي ذلك صعد على جبل أبي قبيس واستغاث، فقام الزبير بن عبدالمطلب ودعا إلى الحلف المذكور، فعقد؛ ثم مشوا إلى العاص بن وائل وانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها إليه^(١).

والطيبون هم: بنو هاشم، وبنو زهرة، وبنو تيم، وبنو الحارث بن فهر، فقالت قريش هذا فضول من الحلف فسمي بحلف الفضول^(٢). وأجبر رجال هذا الحلف نبيه بن الحجاج على رد القتل بنت الخثعمي إلى أبيها بعد اغتصابه لها^(٣).

ووضع أبو هريرة رواية في اشتراك بني أمية في حلف الفضول ارضاء ألسيده معاوية بن أبي سفيان^(٤).

وعدم وجود بني أمية في حلف الفضول واضح في كتب السيرة والحديث، إذ عند ظلم الوليد بن عتبة بن أبي سفيان (أمير المدينة لمعاوية) الإمام الحسين بن علي عليه السلام هده الحسين عليه السلام بحلف الفضول فأعلن المسور بن مخرمة بن نوفل الزهري وعبد الرحمن بن عثمان التيمي استعدادهم لحمل السيف باسم ذلك الحلف، فخاف الوليد بن عتبة وانصف الإمام الحسين عليه السلام^(٥).

بينما اعترف عبد الملك بن مروان الأموي بمقاطعتهم حلف الفضول قائلاً: لقد خرجنا من حلف الفضول^(٦).

(١) السيرة الحلبية ١/١٣٢، البداية والنهاية ٢/٢٩١، ٢٩٢، السيرة النبوية، دحلان ١/٥٣.

(٢) تاريخ يعقوبي ٢/١٧.

(٣) الروض الأنف ٢/٧٣.

(٤) السيرة الحلبية ١/١٣١، السيرة النبوية، دحلان ١/٥٣، البداية والنهاية ٢/٢٩١.

(٥) الروض الأنف ٢/٦٤، السيرة الحلبية ١/١٣٢، أنساب الاشراف ٢/١٤، الأغاني ١٦/٦٨، سيرة ابن هشام ١/١٤٢، الكامل، ابن الاثير ٢/٤٢، البداية والنهاية ٢/٢٩٣.

(٦) الروض الأنف ٦٤، شرح النهج، المعتزلي ١٥/٢٢٦، الأغاني ١٦/٦٨، سيرة ابن هشام ١/١٤٣.

وقد حضر رسول الله ﷺ في حلف المطيبين وكان عمره الشريف نحو عشرين سنة ثم أمضى ذلك الحلف بعد نبوته^(١).

وقد ورث بنو عبدالدار من جدهم قصي دار الندوة (المعد لاجتماع رؤوس قريش) ولواء الحرب، ثم اشترى تلك الدار حكيم بن حزام وباعها بمائة ألف درهم إلى معاوية بن أبي سفيان فجعلها داراً للامارة^(٢).

وكان اللواء ودار الندوة بيد أعداء الإسلام والمسلمين. ففي معركة بدر حمل اللواء بنو عبدالدار ثم انهزموا، وفي معركة احد حمله بنو عبدالدار تشجعهم نساء قريش برئاسة هند بنت عتبة بضرب الدفوف قائلات:

ويهاً بني عبدالدار ويهاً حماة الأدبار

ضرباً بكل بشار^(٣)

فقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حملة اللواء من بني عبدالدار، وكانوا بضعة عشر منهم طلحة بن أبي طلحة، وأبو سعد بن أبي طلحة الذي بارز علياً عليه السلام فصرعه (جرحه)، وأضطر لكشف عورته هرباً من سيف علي عليه السلام ثم مات^(٤).

وفي دار الندوة اتفقوا على قتل رسول الله ﷺ ففشل سعيهم^(٥) ولان الأجتماع في دار الندوة كان لقتل رسول الله ﷺ فقد اعترف الحزب القرشي والسائرون على خطاه بذلك، اما الأجتماع المعد لحلف الفضول ففيه فضل عظيم فنسبوه إلى دار ابن جدعان! وكان قصي جد النبي ﷺ هو الذي بنى دار الندوة^(٦).

(١) مسند أحمد ١/ ١٩٠.

(٢) فتوح البلدان، البلاذري ٦٠.

(٣) سيرة ابن هشام ٨٧/٣.

(٤) سيرة ابن كثير ٣٩/٣.

(٥) البداية والنهاية ٢/ ٢١٥.

(٦) السيرة الحلبية ١/ ١٢.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات و پژوهش‌های اسلامی

باب

آباء النبی ﷺ



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

إيمان آباء النبي ﷺ

إدّعت الشيعة الإمامية إيمان آباء النبي ﷺ إلى آدم بالرغم من أن بعضهم لم يعلن الإسلام لظروف خاصة به^(١). فقد أعلن أبو حيان الأندلسي: «ذهبت الرافضة إلى أن آباء النبي ﷺ كانوا مؤمنين»^(٢). وحاول غير الإمامية إعلان كفر آباء النبي ﷺ إلا البعض منهم. وتلك الأغلبية سعت بكل الوسائل إلى اثبات ذلك الأمر. وهدفهم من ذلك الحط من منزلتهم. بل انهم حاولوا اثبات كفر أبي طالب الذي سعى بكل الوسائل لدعم الإسلام والمسلمين وضحي بكل ما عنده في هذا السبيل. وقد صرح المسعودي واليعقوبي والسيوطي والرازي بإيمان أبي طالب^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: لم يزل ينقلني الله من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات.

(١) البحار ١٥/١١٧، تاريخ الخميس ١/٢٣٤.

(٢) تفسير البحر المحيط ٧/٤٧.

(٣) التظيم والمنة في أن أبوي رسول الله ﷺ في الجنة، السيوطي، السبل الجلية في الآباء العلية، السيوطي، السيرة الحلبية ١/٤٣ وقد سعى سعيد بن المسيب لأثبات كفر أبي طالب فرواية البخاري في اثبات كفر أبي طالب جاءت من طريقه! وقد سعت جهدي لمعرفة علة حركة المسيب تلك ووصلت إلى ذلك. فأبو طالب والد عقيل، وعقيل صاحب النسب في قريش، وهو الذي فضح جدّة سعيد بن المسيب بانها صاحبة زانية من رايات الفحش في مكة، وقد رفعت القضية إلى عمر بن الخطاب فشهد عقيل ومخرمة بن نوفل وأبو جهم بن حذيفة بانها من فاحشات الجاهلية، أنساب الاشراف، البلاذري ٧٤. وهؤلاء الثلاثة على التسلسل علماء الانساب عند العرب، راجع جمهرة أنساب العرب، ابن حزم ص ٤.

حتى أخرجني في عالمكم، ولم يدنسني بدنس الجاهلية^(١).
ومن دلائل إيمان أجداد النبي ﷺ أنَّ عبدالمطلب كان يأمر أولاده بترك الظلم والبغي ويحثهم على مكارم الأخلاق وينهاهم عن دنيئات الأمور، وكان يقول: لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى يُنتقم منه وتصيبه عقوبة إلى أنَّ هلك رجل ظلوم من أهل الشام لم تصبه عقوبة فقيل لعبد المطلب في ذلك فقال: والله إنَّ وراء هذه الدار داراً أخرى يجزى فيها المحسن بإحسانه ويعاقب المسيئ بإساءته، أي أنَّ العقوبة معدة له في الآخرة.
ورفض عبادة الأصنام ووحد الله سبحانه وتعالى وتوثر عنه سنن جاء القرآن بأكثرها، وجاءت السنة بها، منها الوفاء بالنذر، والمنع من نكاح المحارم، وقطع يد السارق، والنهي عن قتل الموءودة، وتحريم الخمر والزنا، وأن لا يطوف بالبيت عريان^(٢).
وهذا أفضل دليل على إيمان آباء النبي ﷺ ورد شبهات الكفار والمنافقين.
وجاء في كتاب البحار: إعتقادنا في آباء النبي ﷺ وآله أنهم مسلمون من آدم إلى أبيه عبدالله، وأن أبا طالب كان مسلماً، وأمنة بنت وهب كانت مسلمة؛ واتفقت الإمامية على أنَّ والدي الرسول ﷺ وكل أجداده إلى آدم ﷺ كانوا مسلمين، بل كانوا من الصديقين^(٣).
وقال فخر الدين الرازي إنَّ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾^(٤) وجب أن لا يكون أحد من أجداده ﷺ مشركاً^(٥). وقال الحلبي: أحيا الله تعالى أبويه فأمنابه^(٦) كما آمن به أجداده وباقي الأنبياء وبشروا به.

وكانت قريش تستسقي بعبد المطلب فيسقيهم الله تعالى ببركة ذلك النور^(٧) واعترف الحزب القرشي برفض جماعة قرشية عبادة الأصنام وهم ورقة بن نوفل الاسدي وعبيد

(١) تفسير الرازي ٢٤، الدر المنثور ٩٨/٥، مجمع البيان ٣٢٢/٤، البحار ١١٧/١٥، ١١٨، تاريخ الخميس ٢٣٤/١ تفسير البحر المحيط ٤٧/٧.

(٢) السيرة الحلبي ٤/١، نقل الحلبي ذلك عن سبط بن الجوزي.

(٣) البحار، المجلسي ١١٧/١٥.

(٤) التوبة ٢٨.

(٥) البحار ١١٩/١٥.

(٦) السيرة الحلبي ٥٠/١.

(٧) السيرة الحلبي ٥٩/١.

الله بن جحش (زوج أم حبيبة بنت أبي سفيان) عثمان بن الحويرث الاسدي وزيد بن عمرو بن نفيل العدوي فتتصر ثلاثة وبقي زيد بن عمرو بن نفيل على الحنيفة^(١).
 لكن الحزب القرشي وأتباعه من العلماء أنكروا إيمان آباء وأجداد النبي ﷺ حسداً لهم وحقداً عليهم وأدخلوهم جهنم زيفاً، مثلما أدخلوهم في شعب أبي طالب في مكة ظلماً!
 وقال أبو طالب انبأني أبي عبد المطلب بأن محمداً النبي ﷺ المبعوث وأمرني أن أستر ذلك لتلايغري به الأعادي^(٢). وقال بنو مدلج بأن قدم محمد ﷺ تشابه قدم إبراهيم عليه السلام فقال عبد المطلب لأبي طالب اسمع ما يقول هؤلاء فكان أبو طالب يحتفظ به^(٣). وقال عبد المطلب عن محمد أن الملك قد أتاه^(٤)

علم النسب

كان النبي ﷺ أفضل الناس نسباً فهو من أولاد الأنبياء ومن نسل الساجدين بنص القرآن الكريم، ورأيه ﷺ في علم النسب، أنه دعا إلى تعلم الأنساب بشكل يتناسب مع حفظ الأخلاق الإسلامية في خدمة الأقرباء قائلاً: تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم^(٥).

وكان عقيل بن أبي طالب أعلم الناس بالأنساب وأخذ ذلك منه محمد بن الكلبي من طريق أبي صالح، وأخذ هشام بن الكلبي ذلك من أبيه.
 فأعلم الناس بعلم الأنساب عقيل بن أبي طالب، ثم محمد بن الكلبي، ثم هشام بن محمد بن الكلبي ومن هؤلاء أخذت الناس.

فكان عقيل يعلم الناس أنسابهم في المسجد النبوي، ويقال لمجلسه طنفسة أبي يزيد^(٦)

(١) الروض الأنف ٢ / ٢٤٧ - ٢٥٠. وأم زيد بن العدوي (ابن عم عمر) هي الحيداء بنت خالد القهمية وهي جدة نفيل ولدت له الخطاب فهو أخو الخطاب لأمه وابن أخيه الروض الأنف ٢ / ٣٥٦.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٤.

(٣) الطبقات لابن سعد ١ / ١١٨.

(٤) أصول الكافي ١ / ٣٧٢.

(٥) التراتيب الإدارية ٢ / ٣٠١ - ٣٢١.

(٦) أسد الغابة ٤ / ٦٤.

وأهتم معاوية بتعليم ابنه يزيد علم الانساب لتفريق الناس، و تحكيم سياسته. فطلب من دغفل بن حنظلة تعليمه ذلك^(١). ولما تعلم يزيد بن معاوية مثالب الناس دون مثالبه فقد صدمه الناس في مرات عديدة! إذ لم يعلمه المعلمون أن جدته لايه حمامة احدى بغايا مكة، ولم يعلموه نسبه العائد الى أمية غير العربي الذي تبناه عبد شمس^(٢)!

نسب النبي ﷺ

نقل ابن سعد عن هشام بن محمد بن الكلبي نسب النبي ﷺ قائلاً:
محمد الطيب المبارك ابن عبدالله بن عبدالمطلب واسمه شيبة، بن هاشم، واسمه عمرو بن عبد مناف واسمه المغيرة، بن قصي، واسمه زيد بن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر، وإلى فهر تسمى قريش وفوق فهر لا يقال له قرشي بل كناني^(٣).
وعن هشام بن محمد الكلبي صاحب النسب: أم الرسول ﷺ آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مُرّة، وأُمّها بَرّة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب، وأُمّها أم حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب وأُمّها بَرّة بنت عوف بن عبيد بن عويج^(٤). وينتسب النبي ﷺ إلى إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام.
وقال هشام بن محمد الكلبي: كتبت للنبي ﷺ خمسمائة أم فما وجدت فيهن سفاحاً، ولا شيئاً مما كان من أمر الجاهلية^(٥).

واوجب الأمر أن يكون الأنبياء والأوصياء جميعاً أفضل الناس نسباً وشرفاً ولأجل ذلك ساد الناس محمد ﷺ ثم علي عليه السلام ثم أبناء علي من أهل البيت عليه السلام. وآخرهم المهدي عليه السلام الذي سيملا الأرض قسطاً وعدلاً.

(١) بحوث في تاريخ السنة المشرقة ١٦٨.

(٢) شرح النهج للمعتزلى ٤٦٦/٣ هاشم وأمية، شرف الدين ٢٧٠، النزاع والتخاصم ٢٢.

(٣) الطبقات، ابن سعد ٥٥/١، مروج الذهب، المسعودي ٢٦٥/٢ - ٢٦٦، مختصر تاريخ ابن عساكر ١٦/٢، تاريخ أبي زرعة ٢٢، تهذيب التهذيب ٩٨/٦، تاريخ البخاري ٧٦/٩.

(٤) الطبقات ٥٥/١ - ٦٠، مختصر تاريخ ابن عساكر ٢٧/٢.

(٥) الطبقات ٦٠/١، السنن الكبرى، البيهقي ١٦٠/٧، دلائل النبوة، أبو نعيم ١١/١، البداية والنهاية ٢٥٦/٢، تاريخ

قال رسول الله ﷺ: ما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرهما فأخرجت من بين أبوي فلم يصبني شيء من عهر الجاهلية وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي، فأنا خيركم نسباً وخيركم أباً^(١).

والدليل القرآني على طهارة نسب النبي ﷺ قوله تعالى:

﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلَبُكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾^(٢) فهي تدل باتفاق المفسرين على كون آبائه من الساجدين الطاهرين المطهرين.

وقد سار عبدالمطلب على خطى آبائه فحرم نساء الآباء على الأبناء^(٣).

لكن البعض حاول الطعن في شرف آباء النبي ﷺ ومنزلتهم مثل أبي سفيان الذي قال محمد في بني هاشم مثل الريحانة في وسط التبن.

فغضب رسول الله ﷺ وقال: إن الله عز وجل خلق السموات سبعا فاختار العلى منها فاسكنها من شاء من خلقه ثم خلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم، واختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشاً، واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم^(٤).

مركز تحقيق كتب التراث

وقال رسول الله ﷺ: قال لي جبريل: قلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد أحداً أفضل من محمد، وقلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد بني أب أفضل من بني هاشم^(٥). وذكر ابن سعد في طبقاته (الجزء الأول) نسب النبي وآبائه وأمهاته بشكل جيد وموسع^(٦). لكن عمر بن الخطاب وصحبه كررُوا في مسجد النبي ﷺ ما قاله أبو سفيان! فغضب رسول الله ﷺ وأراد ﷺ أن يذكر انسابهم الواقعية، فقام عمر وقبّل رجل رسول

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ١/ ٣٤٩، ٢/ ١٦، الدر المنثور ٣/ ٢٩٤، ٥/ ٩٨.

(٢) سورة الشعراء ٢١٨، ٢١٩.

(٣) بحار الأنوار ١٥/ ١٢٧.

(٤) تاريخ ابن الوردي ١/ ٩٥.

(٥) عيون الأثر، ابن سيد الناس ١/ ٣٤، تاريخ ابن الوردي ١/ ٩٥، الطبقات، ابن سعد ١/ ٥٥.

(٦) سنن الترمذي ٥/ ٢٤٣، ٢٤٥، مختصر تاريخ دمشق ٤/ ٧٣، تفسير ابن كثير ٢/ ١٧٥، راجع نظريات الخلفيتين

للمؤلف ١/ ٣٤.

الله ﷺ، وأعاد الشهادة ثانية بلا إله إلا الله محمد رسول الله!
وبرك عمر على ركبتيه قائلاً: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً، أعف عنا
عفا الله عنك إغفر لنا غفر الله لك، احلم عنا حلم الله عنك.
ولشدة الإعتداء على رسول الله ﷺ وغضبه وضع المسلمون رؤوسهم في ثيابهم
يكون خجلاً وحياءاً من الله ورسوله^(١).

هاشم بن عبد مناف

كان هاشم شخصية شهيرة في مكة وجزيرة العرب معروفاً عند الدول المجاورة المتمثلة
بدول الروم والفرس والحبشة واليمن. فقد أكرمه سيف بن ذي يزن في اليمن إكراماً مشهوداً.
وقد تولى في زمنه الرقادة والسقاية، وكان رجلاً موسراً فإذا حضر موسم الحج قام في
قريش قائلاً:

«يا معشر قريش إنكم جيران الله سبحانه، وأهل بيته، وإنه يأتاكم في هذا الموسم زوّار
الله وحجّاج بيته، وهم ضيف الله سبحانه، وأحقّ الضيف بالكرامة ضيفه فأجمعوا لهم ما
تصنعون لهم به طعاماً أيامهم هذه التي لا بد لهم من الإقامة بها، فإنه - والله - لو كان مالي
يسع لذلك ما كلفْتُكُمْوه». فيخرجون لذلك خرجاً من أموالهم كل امرئ بقدر ما عنده
فيصنع به للحجاج طعاماً حتى يصدروا منها^(٢).

وأول من أطعم الثريد للحجاج بمكة وإنما كان اسمه عمراً فما سمي هاشماً إلا بهشمه الخبز
بمكة لقومه فقال شاعر من قريش:

عَمَرُو الَّذِي هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ قَوْمَ بِمَكَّةَ مُسْتَتِينَ عِجَافِ
سُنْتُ إِلَيْهِ الرَّحْلَتَانِ كِلَاهُمَا سَفَرُ الشِّتَاءِ وَرِحْلَةُ الْإِيْلَافِ^(٣)

(١) راجع نظريات الخليفين، المؤلف ٣٤/١ - ٤١، تذكرة الفقهاء ٤٧٠/٢، تفسير ابن كثير ١٧٥/٢، مجمع الزوائد

١٨٨/٧، صحيح مسلم ١٦٧/٣، صحيح البخاري ٩٤/٨.

(٢) الروض الأنف، السهيلي ٦٤/٢، ٦٥.

(٣) الروض الأنف ٦٥/٢.

وكان هاشم بعد أبيه على الزعامة والسقاية والرفادة، فكان يعمل الطعام للحجاج يأكل منه من لم يكن له سعة ولا زاد، وتسمى الرفادة.

ثم ولي الزعامة والسقاية والرفادة بعده أخوه المطلب بن عبد مناف ثم تولاهما بعده شيبه ابن هاشم المسمى بعبد المطلب^(١).

وكان هاشم أول من سنَّ الرحلتين لقريش: رحلتي الشتاء والصيف.

عبد المطلب بن هاشم

واسمه شيبه بن هاشم وله عشرة أبناء، وهو الذي سجد له الفيل الأعظم وعليه قصة أصحاب الفيل، وبرز نور النبوة في أسارير عبد المطلب، وببركته ﷺ دفع الله تعالى شرَّ إبرة الحبشي، وأرسل عليهم طيراً أبابيل، وببركته ﷺ أمر عبد المطلب أولاده بترك الظلم والبغي، وحثهم على مكارم الأخلاق، ونهاهم عن دنيايات الأمور.

وكان شاباً شجاعاً لم يفر من مكة بفرار قريش بل بقي فيها قائلاً: والله لا أخرج من حرم الله أبتغي العزَّ في غيره فجلس عند البيت قائلاً:

اللهم إنَّ المرءَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فامْنَعْ حلالَكَ^(٢)

فلم يزل ثابتاً في الحرم حتى أهلك الله تعالى الفيل وأصحابه فرجعت قريش وقد عظمَ فيهم لصبره، وتعظيمه محارم الله تعالى، فأُتي عبدُ المطلب في منامه في الحجر ف قيل له: إحفر زمزم^(٣).

وكانت عين زمزم قد نبعت عند قدوم إسماعيل وأمه هاجر إلى مكة بدعاء النبي إبراهيم ﷺ الذي قال:

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾^(٤) فنبتت عين زمزم من فحوص إسماعيل ﷺ برجله فيها، فنبت الشجر واستقرت جرهم هناك^(٥).

(١) الروض الأثف ٢/٦٥، ٦٦.

(٢) سيرة ابن هشام ١/٢٣، تاريخ يعقوبي ١/٢٥٣، تاريخ الطبري ١/٥٥٤.

(٣) مختصر تاريخ ابن عساکر ٢/٨٥ - ٨٧، سيرة ابن اسحاق ٢٣.

(٤) إبراهيم ٣٧.

(٥) البدء والتاريخ ١/٢٣٩، ٢٤٠.

وبعد موت عبد الله أهتم عبد المطلب بحفيده محمد ﷺ اهتماماً خاصاً، لإيمانه بالله تعالى والآخرة والأنبياء أولاً وكونه حفيده ثانياً، وثالثاً أنه صبي يتيم الأبوين. ولمعرفته وإيمانه بنبوته ﷺ.

وقبل موته عهد عبد المطلب بمحمد ﷺ إلى أفضل أبنائه (أبي طالب) فكان عند حسن ظنه وسار أبو طالب على خطى عبد المطلب في الاهتمام بالدين الإلهي والرحم، فاعتنى برسول الله ﷺ عناية خاصة وفائقة.

وسمّت قريش عبد المطلب بإبراهيم الثاني^(١).

بئر زمزم

قال رسول الله ﷺ خير بئر للناس زمزم وشرب بئر برهوت^(٢). وقد نبعت زمزم تحت قدمي إسماعيل عليه السلام ثم دفنت خمسمائة سنة لا يعرف مكانها وسميت زمزم لأنها زمت بالتراب أو لزمزمة الماء فيها^(٣) وكانت جرهم قد دفنتها حين ظعنوا من مكة. وأن عمرو بن الحارث الجرهمي عمد إلى نفائس فجعلها في زمزم وبألف في طمها وفرّ إلى اليمن بقومه.

فلم تنزل زمزم من ذلك اليوم مجهولة إلى أن رفعت الحجب برؤيا رآها عبد المطلب دلته على مكانها حينما كان نائماً في حجر إسماعيل عليه السلام، إذ أمر بحفر زمزم يوم كان عبد المطلب رئيساً على مكة^(٤). ولما حفر عبد المطلب ووصل إلى بئر زمزم كبر فعرفت قريش أنه أدرك حاجته فطالبوه بإشراكهم فيها فرفض. فاتفقوا على تحكيم كاهنة بني سعد بن هذيم وكانت بأشراف الشام. ولما ذهبوا إليها فنئ ماء عبد المطلب وأصحابه فظعنوا حتى أيقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم وقالوا: إنا بمفازة نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم، ولما ركب عبد المطلب راحلته انبعثت (انفجرت) من تحت خفها عين ماء

(١) لإيمانه وأخلاقه والتوفيق الإلهي له تاريخ اليعقوبي ١٢/٢.

(٢) الدر المختور ٤٣/٦.

(٣) والمعنى اللغوي لها هو الماء الوسط بين العذوبة والملوحة.

(٤) تاريخ الخميس ١٧٨، البداية والنهاية ٣/٣٣.

عذب، فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه ثم نزل فشرب وشرب أصحابه واستقوا حتى ملئوا أسقيتهم، ثم دعا القبائل من قريش قائلاً: هلم إلى الماء فقد سقانا الله فاشربوا واستقوا فجاءوا فشربوا واستقوا ثم قالوا: والله قُضي لك علينا يا عبد المطلب، والله لا نخاصمك في زمزم أبداً أن الذي سقاك الماء بهذه الفلاة هو الذي سقاك زمزم فارجع إلى سقايتك راشداً^(١). فورت أبو طالب الرياسة والسقاية والرفادة من أبيه عبد المطلب.

وكان عبد المطلب قد عثر على أسياف وغزالين من الذهب في زمزم فجعل الأسياف باباً لها وضرب في الباب الغزالين من ذهب فكان أول ذهب حليت به الكعبة^(٢).

عبد الله بن عبد المطلب وأمنة

كان عبد المطلب يحب ابنه عبد الله أكثر من باقي ابنائه، وهو أحسن من رؤي في قريش قط. فخرج يوماً على نساء من قريش مجتمعات فقالت امرأة منهن: يا نساء قريش، أيتكن تزوج هذا الفتى فتصطاد النور الذي بين عينيه.

فطلبت قتيلة أخت ورقة بن نوفل من عبد الله أن يجامعها لنور وجهه فأبى ذلك، وطلبت منه كاهنة باليمن ذلك فرفض وعمره ثمان عشرة سنة^(٣) فتزوجته أمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة فجامعها، فحملت برسول الله ﷺ^(٤).

ومات عبد الله بن عبد المطلب في المدينة المنورة في ظروف مشكوكة، وأعتقد بأن يهود المدينة المتربصين بخروج النبي ﷺ والعارفين بنور عبد الله هم الذين قتلوه. وكان الكثير من الأحرار والكهّان والكفار يرغبون في قتله^(٥).

وكانت حليلة السعدية (مرضة النبي ﷺ) يوم ذهبت برضيعها (محمد ﷺ) إلى

(١) تاريخ الخميس ١ / ١٧٩.

(٢) تاريخ الخميس ١ / ١٨١.

(٣) السيرة الحلبية ١ / ٢٩، الوفا ٨٢.

(٤) مختصر تاريخ ابن عساكر ٨٧/٢.

(٥) راجع كتاب هل اغتيل النبي محمد ﷺ للمؤلف.

سوق عكاظ نادى أحد الكهان: يا أهل عكاظ اقتلوا هذا الغلام، فإن له ملكاً، فزاغت به أمه التي ترضعه، فأنجاه الله تعالى^(١).
ومات عبدالله وعمره ٢٧ سنة وماتت آمنة وعمرها ٣٠ سنة في منطقة الأبواء بين مكة والمدينة، وكان عمر النبي ﷺ ست سنين.



(١) مختصر تاريخ ابن عساکر ٨٨/٢



مرکز تحقیقات و پژوهش در علوم اسلامی

باب

ملوك العرب



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

ملوك اليمن

كان قحطان بن عابر بن شالح أول من نزل اليمن، وهو أول من ملكها ولبس التاج ثم مات. فملك بعده ابنه يعرب، وهو أول من نطق بالعربية وقيل أول من فتق لسانه بالعربية البينة إسماعيل عليه السلام ^(١) ثم ملك ابنه يشجب، ثم ابنه عبد شمس فأكثر الغزو فسمي سبأ، وبنى سد مأرب وملك بعده ابنه يعرب الذي أخرج ثمود من اليمن إلى الحجاز. ثم ملك وائل وسكسك ويعفر وذو رياش والنعمان وأسمع وشداد ولقمان وذو شدد والمحارث وذو القرنين... ثم الهدهاد ثم ابنه بلقيس بنت الهدهاد زوج سليمان عليه السلام ^(٢). قال صاحب تواريخ الأمم: ليس في التواريخ أسقم من تواريخ ملوك حمير لما يذكر فيه من كثرة عدد سنيهم مع قلة عدد ملوكهم فإنهم يزعمون أن ملوكهم ستة وعشرون ملكاً ملكوا مدة ألفين وعشرين سنة. ثم ملك اليمن بعدهم من الحبشة ومن الفرس ثمانية، ثم صارت اليمن للإسلام، والفرس هم الذين ساعدوا سيف بن ذي يزن الحميري في طرد جيش الحبشة من اليمن، وساعدوا سيفاً في أن يصبح ملكاً على البلاد بعد أن خذله الروم. ^(٣) وكان ذو نواس آخر ملوك حمير هو الذي قتل أصحاب الأخدود، وهم عشرون القأ من النصارى، فتسبب ذلك في ضياع ملك الحميريين ^(٤).

(١) وأول من كتب الكتاب العربي إسماعيل، السيرة الحلبية ١ / ١٨.

(٢) تاريخ ابن الوردي ١ / ٥٦، ٥٧.

(٣) المصدر السابق.

(٤) تفسير ابن كثير ٤ / ٩١٩.

ملك اليمن المؤمن

والملفت للنظر أن تبع ملك اليمن أسكن الأوس والخزرج مدينة يثرب لينصروا محمداً ﷺ الذي سوف يخرج في مكة، ويهاجر الى يثرب (المدينة) قائلاً: أما أنا فلو أدركته لخدمته، وخرجت معه^(١) فقال تعالى في قريش: ﴿أهم خير أم قوم تبع﴾^(٢) فكان تبع المؤمن قد آمن بالنبي محمد ﷺ قبل ولادته بزمان طويل^(٣). وأخذ سيف بن ذي يزن (ملك اليمن) ذلك من أجداده فبشّر عبدالمطلب بظهوره. فأكد له عبدالمطلب ولادة رسول الله ﷺ^(٤).

وكان يوشع اليهودي وكل يهود يثرب يبشرون بولادة النبي محمد ﷺ^(٥). إذ كان أحبار يهود بني قريظة والنضير يذكرون النبي ﷺ، فلما طلع الكوكب الأحمر أخبروا الناس أنه نبي وأنه لا نبي بعده، واسمه أحمد ومهاجره إلى يثرب، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنكروا وحسدوا وكفروا^(٦). وكان يهود الشام قد هربوا إلى شبه الجزيرة العربية من بطش بختنصر الذي خرب القدس^(٧).

أهالي المدينة

كان أهل المدينة تاريخياً ينتظرون ظهور النبي محمد ﷺ، ولما خرب ططوس الرومي الكافر بيت المقدس (إحدى المرتين)، وتفرقت بنو إسرائيل فرّت قريظة والنضير، وسكنت مدينة يثرب في زمن سيل العرم. ثم ملكها قيطون اليهودي الذي يبدأ بالعروس قبل زوجها

(١) كمال الدين ١٠١، ١٠٢، البحار ١٨٣/١٥، ١٩٠.

(٢) الدخان ٣٧.

(٣) تفسير مجمع البيان ٦٦/٩، كمال الدين ١٠٢، البحار ١٨٣/١٥ - ١٩٠.

(٤) سيرة ابن هشام ٦٩/١، ٧٠، مروج الذهب، المسعودي ٨٤/٢، ٨٥.

(٥) البداية والنهاية ٣٢٧/٢.

(٦) البداية والنهاية ٣٢٧/٢.

(٧) تاريخ ابن الوردي ٢٨/١.

فقتله مالك الحزرجي.

ولما سقط الحكم اليهودي بدأ حكم الأوس والحزرج في يثرب تلك المدينة المهمة التي نورها الله تعالى برسوله ﷺ. فأخذت الأوس والحزرج تتوارث الرياسة إلى زمن هجرة النبي ﷺ إليها^(١).

وأراد ملك اليمن تبع أن يخرب يثرب بعد قتله ثلاثمائة وخمسين يهودياً صبراً فأخبره يهودي ببعثة خاتم الأنبياء القريبة، فضى إلى مكة وكسا البيت وأطعم الناس وقال:

شهدت على أحمد إنه رسول من الله باري النسم
فلو مدّ عمري إلى عمره لكنت وزيراً له وأبن عم^(٢)

ملوك اللخمين

كان ملوك الحيرة هم المناذرة بنو عدي بن نصر... ابن سبأ، وهم جذية وعمرو وأمرؤ القيس وأوس.

والنعمان الأعور باني الخورنق والسدير ملك ثلاثين سنة ثم تزهد وخرج من الملك في زمن بهرام الفارسي، ثم المنذر بن النعمان إلى أن ملك النعمان بن المنذر الذي تنصر. وانتقل ملك الحيرة بعد النعمان عن اللخمين إلى أياس بن قبيصة الطائي، وبعد ستة أشهر من حكمه بعث رسول الله ﷺ.

ثم ملك زادويه والمنذر بن النعمان بن المنذر بن ماء السماء إلى أن فتحت العراق بيد المسلمين.

وكانت دولتا المناذرة في العراق ودولة سيف بن ذي يزن في اليمن تابعة للفرس، ودولة الغساسنة العربية في بصرى الشام تابعة للروم^(٣).

(١) البدء والتاريخ، البلخي، ٤٣/٢.

(٢) البحار ١٥/٢١٤، الخرائج، ١٨٥.

(٣) تاريخ ابن الوردي ٥٧/١، ٥٨.

ملوك غسان

كان ملوك غسان من عرب اليمن من بني أزد بن الغوث بن سبأ جاءوا الشام ونزلوا عند ماء غسان فنسبوا إليه.

وأول ملوك غسان جفنة بن عمرو، ثم عمرو، ثم ثعلبة، ثم جبلة بن الحارث، والحارث والمنذر...

ثم ملك جبلة بن الأيهم بن جبلة الذي أسلم في زمن عمر بن الخطاب، ثم عاد إلى الروم وتنصر، وقيل بأنهم حكموا بين اربعمائة إلى ستائة سنة^(١).

ملوك كندة

أول ملوكهم حجر آكل المرار بن عمرو من ولد كندة، ثم ابنه الحارث الذي وافق كسرى قباذ على الزندقة المزدكية، ثم حجر أبو الشاعر امرؤ القيس^(٢).

وقد كتب هشام بن الكلبي كتاباً اسمه ملوك كندة^(٣) وحجر بن عمرو من حمير كان في عهد تبابعة اليمن وولاه أخوه لأمه حسان بن اسعد على قبائل معد بن عدنان في الحجاز فدانت له واستمر فيهم إلى أن مات^(٤).

وفي سنة اثنتي عشرة قُتِلَ الملوك الأربعة حمد ومحروس وابضعة ومشرح واختهم العمردة الذين ورد الحديث في مسند أحمد بلغنهم (وكان الذي قتلهم زياد الأنصاري) وهم ملوك بني عمرو بن معاوية الحضرميين وهم أخوة من ملوك كندة^(٥).

وكان الأشعث بن قيس من ملوك كندة.

(١) تاريخ ابن الوردي ٦٢/١.

(٢) تاريخ ابن الوردي ٦٣/١، ٦٤.

(٣) الذريعة ٣٥١/١.

(٤) الاعلام، الزركلي ١٦٩/٢.

(٥) البداية والنهاية ٣٧٦/٦.

قصة الفيل

لما سيطرت الحبشة على الحكم في اليمن بقيادة إبرهة الحبشي بنى كنيسة عظيمة لدينه النصراني، فرغب في حج الناس إليها دون الكعبة، فجاء شخص وأحدث في الكنيسة! فغضب أبرهة وسار بجيشه وبالفيل، وقيل بثلاثة عشر فيلاً لهدم الكعبة، وقال: ونصرانيتي لأهدمن الكعبة حتى لا يحجها حاج أبداً.

ووصل الطائف فساعدته أهلها بدليل اسمه نفيل (أبورغال)، فساق جنود إبرهة أموال أهالي مكة، فلم يبق بمكة أحد غير عبدالمطلب بن هاشم نزلوا المغمس على ستة أميال من مكة. ومن جملة الأموال مائتا بعير لعبد المطلب بن هاشم، فجاء عبدالمطلب إلى إبرهة، فقالوا له: جاء سيد قريش الذي يطعم أنيسها في السهل ووحوشها في الجبل، فأذن له. فلما رآه إبرهة أعظمه ونزل عن سريره وجلس معه على الأرض فقال عبدالمطلب حاجتي مائتا بعير أصابتها مقدمتك.

فقال إبرهة: والله لقد رأيتك وأعجبتني ثم تكلمت فزهدت فيك.

فقال له: ولم أيها الملك؟

قال: لأنني جئت إلى بيت هو منعتكم من العرب وفضلكم في الناس، وشرفكم منه، ودينكم الذي تعبدون، فجئته لأكسره، فكلمتني في إيلك ولم تطلب إليّ في بيتكم! فقال له عبدالمطلب: أيها الملك إنما اكلمك في مالي، ولهذا البيت رب يمنع، لست أنا منه بشيء.

فأمر إبرهة برد إيل عبدالمطلب وساروا إلى مكة فامتنع فيلهم من السير! ومع طلوع شمس اليوم الثاني طلعت عليهم طير أبابيل أمثال الخطاطيف، مع كل طائر ثلاثة أحجار في مثل الحمص والعدس في منقاره ورجليه، فلم تصب أحداً إلا هلك.

وأرسل الله تعالى عليهم سيلاً فألقاهم في البحر، وأصيب إبرهة في جسده، وسقطت أعضاؤه فمات في صنعاء! ^(١) وأنزل الله تعالى قصة أصحاب الفيل في كتابه عبرة للكفارين:

(١) سيرة ابن اسحاق ٦١ - ٦٤، تاريخ ابن الوردي ٩٢/١، تفسير ابن كثير ٩١٩/٤ - ٩٢٦ تفسير الطبرسي، سورة

الفيل، تفسير التبيان، سورة الفيل.

﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول﴾^(١)

وأقرن ذلك مع سنة ولادة رسول الله ﷺ فشهد أهل مكة أكبر معجزة الهية في ذلك الوقت تمهد السبيل لولادة خاتم الأنبياء ﷺ حيث أرسل الله سبحانه وتعالى طيراً أبادت جحافل إبهة العسكرية واغرقت الباقيين في حضرموت فتعجب الناس من ذلك الرد الإلهي الصاعق الذي دمر جيشاً كاملاً في دقائق معدودة وبواسطة الطف خلقه (الطيور). ثم سمع الناس بولادة رسول الله ﷺ في ذلك العام السعيد.



مركز تحقيقات کتب و تاریخ علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کتب و علوم اسلامی

باب

ولادة خاتم الأنبياء ﷺ



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

أهل الكتاب يعرفون نبوة محمد ﷺ قبل الإسلام

كان النصارى يسكنون أطراف جزيرة العرب مثل الحيرة وبلاد الشام، والبعض منهم في منطقة نجران. وكانوا يبشرون وينذرون بظهور النبي ﷺ. إذ قالت حليلة: بينما نحن سائرون إذ مررنا على أربعين راهباً من نصارى نجران، وإذا بواحد يصف لهم النبي ﷺ ويقول: إنه يظهر في هذا الزمان. وقد ظهر بمكة مولود من صفاته كذا وكذا، يكون على يده خراب دياركم وقطع آثاركم.

وإذا ابليس قد تصور لهم في صورة إنسان، وقال لهم: الذي تذكرونه مع هذه المرأة التي مرّت بكم، فقاموا إليه ونظروا وإذا النور يخرج من وجهه، ثم زعق الشيطان وقال لهم: اقتلوه، فشهروا سيوفهم وقصدوني، فرفع ولدي محمد رأسه إلى السماء فإذا هم بداهية عظيمة كالرعد العاصف نزلت إلى الأرض، وفتحت أبواب السماء ونزلت منها نيران.

قالت حليلة: فعانت نارا قد نزلت فخفت على ولدي منها، فنزلت على واديهم فأحرقتة^(١). وكان بمر الظهران راهب يدعى عيصاً من أهل الشام يدخل مكة في كل سنة فيقول: يوشك أن يولد فيكم مولود يا أهل مكة يدين له العرب، ويملك العجم هذا زمانه، ومن أدركه واتبعه أصاب حاجته، ومن أدركه فخالقه أخطأ حاجته^(٢).

هذا وكان اليهود قد سكنوا يثرب وتيماء وفدك وخيبر بعد فرارهم من قتل آشور بانيبال وملاحقة الروم.

(١) البحار ١٥/٣٧٥.

(٢) البداية والنهاية ٢/٣٣١.

ولما خرج اليهود من أرض الشام جعلوا يقترون (يتتبعون) كل قرية من القرى العربية بين الشام واليمن يجدون نعتها نعت يثرب، فتزل بها طائفة منهم، ويرجون أن يلقوا محمداً فيتبعوه، حتى نزل من بني هارون ممن حمل التوراة يثرب منهم طائفة، فمات أولئك الآباء، وهم يؤمنون بمحمد ﷺ ويحثون أبناءهم على اتباعه إذا جاء، فأدركه من أدركه من أبنائهم فكفروا به وهم يعرفونه! ^(١) وبشر به الجارود بن عبد الله ^(٢).

وكانت يهود بني قريظة يدرسون ذكر رسول الله ﷺ في كتبهم ويعلمونه الولدان بصفته وأسمه ومهاجره إلينا، فلما ظهر رسول الله ﷺ حسدوه وبغوا عليه، وقالوا ما ليس به! ^(٣).

وأقر القرآن الكريم بمعرفة أهل الكتاب للنبي محمد ﷺ قائلاً:

﴿يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾ ^(٤). وقالت اليهود لاهالي المدينة: «إنا ننتظربنياً يبعث الآن يقتلكم قتل عاد وثمود، فتتبعه ونظهر عليكم معه» ^(٥).

وقالوا: ليخرجن نبي فيكسرن أصنامكم، فلما خرج رسول الله ﷺ كفروا به! ^(٦). وكذبوا آياته: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم﴾ ^(٧).

وقال يهودي لئسباء قريش: يا معشر نساء قريش يوشك فيكن نبي قرب ظهوره، فأيكن استطاعت أن تكون فراشاً له فلتفعل، فحصبته النساء ^(٨).

ثم جاء القحطانيون من اليمن إلى يثرب وحاصروا يهود بني النضير والقينقاع وبني قريظة فيها واجبروهم على التنازل عن الحكم.

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ٤٧/٢.

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر ٥٢/٢.

(٣) المصدر السابق.

(٤) سورة البقرة ١٤٦.

(٥) الثقات، ابن حبان ٩٠/١.

(٦) سيرة مغلطاي ٧.

(٧) سورة النمل ١٤.

(٨) السيرة الحلبية ١٤٠/١.

ولقد قال عبدالمطلب لحاضنته بركة: لا تغفلي عن أبنى فان أهل الكتاب يزعمون أن أبنى نبي هذه الأمة، وأنا لا آمن عليه منهم^(١).
وبالرغم من ذلك فإن اليهود خانوا الرسول ﷺ لاختلافهم معه، فحالفوا كفار مكة على رسول الله ﷺ!
وعندها سأل أبو سفيان سلام بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب وكنانة بن الربيع: يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟
قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه، فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دعوهم إليه^(٢).

البشارات بولادة الرسول ﷺ

ذكر القرآن الكريم البشارات بولادة النبي ﷺ التي كان الناس يعلمونها:
﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾^(٣).
﴿ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب، كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون﴾^(٤).
﴿الذين ءايتناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾^(٥).
فأثبت القرآن الكريم بأن أهل الكتاب يعرفون خاتم الأنبياء محمداً ﷺ ومكان وزمن

(١) عيون الأثر ٥٦/١.

(٢) سيرة ابن هشام ٢٢٥/٣، ٢٢٦.

(٣) البقرة ٨٩.

(٤) البقرة ١٠١.

(٥) البقرة ١٤٦.

ظهوره، فكان اليهود يستنصرون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه، فلما بعثه الله تعالى من العرب ولم يكن من بني إسرائيل كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولونه، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور: يا معشر اليهود اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل الشرك وتصفونه وتذكرون أنه مبعوث.

فقال سلام بن مشكم أخو بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنّا نذكر لكم فأنزل الله تعالى قوله ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله﴾^(١)

وجاء في السفر الأول من التوراة عن إبراهيم عليه السلام: «قد أجبت دعاءك في إسماعيل وباركت عليه وكثرته وعظمته جداً جداً وسيلد اثني عشر عظيماً واجعله لامة عظيمة»^(٢) وقال حسان بن ثابت: إني لغلام يفقه ابن سبع أو ثمان سنين أعقل كل ما سمعت إذ سمعت يهودياً وهو على أكمة (تل) يثرب يصرخ: يا معشر اليهود طلع نجم أحمد الذي يبعث به الليلة^(٣).

وقال يهودي لرسول الله ﷺ: كنت أحمو أسمك منذ أربعين سنة من التوراة، وكلما محوته وجدته مثبتاً فيها^(٤).

وبشّر به عيسى عليه السلام إذ قال النبي ﷺ: وبشارة عيسى الذي بشّر بني إسرائيل بمحمد ﷺ.

وقال ﷺ: ورؤيا أُمِّي التي رأت، إذ حدثت آمنة بنت وهب أنها أتيت حين حملت بمحمد ﷺ فقيل لها: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة فإذا وقع إلى الأرض فقولِي:

أعنيده بالواحد من شر كل حاسد

من كل برّ عاهد وكل عبد رائد

برود غير رائد

(١) البقرة ٨٩، البحار ١٥/١٧٦.

(٢) الوفا ٥٦.

(٣) فرج المهموم ٢٩، البحار ١٥/١٨١.

(٤) الخصال ٩/٢، البحار ١٥/١٨١.

و آية ذلك أن يخرج معه نور يملأ قصور بصرى من أرض الشام، فإذا وقع فسميه محمداً، فإن أسمه في التوراة أحمد، يحمده أهل السماء وأهل الأرض، وأسمه في الفرقان محمد، قالت: فسميته بذلك^(١).

ومن البشارات بولادة محمد ﷺ نور النبوة الظاهر في وجه عبدالله بن عبدالمطلب فكان أحسن من رؤي في قريش قط، فخرج يوماً على نساء من قريش مجتمعات، فقالت امرأة منهن:

يا نساء قريش، أيتكن تتزوج هذا الفتى فتصطاد النور الذي بين عينيه؟ وإن بين عينيه نوراً، فتزوجته آمنة بنت وهب بن عبدمناف بن زهرة، فحملت برسول الله ﷺ^(٢). وكان نور النبوة في وجه عبدمناف أيضاً. وكانوا يرون نور النبوة بين عيني جدّه ﷺ مضر بن نزار^(٣).

وقال الله تعالى لآدم: النور الموجود في سرادق العرش نور نبي من ذريتك أسمه في السماء أحمد وفي الأرض محمد، لولاه ما خلقتك ولا خلقت سماء ولا أرضاً ولو تشفعت بمحمد ﷺ في أهل السماء والأرض لشفعناك^(٤).

وبشّر به الحبر اليهودي ابن حواش المقبل من الشام قائلاً لكعب بن أسد (رئيس يهود قريظة):

تركت الخمر والخمير وجئت إلى البؤس والتمور لنبي يبعث، هذا أوان خروجه، يكون مخرجه بمكة، وهذه دار هجرته، وهو الضحوك القتال يجتري بالكسره والتميرات ويركب الحمار، في عينيه حمرة، وبين كتفيه خاتم النبوة، يضع سيفه على عاتقه لا يبالي بمن لاقى، يبلغ سلطانه منقطع الخف والحافر.

فاعترف كعب بن أسد بذلك قائلاً:

(١) دلائل النبوة، البيهقي ٨٢/١، ٨٣.

(٢) السيرة النبوية، دحلان ١٠/١.

(٣) السيرة الحلية ١٧/١.

(٤) السيرة النبوية، دحلان ١٠/١.

لولا أن اليهود تعيّرني أني جئنت عند القتل لآمنت بك وصدقتك^(١).
وبشّر قس بن ساعدة الأيادي برسول الله ﷺ في سوق عكاظ باسمه ونسبه قائلاً
خطبته الشهيرة:

مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون! أرضوا بالمقام فأقاموا، أم تركوا فناموا؟^(٢).
وجاء في التوراة في السفر الخامس: إني أقيم لبني إسرائيل نبياً من إخوانهم مثلك واجعل
كلامي على فمه، وإخوة بني إسرائيل ولد إسماعيل، ولم يكن في بني إسرائيل نبي مثل موسى
ولا أتى بكتاب ككتاب موسى غير نبينا محمد ﷺ^(٣).

وجاءت بشارات بعلي عليه السلام أيضاً إذ قال عيسى عليه السلام في الانجيل: إن الإليّا متوقع أن
يأتي^(٤) وإليّا هو علي بن أبي طالب عليه السلام وصي محمد ﷺ.

وبشّر كعب جد رسول الله ﷺ قريشاً به ﷺ^(٥) وبشّر به ﷺ جدّه النضر بن كنانة قائلاً: قد
آن خروج نبي من مكة يدعى أحمد يدعو إلى الله وإلى البر والاحسان ومكارم الأخلاق
فاتبعوه^(٦).

مركز تحقيقات كويتية للدراسات الإسلامية

ولادة رسول الله ﷺ

والأدلة تشير إلى أن الكهان والأخبار والقساوسة قد أشاروا إلى قرب ظهور النبي
محمد ﷺ إذ قال سطيح لمعشر قريش:

يا معشر قريش لقد أكثرتم الاختلاف، وزادت قلوبكم بالإرتجاف بذيتكم بالسنتكم على
آل عبد مناف تكذبونه فيما نطق، وتلومونه إذا صدق، وقد أرسلتم إليّ تسألوني عن الحال
الظاهر، وعن أمر النبي الطاهر صاحب البرهان وقاصم الأوثان ومذل الكهان، وأيم الله ما

(١) كمال الدين ١١٤، ١١٥، البحار ٢٠٦/١٥.

(٢) كمال الدين ٩٩ - ١٠٠ - ١٠١، البحار ١٨٤/١٥، ١٨٥، كنز الكراچي ٢٥٥.

(٣) الخرائج ١٨٤، البحار ٢٠٩/١٥.

(٤) البحار ٢١١/١٥.

(٥) السيرة الحلبية ١٥/١.

(٦) السيرة الحلبية ١٦/١.

فرحنا بظهوره لان الكهانة عند ولادته تزول، فأتوني بأمهاتكم ونسائكم لترون العجب العجائب.

ولما جاءوه بالنساء قال: وحق الحرمين لقد تركتم من نسائكم اثنتين الواحدة منهن الحامل بالمولود الهادي إلى الرشاد محمد والأخرى ستحمل عن قريب وتلد غلاماً أميناً يدعى أمير المؤمنين وسيد الوصيين وانطلق أبو طالب إلى منزله وأتى بزوجه فاطمة بنت أسد، وآمنة زوجة أخيه عبدالله، فلما وصلتا بجمع الناس من النساء صاح سطيح بأعلى صوته وجعل يبكي ويقول:

يا ذوي الشرف هذه والله الحاملة بالنبي المختار رسول الله ﷺ (أي آمنة) هذه سيدة نساء العرب والعجم وهي الحامل بأفضل الأمم، مبيد كل وثن وصنم، يا ويح العرب منه. وهذه والله فاطمة بنت أسد أم الإمام الذي يكسر الأصنام، وهو الأمير الذي ليس في عقله طيش، قاتل الشجعان، ومبيد الأقران^(١).
لقد دخل الخير والسرور إلى جزيرة العرب مع حمل آمنة بنت وهب برسول الله ﷺ إذ جاء: لما حملت آمنة بنت وهب برسول الله ﷺ أخضرت لهم الأرض، وحملت لهم الأشجار، وأتاهم الوفد من كل مكان فأخصب أهل مكة خصباً عظيماً، فسميت السنة التي حمل فيها برسول الله ﷺ سنة الفتح والإستيفاء والابتهاج، ولم تبق كاهنة إلا حجبت عن صاحبها^(٢).
وانترع علم الكهنة وبطل سحر السحرة، ولم يبق سرير لملك من الملوك إلا أصبح منكوساً^(٣).

وانتقل نور النبوة من عبد مناف إلى هاشم، ومن هاشم إلى عبد المطلب، ومن عبد المطلب إلى عبدالله فسعت النساء للزواج منه إذ قالت له قتيلة بنت نوفل من بني أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب (أخت ورقة بن نوفل) عند الكعبة وهي تنظر إلى وجهه: لك مثل الإبل التي نحررت عنك وقّع عليّ الآن.

(١) البحار ٣١٢/١٥، ٣١٣، مختصر تاريخ ابن عساكر ٤٤/٢ - ٥٠.

(٢) أي صاحبها من الجن.

(٣) العدد، مخطوط، البحار ٢٩٦/١٥، ٢٩٧.

فرفض ذلك وتزوج آمنة بنت وهب سيّد بني زهرة نسباً وشرفاً وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً^(١).

وطلبت فاطمة بنت مرّ ذلك من عبدالله فأبى، وطلبت منه ذلك كاهنة يهودية^(٢). فرفض أيضاً.

وكان ورقة بن نوفل قد تنصر وأتبع الكتب، فعرف أنه كان في هذه الأمة نبي، فأخبر أرحامه ومعارفه بذلك^(٣).

ومن الطبيعي أن تكون آمنة بنت وهب قد أطلعت على خبر النبي الموعود، وأنه ابن عبدالله بن عبدالمطلب، وشاهدت النور بين عينيه.

وعندما حملت به جيء لها في المنام فقيل لها: إنك حملت بسيّد هذه الأمة، فإذا وقع على الأرض فقلّي:

أُعِيْذُكَ بِالْوَاحِدِ مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ، ثُمَّ سَمِيَهُ مُحَمَّدًا، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ رَأَتْ بِهِ قُصُورَ بَصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ^(٤).

فولدتَه مَقْطُوعَ السَّرَّةِ، مَكْحُولًا، نَظِيفًا، مَخْتُونًا، (قال رسول الله ﷺ: كي لا يرى أحد سوائتي عند الختان) ساجداً لله تعالى رافعاً إصبعيه كالمتضرع المبتهل، قائلاً: الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً^(٥).

وقد استبعد ابن كثير (الأموي أهوى) ولادة رسول الله مختوناً مسروراً (أي مقطوع السرة) دون دليل علمي؛ رغم تأكيد ذلك من قبل ابن عساكر وأبي نعيم وعلي بن محمد المدائني والحلي والكثير من العلماء والحفاظ^(٦).

وسأل الناس عبدالمطلب عن اسم ابنه؟ فقال: سميتُه مُحَمَّدًا.

(١) دلائل النبوة، البيهقي ٨٧/١، الروض الأنف، السهيلي عن سيرة ابن هشام ١٣٥/٢، ١٤١.

(٢) الروض الأنف ٢٤٢/٢.

(٣) المصدر السابق ١٣٦/٢.

(٤) الروض الأنف ١٣٧/٢، دلائل النبوة، البيهقي ٨٠/١.

(٥) البداية والنهاية ٣٢٤/٢، ٣٢٥، السيرة الحلبية، الحلبي ٥٧/٥٣/١، البحار ٢٩١/١٥، الاحتجاج ١١٨، ١١٩.

(٦) البداية والنهاية ٣٢٥/٢.

قالوا: فبم رغبت به عن أسماء أهل بيته، قال: أردت أن يحمد الله في السماء وخلقُه في الأرض^(١).

وفي مقابل ذلك أيّد ابن كثير رواية جاهلية في دخول عبد المطلب برسول الله ﷺ على هبل في جوف الكعبة!

وكانت نية عبد المطلب إدخال رسول الله ﷺ الكعبة وطوافه بها وهو الواضح في شعر عبد المطلب الخالي من ذكر الأصنام والمؤكد لعبادة الرحمن قائلاً:

الحمدُ لله الذي أعطاني هذا الغلام الطيبَ الأرداني
قد سادَ في المهدِ على الغلمانِ أعيذهُ بالبيتِ ذي الأركانِ^(٢)

ورغم تسمية قريش لعبد المطلب بإبراهيم الثاني^(٣) وتأكيده المتكرر على عبادة الباري عز وجل ووحدانيته ورفضه عبادة الأوثان ألحَّ ابن كثير وغيره على وصمه بالكفر، وتنزيه الكثير من القرشيين عن عبادة الأصنام!

وما ذنب عبد المطلب وأبي طالب إلا رحمة الماشئة برسول الله ﷺ! وفي ليلة ولادة رسول الله ﷺ أريج إيوان كسرى، وسقطت منه أربع عشرة شرافة، وخمدت نار فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، وغاصت بحيرة ساوة، ورأى الموبذان قاضي الفرس في منامه إيلاً صعباً تقود خيلاً عرباً قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها. فلما أصبح كسرى أفزع ذلك، واجتمع بالموبذان - عالم الفرس - فقص عليه الموبذان أيضاً ما رأى، فقال كسرى: أي شيء يكون هذا؟

فقال الموبذان وكان عالماً: يكون حدث من جهة العرب. فكتب كسرى إلى النعمان بن المنذر أما بعد فوجه إليَّ برجل عالم فوجه إليه بعبد المسيح بن عمرو، فأخبره كسرى بما كان.

فقال عبد المسيح: علم ذلك عند خالي في مشارف الشام يقال له سطيح، فأرسله كسرى

(١) تاريخ ابن الوردي ٩٣/١، تاريخ أبي الفداء ١٦٨، ١٦٩، البداية والنهاية ٣٢٥/٢.

(٢) البداية والنهاية ٣٢٤/٢.

(٣) تاريخ يعقوبي ١٢/٢.

إليه وقد أشرف على الموت فقال: رفع سطيح رأسه قائلاً لعبد المسيح:
بعثك ملك ساسان لا يرتجاس الإيوان وخمود النيران ورؤيا الموبدان وذكرها، يملك منهم
ملوك وملكات على عدد الشرفات، وكل ما هو آت آت، ثم قضى سطيح الغساني مكانه^(١).
وأسم رسول الله ﷺ محمد وأحمد والحاشِرُ والحَاتِمُ والعاقِبُ ونبي الرحمة والمأحي،
وكنيته أبو القاسم، وقال ﷺ: لا تجمعوا بين اسمي وكنتي^(٢).

المتفق بين المسلمين أن رسول الله ﷺ ولد في عام الفيل بعد خمسين يوماً على وصول
الفيل إلى مكة في محرم. والمشهور عند أهل البيت أن النبي ﷺ ولد في السابع عشر من
شهر ربيع الأول بعد طلوع الفجر^(٣).

وقال الطبرسي والكليني أنه ﷺ ولد في يوم الجمعة وقال آخرون أنه ولد يوم الاثنين^(٤).
وذكر أنه ولد سنة اثنتين وأربعين من ملك كسرى أنوشيروان^(٥) وأنه ولد سنة ٥٧١
ميلادية^(٦).

ومكان ولادته ﷺ في شعب أبي طالب في الدار التي صيرتها الخيزران أم الرشيد
مسجداً فبقي الناس يصلون فيه ويتبركون به إلى أن هدمه الوهايون، بل جعلوه مربضاً

(١) تاريخ ابن الوردي ٩٤/١، الطبقات، ابن سعد ١٠٢/١، ١٠٣، تاريخ أبي الفداء ١٦٩/١، تاريخ اليعقوبي ٨/١،
البداية والنهاية ٣٢٨/٢، ٣٢٩.

(٢) الطبقات ١٠٧/١.

(٣) البحار ٢٤٨/١٥، ٢٨٧، ٢٤٩، الاقبال ٦٠٣، ٦٢٣ وإيد ذلك الواقدي.

(٤) اصول الكافي ٣٦٤/١، تاريخ الخميس ١٩٦/١.

وقال ابن عبد البر ولد في ٢/ ربيع الأول، الروض الأنف ١٥٨/١.

وقال الخوارزمي والزهرري والبلخي وابن حزم: ٨/ ربيع الأول، البدء والتاريخ ٤٤/٢.

وقال ابن الوردي وابن عساكر: ولد في ١٠/ ربيع الأول، تاريخ ابن الوردي ٩٣/١، تاريخ أبي الفداء ١٦٨/١.

وقال ابن اسحاق وابن عبدربه والكليني والمقريزي: ١٢/ ربيع الأول، تاريخ الخميس ١٩٥/١، سيرة مغلطاي ٧/٦.

الكافي، الكليني ٣٦٤/١، سيرة ابن هشام ١/ ١٧١، سنن الترمذي ٤/ ٥٨٩، وقال الزبير بن بكار في: ١٢/

رمضان.

(٥) الكامل في التاريخ، ابن الاثير ٤٣٩/١، تاريخ الطبري ٥٧١/١، تاريخ أبي الفداء ١٦٨/١، البحار ٢٥٠/١٥.

(٦) تاريخ الاسلام، حسن إبراهيم حسن ٧٥/١.

لدوابهم^(١). وكان حمزة أسن من رسول الله ﷺ بأربع سنين^(٢). وفي ليلة ولادته قال يهودي في يثرب للناس: طَلَعَ الليلة نجم أحمد^(٣).

وقال هشام ابن الكلبي: توفي عبدالله بن عبدالمطلب بعدما أتى على رسول الله ﷺ ثمانية وعشرون شهراً^(٤).

وقال الواقدي: أبوه عبدالله قد مات ومحمد ﷺ في بطن أمه تاركاً له خمسة أجمال وجارية حبشية اسمها بركة وكنيتها أم أيمن حاضنة رسول الله ﷺ^(٥).

وأتى بالنبي ﷺ إلى جده عبدالمطلب لينظر إليه وقد بلغه ما قالت أمه، فأخذه فوضعه في حجره ثم قال:

الحمد لله الذي أعطانني هذا الغلام الطيب الأردان، قد ساد في المهد على الغلمان. ثم عوّذه بأركان الكعبة وقال فيه أشعاراً.

وصاح ابليس في أبالسته فاجتمعوا إليه وقالوا: ما أفزعك يا سيدنا؟

فقال لهم: ويلكم لقد أنكرت السماء والأرض منذ الليلة، لقد حدث في الأرض حدث عظيم ما حدث مثله، منذ رفع عيسى ابن مريم ﷺ فاخرجوا وانظروا ما هذا الحدث الذي حدث، فافترقوا ثم اجتمعوا إليه فقالوا: ما وجدنا شيئاً!

فقال إبليس لعنه الله: أنا لهذا الأمر ثم انغمس في الدنيا فجاها حتى أنتهى إلى الحرم فوجد الحرم محفوفاً بالملائكة، فذهب ليدخل فصاحوا به، فرجع.

ثم صار مثل الصر وهو العصفور فدخل من قبل حري. فقال له جبرائيل: وراك لعنك الله.

فقال له: حرف أسألك عنه يا جبرئيل، ما هذا الحدث الذي حدث منذ الليلة في الأرض؟

فقال له: ولد محمد ﷺ.

(١) الروض الأنف ٢/١٥٨، قاموس الرجال ١٠/٤١٧، اعيان الشيعة ٢/٧، مناقب آل أبي طالب ١/١١٨، ١١٩.

(٢) البحار ١٥/٢٨١.

(٣) الروض الأنف ٢/١٤٣.

(٤) البداية والنهاية ٢/٣٢٣.

(٥) تاريخ ابن الوردي ١/٩٣، تاريخ أبي القداء ١/١٦٩، والبدية ٢/٣٢٣، ٣٢٤.

فقال له: هل لي فيه نصيب؟

قال: لا.

قال: ففي أمته؟

قال: نعم.

قال: رضيت^(١).

وقال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: لما ولد النبي ﷺ أتى رجل من أهل الكتاب إلى الملائكة من قريش وهم مجتمعون: هشام بن المغيرة والوليد بن المغيرة وعتبة وشيبة فقال: أولد فيكم الليلة مولود؟

قالوا: لا وما ذاك؟

قال: لقد ولد فيكم الليلة أو بفلسطين مولود اسمه أحمد به شامة يكون هلاك أهل الكتاب على يديه.

فسألوا فأخبروا فطلبوه، فقالوا: لقد ولد فينا غلام، فقال: قبل أن أنبئكم أو بعد؟

قالوا: قبل، قال: فانطلقوا معي أنظر إليه.

فأتوا أمه وهو معهم فأخبرتهم كيف سقط، وما رأت من النور.

قال اليهودي: فأخرجيه، فنظر إليه ونظر إلى الشامة فخر مغشياً عليه فأدخلته أمه، فلما

أفاق قالوا له: ويلك مالك؟

قال: ذهبت نبوة بني إسرائيل إلى يوم القيامة، هذا والله مبيدهم فرحت قريش بذلك،

فلما رأى فرحهم قال: والله ليسطون بكم سطوة يتحدث بها أهل الشرق وأهل الغرب^(٢).

وفي حينها جاءت فاطمة بنت أسد إلى أبي طالب تبشره بولادة رسول الله ﷺ فقال

لها: أصبري لي سبتاً آتيك بمثله إلا النبوة^(٣).

(١) الأمازي ١٧١، ١٧٢، البحار ٢٥٨/١٥، ٢٥٩، السيرة الحلبية ١/٦٨، ٦٩.

(٢) الأمازي ٩٠، البحار ١٥ / ٢٦٠، مختصر تاريخ ابن عساکر ٤٩/٢.

(٣) والسبت ثلاثون سنة وكان بين رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين علي عليه السلام ثلاثون سنة، معاني الأخبار ١١٤، البحار

ولما دخل به عبدالمطلب البيت الحرام قال رسول الله ﷺ بسم الله وبالله وإذا البيت يقول: السلام عليك يا محمد ورحمة الله وبركاته.

وإذا بهاتف يقول: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً^(١).

ودخل الكاهن سواد بن قارب مع عبدالمطلب على رسول الله ﷺ: فبرق من وجه رسول الله ﷺ نور الى عنان السماء.

ف عندها انكب سواد على النبي ﷺ قائلاً لعبد المطلب:

أشهدك على نفسي أنني آمنت بهذا الغلام وبما يأتي به من عند ربه، ثم قبّل وجنات النبي ﷺ، وبقي عبدالمطلب فرحاً نشيطاً^(٢).

قال هشام ابن الكلبي: كتبت للنبي ﷺ خمسمائة أمّ فما وجدت فيهنّ سفاحاً ولا شيئاً مما كان من أمر الجاهلية^(٣).

والنبي ﷺ ابن الفواطم والعواتك من سليم^(٤).

أما أعمامه وعماته فلعبد المطلب عشرة ذكور وست إناث وأسماء بنيه: عبدالله والد النبي ﷺ والزبير وأبو طالب وأسمه عبد مناف والعباس وضرار وحمزة والمقوم وأبو لهب

(١) البحار ١٥/٢٩٢.

(٢) أسد الغابة، ابن الاثير ٣/٣٧٥، البحار ١٥/٢٩٣، الفضائل ١٥ - ٣١.

(٣) الطبقات، ابن سعد ١/٦٠.

(٤) والفواطم اللاتي ولدن النبي قرشية وقيسيتان ويمانيتان وازدية وخزاعية وهن كما ذكرهن ابن سعد في الطبقات ١/٦١ - ٦٣ «فاطمة بنت بلال بن عمرو بن ثماله من الازد، وفاطمة بنت عوف بن الحارث بن عبد مناة بن كنانة، وفاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم وفاطمة بنت عامر بن ظرب بن عيادة، وفاطمة بنت بجيد بن رؤاس بن كلاب بن ربيعة وفاطمة بنت سعد بن سيل بن الجدر من الازد، وفاطمة بنت نصر بن عوف من خزاعة وفاطمة بنت عبدالله بن حرب بن وائلة.

أما العواتك فالعاتكة في كلام العرب الطاهرة وهي عاتكة بنت يخلد بن النضر بن كنانة وعاتكة بنت عبدة بن ذكوان... بن صعصعة، وعاتكة بنت عبدالله بن وائلة. بن عمرو بن قيس وعاتكة بنت هلال بن وهيب بن ضبة، وعاتكة بنت مرة بن هلال.. بن سليم وهي أقرب العواتك إلى النبي ﷺ وعاتكة بنت عدي بن سهم من أسلم وعاتكة بنت غالب بن فهر وعاتكة بنت كاهل بن عذرة وعاتكة بنت يخلد بن النضر بن كنانة، وعاتكة بنت الأسد بن الغوث وعاتكة بنت عامر بن ظرب، قال ابن سعد: هؤلاء العواتك وهن ثلاث عشرة، والفواطم وهن عشر، الكامل، ابن الاثير ٢/٣٣ - ٣٤.

واسمه عبد العزى والحارث والغيداق وأسمه حجل^(١).

وعمات النبي ﷺ عاتكة والبيضاء وهي أم حكيم وبرّة وأميمة وأروى وصفية.

وولد رسول الله ﷺ مختوناً كما قال الحاكم^(٢). وقال رسول الله ﷺ: من كرامتي أني ولدت مختوناً ولم ير أحدٌ سواي^(٣).

وتكلم رسول الله ﷺ عند ولادته قائلاً: الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً، وجلال ربي الرفيع^(٤).

واشترك في ولادته مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون والحور العين^(٥).

من كفر أجداد النبي ﷺ ووالديه وأبا طالب

سعى علماء العصبية وأتباع البلاط بكل السبل لتكفير آباء وأجداد رسول الله ﷺ وتكفير عمه أبي طالب وأمه آمنة وإدخالهم النار بكل السبل المتاحة، ورفض الروايات الصحيحة في إيمانهم وتوحيدهم قبل المبعث وبعده! مما يشير علامات استفهام وشكوك كثيرة!! إذ جاء عنهم قوله ﷺ: إني أتيت قبر أم محمد فسألت ربي الشفاعة أو استأذنته في الاستغفار لها فأبى عليّ - يعني لها - فنعنيها^(٦).

وإنه نزل حينها: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾^(٧) وفي رواية سأله اعرابي: يا رسول الله أين أبوك؟

(١) الطبقات، ابن سعد ٩٣/١ حجل واسمه المغيرة وذكر الغيداق وقال اسمه مصعب، واعتبر حجل والغيداق رجلين، وزيد فيه عبد الكعبة مات ولم يعقب، وقثم لا عقب له، العقد الفريد ٢٤٠/٤.

(٢) السيرة الحلبية ١/٥٣، الوفا ٩٣، طبقات ابن سعد ١/١٠٣.

(٣) الوفا ٩٤، دلائل النبوة، أبو نعيم ١/٤٦، البداية والنهاية ٢/٣٦٥، مجمع الزوائد ٨/٢٢٤، كثر العمال ج ١٤ / ٣١٩، الخصائص الكبرى، السيوطي ١/١٣٢، الميزان، الذهبي ٢/١٧٢.

(٤) السيرة الحلبية ١/٥٦، ٥٧.

(٥) السيرة الحلبية ١/٦٥.

(٦) البداية والنهاية ٢/٣٤٠، ٣٤١، مستد أحمد ٥/٣٥٧، دلائل النبوة ١/١٨٩.

(٧) سورة التوبة ١١٣.

قال: حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار^(١).

وقالوا كذباً قوله ﷺ أشهدكم أني بريء من آمنة كما تبرأ إبراهيم من أبيه^(٢) وهذا القياس باطل لان أبا إبراهيم كان حياً في زمن تبليغ إبراهيم ﷺ لدينه على عكس والذي النبي ﷺ فكيف يحكمون بكفرهم بدين لم يسمعوا به! في حين آمن أباء وأجداد النبي ﷺ بدين إبراهيم ﷺ وبرسالة محمد ﷺ التي سيأتي بها.

وقال ابن كثير: إنَّ عبدالمطلب مات على ما كان عليه من دين الجاهلية خلافاً لفرقة الشيعة فيه وفي ابنه أبي طالب^(٣).

وقال البيهقي في كتابه دلائل النبوة: وكيف لا يكون أبواه وجده عليه الصلاة والسلام بهذه الصفة في الآخرة - أي من أهل الجحيم - وقد كانوا يعبدون الوثن حتى ماتوا^(٤).
وروى ابن كثير نزول آية:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾
فيهم^(٥) ورووا قوله ﷺ: هو (أبو طالب) في ضحضاح من نار^(٦).
وقوله ﷺ: أهون أهل النار عذاباً أبو طالب^(٧).

ولم تنجُ خديجة من ذلك التعصب، فرووا قوله ﷺ فيها: بشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب^(٨).

وقسم ابن كثير الرأي في أجداد النبي وأبيه وأمه إلى قسمين: القسم الأول: السُّنة كفروهم وحكموا بدخولهم النار.

(١) البداية والنهاية ٣٤٢/٢.

(٢) الوفا ١١٦.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) القصص ٥٦، البداية والنهاية ٣/٣٤٢ / ٣٤٣.

(٦) البداية والنهاية ٣/١٥٤.

(٧) المصدر السابق.

(٨) سنن البخاري ٦٣، فتح الباري ٧/١٣٣، البداية والنهاية ٣/١٥٦، ١٥٧، سنن مسلم، باب فضائل الصحابة.

والقسم الثاني: وهم الشيعة أعلنوا إيمانهم وتوحيدهم وحكموا بدخولهم الجنة. ولو دققنا البحث في الموضوع لوجدنا أن الكثير من علماء السنة قد حكموا بإيمان والذي النبي ﷺ وأجداده.

ذكر ابن الجوزي: قال قوم من بني مدج لعبد المطلب: احتفظ به فإننا لم نر قدماً أشبهه بالقدم التي في المقام منه. فقال عبد المطلب لأبي طالب: اسمع ما يقول هؤلاء فكان أبو طالب يحتفظ به^(١).

وقال اليعقوبي: رفض عبد المطلب عبادة الأصنام ووحد الله عز وجل فكانت قريش تقول: عبد المطلب إبراهيم الثاني^(٢).

وقال عبد المطلب برواية أبي طالب: إن محمداً النبي المبعوث وأمرني أن أستر ذلك لئلا يغري به الأعادي^(٣).

والصحيح كان عبد المطلب يصعد غار حراء في شهر رمضان ويطعم المساكين جميع الشهر^(٤).

وفي رواية: أن رسول الله ﷺ سأل ربه أن يحيي أبويه، فأحياهما وآمنا به^(٥). ولقد جاء في الروايات الصحيحة إيمان والذي محمد ﷺ بدين إبراهيم، ورفضهم عبادة الأصنام هذا قبل البعثة النبوية.

وآمن به أبو طالب وخديجة ودافعا عنه وماتا في هذا الطريق. وقال رسول الله ﷺ: ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب^(٦). وجاء: لما تقارب من أبي طالب الموت نظر العباس إليه يحرك شفتيه، فأصغى إليه باذنه

(١) الوفا ١١٧.

(٢) تاريخ اليعقوبي ١٢/٢.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ١٤/٢.

(٤) تاريخ ابن الأثير ١٥/٢.

(٥) البداية والنهاية ٣٣٢/٢.

(٦) البداية والنهاية ١٥١/٣، الطبقات ١٢٤/١.

فقال: يا ابن أخي والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها^(١).
ودعا أبو طالب بني عبد المطلب فقال: لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما اتبعتم أمره
فاتبعوه وأعينوه ترشدوا^(٢).
ولقد شمر المؤرخون المتعصبون سواعدهم ومنهم ابن كثير لتكفير والذي الرسول ﷺ
وأجداده وأبي طالب!

فكذبوا الروايات الصحيحة في إيمانهم وصححوا الروايات الأموية السقيمة في كفرهم!
ولقد صحح محمد حسنين هيكل إيمان أبي طالب في طبعة كتابه الأولى (محمد رسول الله)
وعاد تحت ضغط المال إلى صفوف ابن كثير الأموي في طبعته الثانية!!

فأصبحت قضية تكفير والذي النبي ﷺ وأجداده، وأبي طالب، وإدخالهم النار ركناً
من أركان الحزب القرشي وركنهم الثاني إثبات عبادة الصحابة كافة وإدخالهم الجنة!
ولما كان غار حراء مكاناً مخصصاً لعبادة أجداد وآباء النبي ﷺ حاول الأمويون
سرقة تلك الفضيلة والصاقها بقريش! إذ جاء: كانت قريش إذا دخل رمضان خرج من
يريد التحنث منها إلى حراء فيقيم فيه شهراً، ويطعم من يأتيه من المساكين، حتى إذا رأوا
هلال شوال، لم يدخل الرجل على أهله حتى يطوف بالبيت اسبوعاً، فكان رسول الله ﷺ
يفعل ذلك^(٣).

والمدحش انهم ادخلوا ورقة بن نوفل الجنة لانه آمن برسول الله ﷺ قبل البعثة ولم
يسلم^(٤)، وادخلوا آباءه وامهاته وأجداده النار رغم إيمانهم به قبل المبعث!
وقد سعى عروة بن الزبير بن العوام لادخال ورقة بن نوفل الجنة بكل ما أوتي من قوة
على الكذب لانه اسدي من قبيلته رغم موته على الشرك!^(٥)

(١) البداية والنهاية ١٥٢/٣.

(٢) الطبقات ١٢٣/١.

(٣) الطبقات ١٩٠/١ - ١٩٥ ويطوف بالبيت اسبوعاً أي سبع مرات.

(٤) الروض الأنف ٢ / ٢٤٩.

(٥) الروض الأنف ٢ / ٢٤٩.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات و پژوهش‌های اسلامی

باب

طفولة خاتم الأنبياء ﷺ



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

رضاعة رسول الله ﷺ

جاءت حليلة بنت أبي ذؤيب الى مكة وتكنى أم كبشة (باسم بنت لها اسمها كبشة ويكنى بها أيضاً والدها الذي هو زوج حليلة)، وكانت من هوازن من بني سعد بن بكر فقد خرجت من بلدها معها ابن لها ترضعه اسمه عبدالله ومعها زوجها الحرث بن عبدالعزيز وقد أدرك الإسلام مع حليلة فأسلما.

لذلك كان طغاة مكة يسمون النبي ﷺ ابن أبي كبشة! حقداً وحسداً لنسب النبي ﷺ. ولقد خرجت حليلة مرة في نسوة من بني سعد عشرة يطلبن الرضعاء في سنة شهباء أي ذات جدب وقحط لم تبق شيئاً على أتان قرآء^(١). ومعها شارف أي ناقة مسنة ما تبض أي ما ترشح بقطرة لبن قالت حليلة: وما كنا ننام ليلتنا أجمع من صبينا الذي معنا من بكائه من الجوع ما في ثديي ما يغنيه، وما في شارفنا ما يغذيه... حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء. كانت هذه عادة حليلة ونساء بني سعد مع قریش قبل ولادة رسول الله ﷺ. وكان العرب يلتمسون لابنهم مرضعة في غير قبيلتهم ليكون أنجب للولد وأفصح له.

فقال رسول الله ﷺ: أنا اعربكم أي أفصحكم أنا قرشي واسترضعت في بني سعد. وروى أتباع الخط القرشي المعارض للإسلام أنه ما من امرأة إلا وقد عُرض عليها رسول الله فتأباه ليطمه فإن المرأة ترجو المعروف من أبي الصبي^(٢).

(١) شديدة البياض.

(٢) تاريخ أبي الفداء ١ / ١٧١. تاريخ ابن الوردي ١ / ٩٥.

وهذا مدهش وعجيب إذ كيف ترفض الممرضات ابن عبدالمطلب وهو حي يرزق ويسمى بسيد قریش ويبيده السقاية والرفادة والقيادة. وهو رجل موسر له إبل كثيرة برك الله تعالى فيها، ولم يستول عليها إبرة مثلاً استولى على أموال سائر الناس!

وولد ﷺ في عام الفيل^(١). ولقد أرضعته أمه يومين^(٢) فضجر عبدالمطلب (بعد انقطاع لبن أمه ﷺ) وقال لعاتكة: لعله يقبل ثدي واحدة منهن (نساء قریش) ويرضعن ولدي وقرّة عيني، فبعثت عاتكة بالجواري والعبيد نحو نساء بني هاشم وقریش ودعتهم إلى رضاع النبي ﷺ، فجئن إلى عاتكة، واجتمعن عندها في أربعائة وستين جارية من بنات صناديد قریش، فما قبل ﷺ منهنّ أحداً وبقين متحيرات.

فخرج عبدالمطلب مهموماً وقعد عند ستارة الكعبة فدله عقيل بن أبي وقاص على امرأة عاقلة هي أفصح لساناً وأصبح وجهاً وأرفع حسباً ونسباً حليلة بنت أبي ذؤيب عبدالله بن الحارث.

فبعث إليها عبدالمطلب فقال عبدالله بن الحارث لابنته حليلة: ابشري فقد جاءتك الدنيا بأسرها. فجاءت حليلة إلى عبدالمطلب ووضعت ثديها الأيسر في فيه والنبي ﷺ لا يأخذه، فأعطته ثديها الأيمن اليابس.

فلما مص النبي الثدي الأيمن امتلاً فانفتح باللبن حتى ملأ شذقيه بأمر الله تعالى وبركته. ودفعه عبدالمطلب إليها في بيت الله مع أربعة آلاف درهم بعد أن طاف به سبعة، مع أربعين ثوباً من خواص كسوته، ووهب لها أربع جوار روميّات وحلل سندس.

ولم يبق في حي بني سعد صغير ولا كبير ولا شيخ ولا شاب إلا استقبلوا حليلة وهنأوها بما رزقها الله تعالى من الكرامة الكبرى^(٣).

لقد رفض محمد ﷺ ثدي النساء إلا ثدي حليلة فحسده رجال الحزب القرشي فقالوا: تنكبت عنه الممرضات إلا حليلة!

(١) البحار ١٥ / ٢٤٨، ٢٨٧، سيرة ابن اسحاق ٦١ - ٦٤.

(٢) وقيل ثلاثة أو تسعة أيام، تاريخ الخميس ١ / ٢٢٢، السيرة الحليلة ١ / ٨٨.

(٣) البحار ١٥ / ٣٤٤ - ٣٤٧.

وكان في الأصل: ما منّا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ فيأبأها أو يأبأه أي
ثدي حليلة الأيسر.

فتغير إلى: ما منّا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ فتأبأه!!^(١).

ولعله قد حدث تصحيف بين يأبأه وتأبأه لتشابه رسم الكلمتين وعدم وجود النقط في
ذلك الزمن. وأستغل أنصار الخط الأموي ذلك لصالح الامويين.

ولا فرق عند العرب بين مكانة الأب والجد، وخاصة إذا كان جده مثل عبدالمطلب
الذي أجمعت قريش على زعامته ورئاسته، بل وأيد ملوك المنطقة ذلك ومنهم ملك الروم،
وملك الحبشة وملك اليمن^(٢). وكان عبدالمطلب سيد قريش غير مدافع^(٣).

فهل لا تكفي هذه المكانة المالية والاعتبارية والرئاسية لسد أجر بسيط لمرضعة؟!
أم هي العصبية الجاهلية وراء اتهام النبي ﷺ بالفقر المدقع في رضاعه وزواجه للنيل
من شخصه الكريم! مع العلم المسبق بأنه قد ولد رسول الله ﷺ في عام الفيل عام
أغتصاب أبرهة الحبشي أموال قريش إلا مال عبدالمطلب! فبقي ثرياً إذا قيس بسواه.
وكان عبدالمطلب يطعم الحاج في موسم الحج، ولما فقدوا محمداً ﷺ ثم وجدوه نحر له
عبدالمطلب الشياه والبقر وأطعم أهل مكة!^(٤).

وقد تكلم عبدالمطلب شخصياً مع حليلة في أمر رضاعة رسول الله ﷺ، ورحبت بها
آمنة وقالت لها أهلاً وسهلاً.

قالت حليلة: فوضعت يدي على صدره فتبسم ضاحكاً وفتح عينيه إليّ فخرج من
عينيه نور حتى دخل خلال السماء فقبّلته بين عينيه وأخذته.

ولما رجعت إلى رحلي ووضعت في حجري أقبل ثدياي بما شاء الله تعالى من لبن،
فشرب حتى روى أي من الثدي الأيمن، وعرضت عليه الأيسر فأبأه. وأستمر في قبول

(١) البحار ٢٤١/١٥ عن الواقدي، عيون الأثر، ابن سيد الناس ٤٨/١، ٥٠.

(٢) السيرة النبوية، دحلان ٢٠/١، ٢٢، المعارف ٧١، تفسير ابن كثير ١٩/٤ - ٩٢٦، سيرة ابن اسحاق ٦١ - ٦٤.

(٣) وقالوا: ابن سبع سنين وثمان سنين، عيون الأثر ٥٥/١، تاريخ يعقوبي ١٠/٢.

(٤) السيرة الحلبية ٩٥/١.

ثديها الأيمن دون الأيسر.

وبدأت المعاجز تظهر لحليمة في سرعة أتانها الضعيفة ونطقها: والله إن لي لشأناً ثم شأناً، بعثني الله تعالى بعد موتي، وردّ لي سمني بعد هزالي ويحكم يا نساء بني سعد إنكن لفي غفلة وهل تدرين مَنْ على ظهري؟ على ظهري خير النبيين، وسيد المرسلين، وخير الأولين والآخرين.

وسجدت الأتان رأسها نحو الكعبة ثلاث مرات^(١).

قالت حليمة: فلم نزل نعرف من الله تعالى الزيادة والخير حتى مضت سنتاه ﷺ وكان يشب شباباً لا يشبه الغلمان فلم يقطع سنتيه حتى كان غلاماً جفراً (أي غليظاً شديداً). فلما بلغ تسعة أشهر كان يتكلم بالكلام الفصيح، ولما بلغ عشرة أشهر كان يرمي السهام، وإنه لفي حجري ذات يوم إذ مرّت به غنياتي فأقبلت واحدة منهنّ حتى سجدت له وقبّلت رأسه^(٢).

وقال رسول الله ﷺ لأصحابه بعد بعثته: لا ينبغي في أمّتي أن يسجد أحدٌ لأحدٍ ولو كان ينبغي لأحد أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها^(٣). وأول كلام تكلم به ﷺ حين فطمت: الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً، وقال ﷺ هذا الكلام أيضاً في ساعة ولادته الأولى وكان لا يمس شيئاً إلا قال: بسم الله.

وألقيت محبته ﷺ في قلوب الناس حتى أن أحدهم إذا نزل به أذى في جسده أخذ كفه ﷺ فيضعها على موضع الأذى فيبرأ بأذنه تعالى سريعاً، وكذلك إذا اعتل لهم بعير أو شاة^(٤).

وأزداد تعجب حليمة ودهشتها من بركة الرسول ﷺ وكراماته فقالت: ما تمنيت شيئاً

(١) السيرة الحلبية ٩٠/١، البحار ٣٣١/١٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) السيرة الحلبية ٩١/١.

(٤) السيرة الحلبية ٩٢/١.

قط في منزلي إلا أعطيته من الغد، وما أخرجته قط في شمس إلا وسحابة تظله ولا في مطر إلا وسحابة تكتنه (تستره) من المطر^(١).

وقالت حليلة: فعرفت البركة والزيادة في معاشنا ورياضنا حتى أثرينا وكثرت مواشينا وأموالنا^(٢).

وقال الواقدي: لما خرج محمد ﷺ إلى الرعاء مع اخوته من الرضاعة ما بقي حجر ولا مدر إلا وهم ينادون:

السلام عليك يا محمد، السلام عليك يا أحمد، السلام عليك يا حامد السلام عليك يا محمود، السلام عليك يا صاحب القول العدل، لا إله إلا الله، محمد رسول الله، طوبى لمن آمن بك، والويل لمن كفر بك وردّ عليك حرفاً تأتي به من عند ربك، والنبي ﷺ يرد عليهم^(٣).
فما رسول الله ﷺ في بني سعد وإخوته من الرضاعة عبدالله بن الحارث، وأنيسة بنت الحارث، والشيماء بنت الحارث^(٤).

واضافت: لما تمت للنبي ﷺ سنة تكلم بكلام لم أسمع أحسن منه سمعته يقول: قدّوس، نامت العيون والرحمن لا تأخذه سنة ولا نوم^(٥).

وقالت حليلة: جلس محمد ﷺ وهو ابن ثلاثة أشهر، ولعب مع الصبيان وهو ابن تسعة، وسار مع الغنم وهو ابن عشرة، وناضل الغلمان بالنبل وهو ابن خمسة عشر، وصارع الغلمان وهو ابن ثلاثين شهراً^(٦).

وبعد وقعة حنين جاءه وقد هوازن بالجعرانة وقد أسلموا، فقالوا: يا رسول الله إنا أهل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامنن علينا من الله عليك، وقام خطيبهم زهير بن صرد فقال: يا رسول الله إن ما في الحظائر من السبايا خالاتك وحواضنك اللاتي

(١) البحار ١٥/٣٤١.

(٢) البحار ١٥/٣٣٣، البداية والنهاية ٢/٣٣٤.

(٣) البحار ١٥/٣٤٩.

(٤) البدء والتاريخ، البلخي ٢/٤٥.

(٥) كنز القوائد ٧٢، البحار ١٥/٤٠١.

(٦) البحار ١٥/٣٣٣.

كنَّ يكفلنك، فلو أنا ملحننا (أرضعنا) ابن أبي شمر أو النعمان بن المنذر ثم أصابنا منها مثل الذي أصابنا منك رجونا عائدتهما وعطفهما، وأنت خير المكفولين^(١).

والمدحش أن قبيلة هوازن عرفت بركة النبوة وكراماتها من قرب، وأشتهرت أخبارها بينهم، ومع ذلك جحدوا الرسالة الإلهية، وركبوا رؤوسهم طغياناً وكفراً! مثل أهالي مكة.

ولما لحقتهم الهزيمة العسكرية في معركة حنين وتفرقت أموالهم وأولادهم ونسائهم بين المقاتلين صحوا من غفلتهم، فجحدوا بعبادة الأحجار، وعدلوا إلى عبادة الرحمن.

فأطلق لهم رسول الله ﷺ الذرية، وكانت ستة آلاف ما بين صبي وامرأة، وأعطاهم أنعاماً وأناسي كثيراً بقيمة خمسمائة ألف ألف درهم^(٢).

قال الواقدي: فلما أتى على رسول الله ﷺ أربعة أشهر ماتت أمه آمنة (رض)، فبقي ﷺ بلا أب ولا أم، وهو من أبناء أربعة أشهر، فبقي يتيماً في حجر جدّه عبدالمطلب، فاشتدّ عليه موت آمنة ليتم محمد ﷺ ولم يأكل ولم يشرب ثلاثة أيام^(٣).

وقال ابن اسحاق إن أمه آمنة ماتت وعمره ست سنين في منطقة الأبواء بين مكة والمدينة^(٤).

مركز تحقيقات كويتية للعلوم الإسلامية

محاولة اغتياله ﷺ أثناء الطفولة

لقد كثرت المحاولات الرامية لقتل رسول الله ﷺ في طول مدة حياته! إذ لما اخبرت حليلة اليهود بكراماته ﷺ قالوا: اقتلوه.

فقالوا: أيتيم هو؟ فقالت: لا هذا أبوه وأنا أمه، فقالوا: لو كان يتيماً قتلناه^(٥).

ولما ذهبت به حليلة إلى سوق عكاظ الذي يقام قبل الحج في شهر شوال بين الطائف ونخلة للمفاخرة رآه كاهن من الكهان فقال: يا أهل سوق عكاظ أقتلوا هذا الغلام فإن له ملكاً فالت به عن الطريق، فأنجاه الله تعالى^(٦).

(١) البداية والنهاية ٢/٣٣٨، ٣٣٩.

(٢) البداية والنهاية ٢/٣٤٠.

(٣) البحار ١٥/٣٤١.

(٤) وقالوا: ابن سبع سنين وثمان سنين، عيون الأثر ١/٥٥، تاريخ البعقوبي ٢/١٠.

(٥) السيرة الحلبيّة ١/٩٥.

(٦) السيرة الحلبيّة ١/٩٥، مناقب آل أبي طالب ١/٢٣، ٢٤، البحار ١٥/٣٣٣، دلائل النبوة البيهقي ٢/٣٣٨.

ولما رجعت به ﷺ مرّت بذي المجاز، وهو سوق للجاهلية على فرسخ من عرفة، فشاهده العرّاف ونظر إلى خاتم النبوة والحمرة بين عينيه وصاح: يا معشر العرب: اقتلوا هذا الصبي فليقتلن أهل دينكم وليكسرن أصنامكم وليظهرن أمره عليكم، وجعل يغري بالنبي ﷺ فلم يلبث أن وله فذهب عقله حتى مات^(١).
وحاولت جماعة حبشية أخذه بالقوة إلى ملك الحبشة لأنه كائن له ملك فأنفلتت به حليلة^(٢).

فقدانه ﷺ في الطفولة

ولما جاءت به ﷺ حليلة إلى أمّه اضلته فقال عبدالمطلب:
يا بني هاشم ويا بني غالب اركبو فُقد محمد ﷺ، وحلف أن لا أنزل حتى أجد محمداً أو
أقتل ألف أعرابي ومائة قرشي، وطاف حول الكعبة قائلاً:
يا رب ردّ راكبي محمداً رداً إليّ واتخذ عندي يداً
يا ربّ إن محمد لن يوجد يا ربّ إن محمد لن يوجد
وقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.
فسمع هاتفاً من السماء يقول: أيها الناس لا تضجوا إن لمحمد رباً لن يخذله ولا يضيعه...
فوجدوه تحت شجرة بوادي تهامة.
فزلت عن تلك الواقعة قوله تعالى: ﴿ووجدك ضالاً فهدى﴾^(٣).
وعادت به حليلة السعدية إلى أمّه وعمره سنتان^(٤) وماتت آمنة وعمره ست سنين
وهو الصحيح^(٥).

والإختلاف في سنه يومذاك ناشئ من سرعة رشد ونضج رسول الله ﷺ.

(١) السيرة الحليلة ٩٦/١.

(٢) السيرة الحليلة ٩٦/١.

(٣) الضحى ٧ السيرة الحليلة ٩٤، تاريخ أبي الفداء ١٧٢/١.

(٤) وقالوا خمس سنين وست سنين، عيون الأثر ٥٢/١.

(٥) عيون الأثر ١ / ٥٥. تاريخ البغوي ١٠ / ٢.

حادثة شق الصدر

جاء في الرواية: لما كان بعض الأيام ورسول الله ﷺ مع أخيه في الرضاع خارجاً عن البيوت إذ أتى ابنُ حليلة أمِّه وقال لها: ذلك القرشي قد أخذ رجلاً عليهما ثياب بيض فأضجعهما وشقاً بطنه، فخرجت حليلة وزوجها نحوه، فوجداه قائماً، فقالا: مالك يا بني؟ قال: جاءني رجلان فأضجعاني وشقا بطني.

فقال زوج حليلة: قد حسبت أن هذا الغلام قد أصيب فألحقه بأهله. فاحتلمته حليلة وقدمت به على أمِّه آمنة. فقالت آمنة: ما أقدمك به وكنت حريصة عليه، فأبدت حليلة عذراً لم تقبله آمنة منها، وسألتها عن الصحيح. فقالت حليلة: أخوف عليه من الشيطان. قالت آمنة: كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل إنَّ لابني شأناً^(١).

نقول: لا يحتاج الله سبحانه وتعالى لعملية جراحية لتطهير قلب نبيه وإزالة ما به من غلٍّ! وإلا احتاج الأنبياء والأوصياء لذلك. بل قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٢)

ورواية شق الصدر من الروايات الإسرائيلية والأمويات التي قالها قصاصو المسلمين. فقال محمود أبو رية: لم يخلق الله قلبَ رسوله الذي اصطفاه، كما خلق قلوبَ إخوانه من الأنبياء والمرسلين نقياً من العلقة السوداء وحظ الشيطان بغير هذه العملية الجراحية التي تمزق فيها قلبه وصدره مراراً عديدة^(٣).

والنجاسة المادية تطهر بالماء والنجاسة المعنوية كالشرك بالله تعالى والعقائد الفاسدة المتعلقة بالقلب لا تطهر بالماء بل تطهر بالتوبة والإستغفار وأنعقاد القلب على العقائد الصحيحة وواضع تلك الرواية رجل جاهلي أُمي غافل عن هذا المعنى.

(١) تاريخ أبي الفداء ١٧٢/١، السيرة الحلبية ٩٣/١، دلائل النبوة، البيهقي ٥/٢، عيون الأثر ٥٠/١، ٥١ الطبقات ١١٢/١، صحيح مسلم ١٠١/١ - ١٠٢، سيرة ابن هشام ١٧٥١٧٤/١، السيرة، البوطي ٥٣، النبي ﷺ، محمد الخطيب ١٩٦.

(٢) الأحزاب ٣٣.

(٣) أضواء على السنة المحمدية ١٨٧.

وسبب وضع هذه الرواية يكمن في أواخرها حيث قال زوج حليلة: حسبت أن هذا الغلام قد أصيب فالحقيه بأهله.

فارجعته حليلة وقالت لأمه: أتخوف عليه من الشيطان^(١).

لقد حاول القرشيون اختراع قضية بإسم جنون النبي ﷺ لدحره وإلحاق الهزيمة به، وتزييف الإسلام فتكون تلك الرواية أساساً لوصمه بالجنون من طفولته والعياذ بالله تعالى. وذكر الله أكاذيب ومفتريات الكافرين في كتابه الكريم:

﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فُتَرَبِّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾^(٢)

﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾^(٣)

وقال رجال الحزب القرشي لرسول الله ﷺ قبل موته وفي بيته: يهجر، يهجر^(٤). أي مجنون!

وبهذه التهمة الجاهلية أوقفوا كتابة الوصية الإلهية لعلي بن أبي طالب عليه السلام^(٥).

ولم تعد حليلة برسول الله ﷺ إلى أمه لعملية شق الصدر، بل أن الاتفاق كان قائماً على إرضاعه سنتين. وبانتهايتها عاد رسول الله ﷺ إلى جده عبدالمطلب مثل باقي أطفال قريش.

أدابه ﷺ وهو طفل صغير

وصفت حليلة آداب رسول الله ﷺ وهو طفل قائلة: لم يحدث في ثيابه ولم تبد عورته، ولم يحتج في يوم إلا مرة^(٦)، ولم أر منه كذبة قط ولا جاهلية قط، ولا رأيت يضحك في موضع الضحك، ولا وقف مع صبيان في لعب، ولا التفت إليهم.

(١) تاريخ أبي الفداء ١٧٢/١، دلائل النبوة، البيهقي ٥/٢، السيرة الحلبية ٩٢/١، عيون الأثر ٥٠/١، ٥١ الطبقات ١١٢/١، السيرة، ابن هشام ١٧٤/١، ١٧٥.

(٢) المؤمنون ٢٥.

(٣) الشعراء ٢٧.

(٤) صحيح البخاري، باب جوائز الوفاء من كتاب الجهاد والسير ١١٨/٢، مسند أحمد ٣٢٥/١، الكامل، ابن الأثير ٣٢٠/٢.

(٥) راجع السيفة انقلاب أبيض، للمؤلف، موضوع من أين جيء بتهمة الهجر للنبي ﷺ.

(٦) البحار ٣٣٣/١٥.

وكثراً لا نسمي على الطعام ولا على الشراب حتى سمعته يقول: بسم الله الأحد ثم يأكل، فإذا فرغ من طعامه قال: الحمد لله كثيراً^(١).

وكان النبي ﷺ ابن سبع سنين فقالت اليهود: وجدنا في كتبنا أن محمداً ينجبه ربه من الحرام والشبهات فجرّبوه، فقدموا إلى أبي طالب دجاجة، سمينّة، فكانت قريش تأكل منها، والرسول تعدل يده عنها.

فقالوا: مالك؟

قال ﷺ: أراها حراماً يصونني ربي عنها.

فقالوا: هي حلال فنلقمك.

قال: فافعلوا إن قدرتم، فكانت أيديهم يعدل بها إلى الجهات، فجاءوه بدجاجة أخرى قد أخذوها لجار لهم غائب على أن يؤدوا ثمنها إذا جاء، فتناول منها لقمة فسقطت من يده فقال ﷺ: ما أراها إلا من شبهة يصونني ربي عنها^(٢).

وقالت حليلة: ما شممت من محمد ﷺ التبن قط، وإذا خرج من قبله أو دبره شيء يفوح منه رائحة المسك والكافور^(٣).

قال الواقدي: لما أتى على النبي ﷺ خمسة عشر شهراً كان إذا نظر إليه الناظر يتوهم أنه من أبناء خمس سنين لإتمام وقارة جسمه وملاحة بدنه^(٤).

(١) البحار ٣٣٦/١٥

(٢) البحار ٣٣٦/١٥

(٣) البحار ٣٤٧/١٥

(٤) البحار ٣٤٧/١٥



مرکز تحقیقات کتب و علوم اسلامی

باب

صبا خاتم الانبیاء ﷺ



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

كفالة أبي طالب لمحمد ﷺ

وقبل موت عبدالمطلب أوصى برسول الله ﷺ اليتيم إلى عمه أبي طالب لأُمور منها:
إنه شقيق أبيه عبدالله؛ أمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم^(١).
وثانياً أنه أفضل أولاد عبدالمطلب الباقين إذ قال فيه عبدالمطلب:
فأنت من أرجى بنيّ عندي^(٢).

وكان أبو طالب يحبه ﷺ حباً شديداً لا يحبه ولده، وكان لا ينام إلا إلى جنبه، ويخرج
فيخرج معه، وصبا به أبو طالب صباة لم يصب مثلها بشيء قط، وكان يخصه بالطعام، وكان
إذا أكل عيال أبي طالب جميعاً أو فرادى لم يشبعوا، وإذا أكل معهم رسول الله ﷺ شبعوا،
فيقول أبو طالب: إنك مبارك^(٣).

وكان أبو طالب دائماً يقيم محمداً ﷺ من مكانه ويضع عليه مكانه في الليل خوف اغتياله
فقال له عليّ عليه السلام: يا أبة إنني مقتول؟ فقال له:

اصبرن يا بني فالصبر أحجى كل حيٍّ مصيره لشعوب^(٤)

(١) البداية والنهاية ٢/٣٤٤.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/١٣.

(٣) البداية والنهاية ٢/٣٤٤، الطبقات ١/١١٩.

(٤) شرح النهج ولما قحطوا خرج أبو طالب برسول الله ﷺ كأنه شمس دجى تجلت عنها سحابة قتما، فأخذه أبو
طالب فألقى ظهره بالكعبة ولاد الغلام بأصبعه وما في السماء قرعة فاقبل السحاب من ها هنا وها هنا واغدى
وأخصبت الأرض فقال أبو طالب

صبا رسول الله ﷺ

ولما بلغ رسول الله ﷺ ست سنين توفيت أمه بالأبواء بين مكة والمدينة وهو الصحيح فأصبح يتيم الأبوين^(١).

وكانت قد قدمت به على أخواله من بني عدي بن النجار فماتت وهي راجعة إلى مكة، فكفله جده عبدالمطلب، فلما بلغ رسول الله ﷺ ثماني سنين توفي جده^(٢).

وكان رسول الله ﷺ لا يمر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله. فيلتفت رسول الله ﷺ حوله وعن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة^(٣). عاش رسول الله ﷺ صبياً وهو أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقاً، وأكرمهم مخالطة، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم خلقاً، وأصدقهم حديثاً، وأعظمهم أمانةً، وأبعدهم عن الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تنزهاً وتكرماً فأضحى اسمه الأمين^(٤).

ولقد حسدت قريش رسول الله ﷺ في كل شيء حتى في صفة الأمانة فحاولوا الصاقها بأبي عبيدة ابن الجراح! حفر قبور المهاجرين الممنوع من حفر قبر رسول الله ﷺ عند موته^(٥).

وحاول القرشيون بشق الوسائل النيل من شخصية الرسول ﷺ فرووا زيفاً قوله:

لقد كنت استظل بظل جفنة عبدالله بن جدعان فككة عُمى أي وقت الظهيرة.

وان الرسول ﷺ قال بعد معركة بدر عن جثة أبي جهل تطلبوه بين القتلى وتعرفوه بشجة في ركبته، فإني تزاحمت انا وهو على مأدبة لابن جدعان فدفعته فسقط على ركبته فانهشمت فأثرها باقي في ركبته فوجدوه كذلك.

بينما قالت عائشة للرسول ﷺ: إن ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقرى الضيف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة؟

(١) البحار ٣٤١/١٥، عيون الأثر ٥٥/١، تاريخ اليعقوبي ١٠/٢.

(٢) تاريخ أبي الفداء ١٧٢/١.

(٣) السيرة الحلبية ١٢٣/١.

(٤) سيرة ابن هشام ١٩٧/١.

(٥) تاريخ الطبري ٤٥٢/٢.

فقال الرسول ﷺ: لا إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين^(١).
ان جثة أبي جهل يعرفها قاتله، وتُعرف من وجهه وملابسه وخاتمه لا من ركبته، ولقد
أراد واضع الرواية الحط من كرامة النبي ﷺ وتشويه صورته بالمتسول اللاهث خلف
الموائد، المتصارع عليها، وان اخلاقه في صباه تشابه اخلاق أبي جهل لا فرق بينهما!
ومن ناحية أخرى لاثبات صورة جيدة لعبدالله بن جدعان التيمي بالرغم من انه رجل
شرير من أهل جهنم.

وحاول الأمويون الكفرة واعوانهم بشتى الوسائل اعلاء شأن أعداء أهل البيت ﷺ
والحط من شأن ومرتبة رسول الله وآل بيته ﷺ وصحبه المخلصين.

هذا في الوقت الذي كان عبدالمطلب سيد قريش واشرفها واغناها يعترف بمكانته تلك
ملوك المنطقة مثل ملك اليمن سيف بن ذي يزن وملك الحبشة وملك الروم، فقد اكرمه إبرهة
الحبشي برد إبله دون باقي قريش، واکرمه سيف بن ذي يزن اسمى اكرام^(٢). وكذلك كان أبو
طالب شيخ قريش وزعيمها محترماً من قبل الناس.

وكيف يطغى التسول على رجل يستسقى به المطر^(٣) ويسلم عليه الشجر والمدر وكان
لعبد المطلب إبل كثيرة خلفها لمحمد ﷺ وخلف له أبوه عبدالله إبلًا أيضاً^(٤).

وسعى الأمويون أيضاً لإتهام النبي ﷺ بسقوط ردائه أثناء حمله حجارة الكعبة، أي
انه الوحيد من رجال قريش سقط رداؤه! فأضحى عرباناً!

بينما كان رسول الله ﷺ عفيفاً، شريفاً، حكيماً، عاقلاً، مسلماً، نبياً منذ أن خلقه الله تعالى.
وقالوا في رواية أخرى: إن النبي ﷺ وأصحابه الغلمان كلهم قد تعرّوا لحمل الحجارة^(٥).
وان النبي ﷺ لا يعرف طريقة وضع الازار والعباس (عمه) يعلمه أياها قائلاً: يا بن
أخي لو جعلت إزارك على عاتقك، ففعل فسقط مغشياً عليه، علماً بأن عمر النبي ﷺ

(١) سيرة ابن كثير ١/١١٧.

(٢) دلائل النبوة، البيهقي ٩/٢ - ١٤.

(٣) أظفر دلائل النبوة، البيهقي ١٥/٢.

(٤) دلائل النبوة، البيهقي ٢٠/٢، ٢٢.

(٥) سيرة ابن هشام ١/١٩٤.

حينذاك كان خمساً وثلاثين سنة! وعلى مشارف البعثة النبوية!

ومن أكاذيبهم عليه ﷺ استلامه اصنام الجاهلية وذبحه شاة لصنم العزى^(١).

ثم مجدوا في المقابل رجال قريش من أمثال زيد بن عمرو، وأبي قيس بن هرمة، وقس بن ساعدة، وعبيد الله بن جحش، وعمر بن الحويرث، ورباب بن البراء بأنهم لم يسجدوا لصنم أبداً! بينما أعلن النبي ﷺ في صباه تنفّره من أصنام الجاهلية^(٢).

وفي سنة عشرين من مولده ﷺ حدثت حرب الفجار الآخر بين هوازن وقريش. وفي سنة سبع عشرة وثبت العطاء والأشراف بالمدائن فخلعوا هرمز وسملوا عينيه وتركوه، وفي سنة تسع عشرة قتلوا هرمز بعد خلعه وفيها ولي إبنه يزدجرد الثالث وكان يسمى كسرى.

وفي سنة خمس وثلاثين كان هدم الكعبة وبنائها كما في أقوال العلماء. قالوا: وفي سنة ثمان وثلاثين من مولده ﷺ رأى الضوء والنور وسمع الصوت. والصحيح أنه منذ الصغر كان يرى ويسمع صوت جبرائيل بنبوته المبكرة، وستقرأ ذلك في الموضوع القادم.

وفي سنة أربعين من مولده ﷺ قتل كسرى برويز النعمان بن المنذر لغضب كان له عليه، قبل المبعث بسبعة أشهر.

والسؤال هو: لماذا يصرّ الحزب القرشي على 'وصم رسول الله ﷺ زيفاً بالتعري وعبادة الأصنام والتسول والفقر المدقع؟ اليس في ذلك دلالة على 'نفاقهم وكفرهم'.

نبوته المبكرة

جاءت نبوة محمد ﷺ منذ الصغر كعيسى ويحيى ﷺ وغيرهما فقد قال تعالى عن يحيى ﷺ: ﴿وَاتَيْنَاهُ الْحَكْمَ صَبِيّاً وَحَنَاناً مِنْ لَدُنَّا﴾^(٣).

(١) السيرة النبوية، ابن هشام ٨٦/١

(٢) الطبقات ١١٩/١، البحار ١٩٢/١٥ - ٢٠٢، سيرة ابن هشام ١٩٤/١ - ١٩٧، سيرة ابن اسحاق ٧٣، مروج الذهب ٢٧١/٢

(٣) سورة مريم ١٢، ١٣.

أصبح يحيى نبياً وهو في السنة الثالثة من عمره إذ اعطاه الله تعالى الحكمة والنبوة والكتاب (التوراة) ورثة من أبيه واعطاه الله الحنان أي الرزق والبركة .

ولما أصبح عيسى ابن سبع سنين تكلم بالنبوة والرسالة، وأتى علي عليه السلام الحكمة صبياً^(١). وقال عيسى عليه السلام: ﴿إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنت، وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً﴾^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: كنت نبياً وآدم بين الماء والطين أو بين الروح والجسد^(٣). لذا لم يأكل النبي ﷺ اللحم المذبوح للنصب، وما ذكره البخاري من أكله ﷺ ذلك اللحم فهو من زيف الحزب القرشي، وإلا كيف يأكله الرسول ﷺ ويمتنع عنه زيد بن عمرو بن عدي كما قالوا^(٤). وحاول رجال الحزب القرشي سلب الحكمة والنبوة والكتاب عن رسول الله ﷺ قبل البعثة وبعدها.

وكيف يأكل رسول الله ﷺ لحوم الأوثان، وجاءت الروايات الصحيحة بمنع الله تعالى إياه من أكل الطعام المحرم إذ قال ﷺ عن أكلة محرمة: أراها حراماً يصونني ربي عنها^(٥). فهل من المنطق ترك النصوص القرآنية والنبوية في نبوة الأنبياء المبكرة والأخذ بآراء الحاقدين والمغفلين؟!

رعيه الغنم

كان بعض الأنبياء يرعى الغنم ومنهم النبي موسى عليه السلام فقال الحاسدون: بأن الرسول كان راعياً لأهل مكة على قراريط يأخذها منهم. لقد كان النبي ﷺ راعياً لغنم أهله في أطراف مكة، ولم يكن أجيراً لأحد قط، كما قال

(١) تفسير البرهان ٤ / ٦، تفسير المعين ٢ / ٧٨٨، نور الثقلين ٣ / ٣٢٥، تفسير شبر ١ / ٣٠٥، بيان السعادة ٢ / ٢

(٢) سورة مريم ٣٠، ٣١.

(٣) البحار ١٨ / ٢٧٨، الغدير ٩ / ٢٨٧.

(٤) صحيح البخاري ٥ / ٥٠ باب ما ذبح على النصب، السيرة الحلبية ١ / ١٢٣، فتح الباري ٧ / ١٠٨، ١٠٩.

(٥) البحار ١٥ / ٣٢٦، ٣٤٧.

اليقوي في تاريخه^(١).

وكان أبوه قد ترك له خمسة من الإبل وحاضنة (أم أيمن)، وترك له عبدالمطلب إبلاً كثيرة.

إن رعي الأغنام بعيداً عن المدن ومشاكلها يمكن الإنسان من عبادة الله تعالى بعيداً عن الناس، والنظر إلى خلق الله سبحانه في سماواته وأرضه. وأن يتربى تربية سليمة بعيدة عن المفسدات الموجودة في المدن.

قال النبي ﷺ: بُعِثَ موسى عليه السلام وهو راعي غنم، وبُعِثَ داود عليه السلام وهو راعي غنم، وبُعِثْتُ وأنا أرعى غنم أهلي بأجناد^(٢).

وكذب الحزب القرشي بادعائه محاولة الرسول ﷺ في أيام رعية الغنم دخول بيت في مكة فيها عرس وطرب فمنعه الله تعالى^(٣). وقد أخذه أبو طالب إلى الشام وعمره ﷺ تسع سنين^(٤).

ولقد جاء في الحديث الصحيح أن أبا طالب كان يحب محمداً ﷺ أكثر من أبنائه وأنه لم يفارقه أبداً في سفره وحضره^(٥) في صباه.

وأوصى عبدالمطلب أبا طالب بمحمد ﷺ، وضرورة حرصه عليه، وحراسته من أهل الكتاب وقريش، فيكون رعيه ﷺ الغنم لأهله وهو ﷺ في عمر الشباب وليس في عمر الغلمان.

رحلة الشام

والسؤال هنا: لماذا كان أبو طالب لا يفارق رسول الله في السفر والحضر؟ ألا يدل ذلك على اعتقاد أبي طالب بنبوّة محمد ﷺ ووجوب المحافظة عليه كما أوصى بذلك الأباء والاجداد وكان عمره ﷺ تسع سنين وتعلق به أبو طالب قائلاً: والله لا افارقه ولا

(١) تاريخ اليقوي ٢/ ٢١ ط، صادر. بيروت.

(٢) الطبقات، ابن سعد ١/ ١٢٦، عيون الأثر، ابن سيد الناس ١/ ٦٧. واجياد جبل بمكة.

(٣) سيرة ابن اسحاق ٧٩، تاريخ الطبري ٢/ ٣٤.

(٤) عيون الأثر ١/ ٦١.

(٥) البداية والنهاية ٢/ ٣٤٤، الطبقات ١/ ١١٩.

يفارقني^(١).

كانت رحلة رسول الله ﷺ الأولى إلى الشام عجيبة ورائعة تستحق العناية الفائقة:
فلما وصل ركب أبي طالب ورسول الله ﷺ إلى صومعة الراهب بحيرى نظر الراهب
إليه قائلاً: أنت أنت.

ولما نزلوا تحت شجرة عظيمة قليلة الأغصان ليس لها حمل، اهتزت الشجرة وألقت
أغصانها على رسول الله ﷺ وحملت ثلاثة أنواع فاكهة صيفية وشتوية فتعجب الحضور.
وقدم بحيرى طعاماً قليلاً لرسول الله ﷺ فأكله مع مئة وسبعين رجلاً فشبعوا، فقال
بحيرى لأصحاب الركب: إنَّ تحت هذه الشجرة غلاماً لو كنتم تعلمون منه ما أعلم لحملتموه
على أعناقكم حتى تردوه إلى وطنه وقد أقبل نور من أمامه ما بين السماء والأرض، وهذه
السحابة لا تفارقه، وكثرت أغصان هذه الشجرة وكانت يابسة.

وطلب بحيرى من النبي ﷺ الإجابة عن ثلاثة أسئلة فأجابه رسول الله ﷺ: فأقسم
عليه في واحدة باللات والعزى فرفض محمد ﷺ ذلك وأعلن تنفريه منها. فقال بحيرى:
هذه واحدة.

وسأله عن نومه ويقظته وغير ذلك فأجابه، فأكب عليه بحيرى يقبل رجله قائلاً: كأني
بك قد قدت الأجناد، وتبعك العرب والعجم، وكسرت اللات والعزى، وتبعك الملوك، بعد
أن رمتك العرب بوترها وقطعك الأقارب.

وطلب من عمه أبي طالب رده إلى مكة قائلاً: لم يبق على ظهر الأرض يهودي ولا
نصراني ولا صاحب كتاب إلا وقد علم بولادة هذا الغلام ولئن رأوه وعرفوا منه ما قد
عرفت أنا منه ليبغيته شراً، وأنه كائن لابن أخيك الرسالة والنبوة ويأتيه الناموس الأكبر
الذي أتى موسى وعيسى عليهما السلام^(٢).

ثم التقوا بالخبز نسطور في الشام فجلس امامه وتغير لونه من سماع اسمه (محمد)، ولما
رأى خاتم النبوة على ظهره أكبَّ عليه يقبله ويبكي ثم قال: لو تدري كم عدو له في أرضنا

(١) عيون الأثر ١ / ٦١، وقالوا: كان عمره اثنتي عشرة سنة، أسد الغابة ١ / ١٥.

(٢) سيرة ابن هشام: ١ / ١٩١.

لم تكن بالذي تقدمه معك فصّرّح أبو طالب قائلاً:

إِنَّ ابْنَ أَمْنَةَ النَّبِيِّ مُحَمَّدًا عِنْدِي بِمِثْلِ مَنَازِلِ الْأَوْلَادِ

رَاعَيْتَ فِيهِ قَرَابَةَ مُوَصُولَةٍ وَحَفِظْتَ فِيهِ وَصِيَّةَ الْأَجْدَادِ^(١)

والتقى أبو موهب الراهب بأبي طالب ورسول الله ﷺ في الشام أيضاً فقبل ما بين عينيه وقال لأصحاب القافلة: هذا والله نبي آخر الزمان يدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله فإذا رأيتم ذلك فاتبعوه، ثم قال: هل ولد لعمه أبي طالب ولد يقال له علي؟ فقلنا: لا.

فقال: هو أول من يؤمن به، وأنا نجد صفته عندنا بالوصية كما نجد صفة محمد بالنبوة، وإنه سيد العرب وذو قرنيها، يعطي السيف حقه^(٢).

وفي الشام أخبر الرهبان زيد بن عمرو بن نفيل بقرب ظهور النبي ﷺ، ولما الح في السؤال اغتاله الروم هناك^(٣). مما يبين خوف الروم من النبي محمد ﷺ.

وفي الشام أيضاً قال الديراني لبعض عرب الحجاز: سبيعت فيكم وشيكاً نبي اسمه محمد، فلما صرنا إلى أهلنا ولد لكل رجل منا غلام فسماه محمد^(٤).

والظاهر أن هؤلاء الثلاثة هم محمد بن سفيان بن مجاشع جد الفرزدق، ومحمد بن أحبيحة بن الحلاج، ومحمد بن حمران بن ربيعة^(٥).

ولقد ضم أبو طالب رسول الله ﷺ وعمره ثماني سنين، ولما بلغ تسع سنين خرج به إلى الشام^(٦).

والجواب عن السؤال المطروح في أول الموضوع يتمثل في أن وصية عبد المطلب له

(١) الطبقات ١١٩/١ سيرة ابن اسحاق ٧٣، مروج الذهب ٢٧١/٢.

(٢) كمال الدين ١١١، ١١٢، البحار ٣٠٣/١٥ - ٣٠٤.

(٣) البحار ٢٠٤/١٥.

(٤) الخرائج ١٨٤، البحار ٢١٤/١٥.

(٥) الروض الأنف ١٥٢/٢، نسب قريش ١٦، الاشتقاق ٩، جمهرة أنساب العرب، ابن حزم ٣١٥ وذكر مغلطي أن عددهم خمسة عشر رجلاً، الاشتقاق ٨، ٩.

(٦) البدء والتاريخ، البلخي ٤٥/٢، منجد الاعلام ١١٩.

كانت تتمثل في وجوب المحافظة على محمد ﷺ لانه نبي هذه الامة لذلك ترك أبو طالب اولاده وأهت بمحمد ﷺ.

محاولة اليهود قتل الرسول ﷺ في الشام

قال بحيرى لأبي طالب: ارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبيغينه شراً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فأسرع به إلى بلاده.

فخرج به عمه أبو طالب سريعاً حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام فزعموا فيما روى الناس. أن زريراً وقاماً ودريساً، وهم نفر من أهل الكتاب قد كانوا رأوا من رسول الله ﷺ مثلما رآه بحيرى في ذلك السفر الذي كان فيه مع عمه أبي طالب.

فأرادوه فردهم عنه بحيرى وذكرهم الله وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته، وأنهم إن أجمعوا لما أرادوا به لم يخلصوا إليه.

ولم يزل بهم حتى عرفوا ما قال لهم، وصدقوه بما قال فتركوه وانصرفوا عنه^(١).

ينهر الإنسان ويندهش عند سماعه بهذه المحاولات المختلفة والكثيرة لقتل رسول الله ﷺ.

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

وقال النبي ﷺ: ما خلا يهودي بمسلم قط إلا هم بقتله^(٢).

واهتم اليهود بعمليات الإغتيال اهتماماً بالغاً إلى درجة قتلهم هارون ﷺ واتهامهم النبي موسى ﷺ بقتله بالسهم^(٣).

(١) سيرة ابن هشام ١٩٤/١ طبعة الحلبي - مصر.

(٢) البيان والتبيين، الجاحظ ص ٢٣١.

(٣) السيرة الحلبي ١٨٧/٢، ١٢٢/٣.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کتب و پژوهش‌های اسلامی

باب

مكة





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

من اشرف على بناء الكعبة

جاء بأن الملائكة هم أول من بنى الكعبة^(١) وأن أول مسجد وضع في الأرض هو المسجد الحرام ثم المسجد الاقصى وبينهما أربعون سنة^(٢).

﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين﴾^(٣)

وجاء أيضاً أن أول من بنى الكعبة هو آدم عليه السلام بمعوة حواء بعد ما قال لها الله تعالى: ابنيا لي بيتاً فخط لها جبرئيل أساسه ثم حجّه نوح عليه السلام^(٤).
ثم رفع إبراهيم القواعد «وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع البصير»^(٥) فكانت غير مسقفة^(٦).

وطولها ثلاثون ذراعاً وعرضها اثنان وعشرون ذراعاً، وكانت فوق القامة.

وبنى بنو عبد المदान الحارثي كعبة نجران مضاهاة للكعبة^(٧).

وقد زار البيت الحرام كل الأنبياء الذين جاءوا بعد إبراهيم عليه السلام^(٨).

(١) الروض الأنف ٢ / ٢٧١.

(٢) دلائل النبوة، البيهقي ٢ / ٤٣.

(٣) آل عمران ٩٦.

(٤) دلائل النبوة، البيهقي، فيض القدير ١ / ٦٣٩، شرح النهج، عبدة، الخطبة القاصعة ١٨٧.

(٥) البقرة ١٢٧.

(٦) أخبار مكة، الازرقعي ١ / ٤ - ٣٠.

(٧) تفسير جامع الجوامع ١ / ٢٩٤، معجم البلدان ٥ / ٢٦٩.

(٨) دلائل النبوة، البيهقي ١ / ٤٧.

وكان إبراهيم عليه السلام عبرانياً وإسماعيل عربياً إذ تكلم وكتب بها^(١).
 وأولى الله تعالى البيت الحرام أهمية خاصة فقالوا: ما زلنا نسمع أن إسافاً ونائلة رجل
 وامرأة من جرهم زنيا في الكعبة فسخها الله تعالى حجرين^(٢).
 أهتم أجداد النبي ﷺ بالكعبة فعبد المطلب أول من جعل باب الكعبة ذهباً^(٣) عندما
 عثر على غزالين وأسياف في بئر زمزم وهما من الذهب الخالص كانت جرهم قد دفنتها
 مع نفائس. وكان عبد المطلب رئيس قريش ومكة^(٤) فورث منه ذلك أبو طالب ومن
 الطبيعي أن تكون قضية بناء الكعبة بيده.

وبعدما حققت موضوع بناء الكعبة وجدت الكتب المعنية بهذا الأمر تهتم بما يلي .

- ١ - تدوين مناقب طغاة قريش في هذا الأمر وعلى رأسهم الوليد بن المغيرة في قضية
 بناء الكعب بابرأزه بمظهر المشرف والأمر بالبناء.
- ٢ - تدوين منقبة مزيفة لآبي لهب في قضية الأموال الطاهرة التي يجب إنفاقها في البناء،
 مع محو كامل لاسم أبي طالب زعيم قريش والنبي ﷺ في هذا الموضوع .
- ٣ - محاولة رواة وعلماء الحزب القرشي النيل من رسول الله ﷺ بحجة سقوط رداءه
 وتعريضه في الكعبة.

- ٤ - سلب فضيلة النبي في بناء الكعبة وفضيلته ﷺ في قضية الحجر الأسود بتصويرهم
 حدوث ذلك صدفة بقولهم من دخل الكعبة أولاً فهو الحاكم في حل قضية الحجر الأسود.
 فأدركت عمق الهجمة على رسول الله ﷺ وعلى عمه أبي طالب.

فهل كان الأمر كذلك؟ أم أن رجال الحزب القرشي السابقون واللاحقون طمسوا
 الحقائق وغيبوا الوقائع لصالح رجال الحزب؟

- ٥ - وكان الوليد بن المغيرة المخزومي (والد خالد) من الطغاة المعاندين للإسلام

(١) تاريخ الخميس ١ / ٩٨.

(٢) دلائل النبوة، البيهقي ٢ / ٦٤.

(٣) السيرة الحلبية ١ / ٣٤.

(٤) تاريخ الخميس ١٧٨.

والمستهزئين برسول الله ﷺ فقال تعالى لرسوله في حقه:

«إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ»^(١) ونزلت في حق أبي لهب سورة قرآنية كاملة عليه لا يوفقها

الله تعالى لبناء الكعبة.

٦- ولما حفر الناس حتى انتهوا إلى قواعد إبراهيم قلعوا منها حجراً فوثب الحجر ورجع مكانه فأمسكوا، وخرج عليهم ثعبان فحال بينهم وبين البناء»^(٢). فكانت هذه الحية

تشرف على جدار الكعبة ولا يدنو منها أحد إلا كشت وفتحت فاهها، فكانوا يهابونها،

٧- وأدخل رجل من قريش عتلة بين حجرين منها ليقلع به أحدهما، فلما تحرك الحجر

انتقضت مكة بأسرها^(٣).

أي أن الكعبة ترفض رجال الكفر والبغي وأموال الربا والظلم وتريد أشخاصاً

طاهرين مثل النبي ﷺ وأبي طالب.

والصحيح في الموضوع:

١- هناك ثعبان عظيم منع الناس من بناء الكعبة ولم يذكر علماء الإنصاف السبب

الحقيقي في القضاء على هذا الثعبان. لماذا؟

٢- وكان أمر الكعبة بيد عبد المطلب بن هاشم ولما مات جعل أمرها بيد ابنه الزبير

إضافة إلى أمر الحكومة وأوصى إلى أبي طالب برسول الله ﷺ وسقاية زمزم قائلاً: خلفت

في أيديكم الشرف العظيم الذي تطأون به رقاب العرب^(٤).

وكان أمر الكعبة بعد وفاة الزبير بن عبد المطلب قد أصبح بيد أبي طالب وهو الذي دعا

إلى بناء الكعبة كما بناها جده إبراهيم عليه السلام^(٥) وكان العرب يعظمون الكعبة فلا يدخلونها

بحذاء^(٦) وواضح على نداءات بناء الكعبة وبنودها اللمسات الهاشمية.

(١) الحجر ٩٥.

(٢) تاريخ اليعقوبي ١٩ / ٢.

(٣) تاريخ ابن الأثير ٤٥ / ٢.

(٤) تاريخ اليعقوبي ١٢ / ٢، تاريخ الخميس ١٧٨.

(٥) راجع كتاب من لا يحضره الفقيه، الصدوق ٢ / ٢٤٨، الكافي ٤ / ٢١٥.

(٦) طبقات ابن سعد ١ / ١٤٧.

٣- وبنيت الكعبة بإشراف رسول الله ﷺ وبإشارة منه ولولا رسول الله ﷺ لما أقدموا على هدم وبناء البيت إذ أراد تعالى إكرام رسوله محمداً ﷺ بتجديد بناء البيت كما فعل آدم وإبراهيم ﷺ فتصدّع جدار الكعبة في زمنه ﷺ وعمره خمس وثلاثون سنة وقبل ذلك بخمس سنين انشق جدار الكعبة لفاطمة بنت أسد الحامل المقرب بعلي بن أبي طالب ﷺ فدخلت في جوف الكعبة ووضعت علياً ﷺ.

٤- قال أبو طالب: إن هذا لا يصلح أن ينفق فيه إلا من طيب المكاسب فلا تدخلوا فيه مالا من ظلم ولا عدوان، ليس فيه مهر بغي ومال ربا وظلم، فأحضروا ما لم يشكوا فيه من طيب أموالهم ورفعوا أيديهم إلى السماء.

فجاء طائر فاخطف الثعبان حتى ذهب»^(١).

إذن لولا يد رسول الله ﷺ وأبي طالب لما استجاب الله تعالى دعاءهم ولدّحهم مع طاغيتهم الوليد بن المغيرة.

٥- ولما اختلفوا في قضية بناء الكعبة قسم رسول الله ﷺ مهام البناء بين قبائل قريش فكان شق الباب لبني عبد مناف وزهرة، وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضموا إليهم، وكان ظهر الكعبة لبني جمح وسهم، وكان شق الحجر لبني عبد الدار بن قصي وبني أسد وبني عدي بن كعب^(٢).

ولما سمح لهم الله تعالى بالمشاركة في البناء عملوا جميعاً في بناء الكعبة لنيل ذلك الشرف العظيم، والعز الدائم.

مشكلة وضع الحجر الأسود

ولما وصلوا إلى الحجر الأسود اختلفوا فيما بينهم فيمن يرفع ذلك الحجر القادم من الجنة ويضعه في مكانه فوق جدار الكعبة.

(١) تاريخ اليعقوبي ١٩ / ٢.

(٢) الروض الأنف ٢ / ٢٦١.

فانقسموا الى حزين حزن لعقة الدم وحزب الفضول: الحزب الأول يتكون من قبائل بني عبد الدار وبني عدي وبني سهم وبني مخزوم وبني أمية، اتفقوا على الحرب حتى الموت^(١) والحزب الثاني يتكون من بني هاشم وبني المطلب وزهرة وتيم^(٢) وكانت قبائل حلف لعقة الدم تريد الحرب لا طمعاً في الحسنات الاخروية بل تريدها جرياً وراء الفضائل الدنيوية، فاهالي قريش كانوا يرفعون انفسهم على باقي العرب بالكعبة.

وبقيت الاوضاع متشنجة بين الجانبين خمسة أيام واوشكت الحرب ان تقع بينهم لأجل الحجر الأسود الذي أنزل من الجنة وكان أشد بياضاً من اللبن فسودته خطايا الناس.

قال اليعقوبي: فأقبل رسول الله ﷺ وكانت قريش تسميه الأمين، فلما رأوه مقبلاً قالوا: رضينا بحكم محمد بن عبد الله. فبسط رسول الله ﷺ رداءه ثم وضع الحجر الأسود في وسطه وقال: لتحمل كل قبيلة بجانب من جوانب الرداء ثم ارفعوا جميعاً ففعلوا ذلك... ولما بلغ الموضع أخذه رسول الله ﷺ ووضع بموضعه الذي هو به وسقفوها ولم يكن لها قبل ذلك سقف^(٣). إذن طلبت قريش من رسول الله ﷺ التحكيم فيما بينها لمعرفة بعقله الوافر وانه الصادق الأمين. فقلب أعداء الرسول ﷺ القضية بان قريش طلبت تحكيم أول داخل عليها في المسجد ايأ كان من الناس!^(٤)

فقال رجل قرشي: يا عجباً لقوم أهل شرف وعقول وسن وأموال عمدوا الى اصغرهم سناً واقلهم مالاً فرأسوه عليهم في مكرمتهم وحرزهم كأنهم خدم له، أما والله ليفوتنهم سبقاً وليقسمن بينهم حظوظاً وجدوداً^(٥). ولم يكن رسول الله ﷺ اقلهم مالاً فهو زوج خديجة وما لها تحت يديه وانما ذلك من كذب الحزب القرشي .

(١) البداية والنهاية ٢ / ٣٠٣، سيرة ابن هشام ١ / ٢٠٩.

(٢) البداية والنهاية ٢ / ٢٩٣، نسب قريش، مصعب الزبيدي ٣٨٣، شرح النهج ١٤ / ١٢٩، الروض الأنف ٢ / ٢٦٤، دلائل النبوة، البيهقي ٢ / ٥٨، الوفا، ابن الجوزي ١٤٤.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٠.

(٤) الروض الأنف ٢ / ٢٦٣، سيرة ابن هشام ١ / ٢٠٩، السيرة الحلبية ١ / ١٤٠ - ١٤٥.

(٥) مروج الذهب ٢ / ٢٧٢، طبقات ابن سعد ١ / ١٤٧.

لقد كانت اللمسات والاعمال الهاشمية المحمدية واضحة في قضية بناء الكعبة منها:
أمر الكعبة ورثه بنو عبد المطلب من ابيهم:

رسول الله ﷺ وأبو طالب أول من أمرا ببناء الكعبة بعد الاجازة الإلهية بذلك.
: وضع الحجر الأسود كان بيد رسول الله ﷺ

: صفة الأموال المصروفة حنيفة اسلامية من حيث كونها طاهرة من السرقة والربا
والظلم. وقد جاء بان أبا طالب هو الذي اصلح زمزم بعد وفاة عبد المطلب^(١) لان زمزم
مختصة بعبد المطلب واصبحت من مختصات أبي طالب من بعده.

وكان أبو طالب زعيم قريش لذلك قال القرشيون له:
انت سيدنا وافضلنا في انفسنا^(٢).

وقالوا بنيت الكعبة بعد عام الفيل بخمس وثلاثين سنة اي قبل البعثة النبوية بخمس
سنين حيث كان عمره ﷺ خمساً وثلاثين سنة^(٣).
وتعرضت الكعبة للحريق ايضاً مرة قبل الإسلام ومرة في زمن يزيد واخرى في زمن
عبد الملك بن مروان.

فتركها عبد الله بن الزبير هكذا لتأليب الناس على بني أمية^(٤).

ولم يتمكن الحجاج من بناء الكعبة لخوف الناس من حية فيها ولما وضع علي بن
الحسين ﷺ اساس الكعبة تمكن الناس من اكمال البناء^(٥).
اي تكررت قضية الثعبان .

(١) السيرة الحلبية ١ / ١٢٢، ١٤٢.

(٢) طبقات ابن سعد ١ / ٢٠٢.

(٣) وقالوا بنيت الكعبة بعد الفيل بخمس وعشرين سنة. البداية والنهاية ٢ / ٣٠٠ وتاريخ الخميس ١ / ٢٧٩ وقالوا
بنيت الكعبة بعد الفيل ١٥ سنة، مصنف عبد الرزاق ٥ / ٣١٨، تاريخ ابن الوردي ١ / ٨.

(٤) البداية والنهاية ٢ / ٣٠٠ مصنف عبد الرزاق ٥ / ٣١٩، السيرة الحلبية ١ / ١٤١، تاريخ ابن الاثير ٤ / ١٢٤،
صحيح مسلم هامش القسطلاني ٦ / ١٨.

(٥) مدينة المعاجز، هاشم البحراني ٣٥٩، البحار ٤٦ / ١١٥، العوالم ١٨ / ١٧٩، مناقب آل أبي طالب ٣ / ٢٨١، علل
الشرائع ١ / ٤٤٨.

لقد كانت الكعبة قبلة للموحدين ومركزاً مهماً للمسلمين والكافرين فقد سعى القرشيون واعوانهم في طريق سلب رسول الله ﷺ وأبي طالب شرف بناء الكعبة .
فتحركوا في هذا الطريق وحاولوا اعطاء شرف بناء الكعبة لأعتى طاغية في ذلك الزمان ألا وهو الوليد بن المغيرة المخزومي المنتسب لحلف لعقة الدم .
كيف لا وهو احد المستهزئين بالنبي ﷺ من الذين نزل في ذمهم القرآن الكريم :
﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ ^(١) ومن المحاربين لله تعالى ودينه المبين! فقالوا بان أول من سعى لهدم الكعبة وبنائها هو الوليد بن المغيرة المخزومي .
في حين لم يكن الوليد الا حداداً بسيطاً في المهنة والجاه والشرف!
ثم انتقموا من الكعبة واطهروا منزلتها عندهم بهذه الصورة:
احرق يزيد بن معاوية الكعبة وهدمها بالمنجنيق ^(٢) .
: احرق عبد الملك بن مروان الأموي الكعبة وهدمها بالمنجنيق ^(٣) .
حاول يزيد بن الوليد بن عبد الملك شرب الخمر فوق سقف الكعبة فخوّفه المحيطون به .

رد الفعل الجاهلي

وبسبب ذلك الأمر فقد ردّ أتباع الأمويين وحلف لعقة الدم على قصة البناء ردّاً قاسياً،
لان شرف بناء الكعبة ليس فوقه شرف . وتمثل ردّهم في الروايات الزائفة التالية .
: إرجاع فضل بناء الكعبة لاحد رجال حلف لعقة الدم الكافر ألا وهو الوليد بن المغيرة المخزومي المخالف لحلف الفضول والإسلام معاً . وقال الحزب القرشي الحاقد على محمد وآله وبني هاشم والمسلمين بان الرجل الذي هدى قريشاً لاتفاق المال الطاهر الذي ليس فيه مهر بنغي ومال ربا وظلم هو أبو لهب! ^(٤) في حين اثبتت النصوص التاريخية اقدام أبي لهب

(١) الحجر ٩٥ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٥١ .

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٦٩ - ٢٧٢ .

(٤) الروض الأنف ٢ / ٢٧٩ .

وجماعة على سرقة مال الكعبة^(١). ولما سرق دويك من الكعبة قطعوا يده^(٢) وقد قطع يده عتاة قريش، أي أن سارق العلانية يقطع يد سارق السر.

ذلك أن جماعة من قريش كانوا في ليلة من الليالي يشربون الخمر وفيهم أبو لهب ومعهم القيان ولما فئيت أسباب طربهم عمدوا إلى باب الكعبة وسرقوا الغزاليين وباعوها من تجار قدموا مكة بالخمر واشتروا بثمانها جميع ما في العير من خمر بالمرّة واشتغلوا بالطرب واللهو شهراً ولم يدر من سرق حتى مرّ العباس وعرف قصة سرقة الغزاليين فأخذوهم وضربوهم وقطعوا أيدي بعضهم^(٣). وكانت قبائل قريش الكافرة تفضح كل من خالفها من الناس بعورته: عملاً بخلع ثيابه كما فعلوا مع سيدة بني عامر في سوق عكاظ فتسبب في واحدة من حروب الفجار^(٤).

: أو اشاعة ذلك زيفاً في تعري رسول الله ﷺ في قضية بناء الكعبة، ونقل ذلك في كتبهم كل المحدثين المحاقدين على رسول الله ﷺ! وقد روى اليهود مثل هذه الروايات المزيفة في حق نبيهم موسى فدحّرهم الله تعالى^(٥). في حين لم يذكر البخاري ومسلم وأمثالهم شيئاً عن تعري أبي جهل وأمية بن خلف وأبي سفيان وابن العاص ومعاوية وباقي الأمويين في طوافهم.

بينما أمر رسول الله ﷺ بستر الفخذ لأنها من العورة^(٦) وإتماماً لمهمة الطعن بالأنبياء والمرسلين قال البخاري ومسلم (تعدياً على منزلة النبوة): إن رسول الله ﷺ كان ينقل الحجارة للكعبة وعليه إزاره، فقال له العباس عمه: يا ابن أخي لو حللت إزارك فجعلته على منكبيك دون الحجارة. وفي رواية مزيفة أخرى إن أبا طالب

(١) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٤٤، والمال ممثل في غزالي الكعبة وهما من الذهب الخالص.

(٢) البدء والتاريخ ١ / ٤٩.

(٣) تاريخ الخميس ١ / ١٨١.

(٤) تاريخ الخميس ١ / ٢٥٥، نسب قريش ٤٠٨، السيرة الحلبية ١ / ١٢٧.

(٥) سنن البخاري ط. سنة ١٣٠٩ ج ١ / ٤٠، ٢ / ١٥٨، مسند أحمد ٢ / ٣١٥، تفسير القمي ٢ / ١٩، مجمع الزوائد ٧ / ٩٣، تاسع التكوين، فقرة ٢١، الاصحاح التاسع عشر ٢٣ / ٢٤، الدر المنثور ٥ / ٢٢٣، مشكل الآثار ١ / ١١١.

(٦) سنن البخاري ١ / ٥١، فتح الباري ١ / ٤٣، المستدرک، الحاكم ٤ / ١٨٠، ١٨١.

قال له ذلك.

فحلّه ﷺ فجعله على منكبيه، فسقط مغشياً عليه، فما رُوي بعد ذلك عرياناً^(١).
فقال ﷺ ما أصابني ما أصابني إلا في تعدي^(٢) أي ان ذلك جاء من ظلم رسول الله ﷺ
للآخرين ويقصد بهم الحزب القرشي اللات والعزى وهبل!
واستمر هذا المنحى ضد الأنبياء فرووا أيضاً كشف رسول الله ﷺ فخذه في المدينة
أمام أبي بكر وعمر، وعمره يناهز على الستين سنة! بعد أن رووا سقوطه عرياناً في الكعبة
وعمره خمس وثلاثون سنة!^(٣)

وسوف تجد أخيراً بان رجال الحزب القرشي قد غيروا الروايات تماماً إذ قال اليعقوبي
عن بناء الكعبة: فوضعوا أزرهم يعملون عراة الأ رسول الله فإنه أبي ان ينزع ثوبه فسمع
صائحاً يصيح: لا تنزع ثوبك!^(٤)

وفي مقابل ذلك قالوا: بان عثمان رجل حيي تستحي منه الملائكة^(٥).

وإذا لم يتعلم المرء الحياء من رسول البشرية ﷺ فهل يتعلمه من أبي جهل؟
بينما وصف أبو سعيد الخدري النبي ﷺ قائلاً: كان أشد حياءً من العذراء في خدرها^(٦).
وجاء عنه ﷺ: بأنه كان مصوناً عما يستقبح قبل البعثة وبعدها^(٧). وقالت حليلة
السعدية: لم تبد عورته^(٨). وروي أيضاً بأن نساءه لم يشاهدن عورته قط^(٩).
وحتى بعد موته ﷺ لم يشاهد أحد عورته في الغسل إذ ورد: ولو رآها أحد لطمست

(١) صحيح البخاري باب كراهية التعري في الصلاة ٥٠/١، ١٨١، ٢٠٣/٢، صحيح مسلم ١٨٤/١، البداية والنهاية ٢٨٧/٢، مسند أحمد ٢٩٥/٣، ٣١٠، ٣٣٣.

(٢) طبقات ابن سعد ١٤٥/١.

(٣) المعاسن والمساوي ٦١/١، حياة الصحابة ٦١١/٢، صحيح مسلم ١١٧/١١٦، البداية والنهاية ٢٠٢/٧.

(٤) تاريخ اليعقوبي ١٩/٢.

(٥) حياة الصحابة ٦١١/٢ مسند أحمد ٧١/١، البداية والنهاية ٢٠٢/٧.

(٦) مجمع الزوائد ١٧/٩، صحيح مسلم ٨٧/٧، البداية والنهاية ٣٦/٦.

(٧) فتح الباري ١١١/٧.

(٨) البحار ٣٣٣/١٥.

(٩) حياة الصحابة ٦١١/٢، السيرة الحلبية ١٤٢/١، سنن ابن ماجه ٦١٩/١.

عيناه^(١). وبلغ الحد في النهي عن رؤية العورة أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام لم يقتل أعداءه الذين كشفوا عوراتهم حياءاً من النظر إلى عوراتهم^(٢).
بل إن سنة عبدالمطلب تحرّم أن يطوف بالبيت عريان^(٣). فهل يعد كل هذا التبيان يستملح العاقل افتراءات الناكثين والقاسطين والمارقين؟!

التعري في الطواف

: كانت العرب تنقل الحجارة لبناء البيت الحرام وهم عراة وهم يرون أن ذلك ديناً^(٤)
ولما بدت عوراتهم قالوا زيفاً بأن الوحيد الذي بدت عورته في المسجد الحرام هو
رسول الله ﷺ^(٥)!

وكان بعض ملوك بني أمية يتجردون بحضرة الندماء والمغنين مثل يزيد بن عبد الملك
والوليد بن يزيد^(٦).

: فرض الكافرون على الحمس الطواف بالبيت في ثياب الحمس^(٧) فإن لم يجدوا منها
شيئاً طافوا بالبيت عراة فقالت امرأة:

اليوم يبدو بعضه أو كله - وما بدا منه فلا أحله^(٨).

وكان الرجال العراة يطوفون نهراً وتطوف النساء ليلاً، وكانوا يطوفون ويصفقون
بأيديهم ويصفرون^(٩).

(١) تاريخ الخميس ٢١٤/١.

(٢) سيرة ابن هشام ٧٨/٣، الكامل، ابن الاثير ١٥٢/٢.

(٣) السيرة الحلبية ٤/١.

(٤) الروض الأنف ٢ / ٢٨٣، تاريخ يعقوبي ١٩ / ٢.

(٥) صحيح البخاري ٤٠/١.

(٦) التاج، الجاحظ ٧٧.

(٧) الحمس جماعة من الحجاج.

(٨) الروض الأنف ٢ / ٢٨٥.

(٩) الروض الأنف ٢ / ٢٩٣.

وقد حرّم عبد المطلب على كل شخص الطواف بالبيت وهو عريان.
والاديان كلّها تحرم التعري تبعاً للفترة الانسانية الا كفرة مكة ، وقد ساعد الله تعالى
بني البشر على الحشمة والتزين بالالبسة، بالشعر الطبيعي الذي خلقه لستر العورة،
وباوراق الشجر وبالعقل البشرى الذي صنع الاقمشة زينة. إذن من اين جاءت فلسفة
التعري في مكة؟ التي رفضها أجداد النبي ﷺ ورفضتها الاديان السماوية المعروفة في شبه
جزيرة العرب وهي النصرانية واليهودية وحرّمها عبد المطلب^(١).

من المحتمل تأثر بعض أهالي قريش بالحركة المانوية في الزندقة الداعية للمجون
والتهتك والخلاعة. والاقوى أنها حركة جاهلية هدفها ارضاء الاوثان عبر التعري في
الطواف والتعري أثناء بناء الكعبة، وهذا يبيّن مقدار التخلف الديني والاجتماعي هؤلاء
الذين انقذهم الله تعالى برسوله ﷺ. وكانت المساحرات عاريات والنساء الداخلات في
جوف الاصنام ايضا : فكانت اصنام نائلة والعزى ومناة نساء عريانات^(٢) ولما حطم
المسلمون اصنام الجاهلية خرجت منها نساء عاريات. واستقبلت ثقيف الجيش الاسلامي
بساحرتها الكاشفة عن عورتها^(٣) وكان الكفار يخلعون رداءهم عند شجرة ذات انواط^(٤)
فكان التعري رمز عبادتهم. واستمر التعري إلى السنة التاسعة الهجرية حيث اعلن أمير
المؤمنين علي عليه السلام لا يحجن بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان^(٥).

فأنقذ الله تعالى الناس من الفساد الاخلاقي للحزب القرشي.
فلقد ذكر هؤلاء قضية تعري موسى عليه السلام أمام الملأ من بني إسرائيل وتعري النبي أمام
القرشيين ونفوا التعري عن المعادين لهم من كفار قومهم!!^(٦).

جاء في كتاب البخاري: «أن بني إسرائيل اتهموا موسى بانه آدر (أي مصاب بانتفاخ في

(١) السيرة الحلبية ١ / ٤.

(٢) مغازي الواقدي ٨٤١/٢ مغازي الذهبي ٥٦٣.٥٥٥.

(٣) مغازي الواقدي ٩٢١/٢.

(٤) مغازي الواقدي ٨٩١/٢.

(٥) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٩٠.

(٦) تاسع التكوين الفقرة ٢١، الاصحاح التاسع عشر، الفقرة ٢٣/٢٤.

خصيته بسبب الفتق) فنزع ثوبه ووضع على حجر واغتسل، فلما أراد أن يأخذ ثوبه عدا الحجر بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى نظرت بنو إسرائيل إلى موسى.

فقالوا: والله ما بموسى من بأس، وأخذ ثوبه، فطفق بالحجر ضرباً.
قال أبو هريرة: فوالله أن الحجر لندباً ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً، فذلك قوله تعالى:
﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى، فَبَرَأَ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا، وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾^(١)
والصحيح نزلت الآية الشريفة في قضية اتهام بني إسرائيل لموسى ﷺ بقتل أخيه هارون، إذ ذهب معه في زيارة فوات، فدفنه موسى ﷺ فبرأه الله تعالى بأن أخبرهم جسد هارون بأنه مات ولم يُقتل^(٢).

الانحراف عن دين إبراهيم

استمر عبد المطلب وأبو طالب وبعض أبناء عبد المطلب في السير على الدين الحنيف، وكانت عرب الجاهلية قد انحرفت عن دين إبراهيم الخليل ﷺ انحرفاً بيئاً وممقوتاً ومن تلك الانحرافات ما فعلوه في قضية الكعبة والمنج.

: ترك العرب الوقوف على عرفة والافاظة منها^(٣)

: وكانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة ويسمون بالحُمس ولا يقفون بعرفات،

في حين كان رسول الله ﷺ يقف بعرفات قبل البعثة^(٤).

: وحرّم الكفرة طعام الحل في الحرم^(٥). وابتعدوا مقام إبراهيم عن مكانه.

والانحراف الخطير تمثل في التعري. وقد ابطال الإسلام هذه العادات الجاهلية السيئة إذ

(١) الأحزاب ٦٩، صحيح البخاري ٤٠/١، ١٥٨/٢، تفسير البرهان ٣/٣٣٩، مجمع الزوائد ٧/٩٣.

(٢) فتح الباري ٦/٣١٣، الدر المنثور، السيوطي ٥/٢٢٣.

(٣) الروض الأنف ٢/٢٨٣.

(٤) الروض الأنف ٢/٢٩٤.

(٥) المصدر السابق.

جاء في الكتاب العزيز: يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا^(١).
والزينة هي الثياب، وجاء أيضاً: «وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصديّة»^(٢).
فالمكاء: الصفير، والتصديّة: التصفيق^(٣).

بطون قريش

كانت قريش خمسة وعشرين بطناً وهم: بنو هاشم بن عبدمناف، وبنو المطلب بن عبدمناف، وبنو الحارث بن عبدالمطلب، وبنو أميّة بن عبدشمس، وبنو نوفل بن عبدمناف، وبنو الحارث بن فهر، وبنو أسد بن عبد العزّي، وبنو عبدالدار بن قصي، وبنو زهرة بن كلاب، وبنو تيم بن مرة وبنو مخزوم، وبنو يقظة، وبنو مرة، وبنو عدي بن كعب، وبنو سهم وبنو جُحج وهم قريش البطاح.

وقريش الظواهر هم: بنو مالك بن حنبل، وبنو معيط بن عامر بن لؤي وبنو نزار بن عامر بن لؤي، وبنو الأدرم، وهم تيم بن غالب وبنو محارب بن فهر، وبنو الحارث بن عبدالله بن كنانة، وبنو عائذة وهو خزيمه بن لؤي، وبنو نباتة وهو سعد بن لؤي^(٤).

أهالي مكة

لما نزلت قبيلة جرهم في مكة بقيت بجانب ذرية إسماعيل عليه السلام إلى أن بغوا وظلموا زوار بيت الله تعالى، وسرقوا مال الكعبة.

وكانت في مكة بضع وعشرون قبيلة تعيش جنباً إلى جنب، في منافسة حادة على الرئاسة والجاه والشرف. وولد ذلك التنافس حسداً عميقاً بينها حتى وُصِفَت قريش بأنها أحسد الناس.

(١) الأعراف ٣٠.

(٢) الانفال ٣٦.

(٣) الروض الأنف ٢ / ٢٩٣.

(٤) مروج الذهب، المسعودي ٢ / ٢٦٩.

وكادت الحرب ان تقع بين قبائلها عدّة مرّات بسبب ذلك التنافس على أسباب الرئاسة والشرف والمجاهة، والمتمثلة بلواء الحرب والرفادة والسقاية والقيادة. ثم تنافس القرشيون في بناء الكعبة ووضع الحجر الأسود، وكادت الحرب تقع بينهم، فصالحهم رسول الله ﷺ.

ولما بعث النبي محمد ﷺ في مكة رفض طغاة مكة التسليم له بالنبوة حسداً لرئاسته الدينية والدنيوية عليهم، بالرغم من يقينهم بدينه ورسالته السماوية. وقد وصف هذه الحالة أبو جهل وصفاً كاملاً مبيناً رأيه بنبوة محمد ﷺ وانكاره لها حسداً لأنها تعني تفوّق وتقدم بني هاشم على بني مخزوم!

وتبعاً لهذا الاعتقاد الخاطئ والجهل المركب فقد اعلن زعماء قبائل قريش أمام أبي طالب زعيم بني هاشم وقريش استعدادهم لارضاء محمد ﷺ بالمال والشرف والرئاسة حتى يصبح اكثرهم مالاً، مقابل تراجعهم عن الديانة الجديدة! فقال رسول الله ﷺ لعمه أبي طالب: والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن اترك هذا الأمر ما تركته أو اقتل دونه.

وكان رجال مكة من دهاة الناس يتنافسون على أسباب الدنيا تنافساً حاداً دفعهم إلى اغتيال الآخرين، وإقامة جسور العلاقة مع الحكومتين الرومية والفارسية.

واستخدموا وسيلة تبني العبيد والحلفاء لزيادة القدرة البشرية لقبائلهم وعوائلهم ومنع اضمحلالها وانقطاع نسلها. فتبنى عبد شمس عبده أمية^(١).

وتبنى بنو أسد العوام القبطي^(٢) والد الزبير وتبنى الأسود الكندي حليفه المقداد، وتبنى العاص بن وائل عمراً^(٣).

وتنافسوا على اللقطاء مثل عمرو بن العاص وطلحة بن عبد الله وزياد بن أبيه تنافساً حاداً^(٤).

(١) راجع كتاب المثالب لهشام ابن الكلبي ص ٥٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) التذكرة ١١٧، السيرة الحلبية ٤٧/١، العقد الفريد ١٦٤/١، المثالب، الكلبي ١٢٧.

(٤) المثالب، الكلبي ١٢٩، التذكرة ١١٧، السيرة الحلبية ٤٧/١.

وتسببت التجارة الصيفية إلى الشام والشتوية إلى اليمن والحبشة ورحلاتهم إلى بلاد كسرى في زيادة اطلاع القرشيين على الأمم والحضارات الاخرى، وسعة افقهم واطلاعهم على المهارات اللازمة في السياسة والادارة والحرب والاقتصاد وغيرها.

وزيارة الناس لبيت الله الحرام من بلاد ومدن مختلفة اكسبتهم معارف كثيرة وأموالاً عظيمة. وتسببت هذه الأمور واستقلال مكة في اكتساب القرشيين مهارة ادارة أنفسهم ومدنيتهم والاعتداد بأنفسهم.

فاهتم أهالي مكة اهتماماً خاصاً بالدهاء السياسي والاجتماعي ورعوا الدهاء عناية فائقة، فبرز دهاة عديدون وماكرون كثيرون لا يتورعون عن استخدام الوسائل الباطلة للوصول الى الهدف.

وبرزت هذه الحالة في سفراء قريش إلى ملك الحبشة عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد وعبدالله بن أبي ربيعة فنافس عمارة بن الوليد عمرو بن العاص في زوجته والقاء في مياه البحر الأحمر، واستمر عمارة الداهية في مغامراته النسائية حتى بلغ مخدع ملك الحبشة الزوجي. فوشى به عمرو بن العاص عند ملك الحبشة الذي مكربه مكرراً عجيباً بنفخ السواحر في إحليله فهام مع الوحوش الكاسرة في تلك البلاد! (١)

وقصص المكر السياسي والاجتماعي في صفوف القرشيين كثيرة ومنها برزت قصة المكر القبلي لاغتيال رسول الله ﷺ في مكة وحرب الأحزاب (الخندق)، وقضية حجة الوداع (بمنعهم الرسول ﷺ من تبليغ رسالة الثقلين القرآن وأهل البيت ﷺ إلى المسلمين) (٢)، وقضية السقيفة.

ثم توجوا أمرهم في قبول معاوية بقتل الجماهير عثمان بن عفان ليصبح ولي الدم، ويحارب باسم ذلك ثم حوّل الدولة إلى ملكية وراثية.

فعادت الزعامة إلى بني أمية في زمن عثمان كما كانت في زمن حرب احد والخندق برئاسة أبي سفيان! فقال أبو سفيان: تلقفوها يا بني أمية تلقف الكرة فوالذي يحلف به أبو

(١) تاريخ الطبري ٣٠/٢

(٢) راجع موضوع حجة الوداع في هذا الكتاب.

سفيان ما من جنة ولا نار^(١).

وطغاة قريش المكرة هم الذين حرّفوا الحديث النبوي: الخلفاء من بعدي اثنا عشر كلهم من أهل بيتي^(٢) إلى:

الخلفاء من بعدي اثنا عشر كلهم من قريش^(٣).

ومنهج قريش في رفض اجتماع النبوة والخلافة في بني هاشم واضح نطقه عمر بن الخطاب عالياً^(٤) إذ أعلن عمر بن الخطاب تلك النظرية أمام رسول الله ﷺ في يوم الخميس برفضه ثقل أهل البيت ﷺ قائلاً: حسبنا كتاب الله^(٥).

ولما فعلت قبيلة جرهم الظلم صمّمت قبيلتا بني بكر بن عبد مناة بن كنانة، وغبشان من خزاعة على إخراجهم من مكة، فتمكّنتا من الحاق الهزيمة العسكرية بها وإخراجها إلى اليمن، فدفن عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي غزالي الكعبة وحجر الركن في زمزم قبل ذهابه إلى اليمن^(٦).

ثم ساد على مكة عمرو بن لحي الذي فرض عبادة الأصنام عليها^(٧)، وكان فخر اسمه قريش وإليه تنتهي وتجتمع قبائل قريش وما فوقه كناني.

وسمي قريشاً لأنه كان يقرّش أي يفتش عن حاجة المحتاج فيمدها بماله، وقيل كان بنوه يقرشون أهل الموسم عن حوائجهم فيرفدونهم^(٨) والنضر بن كنانة أبو قريش^(٩).

ولما استقر الأمر في خزاعة تزوج قصي منهم، وأزاح يد خزاعة وولي أمر مكة وشرفها،

(١) تاريخ الطبري ٣٥٧/١١، النزاع والتخاصم ٥٦، الأغاني ٣٥١/٦ - ٣٥٦.

(٢) حلية الأولياء، ٨٦/١، الكافي ١٧٩/١، ٥٣٤.

(٣) مسند أحمد ٥/٨٧، ٩٤، ٩٧، ٩٩، ١٠٠.

(٤) تاريخ الطبري ٢٨٨/٣.

(٥) صحيح البخاري ٣٧/١، الملل والنحل، الشهرستاني ٢٣/١.

(٦) الروض الأنف، السهيلي ١٠/٢، ١١، ١٢، ١٧، البدء والتاريخ، البلخي ٤٠/٢ - ٤٢.

(٧) مروج الذهب ٢٢٧/٢.

(٨) السيرة النبوية، دحلان ١٦/١.

(٩) المعارف، ابن قتيبة ٦٧.

فكان بيده السقاية والرفادة والحجاجة والندوة واللواء والقيادة فحصل عبدالدار على اللواء والحجاجة ودار الندوة.

واختلفوا بعد موت عبدالمطلب فكانوا جماعتين:

الجماعة الأولى: حلف المطييين الذين غمسوا أيديهم في الطيب، وهم خمس قبائل: بنو هاشم، وبنو زهرة، وبنو تيم بن مرة، وبنو الحرث بن فهر.^(١)

وجماعة لعقة الدم وهم: بنو مخزوم، وبنو سهم، وبنو جمح، وبنو عدي بن كعب وبنو أمية الذين أخرجوا جفنة مملوءة دماً من دم جزور نحروها ووضعوا أيديهم فيها ولعقوا منها. واصطلحوا على أن تكون الرفادة والقيادة والسقاية لبني عبدمناف، والحجاجة واللواء

لبني عبدالدار، ودار الندوة بينهم بالأشتراك.

ثم أعطيت القيادة وهي أمانة الركب لبني أمية بعد ظهور الإسلام لذلك كانت قيادة الجيش لبني أمية في معركة بدر وبيد عتبة بن ربيعة بن عبدشمس، وكان أبو سفيان قائد الجيش في الحروب اللاحقة.

وأعطيت الرفادة والسقاية لهاشم، ثم لعبدالمطلب، ثم لأبي طالب ثم للعباس واختلف بنو عبدمناف إذ اغتصب نوفل بن عبدمناف أفنية ودوراً لابن أخيه عبدالمطلب، فأجبرته بنو النجار بالمدينة على إرجاعها إلى عبدالمطلب فنشأ حلف بين نوفل وبنوه مع عبدشمس وبنيه.

وتأسس مقابله حلف بني هاشم وبني المطلب وخزاعة على بني نوفل وبني عبدشمس^(٢) فشارك بنو المطلب عبيدة والطفيل ومسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب وحصين بنو الحارث في حرب بدر إلى جانب النبي ﷺ.^(٣)

وكانت خزاعة تنقل أخبار قريش لرسول الله ﷺ.

(١) السيرة الحلبية ١/ ١٢٨، الروض الأنف ٢/ ٧١.

(٢) السيرة النبوية، دحلان ١/ ١٨، ١٩.

(٣) النسب، ابن سلام ٢٠٣.

ووقف بنو نوفل إلى جانب الكفار ضد رسول الله ﷺ مثل الحارث بن عامر بن نوفل، وطعيمة بن عدي بن نوفل الذين قُتلا يوم بدر كافرين، واضحت فاخنة بنت قرظة بن عبد عمرو بن نوفل امرأة معاوية بن أبي سفيان.

وأول عداوة وقعت بين هاشم وأمّية بن عبد شمس سبها أن هاشماً ساد قومه بعد أبيه عبد مناف فحسده أمّية، فتكلف أن يصنع ما يصنعه هاشم فعجز فغيرته قريش. فدعا أمّية هاشماً للمنافرة، فرفض هاشم ذلك أولاً ثم قبل المنافرة على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة والجلاء عن مكة عشر سنين فرضي أمّية بذلك، وحكّم الكاهن الخزاعي بعسفان فقال الكاهن:

لقد سبق هاشم أمّية إلى المفاخر، فنفر هاشم على أمّية، فعاد هاشم إلى مكة ونحر الإبل وأطعم الناس، وخرج أمّية إلى الشام مدة عشر سنين، فبدأت العداوة بين الجانبين^(١). فأطعم هاشم الناس في المجاعة، وهشم الحبز والكعك ونحر جزراً، وجعل ذلك ثريداً فأطعم الناس حتى أشبعهم فسمى هاشماً، واسمه المغيرة فقالوا له: أبو البطحاء وسيد البطحاء، ولم تزل مائدته منصوبة في السراء والضراء.

وانتقل نور النبوة من عبد مناف إلى هاشم فكان يتوقد شعاعه ويتلألأ ضياؤه، لا يراه حبر إلا قبّل يده، ولا يمر بشيء إلا خضع له تفدوا إليه قبائل العرب ووفود الأحبار يحملون بناتهم يعرضون عليه أن يتزوج بهن.

حتى بعث إليه هرقل ملك الروم قائلاً: إن لي ابنة لم تلد النساء أجمل منها ولا أبهى وجهاً فأقدم إليّ حتى أزوجهها فقد بلغني جودك وكرمك، وإنما أراد بذلك نور المصطفى ﷺ الموصوف عندهم في الانجيل.

فأبى هاشم ذلك، وكان هاشم يحمل ابن السبيل، ويؤدي الحق، ويؤمن الخائف^(٢)، ومات بغزة من أرض فلسطين^(٣).

(١) السيرة النبوية، دحلان، ١٩/١ - ٢٠.

(٢) السيرة النبوية، دحلان ١ / ٢٠، ٢١، ٢٢.

(٣) المعارف، ٧١.

وكان عبدالمطلب بن هاشم من حلما قريش وحكائها، مجاب الدعوة، محرماً الخمر على نفسه، وهو أول من تحنّت بحراء، والتحنّت تعبد الليالي ذوات العدد، فإذا دخل رمضان صعدته وأطعم المساكين، وكان صعوده للتخلي عن الناس والتفكر في جلال الله وعظمته، فيرفع من مائدته للطير والوحوش في رؤوس الجبال، فقالوا له مطعم الطير والفياض، فكان مفرع قريش في النوائب، وملجأهم في الأمور، وشريفهم وسيدهم كمالاً وفعالاً، وعاش مائة وأربعين سنة^(١).

ورفض عبدالمطلب عبادة الأصنام ووحد الله تعالى، ويؤثر عنه سنن جاء القرآن بأكثرها منها الوفاء بالنذر، والمنع من نكاح المحارم، وقطع يد السارق، والنهي عن قتل الموءودة، وتحريم الخمر والزنا، وأن لا يطوف بالبيت عريان وكانت قريش تستسقي به ويسمى سيد قريش^(٢).

ولما هجم إبرهة الحبشي على مكة قال عبدالمطلب: لا يصل إلى هدم البيت لأن لهذا البيت رباً يحميه ويحفظه^(٣).

ولما أراد ذبح ابنه عبدالله لنذر نذره الله تعالى ضرب بالقداح وقال: يا رب أنت الملك المحمود، وأنت ربي الملك المعبود، من عندك الطارف والتليد. وغضب على حرب بن أمية لقتله يهودياً جاراً له، فاضطر حرب لارضائه بدفع مائة ناقة دية ذلك اليهودي^(٤).

وبلغت شجاعة وكرم وشرف وهيبة وعفة وعبادة وشهامة بني هاشم حداً لم يبلغه قبله أحد، فأطعموا الفقير وأجاروا الخائف.

إذ أجار عبدالمطلب رجلاً تميمياً خائفاً من حرب بن أمية، ولما دخل التميمي الكعبة لطمه حرب فعدا عليه الزبير بن عبدالمطلب بالسيف، ففر حرب بن أمية إلى

(١) السيرة النبوية، دحلان ٢١/١، ٢٢.

(٢) السيرة النبوية، دحلان ٢٣/١، تاريخ ابن الوردي ٩٢/١.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الكامل في التاريخ ١٥/٢، تاريخ ابن الوردي ٩٢/١.

دار عبد المطلب، فأجاره عبد المطلب وأكفأ عليه جفنة، وسبعة من بني عبد المطلب على الباب يريدون قتله، فأخرجه عبد المطلب واضعاً عليه رداءه دليل الإجارة.
ولما افتخر معاوية بن أبي سفيان بحرب بن أمية رد عليه عبدالله بن عباس قائلاً: من أكفأ عليه إناءه وأجاره بردائه؟ فسكت معاوية^(١).
لذلك قال رسول الله ﷺ: «يُبْعَثُ جَدِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فِي زِيِّ الْمُلُوكِ وَأَهْبَةِ الْأَشْرَافِ»^(٢).
وقد أخذ عبد المطلب مبادئ وأخلاق دين إبراهيم عليه السلام من هاشم الذي أخذها من عبد مناف.

بنو أمية وأصلهم

كانت العرب في الجاهلية تعتق عبيدها إن أرادت وتزوجهم من كرام العرب ثم تلحقهم بها.
فكان أمية من الروم استلحقه عبد شمس^(٣) جاء في الكتاب: أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وإنما هو عبد من الروم، وأمّية تصغير أمة فنسب إليه.
فبنو أمية كلهم ليسوا من صميم قريش وإنما يلحقون بهم ويصدق ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام لما كتب له معاوية: إنما نحن وأنتم بنو عبد مناف^(٤).
فكان جواب علي عليه السلام ليس المهاجر كالطلق وليس الصريح كاللصيق.
فهذه شهادة من علي عليه السلام أن بني أمية لصاق وليسوا بصحيحي النسب إلى عبد مناف ولم ينكر معاوية ذلك.

وقال البهائي صاحب الكامل: إن أمية كان غلاماً رومياً لعبد شمس فلما ألفاه كيّساً فطناً أعتقه وتبنّاه فقبل أمية بن عبد شمس كانوا يعملون بذلك قبل نزول الآية المحرّمة، لذا روي عن الصادقين عليه السلام في تفسير قوله تعالى ﴿الْم﴾، غلبت الروم، أنهم بنو أمية.

(١) السيرة النبوية، دحلان ٢٤/١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الزام الناصب ١٠٤ - ١٠٥، شرح النهج ١٥ / ١٩٨ - ٢٩٥.

(٤) البحار ٣١ / ٥٤٣، ٥٤٤، ٣٣ / ١٠٧.

ويظهر هنا نسب عثمان ومعاوية وحسبهما^(١) غير العربي

وقال ابن قتيبة الدينوري: كان أبو سفيان أعور العين من أصل غير عربي^(٢).

فلم يكن لعبد شمس ابن يأخذ بضعه ويرفع من قدره ويزيد في ذكره ولهاشم عبد المطلب سيد الوادي غير مدافع أجمل الناس جمالاً وأظهرهم جوداً وأكملهم كمالاً وهو صاحب الفيل والطير والابايل وصاحب زمزم وساقى الحجيج^(٣).

واجمعت الرواة على أن من أخذ الايلاف لقريش هاشم بن عبد مناف، فلما مات قام أخوه المطلب مقامه^(٤).

وكان هاشم رجلاً كثير السفر والتجارة يسافر في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام وشرك في تجارته رؤساء القبائل من العرب ومن ملوك اليمن والشام نحو العباهلة باليمن واليكسوم من بلاد الحبشة ونحو ملوك الروم بالشام فجعل لهم معه رجلاً فيما يربح وساق لهم إيلاً مع إيله فكفاهم مؤونة الأسفار على أن يكفوه مؤونة الأعداء في طريقه ومنصرفه، فكان في ذلك صلاح عام للفريقين^(٥).

وقال سفينة مولى رسول الله ﷺ: أم أمية الزرقاء وكانت في الجاهلية من صواحب الرايات^(٦) وكان أمية ممن اشتهر بالزنا وكذلك كان ابنه حرب^(٧).

وقال معاوية إنني أحب أن ألقى رجلاً قد أتت عليه سن وقد رأى الناس يخبرنا عما رأى. فقال بعض جلسائه: ذلك رجل بحضر موت. فأرسل إليه، فأتي به، فقال له: ما اسمك؟ قال: أمد.

قال: أبن من؟

(١) البحار ٣١ / ٥٤٤.

(٢) المعارف ٥٨٦، ابن قتيبة.

(٣) شرح النهج ١٥ / ٢٠٢.

(٤) المصدر السابق.

(٥) شرح النهج ١٥ / ٢٠٢.

(٦) الروض الأنف ٥ / ١٨٦، الامثال، الاصبهاني.

(٧) شرح النهج ٢ / ٤٥٦، المثالب، هشام بن الكلبي ٦٣.

قال: ابن أبرد.

قال: ما أتى عليك من السنّ؟

قال: ستون وثلاث مئة.

قال: كذبت.

ثمّ إن معاوية تشاغل عنه، ثم أقبل عليه ما اسمك؟

قال: أمد.

قال: ابن من؟

قال: ابن أبرد.

قال: كم أتى عليك من السنّ؟

قال: ثلاث مئة وستون سنة.

قال: فأخبرنا عما رأيت من الأزمان، أين زماننا هذا من ذلك؟

قال: وكيف تسأل من تُكذّب؟

قال: إنّي ما كذبتك، ولكني أحببت أن أعلم كيف عقلك.

قال: يوم شبّه يوم، وليلة شبّهة بليلة، يموت ميّت، ويولد مولود، فلولا من يموت لم

تسعهم الأرض، ولولا من يولد لم يبق أحد على وجه الأرض.

قال معاوية: فأخبرني هل رأيت هاشماً؟

قال: نعم رأيت رجلاً طوالاً، حسن الوجه، يقال: إن بين عينيه بركة أو غرّة بركة.

قال معاوية: فهل رأيت أميّة؟

قال: نعم، رأيت رجلاً قصيراً أعمى، يقال: إن في وجهه لشرّاً أو سُوماً.

قال معاوية: فهل رأيت محمداً؟

قال: من محمد رسول الله ﷺ؟ قال نعم.

قال: ويحك، ألا فخّمته كما فخّمه الله؟ فقلت: رسول الله.

قال معاوية: فأخبرني، ما كانت صناعتك؟

قال كنت رجلاً تاجراً.

قال معاوية: فما بلغت تجارتك؟

قال: كنت لا أشتري عَيْباً ولا أردُّ ربحاً.

قال له معاوية: سلني.

قال: أسألك أن تدخلني الجنة.

قال معاوية: ليس ذلك بيدي، ولا أقدر عليه.

قال: أسألك أن ترُدَّ علي شبابي.

قال معاوية: ليس ذاك بيدي ولا أقدر عليه.

قال: لا أرى بيدك شيئاً من أمر الدنيا ولا من أمر الآخرة.

قال فرُدَّني من حيث جئت.

قال معاوية: أما هذا فنعم.

ثم أقبل معاوية على أصحابه فقال: لقد أصبح هذا زاهداً فيما أنتم فيه راغبون^(١).



مركز تحقيقات كليات علوم ودراسات إسلامية

(١) السجستاني (المعمرون والوصايا) ص ١٠٨، مختصر تاريخ دمشق ٥ / ٣٢، ٣١.

عبد شمس

أمية (عبد رومي من تجارة الرقيق) (١)

أبو عمرو (ذكوان) كان عبداً لأمية (٢)

حرب، أبو حرب سفيان، أبو سفيان، عمرو

أبو سفيان (٣)

أبو مغيط

العاص

أبو العاص

الميص

أبو الميص

عتبة (يهودي) (٤)

سعيد بن العاص

أبو آل عفان

أبو آل خالد

معاوية

(أبو أحيحة)

وآل مروان

وعتاب بن أسيد

- (١) البحار ٣٩ / ٥٤٣، الزام النخشب ١٠٤ - ١٠٥، شرح النجاشي ١٥ / ١٩٨، ٢٩٥، قال سفيان مولى الرسول ﷺ أم أمة الزرقاء، وكانت في العباخلية من صواحب الزيات، الروض الأثف ٥ / ١٨٦، الأمثال، الاصبهاني.
- (٢) شرح النجاشي ٣ / ٤٦٦، حاشية وأمية، القصور المهمة شرف الدين ص ٢٧٠، النزاع والتخاصم ص ٢٢، الروض الأثف ٥ / ١٨٥.
- (٣) من أصل غير عربي، المعارف، ابن قتيبة ٥٨٦، أمثال، هشام بن الكلبي ص ٦٣.
- (٤) مروج الذهب ٢ / ٣٦، السيرة الحلبية ٢ / ١٨٦، أمثال، هشام بن الكلبي ص ٦٣.

تعظيم صورة الكفرة والطلاق

حاول الحزب القرشي زعزعة الثقة برسول الله ﷺ وأهل بيته وصحبه الاخير بكل الوسائل المتاحة، فوصموا رسول الله ﷺ بأشوه صورهم حسداً وحقداً منهم على الإسلام والمسلمين وشتموا سواعدهم لتحجيم شخصية أبي طالب زعيم بني هاشم وقريش الذي ورث قيادة مكة من أبيه وجده وبما وهبه الله تعالى من امكانات فذة.

ويذكر أن قيادة مكة كانت له دون منازع والفرق بينه وبين المنافسين له شاسع ولما أسلم أبو طالب ودافع عن رسول الله ﷺ والمسلمين حاولوا القضاء عليهم اجمعين^(١). ثم تعرّض رسول الله وأبو طالب لأبشع هجمة من قبل الأمويين حتى بلغ بهم الأمر أن وصموا أبا طالب بالكفر ووصفوا أبا سفيان وصفوان بن أمية بالإسلام^(٢).

وتجاهلوا توضيحات أبي طالب العظيمة للإسلام وموته في سبيل الله تعالى وسار على خطهم الكتاب والمحدثون المغرضون وأشاعوا كل الاكاذيب اللااخلاقية.

وكان عمر بن الخطاب قد هباً الاجواء للمجيبين بمعاوية إلى سدة الزعامة عندما عيّنه والياً عاماً على الشام، وعيّن أبا موسى الاشعري على البصرة، والمغيرة بن شعبة على الكوفة، وعمر بن العاص على أفريقيا، وأبا هريرة والياً على البحرين^(٣). وعبد الله بن أبي ربيعة على اليمن والوليد بن عقبة على الجزيرة^(٤) واغلبهم حاربوا الإسلام وتراثه في مكة والمدينة في زمن حياة رسول الله ﷺ ومماته واوجدوا هذه الفتن العظيمة التي ما زلنا نعاني منها من لا عدالة اجتماعية ومالية وأنقسامات طائفية وقومية وفوضى سياسية^(٥).

وتلك المجموعة هي التي أرادت قتل رسول الله ﷺ في مكة وفي المدينة وفي أثناء حملة تبوك^(٦).

(١) شرح النهج ١٣ / ٢٥٦، ١٤ / ٦٤، البداية والنهاية ٣ / ٨٤.

(٢) البداية والنهاية ٢ / ٣٤٢.

(٣) التي كانت تشمل القسم الشرقي من شبه جزيرة العرب.

(٤) الأرض المحصورة بين نهري دجلة وفرات.

(٥) راجع كتاب نظريات الخلفيتين للمؤلف.

(٦) المحلى، ابن حزم ١١ / ٢٢٥.

والسؤال هو لماذا جاء عمر بهذه المجموعة الماكرة إلى سدة الحكم في حياته وأوصى إليهم بعد مماته، وفي هؤلاء سفراء قریش إلى الحبشة وقادة الكفار في معركة بدر وفيهم أبو هريرة الذي وصمه عمر بالسرقة والكذب على رسول الله ﷺ^(١)، وترك أصحاب بيعة العقبة والثابتين في معركتي بدر وأحد؟!.

إن هذه العصاة القرشية أصبحت حاکمة على سياسة وتراث الأمة بعد اغتيال أبي بكر، وعظم دورها بوصول الأمويين إلى السلطة في زمن عثمان ومعاوية وسائر الأسرة الأموية. فحاول الحزب القرشي ووليد الحزب الأموي تعظيم شخصية الكفرة الذين ماتوا على الكفر والآخرين الذين ماتوا على النفاق.

ولما أجبر بعض رجال العرب جوارهم على الزنا فقد انتشر الفساد ورفعت رايات الفحش لحمامة جدة معاوية وأم عمرو بن العاص وأم طلحة بن عبد الله وأم الضحاک بن قيس. وأستمرت بعض الزانيات في عملها في الإسلام ومنهن فريضة بنت همام أم الحجاج بن يوسف الثقفي وهي التي قالت شعراً خليعاً:

يا ليت شعري عن نفسي أزاهاقه مني ولم أقضي ما فيها من الحاج
ألا سبيل إلى خمر فأشربها أم سبيل إلى نصر بن حجاج
إلى فتى ماجد الأخلاق ذي كرم سهل المحيّا كريم غير فجفاج.

وكان نصر بن حجاج شاباً جميلاً فضربها عمر بالدرة ضربات^(٢)

وحاول معاوية بن أبي سفيان تعظيم صورة اشخاص من قبائل العرب مقابل رجالات بني هاشم. ومن هؤلاء الرجال عبد الله بن جدعان.

وقد وصفه السهيلي قائلاً: كان ابن جدعان في بدء أمره صعلوكاً تربّ اليدين، وكان مع ذلك شريراً فاتكأ لا يزال يجني الجنايات، فَيُعْقِل عنه أبوه وقومه، حتى ابغضته عشيرته، ونفاه أبوه وحلف ألا يؤويه أبداً لما أثقله به من الغرم وحمله من الديات^(٣).

(١) البداية والنهاية ٨ / ١١٦ - ١١٧.

(٢) الروض الأنف ٢ / ٣٠٥، ٣٠٦.

(٣) الروض الأنف، السهيلي ٢ / ٧٨، ٧٩.

فوضعوا له رواية مزيفة مفادها مناداته من قبل ثعبان مصنوع من ذهب وعيناه ياقوتتان، فشاهد وسط بيت كوماً عظيماً من الياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة والزبرجد في وسط جبل! (١).

بينما ذكر هشام ابن الكلبي حقيقة عمله كسمسار للبغايا، والمتمثل في ملكية مجموعة من الإماء فيعرضهن على الرجال لبيع الأطفال من آبائهم أو الغرباء! (٢). فكانت أمواله من أجور الزنا!

وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ (٣)

وكان طغاة قريش يفعلون ذلك لكسب الأموال!!

وحاول القصاصون تعظيم عبدالله بن جدعان ففشلوا! وأين ابن جدعان من هاشم وعبدالمطلب وأبي طالب هؤلاء الذين نذروا أنفسهم لخدمة الإسلام وخاتم الأنبياء وعموم الناس.

وابن جدعان كان يملك صهيياً فادّعى القصاصون زيفاً ملكية أبي بكر له! فكان صهيب ابن هذه المؤسسة ومات ابن جدعان كافراً.

وكانت مهنته اقذر مهنة في مكة ألا وهي شراء الإماء وعرضهن على الرجال ومن ثم بيع الأطفال إلى الناس (٤) أي مشروع زنا جماعي.

وهو مشروع جاهلي ابطله الإسلام، فداره اقبح منزل لا أخلاقي في بلاد العرب. ولكن الحزب القرشي حاول تعظيم ابن جدعان كشخصية راقية زيفاً ودجلاً فجعل بيته مقراً لأنعقاد حلف الفضول! (٥). لتشويه حلف الفضول.

وبعدما صنعوا كل ذلك الزيف للتستر على مهنة ابن جدعان في السمسرة بالنساء الممنوعة شرعياً والمرفوضة أخلاقياً تقدموا أكثر لأهانة رسول الله ﷺ فقالوا بأن رسول

(١) الروض الأنف السهيلي ٨٠/٢.

(٢) المثالب، هشام ابن الكلبي ص ٧٠.

(٣) النور ٣٣.

(٤) مختصر تاريخ دمشق ٥ / ٢٥٤، المعارف ٥٧٦.

(٥) سيرة ابن هشام ٨٧ / ١.

الله ﷺ كان يستظل بجفنة (طعام) عبدالله بن جدعان^(١).
وان ابن جدعان من كثرة كرمه منعه قومه من العطاء! فأخذ يضرب الناس كذباً حتى
يعطوهم ديّاتهم من ماله^(٢).
وكان أبو قحافة من عبيد عبد الله بن جدعان ينادي على طعامه وعاملاً من عماله في
مشروعه الجاهلي السيئ الصيت لذلك قال الشاعر:
كفينا بني تيم بن مرة ما جنت وما التيم إلا أعبد وإماء^(٣).
وقالوا في حق ابن جدعان من الشعر:
له داع بمكة مشمعل وآخر فوق دارته ينادي
فالمشمعل هو سفيان بن عبد الأسد والآخر هو أبو قحافة والاثنان من عبيد عبد الله بن
جدعان. وقال هشام بن الكلبي: كانت أم سفيان بن عبد الأسد أمة لابن جدعان^(٤) وله
مئة مملوك آخر^(٥) لذلك قال سعد بن عبادة لابي بكر:
ليس عندك حسب كريم^(٦).
وقال عمر لابي بكر نفس العبارة بشكل آخر: والهاء على ضئيل بني تيم^(٧).
وقال أبو سفيان عن تيم بأنها أذل قبيلة في قريش^(٨).
وحاول الحزب القرشي تعظيم شخصية صفوان بن أمية الذي حارب رسول الله ﷺ في
مكة والمدينة وأرسل شخصاً لقتله في المدينة فنجاه الله تعالى فاعترف عمير بن وهب
الجمحي بذلك وأسلم^(٩) إلى أن أجبر على دخول الإسلام في فتح مكة.

(١) تاريخ الخميس ١ / ٢٥٦.

(٢) الروض الأنف ٢ / ٨١.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ٩ / ٣٠٥، التعازي والمراثي للمبرد بتحقيق محمد الديباجي ٢٥٧، تاريخ ابن الاثير ٣ /

٢٥٢، تاريخ الطبري ٣ / ٥٣١.

(٤) المثالب، هشام بن الكلبي ١٣٩، معجم البلدان، الحموي ٢ / ٢٤٢، ٥ / ١٨٥، السيرة النبوية، ابن كثير ١ / ١١٧.

(٥) المعارف ٥٧٦ طبعة دار الكتب ١٩٦٠، مختصر تاريخ دمشق ٥ / ٢٥٤.

(٦) البحار ٢٩ / ١٦٧.

(٧) شرح النهج ٢ / ٣١ - ٣٤.

(٨) أنساب الاشراف ١ / ٥٨٨.

(٩) سيرة ابن هشام ٢ / ٣١٦ - ٣١٩، التبيان في تفسير القرآن ٣ / ٤٦٣، حلية الإبرار، البحراني ١ / ١١٣.

وسعى الحزب الأموي لإعلاء شأن الوليد بن المغيرة المخزومي فاليه نسبوا قضية هدم وبناء الكعبة لأنه من أعمدة الحزب الكافر المحارب لله ورسوله الذي قال فيه الباري عز وجل: ﴿إنا كفييناك المستهزئين﴾^(١)

ومجدد الحزب القرشي أبا لهب الذي نزلت في حقه سورة المسد مدعين اشارته ببناء الكعبة من المال الحلال الذي ليس فيه مهر بغي، ولا مال ربا ولا ظلم ولا سرقة!^(٢) في حين كان أبو لهب هو الذي سرق مال الكعبة!^(٣) وحارب الإسلام بكل إمكاناته وقدراته، واشترك في محاولة قتل رسول الله ﷺ^(٤).

وأنطلق كفرة قريش وبني أمية لتنزيه صورة حكيم بن حزام فأدعوا أن ولادته في الكعبة الشريفة^(٥) في حين لم يوفق الله تعالى شخصاً للولادة في بيته المحرام سوى علي بن أبي طالب^(٦) والذي دفعهم لذلك موبقات هذا الرجل الكثيرة قبل الإسلام في محاربه للرسول ﷺ وهزيمته بالمسلمين في حنين بعد أسلامه السوري في فتح مكة، ودفاعه المستميت عن بني أمية في ملوكيتهم.

ومشاركته مع أبيه في حرب الفجار، واحتكاره المال بعد فتح مكة، وامتناعه من مبايعة أمير المؤمنين علي عليه السلام بعد بيعته وغيرها من المثالب^(٧).

وحاول معاوية تمجيد حرب بن أمية فروى له جنوده بانه أول من أدخل الكتابة إلى مكة^(٨). بينما كان النبي إسماعيل عليه السلام هو أول من أدخل الكتابة إلى مكة^(٩).

(١) الحجر ٩٥.

(٢) الروض الأنف ٢ / ٢٧٩.

(٣) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٤٤.

(٤) طبقات ابن سعد ١ / ٢٢٧، ٢٢٨.

(٥) قاموس الرجال ٣ / ٣٨٧.

(٦) نور الإبصار ٧٦، الفصول المهمة، ابن الصباغ ٢٩.

(٧) قاموس الرجال ٣ / ٣٨٧، شرح النهج ٢٠ / ١٤٧، مروج الذهب ٣٠ / ٨٦، طبقات ابن سعد ٤ / ١١.

(٨) تاريخ القرآن الكريم، محمد طاهر الكردي ١٣٢.

(٩) السيرة الحلبية ١ / ١١٨.

وكذبوا في ادعائهم اطعام حرب للحجيج في حين كان يستحوذ على اموال الغرباء
 وشارك في سرقة مال الكعبة^(١).
 وحاولوا تنزيهه عن المشاركة في حرب الفجار في حين كان حرب بن أمية قائدها^(٢).



مركز تحقيقات كليات علوم إسلامي

(١) تاريخ ابن الأثير ١٥ / ٢، تاريخ ابن الوردي ٩٢ / ١.

(٢) تاريخ يعقوبي ١٥ / ٢، تاريخ الخميس ٢٥٥ / ١، شواهد التنزيل، الحسكاني ١٧٣ / ٢، السيرة الحلبية ١ / ١.

١٢٧، الدر المنثور ٨٤ / ٤.



مرکز تحقیقات و پژوهش در علوم اسلامی

باب

ما قبل المبعث النبوي



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

التجارة مع خديجة

وعمل رسول الله ﷺ في تجارة خديجة مضاربة منها المال ومنه العمل، قال ابن إسحاق: وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال على ما لها مضاربة^(١)، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج لها في مال تاجراً إلى الشام، وتعطيه أفضل ما تعطي غيره من التجار مع غلام لها يقال له ميسرة، فقبل رسول الله ﷺ^(٢). إذن عمل النبي ﷺ معها شريكاً وليس أجيراً.

وقال اليعقوبي: لم يعمل ﷺ أجيراً لأحد قط^(٣).

وكان الرسول ﷺ أشرف نسباً وأرفع منزلة من سائر الناس، فهو ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وأجداده زعماء مكة وساداتها، وعليه تكون خديجة في حاجة للعمل مع رجل مثل النبي محمد ﷺ كي لا تضيع أموالها أولاً ولتربح ثانياً. وكان رجال قريش يحسدون الرسول ﷺ على جميع خصاله الحميدة، وما وهبه الله تعالى من نسب ومنزلة فلقبيلته الحكومة والرفادة والسقاية.

واستبعد توسط أبي طالب عند خديجة لتعمل مع رسول الله ﷺ، فسيد البطحاء وابن

(١) دلائل النبوة، الاصحاح ١٧٨.

(٢) البداية والنهاية ٣٥٨/٢، كشف الغمة ١٣٤/٢، البحار ٩/١٦.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢١/٢.

هاشم أرفع مكانةً وأعلى شأنًا من ذلك، بل هي التي طلبت ذلك كما جاء في الرواية الصحيحة وبعد عودتهما من الشام دُهِشت خديجة من كثرة أرباح تجارتها أولاً وتعجبت من حكايات سفرهما (الرسول ﷺ وميسرة) ثانياً. فقد قصَّ لها غلامها ميسرة حديث بحيرى الراهب، وكرامات رسول الله في الطريق. ووضَّح لها ما شاهده من أخلاقه الباهرة، وآدابه الرفيعة فالت إليه خديجة في الزواج^(١).

وكانت خديجة قد سمعت بمعجزة أصحاب الفيل السماوية وبشارة ورقة بن نوفل برسول الله ﷺ وسمعت قول اليهودي لها ولصواحبها في مكة:

إذ جاء يهودي إلى نساء قريش في المسجد فقال: يا معشر قريش إنَّه يوشك فيكن نبي قرب ظهوره، فأيتكن استطاعت أن تكون فراشاً له فلتفعلن، فحصبته النساء وقببحنه وأغلظن له، وأصغت خديجة لقوله، ووقع ذلك في نفسها، فلما أخبرها ميسرة بما رآه من الآيات، وما رأته هي، وما قاله لها ورقة لما حدثته بما حدثها به ميسرة، قالت: إن كان ما قاله اليهودي حقاً ما ذاك إلا هذا^(٢).

مركز تحقيقات مكتبة التراث الإسلامي

الزواج من خديجة

كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي معروفة في مكة بالعفة والجمال والغنى والعقل والحكمة، فسميت بسيدة قريش والطاهرة^(٣).

والمرأة التي تمتلك هذه الصفات يسعى الرجال للزواج منها لكنها رفضت كل الخاطبين لها، ثم تقدمت إلى النبي محمد ﷺ ليخطبها. فكلمت هالة أخت خديجة عمار بن ياسر، الذي أخبر بدوره رسول الله ﷺ بخطبة خديجة له^(٤).

(١) البداية والنهاية ٣٥٨/٢.

(٢) السيرة الحلبية ١٤٠/١.

(٣) تاريخ الاسلام، الذهبي ١٥٢/٢، الاستيعاب ٢٧٩/٤، سير اعلام النبلاء ١١١/٢، الروض الأنف ٢١٥/١، الإصابة ٢٨١/٤، ٢٨٢، البداية والنهاية ٢٩٤/٢، تاريخ الخميس ٢٦٤/١ الطبقات ١٣١/١.

(٤) تاريخ الخميس ٢٦٣/١، السيرة الحلبية ١٣٧/١، البداية والنهاية ٢٩٤/٢، السيرة النبوية ابن هشام ٢٠١/١، الطبقات ١٣١/١.

فذهب أبو طالب خاتماً لرسول الله ﷺ^(١) إلى عمها عمرو بن أسد اثر مقتل أبيها في حرب الفجار^(٢).

وكانت خديجة قد ردت الخاطبين القرشيين وغيرهم لها، وعلى رأسهم أبو سفيان، وأبو جهل، وعقبة بن أبي معيط^(٣).

فتمت الموافقة، وحصل الزواج بينهما^(٤). فحسدت نساء قريش خديجة لزوجها بأفضل وأكمل وأشرف الناس محمد بن عبد الله ﷺ.

وحسد الطغاة رسول الله ﷺ لزوجته بسيدة نساء قريش المسماة بالطاهرة المرأة الشريفة الغنية العفيفة.

ومن صور حسد طغاة قريش لرسول الله ﷺ، تصويرهم مبعثه ببطولة ورقة بن نوفل، بمجيء خديجة بزوجه إلى ورقة بن نوفل خائفاً متردداً حائراً! فأخبره ورقة بن نوفل بان ذلك الناموس الأكبر الذي نزل على عيسى عليه السلام!

والحقيقة أن النبي ﷺ كان عارفاً بنبوته منذ طفولته شأنه شأن عيسى عليه السلام الذي قال في مهده: ﴿آتاني الكتاب وجعلني نبياً﴾^(٥).

وكان النبي ﷺ يعبد الله تعالى في غار حراء انتظاراً لنزول القرآن الكريم، ومن المضحك ادعاء معرفة الكهان والرهبان والملوك بنبوته محمد ﷺ ولا يعرف هو بذلك! ومن المفيد جداً ذكر خطبة الزواج التي قالها أبو طالب لمعرفة إيمان بني هاشم بالتوحيد والنبوة قبل البعثة وجاء فيها:

«الحمد لرب هذا البيت، الذي جعلنا من زرع إبراهيم وذرية إسماعيل وأنزلنا حرماً آمناً، وجعلنا المحكام على الناس، وبارك لنا في بلدنا الذي نحن فيه. ثم إن ابن أخي هذا - يعني رسول الله ﷺ - ممن لا يوزن برجل من قريش إلا رجح به، ولا يقاس به رجل

(١) السيرة الحلبية ١/١٣٨.

(٢) سيرة ابن هشام ١/٢٠١، السيرة الحلبية ١/١٣٨، البحار ١٦/١٢، البداية والنهاية ٢/٢٩٦.

(٣) البحار ١٦/٢٢.

(٤) عيون الأثر ١/٧١، البدء والتاريخ ٢/٤٨.

(٥) مريم ٣٠.

إلا عظم عنه، ولا عدل له في الخلق، وإن كان مقللاً في المال، فإن المال رفق جار، وظل زائل، وله في خديجة رغبة.

وقد جئناك لنخطبها إليك برضاها وأمرها، والمهر عليّ في مالي الذي سألتموه عاجله وآجله. وله - وربّ هذا البيت - حظ عظيم ودين شائع ورأي كامل^(١).

وهي تدل على سمو مرتبة الرسول ﷺ على خديجة من الناحية الشخصية، والقبلية، والنسبية، والدينية.

ولم يكن النبي ﷺ فقيراً في وقتها لأنه عاد من سفرته التجارية من الشام رابحاً، ومما يؤكد ذلك ما جاء في رواية أنه ﷺ أمهرها عشرين بكرة^(٢).

وأنا أميل إلى هذه الرواية الموافقة لما جاء في القرآن الكريم من كون المهر على الرجال دون النساء في قوله تعالى:

﴿... وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً...﴾^(٣)

وقال شعيب رضي الله عنه في قضية مهر ابنته التي تزوجها موسى عليه السلام:

﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَي هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ، وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ...﴾^(٤)

وفي الرواية أمهرها النبي ﷺ خمسمائة درهم^(٥) لذا قال العلامة الحلي: من تزوج على كتاب الله وسنة نبيه ولم يسم مهراً فمهرها خمسمائة درهم^(٦) وهو مهر السنة.

وقالوا: «إنَّ خديجة قد ردت بلطف مهر زواجها الذي دفعه أبو طالب ودفعته هي من مالها. فقال رجال: يا عجباً المهر على النساء للرجال!!»

(١) السيرة الحلبية ١/١٣٩، تاريخ الخميس ١/٢٦٤، السيرة النبوية لدحلان ١/٥٥، البحار ١٦/١٤، المناقب ٤٢/١، المواهب اللدنية ١/٣٩.

(٢) السيرة النبوية، ابن كثير ١/٢٦٣، تاريخ الخميس ١/٢٦٥، السيرة النبوية، ابن هشام ١/٢٠١، الاوائل، العسكري ١/١٦١.

(٣) النساء ٢٠.

(٤) القصص ٢٧.

(٥) البحار ٢٢/١٩٨، ٢٠٥.

(٦) قواعد الإسلام ٣/٧٣.

فغضب أبو طالب وقال: إذا كان مثل ابن أخي هذا طلبت الرجال بأغلى الأثمان، واعظم المهر، وإن كانوا أمثالكم لا يزوجوا إلا بالمهر الغالي» وهو غير صحيح.

وبالرغم من كون الفقر لا عيب فيه، وإن النبي ﷺ قد امتلأت يديه اثر عودته من تجارة الشام، وأصبح عمره خمساً وعشرين سنة، إلا أن دولة الامويين افترت في وصف ذلك الزواج (حسداً منها) بزواج أيم قريش من يتيم قريش! ^(١) بيننا لفظ اليتيم لا يطلق على البالغ في السن.

وكان أبو طالب صائباً في رد أمثال هذه الترهات في قوله الحمد لله الذي جعلنا المحكام على الناس. إذ ورثوا الحكومة والسقاية والرفادة من زمن عبدمناف، وهاشم وعبدالمطلب. وهذه المكانة الاعتبارية تجعلهم فوق المال وفوق باقي الناس.

وصرحت عائشة قائلة: ما غرت على أحدٍ مثل ما غرت على خديجة ^(٢)، فأخذت بانتقاصها مراراً أمام النبي ﷺ، ولا يزداد النبي ﷺ من ذلك إلا حباً وكرامة لها، ^(٣) وكرهاً لمنافساتها.

وجاء في الحديث الصحيح «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع آسية زوجة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد» ^(٤).

ولما قالت له عائشة: ما تذكر من عجوز حمراء الشدقين هلكت في الدهر قد أبدلك الله خيراً منها.

قال رسول الله ﷺ: ما أبدلني الله خيراً منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقني إذ كذبنى الناس، وواسني بماها إذ حرمني الناس، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء ^(٥).

وخالف ابن كثير رسول الله ﷺ في تفضيله خديجة على سائر نسائه وتبعه آخرون،

(١) السيرة الحلبية ١/١٣٨، الاوائل، العسكري ١/١٦٠، ١٦١، مسند أحمد ١/٣١٢.

(٢) الروض الأنف، السهيلي ٢/٤٢٤.

(٣) البداية والنهاية ٣/١٥٨ - ١٦٠، الروض الأنف، السهيلي ٢/٤٢٤.

(٤) تاريخ ابن الوردي ١/٩٩.

(٥) البداية والنهاية ٣/١٥٨.

واصفاً منهم قائلاً: تحملهم قوة التسنن على تفضيل عائشة لكونها ابنة الصديق! ^(١)
وماتت خديجة وعمرها قريب من خمسين سنة ^(٢). بعد حصار شعب أبي طالب.
لقد حاول رواة بني أمية، والكتاب السائرون على نهجهم الخط من كرامة ومكانة
رسول الله ﷺ في رضاعه وعمله وزواجه وغير ذلك، فذكروا امتناع حليلة وسائر
المرضعات عن رضاعه ليتمه وفقره!

وفي زواجه من خديجة أحدثوا نفس النهج بافترائهم سقي خديجة الخمر لعمها عمرو بن
أسد ليوافق على زواجها من رسول الله ﷺ ثم غضب عمها من ذلك، ثم امضائه
لزواجها ^(٣). بينما قال ابن اسحاق بأن أخاها عمرو بن خويلد هو الذي أنكحها منه ﷺ ^(٤).
فالقرشيون ارادوا إهانة وقتل النبي ﷺ وخديجة معاً لذلك منعوا عنها وعن سائر بني
هاشم الطعام مدة ثلاث سنين!

ولم يتزوج رسول الله ﷺ خديجة لماها، بل لكماها فقد بقي على حبه لها إلى ما بعد
وفاتها مما أثار حفيظة وحسد بعض زوجاته. في حين تنى رسول الله ﷺ وفاة عائشة
السريع في حياته ^(٥)

وثانياً إن خديجة هي التي طلبت يد رسول الله ﷺ فأقدم على خطبتها وليس
العكس ^(٦).

كانت خديجة عذراء

جاء في الرواية الصحيحة ان مريم بنت عمران وآسية زوجة فرعون وكلثم اخت
موسى ﷺ سيكونن زوجات النبي ﷺ في الجنة وقد حمى الله تعالى هؤلاء النسوة عن أن

(١) البداية والنهاية ١٥٩/٣.

(٢) البداية والنهاية ٣٥٩/٢.

(٣) السيرة الحلية ١٣٧/١ - ١٤١.

(٤) الروض الأنف ٢ / ٢٤٢.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الإسلام ٩ / ١٩٠.

(٦) السيرة الحلية ١٣٧/١، سيرة ابن هشام ٢٠٠/١، ٢٠١، البداية والنهاية ٢٩٤/٢، تاريخ الخميس ٢٩٤/١.

يطأ هنَّ أحد^(١) اي كنَّ باكرات.

وأيد الكثير من العلماء كون خديجة امرأةً باكرًا عند زواجها من رسول الله ﷺ، وأنكروا زواجها من اثنين قبله ﷺ:

قال أبو القاسم الكوفي: «إنَّ الإجماع من الخاص والعام من أهل الآثار ونقله الأخبار على أنه لم يبق من أشرف قريش ومن ساداتهم وذوي النجدة منهم إلَّا من خطب خديجة، ورام تزويجها، فامتنعت على جميعهم من ذلك.

فلما تزوجها رسول الله ﷺ غَضِبَ عليها نساء قريش وهجرنها وقلن لها: خطبك أشرف قريش وأمرأؤهم فلم تزوجي أحداً منهم وتزوجت محمداً يتيماً أبي طالب، فقيراً لا مال له.

فكيف يجوز في نظر أهل الفهم أن تكون خديجة يتزوجها أعرابي من تيم، وتمتنع من سادات قريش، وأشرفها على ما وصفناه! ألا يعلم ذوو التمييز والنظر: أنه من أبين المحال، وأفظع المقال!«^(٢)

ولا يوجد ضعة في شخصية خديجة لو كانت قد تزوجت رجلاً قبل رسول الله ﷺ وولدت منه زينب ورقية كما يقولون، فلقد تزوج النبي ﷺ لاحقاً بنساء ثيبات مثل أم سلمة وحفصة وزينب.

ولم يتزوج عليها رسول الله ﷺ حتى ماتت احتراماً لمكانتها العظيمة، وكانت خديجة عند زواجها من رسول الله ﷺ بنتاً بكرًا غير ثيب وأجمل نسائه ﷺ^(٣). فقد قال البلاذري إنها تزوجت الرسول ﷺ وكانت عذراء، وكانت رقية وزينب ابنتي هالة أخت خديجة^(٤).

وقال الاصبهاني: كانت خديجة امرأةً باكرًا^(٥).

(١) السيرة الحلبية ٦٥/١.

(٢) الإستغاثة، الكوفي ٧٠/١، مناقب آل أبي طالب ١٥٩/١.

(٣) وقد أكد ذلك المرتضى في الشافي والبلاذري وأبو القاسم الكوفي.

(٤) مناقب آل أبي طالب ١٥٩/١.

(٥) دلائل النبوة، الاصبهاني، ١٧٨ ط. دار طيبة - الرياض.

وإذا كانت خديجة قد ردت خطبة أبي جهل، وأبي سفيان، وعقبة بن أبي معيط فكيف تزوجت برجلين نكرتين هما عتيق بن عائد بن عبدالله المخزومي، وأبي هالة التميمي^(١). وفي كتاب الإستغانة رد أبو القاسم الكوفي قضية زواجها من عتيق وأبي هالة^(٢). والحقيقة تتمثل في زواج الرجل المخزومي من هالة أخت خديجة فولدت له زينب ورقية، فمات المخزومي عنها وضمتهما خديجة إليها، ثم ماتت هالة. فأصبحت زينب ورقية ربائب رسول الله ﷺ^(٣).

وهذه عادة معروفة عند العرب قبل الإسلام في قضية الريب والحليف إذ سمي زيد بن حارثة بزيد بن محمد ﷺ، وسمي المقداد بن عمرو بالمقداد بن الأسود، والأسود حليفه! إن إصرار الأمويين على اختراع رابطة زواج عثمان الأموي ببنت رسول الله ﷺ أوجد كل هذا الخلط والتشويش في قضية بنات هالة. وهناك قضية أخرى لها تأثير في الموضوع تتمثل في رغبتهم في جعل عائشة الزوجة الباكر الوحيدة لرسول الله، والمقربة الأولى له ﷺ. وقالوا بعدم دخول خديجة قصور الجنة ودخولها بيتاً من قصب! إذ جاءوا برواية مرسلّة أنّه بشرها ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب^(٤). أي بيت من قصب لا أثاث فيه ولا زينة؟! وهل يوجد في الجنة بيت من قصب؟! وكيف يكون هذا جزاؤها على ما بذلته من أموال وجهود ومشاق في سبيل الله تعالى. ويبطل عجبنا إذا علمنا أنّ قريشاً قد فعلت أقبح من ذلك مع ابنتها الوحيدة فاطمة رضي الله عنها ومع زوجها أمير المؤمنين علي رضي الله عنه.

(١) الأوائل ١/١٥٩، قاموس الرجال ١٠/٤٣١، السيرة الحلبية ١/١٤٠، أسد الغابة ٥/١٣١٢، ٧١.

(٢) الإستغانة ١/٧٠.

(٣) الإستغانة، الكوفي ١/٦٨ - ٦٩.

(٤) رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجال أحمد هم رجال البخاري ومسلم غير ابن اسحاق الروض الأنف، السهيلي

سن رسول الله ﷺ وخديجة عند الزواج

تزوج رسول الله ﷺ وعمره ٢٥ سنة^(١). وحمة أكبر منه ﷺ سنًا بأربع سنين والعباس أكبر منه ﷺ سنًا بثلاث سنين^(٢).
وتزوج رسول الله ﷺ خديجة وعمرها ٢٥ سنة^(٣). لطهارتها وعفتها ونسبها وكمال عقلها^(٤).

(١) وقد أيد ذلك محمد بن اسحاق وابن هشام والواقدي والبلخي وابن عساكر والحلي، السيرة الحلبية ١/١٣٩، مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر ٢/٢٧٥، البدء والتاريخ ٢/٤٨.

وقال الزهري: عمره إحدى وعشرون سنة، عيون الأثر ١/٦٩، تاريخ الخميس ١/٢٦٤ مجمع الزوائد ٩/٢١٩، المواهب اللدنية ١/٣٨، ٢٠٢.

وقال أبو بكرة بن عثمان: ثلاثون سنة، عيون الأثر ١/٦٩، الروض الأنف، سيرة مغلطاي ١٢، مختصر تاريخ دمشق ٢/٢٧٥.

وجاء تزوج ﷺ وعمره خمس وثلاثون سنة، الأوائل ١/١٦١.

وتزوج ﷺ وعمره سبع وثلاثون سنة، سيرة مغلطاي، مجمع الزوائد، ٩/٢١٩ الأوائل ١/١٦١.

(٢) الروض الأنف ١/١٧٦، السيرة الحلبية ١/٣٦، شرح بهجة المحافل ١/٣٥.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير ٢/٢٩٤، ٢٩٥، السيرة الحلبية ١/٨٤٠، دلائل النبوة، البيهقي طبع دار الكتب العلمية ٢/٧١، محمد رسول الله سيرته وأثره في الحضارة ٤٥.

وقد اختلفوا في سنّها حين زواجها:

١ - ٢٥ سنة.

٢ - ٢٨ سنة، أنساب الأشراف ٩٨، سيرة أعلام النبلاء ٢/١١١، مختصر تاريخ دمشق ٢/٢٧٥ شذرات الذهب

١/١٤، تهذيب تاريخ دمشق ١/٣٠٣، البحار ١٦/١٢، بهجة المحافل ١/٤٨، المستدرک، الحاكم ٣/١٨٢، سيرة

مغلطاي ١٢، المعبر ٧٩، تاريخ الخميس ١/٢٦٤ تهذيب الأسماء ٢/٣٤٢، السيرة الحلبية ١/١٤٠.

٣ - ٣٠ سنة، تاريخ الخميس ١/٢٦٤، تهذيب تاريخ دمشق ١/٣٠٣، السيرة الحلبية ١/١٤٠ سيرة مغلطاي ٢٣.

٤ - ٣٥ سنة، السيرة النبوية، ابن كثير ١/٢٦٥، السيرة الحلبية ١/١٤٠، البداية والنهاية ١/٢٩٥.

٥ - ٤٠ سنة أنساب الأشراف ٩٨، المعبر ٤٩، سيرة مغلطاي ١٢، المواهب اللدنية ١/٣٨، ٢٠٢ شذرات الذهب

١/١٤، أسد الغابة ٧/٨٠، تاريخ الإسلام، الذهبي ٢/١٥٢، تهذيب الأسماء ٢/٣٤٢، الطبقات ١/١٣٢، السيرة

النبوية، دحلان ١/٥٥، البحار ١٦/١٢، ١٩ السيرة الحلبية ١/١٤٠.

٦ - ٤٤ سنة، تهذيب تاريخ دمشق ١/٣٠٣.

٧ - ٤٥ سنة تهذيب الأسماء ٢/٣٤٢، تاريخ الخميس ١/٣٠١، مختصر تاريخ دمشق ٢/٢٧٥ السيرة الحلبية

١/١٤٠، سيرة مغلطاي ١٢.

٨ - ٤٦ سنة، أنساب الأشراف ٩٨.

(٤) الإصابة ٤/٢٨١، الروض الأنف ١/٢١٥، البداية والنهاية ٢/٢٩٤، الثقات ١/٤٩.

أي أن خديجة ماتت وعمرها خمسون سنة، قضت منه خمساً وعشرين سنة مع رسول الله ﷺ؛ خمس عشرة سنة قبل البعثة وعشر سنوات بعد البعثة.

هالة بنت خويلد

هالة أخت خديجة بنت خويلد تزوجت في الجاهلية عتيق بن عائذ بن عبد الله المخزومي، فولدت له زينب ورقية، ثم مات عتيق وهالة.

فبقيت زينب ورقية في حضن خالتها خديجة، فأصبحتا ربييتي رسول الله ﷺ بزواجه من خديجة^(١). وكان أبوها خويلد بن أسد قد قُتل في حرب الفجار^(٢).

المخزومي والتميمي رجل واحد أم اثنان؟

هناك أدلة تثبت أن المخزومي والتميمي رجل واحد وليس اثنان منها:

جاء أن هالة بنت هالة بنت خويلد من زوجها عتيق المخزومي فتكون كنية المخزومي أبا هالة في حين نجد أن التيمي يكنى أبا هالة! فكنتيتها واحدة.

ولم يتفقوا على زوجها الأول هل هو المخزومي أم التيمي؟^(٣)

وقالوا في اسم وكنية أبي هالة التيمي هند وأبي هند، وجاء عن ابن عتيق اسمه هند وهو أبو هند، فالإثنان كنيتهما أبو هند أيضاً^(٤).

وهند ابن المخزومي^(٥).

وجاء أن الرجلين ماتا في ظروف غامضة.

(١) الإستغاثة، الكوفي ٦٨/١، ٦٩، مناقب آل أبي طالب ١/١٥٩، وقد أخذ عنه المجلسي في البحار والمقاماني وذكره البلاذري، البحار ٢٢/١٥٢.

(٢) سيرة ابن هشام ١/٢٠١، السيرة الحلبية ١/١٣٨، البحار ١٦/١٢، البداية والنهاية ٢/٩٢٦.

(٣) الأوتل، العسكري ١/١٥٩.

(٤) سيرة متلطاي ١٢.

(٥) نسب قريش، مصعب الزبيري ٢٢، قاموس الرجال ١٠/٤٣١، الإصابة ٣/٦١١، أسد الغابة ٥/١٢، ١٣، ٧١.

والصحيح أنه رجل واحد مات قبل زوجته هالة^(١).

لقد سعى أولاد وحفدة الزبير بن العوام (عروة بن الزبير ومصعب الزبيري والزبير بن بكار) لإبعاد خديجة عن كونها باكراً في زواجها من رسول الله وإبقاء خالتها عائشة بصفة الباكر الوحيدة.

وأعتقد أن الزبير بن بكار كان مختلقاً لشخصية باسم أم كلثوم، جاعلاً منها ابنة لعل بن أبي طالب عليه السلام وفاطمة عليها السلام، وزوجها عمر بن الخطاب^(٢)، وساهموا في انتساب رقية وام كلثوم لرسول الله كذبا.

ليكون عثمان بن عفان وعمر بن الخطاب أصهاراً لرسول الله عليه السلام! حسداً من آل الزبير لعل بن أبي طالب عليه السلام.

إذ لم يرغب آل الزبير، وآل أمية في أبقاء علي عليه السلام، صهراً وحيداً للنبي عليه السلام فاخترعوا صهرين آخرين له جاعلين من عثمان صهراً بنورين لإحراز افضليته على الآخرين لكونه أموياً! وستؤمن بذلك بعد مطالعة الصفحات القادمة انشاء الله.

وهذا التشويش والإضطراب والإختلاف واضح في قضية زواج خديجة من المخزومي والتميمي، مما يضعف تلك الروايات ويسقطها عن الاعتبار.

إنّ مظلومية خديجة لحقتها من كونها أمّاً لفاطمة عليها السلام زوجة علي عليه السلام فأصبحت هدفاً لطعون الخوارج والنواصب معاً. أليس كذلك؟

فأتباع الخط الأموي رفعوا أقلامهم ضدها كما رفع أسلافهم سيوفهم على محمد عليه السلام وعلي عليه السلام في بدر وأحد والخندق والجمل وصفين والنهروان!

وجعلهم إياها متزوجة من ثلاثة رجال محاولة لأهانة شخصها الكريم بالرغم من صحة ذلك من الناحية الشرعية.

وقد اختلفوا في اسم أبي هالة التميمي هل هو النباش بن زرارة أو زرارة بن النباش أو

(١) راجع نسب قريش، مصعب الزبيري ٢٢.

(٢) قالوا عن الزبير بن بكار منكر الحديث ومن عداد من يضع الحديث، ميزان الاعتدال الذهبي ٦٦/٢.

هند أو مالك أو أبو هند! ^(١).

إنّ هذا الاختلاف يقف دليلاً رصيناً لما ذهبنا إليه من أنّ المخزومي والتميمي رجل واحد لا إثنان فهو أبو هالة وزوج هالة بنت خويلد.

العبادة في حراء

وكان عبدالمطلب قد رفض عبادة الأصنام ووحد الله تعالى ^(٢) وركن إلى عبادة الله تعالى في غار حراء، وإطعام الطير والوحش هناك ^(٣). فكان يصعد حراء في شهر رمضان ويطعم المساكين جميع الشهر ^(٤).

لذلك سمّته قريش بإبراهيم الثاني ^(٥) فقال رسول الله ﷺ إنّ الله يبعث جدّي عبد المطلب أمّة واحدة في هيئة الأنبياء وزيّ الملوك ^(٦). فغار حراء يستحق الزيارة للعبادة فيه والسير على خطى محمد ﷺ وأجداده.

وظاهر الأمر أن عبد مناف، وهاشم، وعبدالمطلب، وعبدالله، وأباطال وسائر أجداد رسول الله ﷺ قد عبدوا الله عزّ وجلّ في غار حراء، وأصبح ذلك الغار مقدساً مطهراً يستحق نزول القرآن الكريم فيه ^(٧).

وكان رسول الله ﷺ يجاور بحراء في كل سنة شهراً، (وهو غار صغير في جبل النور الواقع في شمال غربي مكة) فيذكر الله تعالى ويزكّي نفسه من الكبر والرياء والحسد والعجب وحبّ الدّنيا. ويتفكر في خلق الله عزّ وجلّ.

وكان عليّ عليه السلام معه كالتابع والتلميذ ^(٨) يطعم في ذلك الشهر من جاءه من المساكين، فإذا

(١) سيرة مغلطاي ١٢، الأوائل، العسكري ١٥٩/١.

(٢) تاريخ يعقوبي ١٠ / ٢.

(٣) سيرة ابن دحلان ٢١/١، ٢٢.

(٤) تاريخ ابن الأثير ١٥ / ٢.

(٥) تاريخ يعقوبي ١١ / ٢.

(٦) تاريخ يعقوبي ١٤ / ٢.

(٧) السيرة النبوية، دحلان ٢٠/١، ٢١، ٢٣، المعارف ٧٠.

(٨) شرح النهج ١٣ / ٢٤٨.

قضى جواره من حراء كان أول ما يبدأ به إذا انصرف أن يأتي باب الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف به سبعا أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته حتى جاءت السنة التي أكرمه الله تعالى فيها بالرسالة، فجاور في حراء في شهر رمضان ومعه أهله خديجة وعلي بن أبي طالب عليه السلام وخادم لهم فجاءه جبرئيل بالرسالة: اقرأ^(١).
وكان علي عليه السلام يعبد الله تعالى في حراء مع رسول الله ﷺ^(٢).

أولاد خديجة من رسول الله ﷺ

ولدت خديجة من رسول الله ﷺ القاسم وبه كان يكنى ﷺ^(٣). وولدت له أيضاً عبدالله^(٤). ثم ولدت له فاطمة عليها السلام^(٥).

وقالوا: إن زينب وأم كلثوم ورقية بنات خديجة من رسول الله ﷺ^(٦) وقد كذبنا ذلك. وقال البعض إن هند ابن خديجة وهو ابن هالة، بل إن أبا هالة كنيته أيضاً أبو هند فاختلط عليهم!^(٧)

وقال المقدسي: ولدت خديجة لرسول الله ﷺ عبد مناف في الجاهلية وولدت له في الإسلام غلامين وأربع بنات: القاسم وبه كان يكنى: أبا القاسم، فعاش حتى مشى ثم مات، وعبدالله مات صغيراً، وأم كلثوم، وزينب، ورقية، وفاطمة^(٨).

وقال القسطلاني إنها ولدت لرسول الله ﷺ اثني عشر ولداً كلهم ولد في الإسلام عدا عبد مناف^(٩) ولم يحدد أسماءهم.

(١) البحار ١٥/٣٦٣.

(٢) نهج البلاغة ٣٠٠-٣٠١.

(٣) المواهب اللدنية ١/١٩٦.

(٤) المواهب اللدنية ١/١٩٦، البدء والتاريخ ٤/١٣٩، ٥/١٦.

(٥) المواهب اللدنية ١/١٩٦.

(٦) المصدر السابق.

(٧) راجع نسب قريش، مصعب الزبيري ٢٢، سيرة مغلطاي ١٢.

(٨) البدء والتاريخ ٤/١٣٩، ٥/١٦.

(٩) المواهب اللدنية ١/١٩٦.

والحارث بن أبي هالة لا رابطة له بخديجة ونسبوه إليها وللتخلص من ذلك فقد ذكروه أول شهيد في الإسلام، قُتل بعد بعثة رسول الله ﷺ!!^(١).
بينما كان أول شهيد في الإسلام سمية أمّ عمار بن ياسر، ثم ياسر^(٢).

من هو الصهر الوحيد للنبي ﷺ؟

لقد أنزل بنو أمية نعمتهم وحقدتهم على خديجة فلم يذكروها بخير بل جعلها راويتهم أبوهريرة في الجنة في منزل من قصب^(٣)! ولو كانت خديجة أمّاً حقاً لزوجتي عثمان الأموي رقية وأم كلثوم لأعطوها مكانتها اللازمة وأظهروا فضائلها!

ولكنهم حاولوا الاستفادة من جاه وشرف رسول الله ﷺ لصالح عثمان الأموي فجعلوه ذا النورين! وانتقصوا من جانب آخر خديجة ورسول الله ﷺ حقداً منهم عليها وعلى علي ﷺ وفاطمة ﷺ.

ولم يحتج عثمان في حياته بأنه صهر النبي ﷺ أبداً، ولم يقل النبي ﷺ: عثمان صهري لماذا؟

وقال رسول الله ﷺ لعلي ﷺ: يا علي أوتيت ثلاثاً لم يؤتهن أحد ولا أنا، أوتيت صهراً مثلي ولم أوت أنا مثلي.

وأوتيت صديقة مثل ابنتي، ولم أوت مثلها (زوجة).
وأوتيت الحسن والحسين من صلبك ولم أوت من صلبي مثلهما ولكنكم مني، وأنا منكم^(٤).
فهذا أوضح دليل على أنه ﷺ الصهر الوحيد للنبي ﷺ.

(١) الإصابة ٢٩٣/١، الأوائل، العسكري ٣١١/١، ٣١٢، محاضرة الأوائل ٤٦.

(٢) صفين، المنقري ٣٢٥.

(٣) الروض الأنف، السهيلي ٤٢٤/٢.

(٤) مناقب الكشي مخطوط، المناقب، عیداد الشافعي ٥٠ مخطوط، درر السبطين، الزرندي الحنفي ١١٤، مقتل

الحسين، الخوارزمي ١٠٩/١، إحقاق الحق (قسم الملحقات) ٤/٤٤٤، ٧٤/٥ مناقب ابن شهر آشوب ٢/٢٣٣.

وقال عمر: لقد أوتي ابن أبي طالب ثلاث خصال لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليّ من حمر النعم: زوجة رسول الله ﷺ ابنته وولدت له... (١) فلم يقل عمر: زوجة إحدى بناته بل قال زوجة ابنته، وهذا يفضح سعة الهجمة الأموية على فضائل أهل البيت: وكثرة أكاذيبهم ولو كان عثمان صهراً للنبي ﷺ لما قال الرسول لعلي عليه السلام: أوتيت ثلاثاً لم يؤتهن أحد. وقال الجوهرى واصفاً قول الرسول ﷺ في الغدير: علي الرضى صهرى فأكرم به صهراً (٢). ومن الأدلة الأخرى على كون علي عليه السلام صهراً وحيداً للنبي ﷺ:

عن أبي ذر الغفاري قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى اطلع إلى الأرض اطلاعة من عرشه - بلا كيف ولا زوال - فاخترني نبياً، واختار علياً صهراً وأعطى له فاطمة العذراء البتول، ولم يعط ذلك أحداً من النبيين. وأعطى الحسن والحسين ولم يعط أحداً مثلها، وأعطى صهراً مثلي وأعطى الحوض، وجعل إليه قسمة الجنة والنار، ولم يعط ذلك الملائكة (٣). ولو كان عثمان صهراً للنبي ﷺ أيضاً لذكره!

إذن حشروا عثمان صهراً للنبي ﷺ كذباً وزوراً في زمن حكم معاوية والأمويين ولم ينطق بها عثمان ابداً في زمن حكمه.

وقال عبدالله بن عمر لأحد الخوارج: أما عثمان فكان الله عفا عنه وأما أنتم فكرهتم أن تغفوا عنه. وأما علي، فابن عم رسول الله ﷺ وختنه، وأشار بيده، فقال هذا بيته حيث ترون (٤). فاقصر ابن عمر على وصف علي عليه السلام بختن رسول الله، ولو كان عثمان ختنه أيضاً لذكره، ولأسرع البخاري إلى ذكر ذلك!

فيتوضح أنه ختنه وصهره ﷺ من الأوصاف المخصوصة بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

والجدير بالذكر أن لقب ذي النورين قد اضفاه الأمويون متأخراً على عثمان، ولم يكن له ذكر في زمن النبي ﷺ والخلفاء. ففي زمن حكومة عثمان لم يكن له ذكر.

(١) الصواعق المحرقة الفصل ٣، الباب ٩، المستدرک، الحاكم ٣/ ١٢٥.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ٢/ ٢٣٣.

(٣) ينابيع المودة ٢٥٥، إحقاق الحق (الملحقات ٧/ ١٨).

(٤) صحيح البخاري ٣/ ٦٨.

وفي أيام حصار المسلمين لبيت عثمان لم يحتج بنو أمية وأعوان عثمان على الجماهير الغاضبة بلقب ذي النورين، ولو كان له واقع لاستخدمه الأمويون خير استخدام ولقاه عثمان لعائشة أثناء صراعها الدامي والعنيف!

هل كانت فاطمة بنتا وحيدة للنبي ﷺ؟

المطالع للسيرة النبوية بدقة يدرك وجود رابطة مصاهرة بين النبي محمد ﷺ وعلي ﷺ من خلال زيارته المتكررة لبيت فاطمة ﷺ.

فبعد نزول آية التطهير بقي ستة أشهر يمر على بيت فاطمة ﷺ ويقول: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة^(١).

وذكر رسول الله فاطمة ﷺ كثيراً في أحاديثه فقد قال: من تسرق قطعت يدها، ولو كانت فاطمة بنت محمد. وذكر كثيرون آلاف الروايات عن رابطة فاطمة ﷺ بأبيها:

قال رسول الله ﷺ: فاطمة أم أبيها^(٢).

وروى ابن عباس: إن النبي ﷺ كان إذ قديم من سفر قبل ابنته فاطمة ﷺ^(٣).

ولم نجد ذكراً لمروره ﷺ على بيت زينب ولا رقية ولا أم كلثوم!

وجاء عن ابن مسعود: بينما رسول الله ﷺ عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس وقد نحرت جزور بالأمس، قال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور^(٤) بني فلان فيأخذه فيضعه في كتفي محمد إذا سجد؟

فانبعث أشقى القوم فأخذه، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه فاستضحكوا، وجعل يميل على بعض وأنا قائم أنظر لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ.

والنبي ﷺ ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة ﷺ، فجاءت وهي

(١) سنن الترمذي ٢٩/٢، تفسير الطبري ٥/٢٢، مسند أحمد ٢/٢٥٢.

(٢) أسد الغابة ٧/٢٢٠، الإستهباب ٤/٣٨٠.

(٣) أسد الغابة ٧/٢٢٤، مجمع الزوائد ٨/٤٢، ذخائر العقبى ٣٦.

(٤) لفافة الولد في بطن الناقة كالمشيمة.

جؤيرية، فطرحته عنه ثم أقبلت عليهم تشتتهم^(١).

فأين أم كلثوم؟

وقال المقدسي: كل ولد النبي ﷺ ولدوا في الإسلام^(٢).

وجاء عن معركة أحد: جرح وجه رسول الله ﷺ وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة بنت رسول الله تغسل الدم، وكان علي بن أبي طالب يسكب عليها بالمجن^(٣).

وقدم رسول الله ﷺ من غزاة له فدخل المسجد فصلى فيه ركعتين وكان يعجبه إذا قدم أن يدخل المسجد فيصلّي فيه ركعتين، ثم خرج فأقّى فاطمة، فبدأ بها قبل بيوت أزواجه، فاستقبلته فاطمة وجعلت تقبل وجهه وعينييه وتبكي^(٤).

ففي كل هذه الأحاديث نجد علاقة الأبوة موجودة بين رسول الله ﷺ وفاطمة فقط ولا نجد ذكراً لهذه العلاقة بينه وبين ربييته زينب ورقية! لا في مكة ولا في المدينة! وورد في رواية: جاءت فاطمة بكسرة خبز في معركة الخندق فرفعتها إليه، فقال: ما هذه يا فاطمة^(٥).

وكان رسول الله ﷺ إذا سافر كان آخر عهده بإنسان من أهله فاطمة، وأول من يدخل عليه إذا قدم فاطمة^(٦).

وأن فاطمة سلام الله عليها شكت ما تلقى من أثر الرحي فأقّى النبي ﷺ سبياً فانطلقت فلم تجده فوجدت عائشة فأخبرتها، فلما جاء النبي ﷺ أخبرته بمجيئ فاطمة، فجاء

(١) صحيح مسلم ٦٦/٤ ح ١٧٩٤، صحيح البخاري ١٣٩٩/٣ ح ٣٦٤١، مسند أحمد ٦٨٨/١، دلائل النبوة، البيهقي ٢٧٩/٢ - ٢٨٠.

(٢) البدء والتاريخ، المقدسي ١٣٩/٤، ١٦/٥.

(٣) صحيح البخاري ١٤٩٦/٤ ح ٣٨٤٧، صحيح مسلم ٦٤/٤ ح ١٧٩٠.

(٤) المستدرک، الحاكم ١٦٩/٣، ح ٤٧٣٧، حلية الأولياء ٣٠/٢، المعجم الكبير، الطبراني ٢٢٥/٢٢ ح ٥٩٥، مجمع الزوائد ٢٦٢/٨.

(٥) كنز العمال ٧٧/١، الطبقات ٢٤/٨، مجمع الزوائد ٢٦٢/٨.

(٦) مسند أحمد ٢٧٥/٥، سنن أبي داود ٨٧/٤ ح ٤٢١٣، المستدرک ٦٦٤/١ ح ١٧٩٨، ١٦٩/٣ ح ٤٧٣٩، الصواعق المحرقة ١٠٩، ١٨٢، سنن البيهقي ٢٦/١.

النبي ﷺ إليها^(١).

ومثات الأحاديث الأخرى المشابهة المثبتة لعلاقة الأبوة بين محمد ﷺ وابنته فاطمة ؓ، ولا يوجد مثل هذه الأحاديث بين النبي ﷺ من جهة وزينب ورقية من جهة أخرى.

فهل غفل الأمويون عن سيرة النبي ﷺ مع رقية وأم كلثوم، أم كان قصدهم إضفاء لقب ذي النورين على عثمان الأموي!

وإذا كانت أم كلثوم آخر من تزوج من بنات النبي ﷺ، وبقيت بنتاً تعيش مع أبيها كما يدعون، فلماذا لم نَرَهَا ذكراً مع رسول الله ﷺ مثلما جاء من الروايات في فاطمة ؓ وأبيها ﷺ؟!

وذكر رقية اقتصر على حياتها مع عثمان بن عفان وكذلك اقتصر ذكر زينب على حياتها مع أبي العاص.

ولا يوجد ذكر لأم كلثوم مع النبي ﷺ وعثمان، مما يبطل قضية وجود هذه المرأة في الدنيا! بل هي من مختلفات الأمويين، ولو كان لها وجود لخطبها الانتصار والمهاجرون في المدينة، ولم يذكر ذلك احداً ولو كانت تعيش لوحدها مع رسول الله ﷺ في المدينة لذكرت الروايات سيرتها في المدينة معه بنصوص صحيحة.

رقية وأم كلثوم امرأة واحدة أم اثنتان؟

لقد حاول الأمويون تبعاً لسياسة معاوية في إضفاء الفضائل على عثمان اختراع مناقب في هذا المجال. ومن هذه المناقب لقب ذي النورين على تقدير زواج عثمان من ابنتي رسول الله ﷺ رقية وأم كلثوم.

وبسبب هذا الهدف المنشود خبط الرواة خبط عشواء في هذا السبيل لوضع تلك المنقبة فاختلفوا في رواياتهم اختلافاً شديداً.

(١) صحيح البخاري ١٣٥٨/٣ ح ٣٥٠٢، وص ١١٣٣ ح ٢٩٤٥، صحيح مسلم ٢٦٢/٥ ح ٢٧٢٧، سنن أبي داود ٤١٥/٤ ح ٥٠٦٣، حلية الأولياء ٤١/٢.

وهذا الموضوع يدخل ضمن أمر معاوية بإيجاد مناقب لعثمان بن عفان، وأبي بكر، وعمر لمنافسة بني هاشم وبالنصوص أهل البيت (عليهم السلام)^(١).
لقد اخترعت السياسة امرأتين بأسم أم كلثوم، الأولى جعلتها بنتاً لرسول الله ﷺ وزوجوها من عثمان بن عفان الأموي.
والثانية صنعتها يد الزبير بن بكار، وجعلتها بنتاً لعلی وفاطمة (عليهما السلام) وزوجها من عمر بن الخطاب.

قال المفيد: إنَّ خبر تزويج عمر من أم كلثوم غير ثابت لأنه من الزبير بن بكار^(٢).
ومن الروايات المزيفة رواية زواج عتبة وعتيبة ابني أبي لهب بأم كلثوم ورقية^(٣) لأثبات وجود بنت للرسول اسمها أم كلثوم.
والحقيقة تتمثل في زواج عتبة وأبي العاص بن الربيع برقية وزينب ربييتي رسول الله ﷺ. فقد جاء في رواية صحيحة:
«قد زوّج رسول الله ﷺ ابنتيه قبل البعثة كافرين يعبدان الأصنام أحدهما عتبة بن أبي لهب، والآخر أبو العاص بن الربيع»
فلما بعث النبي ﷺ فرّق بينهما فمات عتبة على الكفر، وأسلم أبو العاص فردّها عليه بالنكاح الأول^(٤).

وجاء في كتابي الانوار والبدع أن رقية وزينب كانتا ابنتي هالة أخت خديجة^(٥).
وفي رواية: تزوجت رقية عثمان بن عفان وهاجرت معه إلى الحبشة في السنة الخامسة من البعثة وكانت حاملاً، ثم رجعت معه إلى المدينة وماتت هناك^(٦).

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ١٦٢/٣، الإستيعاب ٦٥/١، الإصابة ١٥٤/١، تاريخ الطبري ٧٧/٦، مختصر

تاريخ دمشق ٢٢٢/٣، الأغاني ٤٤/١٥، شرح النهج ١١٦/١.

(٢) المسائل السروية، المسألة العاشرة.

(٣) الدر المنثور ٤٠٩/٦، أسد الغابة ٤٥٦/٥، نسب قريش ٢٢.

(٤) عدة رسائل للشيخ المفيد ص ٢٢٩، المسائل السروية، المسألة العاشرة، خرج عتبة بن أبي لهب من مكة إلى المدينة مستخفياً لقتل رسول الله ﷺ فقتله أسد في الطريق البحار ١٧ / ٤١٢.

(٥) البحار ٢٢ / ١٩١.

(٦) الإصابة ٣٠٤ / ٤٩٠ نهاية الإرب ٢١٢ / ١٨، تهذيب تاريخ دمشق ٢٩٨ / ١.

وفي رواية أخرى تزوج عثمان رقية في مكة ثم ماتت في المدينة مرجع المسلمين من غزوة بدر، فتزوج بعدها أم كلثوم وماتت في سنة ثمان، وقيل ماتت ولم يبن بها عثمان^(١).

وبسبب عدم وجود حقيقة لتلك المرأة فقد قالوا بموتها المبكر في السنة الثامنة!

ومن أدلة عدم وجود امرأة بأسم أم كلثوم ما يلي:

قال البلاذري: إن خديجة تزوجت رسول الله ﷺ وهي عذراء، وكانت رقية وزينب ابنتي هالة اخت خديجة^(٢)

لما هاجر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ إلى المدينة اصطحب معه الفواطم وأم أيمن وجماعة من ضعفاء المؤمنين^(٣).

فأين كانت أم كلثوم؟ أم أن خديجة ولدتها في المدينة!!

وللهرب من عدم وجود سيرة لأم كلثوم في مكة فقد جعلوها أصغر بنات النبي ﷺ إذ جاء:

كانت فاطمة وأختها أم كلثوم أصغر بنات رسول الله ﷺ، وأختلف في الصغرى منهما، وقال ابن السراج: سمعت عبدالله الهاشمي يقول: ولدت فاطمة في سنة إحدى وأربعين من مولد النبي ﷺ^(٤).

ولما أنكرت السيرة النبوية ذكر طفولة أم كلثوم في بيت النبي ﷺ في المدينة فقد قدّمها البعض في العمر على زينب ورقية وفاطمة!^(٥) فجعلوا رقية هي الأصغر من الكل حتى من فاطمة ﷺ^(٦).

(١) قاموس الرجال ٤٠٦/١٠، تنقيح المقال ٧٣/٣، ٧٤ عن قرب الاسناد.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١/١٥٩.

(٣) السيرة الحلبية ٥٣/٢.

(٤) الإستهباب بهامش الإصابة ٣٧٣/٤، ٣٧٤، نهاية الإرب ١٨/٢١٣.

(٥) المواهب اللدنية ١/١٩٦.

(٦) الإستهباب بهامش الإصابة ٢٩٩/٤، ٢٨٢ البداية والنهاية ٢/٢٩٤، نسب قريش ٢١ مختصر تاريخ دمشق

٢/٢٦٣، ٢٦٤، الدر المنثور ٦/٤٠٤، السيرة الحلبية ٣/٣٠٨، الإصابة ٤/٣٠٤، دلائل النبوة البيهقي ٢/٧٠، تاريخ

الخميس ١/٢٧٣، الوفاء ٦٥٦.

أي حار الكتاب المتأخرون في عمر أم كلثوم وعدم زواجها وبقائها في العشرين من عمرها تنتظر موت اختها رقية ليتزوجها عثمان فيصبح ذا نورين!
وجاء عن المقدسي قوله: كل ولد النبي ﷺ ولدوا في الإسلام عدا عبد مناف فإنه ولد في الجاهلية^(١) وطبقاً لهذا القول يستحيل أن تكون زينب ورقية من بنات رسول الله ﷺ لانهما تزوجتا عثمان وأبا العاص في الجاهلية.

وإذا قلنا بولادتهما بعد المبعث فيستحيل تزويج رسول الله ﷺ زينب لأبي العاص الكافر، ويستحيل أن يتزوج عثمان رقية وعمرها دون السنة الخامسة من العمر! والحقيقة التي عليها معظم العلماء والرواة أن فاطمة أصغرهن سناً^(٢). فولادة فاطمة ﷺ في السنة الخامسة من البعثة^(٣).

والصحيح أن عتبة بن أبي لهب طلق زوجته رقية بعد المبعث النبوي فتزوجها عثمان بن عفان، وبقي أبو العاص بن الربيع مع زوجته زينب ربيبة رسول الله ﷺ طول مدة بقاء النبي ﷺ في مكة ولم يطلقها رغم طلب طغاة قريش ذلك.
وفي معركة بدر أسر أبو العاص بن الربيع، فاتفق معه رسول الله ﷺ على طلاق زينب لأنها مسلمة وهو كافر فأخلى سبيلها وأرسلها إلى المدينة^(٤).

وجاء عن زواج عثمان برقية: إنَّ عثمان «تعاهد مع أبي بكر: لو زوّج مني (الرسول ﷺ) رقية لأسلمت» وذلك بعد أن بشرته كاهنة بنبوة رسول الله ﷺ^(٥).
أي أن شرط دخول عثمان الإسلام تزويجه رقية، فتألفه رسول الله ﷺ مثلما تألف الكثير بالأموال وغيرها.

(١) البدء والتاريخ ١٣٩/٤، ١٦/٥، المواهب اللدنية ١٩٦/١.

(٢) الأوائل، العسكري ١٦٦/١، الروض الأنف ٢١٥/١، السيرة الحلبية ٣٠٨/٣، تاريخ الخميس ٢٧٢/١، بهجة المعافل ١٣٧/٢، ذخائر العقبى ١٥٣.

(٣) البحار ١/٤٣ - ١٠ عن الكافي مروج الذهب ٢٨٩/٢، الأثبات الوصية، المسعودي، ذخائر العقبى ٥٢، تاريخ الخميس ٢٧٨/١.

(٤) شرح النهج ١٩٢/١٤، الإصابة ٥٩٨/٣، أسد الغابة ٣٨٤/٥.

(٥) مناقب آل أبي طالب ٢٢/١.

ولأن عثمان أسلم في سبيل الدنيا بخبر كاهنة وزواج من بنت جميلة بقي مكباً عليها تاركاً للجهاد فاراً من الحرب نابذاً للعدالة في توزيع الأموال والمناصب الحكومية كارهاً لرسول الله ﷺ وأهل بيته، محباً لبني أمية الزائعين عن الدين مضحياناً بنفسه في ذلك الطريق! وكانت رقية ذات جمال رائع^(١) وعثمان رجل مغمور.

وبعد معركة أحد بقي معاوية بن المغيرة الأموي في المدينة يتجسس أخبار المسلمين، فذهب ليلاً للاختفاء في بيت عثمان بن عفان الأموي، وفي البيت رقية ربيبة رسول الله ﷺ، فأخفاه عثمان وعرفت رقية ذلك!

فزل جبرائيل من السماء وأخبر النبي ﷺ بالقضية، فأرسل ﷺ جماعة من المسلمين إلى بيت عثمان فجاءوه بمعاوية بن المغيرة.

فطلب عثمان من النبي ﷺ العفو عنه وإمهاله ثلاثة أيام، فوافق النبي ﷺ العطوف ﷺ على ذلك، فبقي معاوية في أطراف المدينة يتجسس فأرسل إليه الرسول ﷺ علياً فقتله. فاعتقد عثمان بن عفان أن رقية هي التي أخبرت رسول الله ﷺ بأمر معاوية بن المغيرة، وليس جبرائيل مثلما يدعي رسول الله ﷺ تنكراً منه لقول رسول الله ﷺ فقتلها!! ثم وطأ جاريته قبل دفنها!

وأخبر جبرائيل النبي ﷺ بذلك فمنعه من دخول قبرها قائلاً: لا يدخل قبرها من قارف (جامع) الليلة أهله^(٢).

فانتشر الخبر بين المسلمين وساءت سمعة عثمان في إخفائه لمعاوية في بيته وخيائته للمسلمين وقتله رقية ومنعه من دخول قبرها!

وللتستر على هذه القضية فقد صنع الأمويون لرسول الله ﷺ بنتاً اسمها أم كلثوم وزوجوها من عثمان!!

ووضعوا رواية كاذبه على لسانه ﷺ: لو كنَّ عشرًا لزوجتهنَّ عثمان!^(٣)

(١) المواهب اللدنية ١/١٩٧، ذخائر العقبى ١٦٢، التبيين في أنساب القرشيين ٨٩، نور الإبصار ٤٤.

(٢) الطبقات ٨/٣٨، مسند أحمد ٣/١٢٦، ٢٢٨، الحاكم ٤/٤٧، السيرة الحلبية ٢/٢٦٠، النزاع والتخاصم، المقرئ

٢٠، أنساب الأشراف ١/٣٣٧، ٣٣٨، الفدير ٩/٣٢٩.

(٣) الطبقات ٨/٣٨، سير أعلام النبلاء ٢/٢٥٣.

وأراد الأمويون أيضاً تفضيل عثمان على بني هاشم والخلفاء والصحابة جميعاً لكونه ذا نورين!

وقد توفيت زينب سنة ثمان للهجرة بالاتفاق، وتوفي أبو العاص بن الربيع بعد وفاتها بأربع سنوات، أي في السنة الثانية عشرة في خلافة أبي بكر^(١).

الوليد الوحيد للكعبة

حصلت معجزات كثيرة في العصر النبوي الشريف على رأسها مقتل أصحاب الفيل القادمين لهدم الكعبة والمعاجز التي رافقت ولادة رسول الله ﷺ في كلامه وبركته وولادة وصيه علي عليه السلام في جوف الكعبة والصفات الانسانية الراقية التي وهبها له الله تعالى، واعقب ذلك انتصار الإسلام ودخول الناس في الدين أفواجا.

فكان علي عليه السلام والكعبة معجزتان من معاجز الله سبحانه فقد انشق جدار الكعبة احتراماً لعلي عليه السلام وبعد ثلاثين سنة صعد علي عليه السلام على كتف رسول الله ﷺ وحطم اصنام الكعبة^(٢).

ولد علي بن أبي طالب عليه السلام بعد ولادة النبي ﷺ بثلاثين سنة أي قبل البعثة النبوية بعشر سنوات وهو المشهور^(٣).

وقد ولد أمير المؤمنين عليه السلام من شيخ الأبطح أبي طالب وفاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف.

(١) سير أعلام النبلاء ١/ ٣٣٥.

(٢) راجع تاريخ يعقوبي ٢/ ٥٨ - ٦١، المستدرك ٣/ ٦.

(٣) الطبقات ٣/ ٢١، الكافي ١/ ٣٧٦، اعلام الوری ١٥٣، تاريخ الخميس ١/ ٢٨٦ الأرشاد المفيد ٩، مناقب آل أبي طالب ٢/ ٧٨، تاريخ الخلفاء ١٦٦، الفصول المهمة، ابن الصباغ ١٢ الاستيعاب ٣/ ٣٠، سيرة ابن هشام ١/ ٢٦٢ المستدرك، الحاكم ٣/ ١١١، المناقب الخوارزمي ١٧، ذخائر العقبى، البداية والنهاية ٣/ ٢٦، البحار ٣٥/ ٧. واختلف الآخرون في سنة ولادته عليه السلام منهم من قال ولد قبل البعثة بسبع سنين وقيل اثني عشرة سنة أو أكثر، التهذيب ٧/ ٣٣٦، تاريخ الخميس ١/ ٢٧٩، المعارف، ابن قتيبة ٥١، ذخائر العقبى ٥٨، تاريخ بغداد ١/ ١٣٤، سنن البيهقي ٦/ ٢٠٦، أسد الغابة ٤/ ١٦ - ١٨ مجمع الزوائد ٩/ ١٠٢، نهاية الإرب ٨/ ١٨١، فتح الباري ٧/ ٥٧.

وقال العلماء لم يولد أحد في جوف الكعبة قبل الإسلام وبعده غير علي عليه السلام ^(١).
وعندما جاءها المخاض أرسل الله لها صوتاً بالذهاب إلى الكعبة وعندما طافت بها انشق
لها جدار الكعبة فدخلت في جوفها وولدت علياً (ع).

ذكر المحاكم في المستدرك على الصحيحين: «وقد تواترت الأخبار أن فاطمة بنت أسد
ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في جوف الكعبة» ^(٢).
وقال الشبلنجي: ولد رضي الله عنه بمكة داخل البيت الحرام يوم الجمعة ثالث عشر من
رجب الحرام سنة ثلاثين من عام الفيل، قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة، وقيل بخمس
وعشرين سنة، وقبل المبعث باثنتي عشرة سنة، وقيل بعشر سنين، ولم يولد في البيت الحرام
قبله أحد سواه ^(٣).

وقال أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي الشهير بشاه ولي الله والد عبدالعزيز الدهلوي
مصنف التحفة الاثني عشرية في كتابه إزالة الحفاء:
تواترت الأخبار أن فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علياً عليه السلام في جوف الكعبة فإنه
ولد في يوم الجمعة ثالث عشر من شهر رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة في الكعبة، ولم يولد
فيها أحد سواه قبله ولا بعده ^(٤).

ومن الذين ذكروا ولادة علي بن أبي طالب عليه السلام في الكعبة: المسعودي في مروج الذهب
٢/٢ وابن الجوزي في تذكرة خواص الأمة، والحلي في السيرة النبوية ١/١٥٠ وعلي
الحنفى في شرح الشفا ١/١٥١، وعبد الرحمن الصفوري الشافعي في نزهة المجالس ٢/٢٠٤

(١) المستدرك، الحاكم ٣/٤٨٣، كفاية الطالب، الكنجي الشافعي ٤٠٦، ٤٠٧، أسد الغابة ٤/٣١، نزهة المجالس
٢/٢٠٤، الآلوسي في سرح الخريدة الغيبية ١٥، شرح الشفا ١/١٥١، حياة أمير المؤمنين، محمد صادق الصدر ٣٠،
الفصول المهمة، ابن الصباغ ١٢، مناقب الإمام أمير المؤمنين، ابن المغازلي ٧ السيرة الحلبية ١/١٣٩، تذكرة
الخواص ١٠، مروج الذهب ٢/٢٠٢، مناقب، محمد صالح الترمذي، آئنة تصوف ١١/١١.

(٢) المستدرك ٣/٥٥٠ ح ٦٠٤٤.

(٣) نور الإبصار ٧٦، الفصول المهمة، ابن الصباغ ٢٩.

(٤) وأخرج الرواية أيضاً محمود الآلوسي صاحب التفسير الكبير في كتاب سرح الخريدة في شرح القصيدة العينية
لعبد الباقي أفندي العمري ١٥.

ومحمد مؤمن الشبلنجي في نور الإبصار ٧٦ وحبیب الله الشنقيطي في كفاية الطالب ٣٧. ومن الشيعة: الحسن بن محمد بن الحسن القمي في تاريخ قم والشريف المرتضى في خصائص الأئمة، والشيخ المفيد في مسار الشيعة ٥١ ومئات المصادر الأخرى.

وقد حاول الزبير بن بكار (חסداً لمنزلة علي عليه السلام في ولادته في الكعبة) إيجاد منقبة لاحد الصحابة توازي منزلة علي عليه السلام تلك على خطى معاوية بن أبي سفيان، للانتقام من وصي المصطفى فانتخب عدواً لبني هاشم الا وهو حكيم بن حزام الطليق، الذي تلکاً عن بيعة علي بن أبي طالب عليه السلام (مع مجموعة زيد بن ثابت ومحمد بن مسلمة) وكان عثمانياً متصلياً^(١). واختلق له فضيلة الولادة في الكعبة^(٢).

وآل الزبير من المحاربين لأهل البيت عليه السلام وكان عبدالله بن الزبير قد همّ باحراق بني هاشم جميعاً أثناء حكمه للحجاز^(٣). فحصر بني هاشم في بيت وجعل الحطب حوله بمستوى جداره وخيرهم بين الموت بالنار والبيعة له! ولم يتورع عن احراقهم في داخل الحرم المكي^(٤) ويشارك حكيم بن حزام بن الزبير في حقدهم على أهل البيت عليه السلام وكلهم من قبيلة بني عبد العزى.

وبلغت عداوة حكيم بن حزام لبني هاشم درجة عالية إذ جاء: «لما كان يوم بدر جمعت قريش بني هاشم وحلفاءهم في قبة وخافوهم، فوكلوا بهم من يحفظهم ويشدد عليهم منهم حكيم بن حزام!»^(٥).

وقد خرج حكيم بن حزام وأبو سفيان وصفوان بن أمية وعبدالله بن أبي ربيعة إلى معركة حنين لا لنصر الإسلام بل كما قال الواقدي: «ينظرون لمن تكون الدائرة واضطربوا خلف الناس والناس يقتتلون»^(٦). أي تسببوا في هزيمة المسلمين. فكانوا من المنافقين إلى

(١) قاموس الرجال ٣/ ٣٨٧.

(٢) تهذيب التهذيب ابن حجر ٢/ ٣٨٤.

(٣) شرح النهج ٢٠/ ١٤٧، مروج الذهب ٣٠/ ٨٦ طبع الميمنية.

(٤) مروج الذهب ٣/ ٨٦ طبع الميمنية، البدء والتاريخ، البلخي ٢/ ٢٤٧، شرح النهج ٢٠/ ١٤٧.

(٥) طبقات ابن سعد ٤/ ١١.

(٦) مغازي الواقدي ٢/ ٨٩٥.

نهاية عمرهم.

والذي يقرأ مصادر هذه الحادثة يجد أنه لم يولد في الكعبة أحد سوى علي عليه السلام، ومن البعيد أن يجمع الله تعالى هذه الفضيلة لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وعدوه الطليق حكيم بن حزام وهو القائل على لسان نبيه صلى الله عليه وآله: يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق. واللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره وأخذل من خذله.

وتجتمع في حكيم بن حزام صفات الطليق الذي أكرهه على دخول الاسلام، وإن أباه حزام بن خويلد ممن قُتل في حرب الفجار الآخر^(١) وكونه عثمانياً متصلياً، ومن المنحرفين عن علي بن أبي طالب عليه السلام، ومن قبيلة الزبير بن العوام وابن عمه^(٢).

قد انفرد بهذه الرواية الزبير بن بكار وعمه مصعب بن عبدالله وهما من أبناء عبدالله بن الزبير بن العوام. وقال أحمد بن علي السلمي: إن الزبير بن بكار كان من عداد من يضع الحديث، وقال مرة عنه: منكر الحديث^(٣).

ومات حكيم بالمدينة سنة أربع وخمسين، وبلغ ثراؤه أنه باع داراً له من معاوية بستين ألف دينار^(٤) وكان هذا المبلغ عظيماً بحيث أن معاوية عندما اشترى بيت حويطب بن عبدالعزيز في المدينة بأربعين ألف دينار استشرف لذلك الناس^(٥) ولما استعظم الناس ذلك قال لهم معاوية: وما أربعون ألف دينار ترجل له خمس من العيال^(٦). واستنقص عبدالله بن الزبير حكيم بن حزام لبيعته دار الندوة من معاوية^(٧).

وحب حكيم بن حزام للمال دفعه إلى احتكار الطعام على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله^(٨). وبينما جاهد الانصار والمهاجرون طيلة سنوات عديدة فقد بقي معظمهم يعيشون حالة الفقر

(١) تهذيب الكمال ١٧٢ / ٧.

(٢) الإصابة، ابن حجر ٣٤٩ / ١، الاستيعاب ٢٢٠ / ١ هامش الإصابة.

(٣) ميزان الاعتدال، الذهبي ٦٦ / ٢.

(٤) المعارف، ابن قتيبة ٣١١.

(٥) استشرفه حقه: ظلمه، أقرب الموارد ٥٨٥ / ١.

(٦) الاستيعاب، ابن عبد البر، هامش الإصابة ٣٨٤ / ١.

(٧) الإصابة ٤٥ / ٢.

(٨) وسائل الشيعة، كتاب التجارة ٣١٦.

والعوز، في حين كان رجال مكة يجمعون الأموال ويدعمون الكفر!
وفي حنين أول معركة لطلاق مكة بعد إكراههم على دخول الإسلام ورغم انهزامهم من
ساحة القتال، بقيت أعينهم تصبو للاستحواذ على الغنائم! وعلى رأس هؤلاء أبو سفيان
وأبناءؤه وحكيم بن حزام.

فقد قال حكيم بن حزام: سألت النبي ﷺ بحنين مئة من الأبل فأعطانيها، ثم سأله مئة
فأعطانيها! (١) الظاهر أن كثرة أمواله مثيرة للشك فنسبوا بعضها إلى عطايا رسول
الله ﷺ كي يسكت الناس!

بينما عاد الانصار إلى المدينة بأيدي خالية! وهم مسرورون بصحبته رسول الله ﷺ.
وفي أيام خلافة عثمان عندما أصبحت قضية الحصول على الأموال الطائلة أسهل من
زمن النبي ﷺ وأبي بكر وعمر تحول حكيم بن حزام إلى المدينة والتف حول عثمان فكنز
أموالاً طائلة بلا ورع ولا تقوى. وقد جاء:
«وهو أحد نفر الذين حملوا عثمان بن عفان ودفنوه ليلاً» (٢).

ثم ذهب حكيم بن حزام إلى معاوية بن أبي سفيان رفيقه القديم في مكة أيام العمل سوياً
ضد محمد المصطفى ﷺ! فاعتنى معاوية والأمويون عناية خاصة بمجموعة الأربعة
أشخاص الذين دفنوا عثمان (٣). وبالطريق حكيم بن حزام خاصة.

وكان أموياً مخلصاً للخط الأموي مثلها كان مخلصاً لخط قريش في الجاهلية، وتلك
الأعمال والصفات تكفي لإعطائه امتيازات الأمويين وأموالهم! اليس كذلك؟
وكيف لا وهو الذي حارب الحق في الفجار وبدر واحد والخندق وحنين وناصر حرب
بن أمية في الفجار وحفيده معاوية في الشام.

وبعد فترة زمنية عرفت سر حب قريش لام حكيم والمتمثل في كونها المحاربة والاسيرة
الوحيدة في معركة بدر (٤).

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٣٧/٧، طبقات ابن سعد ١٥٢/٢، مغازي الواقدي ٩٤٥/٢.

(٢) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٣٨/٧، طبقات ابن سعد ٧٩، ٧٨/٣.

(٣) طبقات ابن سعد ٧٩، ٧٨/٣.

(٤) السيرة النبوية، أبو حاتم ١٧٩/١.

التربية النبوية

لقد تعلق أبو طالب برسول الله ﷺ فاعتنى به عناية خاصة ليس لها نظير في عالم العرب فقد اصرَّ على أخذه إلى الشام وعمره ﷺ تسع سنين خوفاً عليه واهتماماً به ثم اعتنى به وحامى عنه وعن دينه بجاهه واولاده بجسمه وروحه التي اعطاها في ذلك السبيل، فعاش رسول الله ﷺ مع عمه الصديق اثنى واربعين عاماً في حماية كاملة ودعم تام.

وتبعاً لتلك التربية السليمة الهادفة فقد أخذ رسول الله ﷺ علياً من عمه أبي طالب قريباً في حجره الشريف وغذاه بيده الشريفة وهذب به بنفسه الزكية وعلمه بعلمه السماوي وزوجه ابنته فاطمة ﷺ سيّدة نساء العالمين.

قال محمد بن إسحاق عن تربية رسول الله ﷺ لعلي ﷺ: «وكان مما أنعم الله عليه أن كان في حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام وذلك أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة فقال رسول الله ﷺ للعباس عمه، «وكان من أيسر بني هاشم: يا عباس إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه لنخفف من عياله، آخذ من بنيه رجلاً وتأخذ أنت رجلاً فنكفها عنه».

قال العباس: نعم. فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه.

فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما عقيلاً وطالبا فاصنعا ما شئتما.

فأخذ رسول الله ﷺ علياً ﷺ فضمه إليه، وأخذ العباس جعفرأ فضمه إليه، فلم يزل علي مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله تعالى نبياً فاتبعه علي ﷺ وآمن به وصدقته، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه^(١).

فكان علي بن أبي طالب ﷺ تلميذاً مخلصاً لرسول الله ﷺ تعلم منه أخلاقه وآدابه وعلمه، وأصبح ختنه ووصيه وخليفته ووزيره.

(١) عيون الأثر ١/١٢٤، ١٢٥، الكامل، ابن الأثير ٢/٥٩، تاريخ الطبري ٢/٥٧.

واضح من مثله مثل هارون من موسى عليه السلام لا يخالف رسول الله ﷺ في نص ولا يعارضه في أمر فقال فيه النبي ﷺ:

علي إمام المتقين وقائد الغر المحجلين يوم القيامة^(١).

فنزلة علي عليه السلام من رسول الله ﷺ تختلف عن منزلة سائر الأصحاب في طول مدة حياة علي عليه السلام مع رسول الله ﷺ والممتدة لثلاثة وثلاثين سنة كان فيها علي عليه السلام يعيش في كنف استاذ البشرية محمد ﷺ ويستقي من علومه ويتهدب بسلوكه وأخلاقه.



مركز تحقيقات كليات علوم اسلامی

(١) مستدرک الحاکم ٣ / ١٢٧، مجمع الزوائد ٩ / ١٠٢.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کلمه نور علوم اسلامی

باب

البعثة النبوية



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

بُعث النبي محمد ﷺ وعمره أربعون سنة وهو المشهور^(١).
 وقال مكحول بعث وهو ابن اثنتين وأربعين سنة وقال الواقدي ابن ثلاث وأربعين سنة^(٢).
 واختلف العلماء ومنهم المفسرون في كيفية نزول القرآن:
 ١ - جاء في الرواية ما يؤيد نزول القرآن دفعة واحدة على قلب النبي ﷺ ثم قاله
 الرسول تدريجياً فقد ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قوله:
 يا مفضل إن القرآن نزل في ثلاث وعشرين سنة، والله يقول:
 ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾^(٣) وقال: ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا
 منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين﴾^(٤)
 وقال تعالى: ﴿لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لثبت به فؤادك﴾^(٥)
 قال المفضل: يا مولاي فهذا تنزيله الذي ذكره الله في كتابه، وكيف ظهر الوحي في ثلاث
 وعشرين سنة؟
 قال: نعم يا مفضل أعطاه الله تعالى القرآن في شهر رمضان وكان لا يبلغه إلا في وقت
 استحقاق الخطاب، ولا يؤديه إلا في وقت أمر ونهي فهبط جبرئيل بالوحي، فبلغ ما أمر به
 وقوله: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾^(٦).

(١) البداية والنهاية ٢ / ٨

(٢) الروض الأنف ٢ / ٣٨٤

(٣) البقرة ١٨٥

(٤) الدخان ٣ - ٥

(٥) الفرقان ٣٢

(٦) سورة القيامة ١٦، البحار ٣٨ / ٨٩

وقد أيد الكثير من العلماء هذا التفسير وهذه النظرية فذكروها في كتبهم وشرحوها أي أن القرآن نزل على قلب رسول الله ﷺ ثم بلغه ﷺ للناس تدريجياً وفق الأوامر الإلهية^(١).

وواظب النبي ﷺ على الحضور في غار حراء مستأنساً بعبادة الباري عز وجل وسعيداً بتحميده وتسبيحه، ومنتظراً لنزول القرآن الكريم.

وفي عمر الأربعين نزل عليه جبرائيل بالقرآن الكريم، وكان قبل ذلك الزمن يسمع الصوت وأعطاه الله تعالى الحكمة والنبوة مثل يحيى وعيسى عليهما السلام^(٢) بل كان نبياً قبل ولادته إذ جاء: كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد^(٣) وكان يجاور في جبل حراء من كل سنة شهراً ففي سنة مبعثه خرج بأهله وعلى (ع) في رمضان إلى حراء للمجاورة فيه حتى إذا كانت الليلة التي أكرمها الله تعالى فيها جاءه جبرئيل فقال له اقرأ. قال له فما اقرأ؟

قال: (اقرأ باسم ربك الذي خلق...) إلى قوله تعالى (علم الإنسان ما لم يعلم)^(٤) وقالت الشيعة بالاجماع وكثير من أهل السنة بأنه بعث في السابع والعشرين من شهر رجب^(٥).

وقال المجلسي: إنه ﷺ حسبما صرحت به الروايات كان قبل البعثة منذ أكمل الله تعالى عقله في بدو سنه نبياً، مؤيداً بروح القدس يكلمه الملك ويسمع الصوت ويرى في المنام، ثم بعد أربعين سنة صار رسولاً وكلمه الملك معاينة، ونزل عليه القرآن، وأمر بالتبليغ، وقال المجلسي: إن ذلك ظهر له من الآثار المعبرة، والأخبار المستفيضة^(٦).

(١) تفسير الميزان ١٨/٢، تفسير الصافي ج ١ المقدمة التاسعة، تاريخ القرآن للزنجاني ١٠.

(٢) تفسير البرهان ٦/٤، تفسير المعين ٢/٧٨٨، نور الثقلين ٣/٣٢٥، البحار ١٨/٢٧٧.

(٣) طبقات ابن سعد ١/١٤٨، ١٤٩.

(٤) تاريخ ابن الوردي ١/٩٧، ٩٨، سورة العلق ١، ٢.

(٥) منتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ٣/٣٦٢، البحار ١٨/٢٠٤، ١٩٠، السيرة العلوية ١/٢٣٨، المناقب، ابن شهر آشوب ١/١٧٣.

(٦) البحار ١٨/٢٧٧.

وقد قال عيسى: ﴿إني عبد الله آتاني الكتاب، وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً﴾^(١)

وقال تعالى عن يحيى: ﴿وآتيناه الحكم صبياً﴾^(٢)

والنبي محمد ﷺ خاتم الأنبياء فمن الطبيعي ان يكون نبياً منذ صغره، والأدلة والشواهد والقرائن تشير إلى ذلك. وهناك رأيان في البعثة النبوية:

إنه ﷺ بعث في شهر رجب في السابع والعشرين منه وأصبح جاهزاً ومتهيئاً لتقبل الوحي القرآني في رمضان.

وادعى المجلسي بان الإجماع الموجود عند الشيعة ويؤيدهم فيه غيرهم ان البعثة النبوية في السابع والعشرين من شهر رجب^(٣).

وقال آخرون إنه ﷺ بُعث في شهر رمضان^(٤).

أي أن القرآن الكريم نزل في شهر رمضان ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾^(٥)

دفعه واحدة على قلب النبي ﷺ فاعطاه جبرئيل صحيفة مكتوب فيها:

﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم علّم الانسان ما لم يعلم﴾^(٦)

فقرأها رسول الله ﷺ واستمر نزول آيات الكتاب الكريم من الله تعالى إلى رسوله من سورة القلم إلى آخر سورة في القرآن الكريم وهي سورة التوبة وتم ذلك في ليلة القدر المباركة.

(١) سورة مريم ٣٠.

(٢) سورة مريم ١٢.

(٣) البحار ١٨/١٩٠، ٢٠٤، منتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ٣/٣٦٢، السيرة الحلبية ١/٢٣٨.

(٤) تاريخ الطبري ٢/٤٤، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٢، ٢٣، سيرة ابن هشام ١/٢٥٦، وقال البخاري باقتران نزول القرآن الكريم بالنبوة.

(٥) سورة البقرة ١٨٥.

(٦) سورة القلم، وهي دليل على معرفة النبي ﷺ القراءة والكتابة. ولو كان ﷺ لا يعرف القراءة والكتابة لقال له قل باسم ربك الذي خلق.

ونطق النبي ﷺ تلك الآيات تدريجياً وفق الاوامر الإلهية بواسطة جبرئيل عليه السلام على مدى ثلاث وعشرين سنة في مدينتي مكة والمدينة^(١).

ويذكر أن لفظ الإنزال والتنزيل واحد لكن فصل بينهما الطباطبائي^(٢).

ويؤيد الطباطبائي نزول القرآن دفعة على قلب رسول الله ﷺ في ليلة القدر، ثم نزل عليه القرآن المفصل تدريجياً^(٣).

فزل: ﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يُقضى إليك وحيه﴾^(٤) ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه﴾^(٥)

٢ - وقد ورد من طرق أهل البيت نزول القرآن الكريم دفعة واحدة الى البيت المعمور في السماء في ليلة القدر من شهر رمضان^(٦).

وبدأ نزوله التدريجي على رسول الله ﷺ في السابع والعشرين من شهر رجب^(٧).

وأيد بعض العلماء نزول القرآن إلى البيت المعمور دفعة واحدة ثم نزوله التدريجي الى رسول الله ﷺ. وشكك الشيخ المفيد في روايات نزول القرآن إلى البيت المعمور^(٨).

فيبقى أن القرآن قد نزل على قلب رسول الله ﷺ إما دفعة واحدة في ليلة القدر أو بدأ نزوله في ليلة القدر على قلبه ﷺ.

لأن الآية ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ لا تدل على نزوله دفعة واحدة إذ قد يراد بها

(١) راجع البحار ١٨/١٧٧، ١٩٠، ١٩٤، ٢٠٤ عن اكمال الدين ١٩٧، التمهيد في علوم القرآن ١/٨١، ٨٢ المناقب، ابن شهر آشوب ١/٤٣، تفسير الصافي، المقدمة التاسعة، تفسير الميزان ٢/١٨ - ٣٠، تفسير شبر ٣٥٠، تصحيح الاعتقاد، المفيد ٥٨، التمهيد في علوم القرآن ١/٨٢٨٢، تفسير البرهان ١/٢٩، السيرة الحلبية ١/٢٢٤، الدر المنثور ١/٢٤، ٦/٣٦٨، ١٣٦٨، ٢٣/١، تاريخ الطبري ٢/٤٢، ٤٣، البداية والنهاية ٣/٤.

(٢) تفسير الميزان ٢/١٦.

(٣) تفسير الميزان ٢/١٨.

(٤) طه ١١٤.

(٥) القيامة ١٦، ١٧.

(٦) راجع الميزان، الطباطبائي ٢/١٥ - ٣٠.

(٧) تفسير الميزان، الطباطبائي ٢/١٨، تاريخ القرآن، الزنجاني ١٠.

(٨) تصحيح الاعتقاد.

بداية نزوله في تلك الليلة المباركة دون واسطة البيت المعمور.

وأول ما نزل من القرآن: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾^(١) في غار حراء^(٢).

ونفى أحد الباحثين قضية البيت المعمور في السماء بل يراد به الكرة الأرضية المعمورة، وفسر اللوح المحفوظ بالطبيعة. وعارض الطباطبائي ذلك^(٣).

٣- والرأي الثالث هو الصحيح القائم على نزول القرآن التدريجي من الله تعالى إلى رسوله ﷺ ولم ينزل دفعة واحدة.

فكانت بداية النزول في ليلة القدر من شهر رمضان واستمر ذلك ثلاثاً وعشرين سنة.

وأول سورة نزلت العلق: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ وآخر سورة التوبة.

فآية: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ قرينته الحالية نزول خصوص أول سورة ﴿اقرأ باسم ربك...﴾ واستمر نزوله في المدة اللاحقة ولا فرق بين الانزال والتنزيل:

﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة﴾^(٤)

﴿ولن تؤمن لرقيقك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه﴾^(٥) والكتاب المقروء ينزل دفعة واحدة.

وتحقيق الكلمات القرآنية في هذا المجال يوضح عدم الفرق بينها ويراد به بدء النزول مثل قضية بدء نزول المطر في يوم واستمراره عدة أيام إذ يصح القول جاء يوم مطرت السماء أي في اليوم الأول من بدء نزوله.

كذلك في قضية نزول القرآن يصح القول مجازاً مع وجود القرينة وهي النزول التدريجي: نزل القرآن في شهر رمضان ويراد به نزوله التدريجي.

(١) العلق ١.

(٢) وهو جبل على ثلاثة أميال من مكة ويقال هو جبل فارات، المذكور في التوراة.

(٣) تفسير الميزان ٢/٢٠.

(٤) الفرقان ٣٢.

(٥) الإسراء ٩٣.

وقال جبرئيل للنبي ﷺ في حراء: أبشر فإنك نبي هذه الأمة^(١).

واستمرت الإشاعات المضادة لرسول الله ﷺ ومن الأكاذيب على رسول الله ﷺ في قضية الوحي. ذكرهم محاولة رسول الله ﷺ الانتحار بعد أن أوحى الله تعالى إليه! «حتى حزن رسول الله ﷺ حزناً غداً منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال فكلما صعد بذروة جبل لكي يلقي نفسه بدى له جبرئيل قال: يا محمد إنك رسول الله حقاً فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه، فإذا طالت عليه فترة الوحي غداً كمثل ذلك^(٢).

وقوله لخديجة: إني لأخشى أن أكون كاهناً^(٣).

وقوله لخديجة: لقد خشيت على نفسي^(٤) أي من الجنون.

فقلت: كلا والله لا يخزيك الله أبداً^(٥).

وغير ذلك من الزيف الأموي المشكك برسالة الإسلام ونبوة محمد ﷺ وعقله وحكمته. وحاولت قريش إبطال نبوة محمد ﷺ بما روته في كتب السيرة والحديث من خوف النبي ﷺ عند نزول القرآن عليه وأن خديجة هي التي طمأنته إلى الإسلام وأزالت خوفه وأنها أخذته إلى ورقة بن نوفل النصراني، فأخبره بأن ذلك الناموس الأكبر^(٦).

وكذب رجال الحزب القرشي في قضية البعثة النبوية كذباً لا حدود له، ومن هذه الأكاذيب سفر خديجة إلى الشام دون زوجها ﷺ والتقاءها ببحيرى الراهب وسؤالها عن جبرئيل فقال لها: انه قدوس قدوس فاستغلت الصليبية الحاكمة هذا الكذب وادعت صلة لها بهذا الراهب!^(٧).

ومن افتراءاتهم سؤال خديجة من عداس غلام بن ربيعة عن جبرئيل فقال لها: قدوس

(١) البداية والنهاية ٣ / ٢٠.

(٢) البداية والنهاية ٦/٣، سنن البخاري، باب كيف كان بدء الوحي ح ٣، ١/٣.

(٣) أنساب الأشراف، البلاذري ١/١١٦، ١١٧.

(٤) البداية والنهاية ٦/٣، سنن البخاري باب كيف كان بدء الوحي ٣/٣١.

(٥) المصدر السابق.

(٦) راجع صحيح البخاري ٥/١ - ٦ طبعة مشكول، صحيح مسلم ١/٩٧، تاريخ الطبري ٢/٤٧، السيرة النبوية لدحلان ١/٨٢.

(٧) الروض الأنف ٢ / ٢٤٤.

قدوس^(١).

لقد عاشت خديجة مع رسول الله ﷺ خمس عشرة سنة وشاهدت معاجز النبوة وتعلّمت من مدينة العلم المتمثلة في زوجها الكثير، وتخلّقت بأخلاقه وعرفت الديانات السابقة، وشاهدت عبادة زوجها، فأصبحت عالمة بالأديان وتابعة لزوجها في دينه الجديد، ومنتظرة لتلك الرسالة الجديدة بلهفة.

فما هذا الهراء في سؤاها الأجانب عن ديانة زوجها الحديثة، وسفرها البعيد إلى الشام للسؤال عن جبريل، وجبرئيل ينزل في بيتها؟!

وما زالت الصليبية المزيفة تستفيد من كذب الحزب القرشي في هجماتها على الإسلام والمسلمين.

وإذا لم يكن النبي ﷺ ينتظر البعثة فلماذا كان يذهب إلى غار حراء في جبل النور باذلاً جهده منفرداً بربه عزّ وجلّ لأيام طويلة! لقد حاولت تلك الروايات التشكيك في رسالة محمد ﷺ وهذا هو الهدف الأول لقريش! والحزب الأموي.

الأدلة على نبوة محمد ﷺ قبل البعثة

الواضح أنّ النبي ﷺ كان يصلي قبل نزول القرآن، وقد كان على الهدى وقد قال الإمام علي عليه السلام: صليت قبل الناس بسبع سنين. وأيد ذلك أبو جعفر الإسكافي^(٢) أن جبرئيل بشره في حراء^(٣) وأنه كان يسمع الصوت قبل البعثة أي صوت جبرئيل يحدثه^(٤).

(١) المصدر السابق.

(٢) تفسير الطبرسي ١١٥ / ٥، فضائل الصحابة ٥٨٦ / ٢.

(٣) البداية والنهاية ٢٠ / ٣.

(٤) السيرة الحلبية ٢٢٤ / ١، البداية والنهاية ٤ / ٣، البحار ٣٦٣ / ١٥، ١٧٧ / ١٨، ١٩٤، تاريخ اليعقوبي ١٩ / ٢، سيرة

ابن هشام ٢٨٠ / ١.

والفرق بين النبي والرسول ان النبي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك.
والرسول يرى في منامه ويسمع الصوت ويعاين الملك^(١).
والرسول صاحب كتاب والنبي ليس كذلك.
والنبي محمد ﷺ كان قبل البعثة نبياً وأصبح بعدها رسولاً، فكان رسولاً نبياً.
وصلى النبي ﷺ في اليوم الثاني من نزول القرآن هو وعلي ﷺ وخديجة إذ نزلت سورة
الفاتحة بعد سورة العلق وهو الصحيح وقيل أنه ﷺ كان يصلي مثل صلاته قبل المبعث
النبوي.

هل بدأت البعثة بنزول القرآن؟

قبل البعثة كان يترأى ملك سماوي للرسول ﷺ فيسددّه ويساعده^(٢).
وكان محمد ﷺ قبل البعثة نبياً فأصبح بعد البعثة رسولاً صاحب كتاب.
قال البعض: إن البعثة النبوية مقارنة لنزول أول ما نزل من القرآن وأمره بالتبليغ
والانذار. ووقعت هذه الواقعة في ليلة القدر:

﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين﴾^(٣)

وأيد البخاري هذا الرأي^(٤) لذلك ذكر الاكاذيب القرشية في حق رسول الله ﷺ قبل
البعثة مثل أكله قرابين الأصنام ورغبته في الطرب ثم اتهمه بعد البعثة ايضاً في خوفه الجنون
ونيته الانتحار!!^(٥)

في حين طهر البخاري وامثاله من رجال الحزب القرشي ورقة بن نوفل وزيد بن
عمرو عن أكل قرابين الأصنام وشرب الخمر وعبادة الاوثان^(٦).

(١) تفسير الصافي، الفيض الكاشاني، ٢ / ٢٨٤.

(٢) التمهيد في علوم القرآن ١ / ٨٣.

(٣) الدخان ٢.

(٤) سنن البخاري، باب كيف كان بدء الوحي ٣ / ٣١.

(٥) سنن البخاري ٥ / ٥٠ باب ما ذبح على النصب، سيرة ابن اسحاق ٧٩.

(٦) الروض الأنف ٢ / ٤٠٤، ٤٠٧.

فمشكلة الحزب القرشي انهم لا يؤمنون بعصمة الأنبياء أولاً وثانياً يجعلون من رسول الله ﷺ قبل البعثة رجلاً عادياً.

وبلغ حقد هذا البعض ذكرهم ان أبا بكر أخذ بيد محمد ﷺ إلى ورقة بن نوفل بطلب من خديجة ليعلمه الحالة التي يعيشها ويفسر له الآيات التي شاهدها^(١). وقوله ﷺ لخديجة: لقد خشيت على نفسي اي من الجنون^(٢).

فالحزب القرشي يريد تفضيل كل الناس على رسول الله ﷺ ومنهم خديجة وأبو بكر وورقة حقداً منهم على الرسالة الإسلامية، مثلما فعل اليهود بعيسى عليه السلام فاتهموه بامه كذباً وزيفاً.

وعن علاقة النبوة بالقرآن عارض العلماء ومنهم الطباطبائي ذلك في ميزانه قائلاً:

إن النبوة لم تبدأ بنزول القرآن^(٣).

وأول ما بدأ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة، وكان يرى الرؤيا فتأتيه مثل فلق الصبح^(٤).

فهو ﷺ نبي منذ ان ولدته أمه ونطق حينها قائلاً الله أكبر والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة واصيلاً.

وقد ورد في رواية ما يشير إلى وجود ملك يسدده ويساعده على فعل الاعمال الحسنة الحميدة، وكثيراً ما كان يترأى له ذلك الملك، قبل نزول القرآن الكريم عليه^(٥).

وجاء في رواية بأن البعثة في السابع والعشرين من شهر رجب وهو المشهور وادعى المجلسي الإجماع عليه عند الشيعة وروي عن غيرهم أيضاً^(٦).

(١) الروض الأنف ٢ / ٤٠٨.

(٢) الروض الأنف ١ / ٤١٠.

(٣) تفسير الميزان ٢ / ٢٠.

(٤) تفسير الميزان ٢٠ / ٣٢٧.

(٥) التمهيد في علوم القرآن ١ / ٨٣.

(٦) البحار ١٨ / ١٩٠، ٢٠٤، المناقب، ابن شهر آشوب ١ / ١٧٣، مستد أحمد ٣ / ٣٦٢، سيرة مغلطاي ١٤، السيرة الحلبية ١ / ٢٣٨.

أول صلاة جماعة في الكعبة

وكانت أول صلاة جماعة في الكعبة تدل على أهمية الجماعة والاتحاد. ومكانة المرأة البارزة في الإسلام ودورها فيه. وعدم اعارة النبي ﷺ الأهتمام لطغاة مكة وجبابرتها وتصميمه على المضي قدماً في رسالته.

قال عفيف: جئت في الجاهلية إلى مكة فنزلت على العباس بن عبدالمطلب، فلما طلعت الشمس وحلّقت في السماء وأنا أنظر إلى الكعبة، أقبل شابٌ فرمى ببصره إلى السماء ثم استقبل الكعبة^(١).

فأقام مستقبليها، فلم يلبث حتى جاء غلام فقام عن يمينه، قال: فلم يلبث حتى جاءت امرأة فقامت خلفها، فركع الشاب، فركع الغلام والمرأة، فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة، فخر الشاب ساجداً فسجداً معه.

فقلت: يا عباس أمر عظيم.

فقال: أمر عظيم أتدري من هذا؟
فقلت: لا.

قال: هذا محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب ابن أخي، أتدري من هذا معه؟
قلت: لا.

قال: هذا علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب ﷺ ابن أخي.
أتدري من هذه المرأة التي خلفها؟
قلت: لا.

قال: هذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخي.
وهذا (النبي ﷺ) حدثني أن ربك رب السماء أمرهم بهذا الذي تراهم عليه وأئتم الله ما أعلم على ظهر الأرض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة^(٢).
وهذه الرواية تثبت أن هؤلاء الثلاثة فقط كانوا على دين الإسلام ثم أنذر ﷺ

(١) كانت الصلاة أولاً إلى بيت المقدس وقد يكون النبي ﷺ صلى باتجاه بيت المقدس والكعبة امامه.

(٢) تاريخ الطبري ٥٦/٢.

عشيرته فأسلم بعضهم وعلى رأسهم جعفر بن أبي طالب قبل اسلام الصحابة (١).

الرسول ﷺ ينذر عشيرته

لقد أبلغ النبي ﷺ عشيرته الأقربين قبل غيرهم فيكون اسلامهم قبل غيرهم. فلما نزلت آية ﴿وانذر عشيرتك الأقربين﴾ (٢) جمع النبي ﷺ من بني عبدالمطلب أربعين رجلاً أحدهم يأكل الجذعة ويشرب الفرق فصنع لهم مداً (٣) من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي الطعام كأنه لم يمس، ثم دعا بقعب من لبن فجرع منه جرعة ثم قال لهم: اشربوا بسم الله. فشربوا حتى رووا وبقي الشراب كأنه لم يمس، فبدرهم أبو لهب فقال هذا ما سحركم به الرجل. فسكت ﷺ ولم يتكلم.

فتصدى له أبو طالب قائلاً: يا عورة، والله لننصرنّه ثم لنعيننه (٤). وخاطب رسول الله ﷺ قائلاً: يا ابن أخي إذا اردت أن تدعو إلى ربك فاعلمنا حتى نخرج معك بالسلاح (٥).

وهذا يثبت اسلام أبي طالب في ذلك اليوم المشهور ثم طلبه من ابنه جعفر الاشتراك في صلاة الجماعة مع رسول الله ﷺ فأطاعه (٦).

ثم أنذرهم الرسول ﷺ كما أمره الله تعالى ودعاهم إلى عبادة الله تعالى، وأعلمهم تفضيل الله تعالى أيّاهم واختصاصه لهم إذ بعثه بينهم وأمره أن ينذرهم. وقال الرسول ﷺ:

يا بني عبدالمطلب إني لكم نذير من الله عز وجل، إني أتيتكم بما لم يأت به أحد من العرب، فإن تطيعوني ترشدوا وتفلحوا، وتنجحوا، إن هذه مائدة أمرني الله تعالى بها،

(١) عيون الأثر ١ / ١٢٤، ١٢٨.

(٢) الشعراء ٢١٤.

(٣) سورة الشعراء ٢١٤، ويأكل الجذع يقصد به المبالغة في كثرة الأكل.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٧.

(٥) المصدر السابق.

(٦) تفسير القمي ١ / ٣٧٨.

فصنعتها لكم كما صنع عيسى بن مريم عليه السلام لقومه، فمن كفر بعد ذلك منكم فإن الله يعذبه عذاباً شديداً، لا يعذبه أحداً من العالمين، واتقوا الله تعالى واسمعوا ما أقول لكم^(١).

وقال عليه السلام: أيكم يؤازرنني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصي ووزير ووارثي وخليفتي من بعدي فاحجم القوم إلا علياً وهو أصغر القوم يومئذ (سناً) حيث قام وقال:

أنا يا رسول الله.

فقال عليه السلام: أنت^(٢).

ونزلت سورة المسد: تبت يدا أبي لهب وتب...» فكناه الله تعالى بأبي لهب دلالة على استقراره في نار ذات لهب واسمه عبد العزى بن عبد المطلب^(٣).

ومن حينها بدأت العداوة بين بني هاشم وأبي لهب، فأعلن أبو طالب الإسلام، وتمسك أبو لهب بالكفر.

وأصبح علي بن أبي طالب عليه السلام خليفة النبي عليه السلام ووصيه ووزيره ووارثه، وعمره إحدى عشرة سنة^(٤). وروى أحمد بن حنبل الحديث المذكور من طريق رجال الصحاح وهم شريك والأعمش والمنهال وعباد عن علي عليه السلام^(٥).

ووفق نص الإسكافي أن الرسول عليه السلام قال: هذا أخي ووصي وخليفتي من بعدي^(٦). وقد ذكر الطبري ذلك الحديث في تفسيره وفي تاريخه^(٧) إلا أن ناسخ تفسيره حرّف

(١) البحار ٢١٥/٢٨، ٢١٦.

(٢) البحار، المجلسي ٢٢٢/٣٤، تنابيع المودة ١٢٢/١، الكامل لابن الأثير ٢٢/٢، قال المتقي الهندي: وقد صحح هذا الحديث الطبري، كنز العمال ١١٣/١٥.

(٣) ٦٣٧/٥.

(٤) أخرج الحديث الثعلبي والطبري في تفسيرهما لسورة الشعراء من تفسيريهما الكبيرين والطبري في تاريخه والسيرة الحلبية ٢٨١/١ وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ١١١/١، ١٥٩، وأخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ١١٤/١٣ وأخرجه المفيد في الأرشاد ١١، وذكر مصادره السيد شرف الدين في المراجعات.

(٥) مسند أحمد ١١١/١.

(٦) شرح النهج، المعتزلي ٢٤٤/١٣.

(٧) تفسير الطبري ٧٥/١٩، تاريخ الطبري ٦٣/٢.

الرواية إذ جاء فيها قوله ﷺ: «فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي، وكذا وكذا إلى أن قال: إنَّ هذا أخي وكذا وكذا»^(١).

وقد سار البعض على تحريف الناسخ ومنهم ابن كثير الأموي الهوى فترك تاريخ الطبري في تلك الواقعة وأخذ بتفسيره بالرغم من اعتماده على تاريخ الطبري في كتبه^(٢). وتبع محمد حسنين هيكل ابن كثير في ذلك فحى من سيرته في الطبعة الثانية ما ذكره في الطبعة الأولى عبارة: وخليفتي فيكم واقتصر على قوله: . فأأيكم يؤازرني على هذا الأمر؟^(٣)

ومن المدهش أن رجال الحزب القرشي في شتى صنوف مهتهم لا يحترمون محمدا وآل محمد ﷺ فقد ركع هؤلاء للمادة والهوى وتعصبوا فامتنعوا عن ذكر قصة تبليغه ﷺ لعشيرته الأقربين، وكأن معاوية ويزيد ما زالوا حاكمين إلى الآن يدعمان منهجهما الحزبي القرشي رغم مرور قرون عديدة، وتبدل الأوضاع واختلاف الزمان.

ولادة فاطمة وتاريخ رحلتها

جاء في تاريخ ولادة أم الحسينين ﷺ إنها ولدت في السنة الخامسة بعد البعثة النبوية الشريفة، وقد انعقدت نطفتها من ثمر الجنة الذي جاء به جبرائيل إلى رسول الله ﷺ في الإسراء والمعراج^(٤). وكانت تحدث أمها من بطنها^(٥). وقد أحب رسول الله ﷺ ابنته الوحيدة فاطمة ﷺ وفضلها على باقي نساء الأمة قائلاً:

(١) تفسير الطبري ٧٥/١٩.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/٣٥١، السيرة النبوية، ابن كثير ١/٤٥٩، البداية والنهاية ٣/٤٠.

(٣) فعل هيكل ذلك مقابل خمسمائة جنيه، راجع كتاب فلسفة التوحيد والولاية، مغنية ص ١٧٩، ١٣٢. سيرة المصطفى، الحسيني ١٣٠، ١٣١، حياة محمد، هيكل الطبعة الأولى ص ١٠٤، الطبعة الثانية ص ١٣٩ طبع

(٤) كشف الغمة ٢/٧٥، البحار ١/٤٣ - ١٠، تاريخ الخميس ١/٢٧٨، ذخائر العقبى ٥٢ المستدرک ٣/١٥٦، الدر المنثور ٤/١٥٣، تاريخ بغداد ٥/٨٧، لسان الميزان ١/١٣٤.

(٥) تذكرة الخواص، ابن الجوزي ٣٠٦، ٣٠٧، خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ١١٤، المناقب، ابن شهر آشوب ٣/٢٤٥.

إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها ويغضبني ما أغضبها^(١).

وقال رسول الله ﷺ: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة^(٢).

وكان رسول الله ﷺ إذا سافر كان آخر عهده بفاطمة، وإذا رجع بدأ ببيت فاطمة ﷺ أيضاً^(٣).

وعن تاريخ شهادتها ﷺ فهو بعد شهادة رسول الله ﷺ على أقوال:

١ - أربعون يوماً بعد شهادة أبيها^(٤) فتكون الشهادة في ٩ ربيع الثاني.

٢ - خمسة وسبعون يوماً بعد وفاة أبيها قاله الكليني والمفيد والسيد هاشم البحريني^(٥).

فتكون مناسبة الشهادة في ١٤ جمادى الاولى.

٣ - ثلاثة أشهر بعد شهادة أبيها^(٦).

وقالوا استشهدت ﷺ لثلاث خلون من جمادى الآخر^(٧).

وقبر فاطمة ﷺ مجهول لبيان مظلوميته إذ دفنت ليلاً وصلى عليها علي ﷺ وسلمان

وحذيفة وعمار وأبو ذر والمقداد ولم تسمع لأبي بكر وعمر بحضور مراسم دفنها

وقد يكون قبرها في بيتها أو في المسجد إذ قال رسول الله ﷺ بين قبري ومنبري

روضة من رياض الجنة^(٨).

وشهادتها قد وقعت وعمرها ثمانية عشر عاماً. واتفقت الأقوال في أنها استشهدت في

(١) سنن البخاري ١٣٦١/٣ ج ٣٥١٠، سنن مسلم ٥/٥٤، سنن الترمذي ٥/٦٥٦ ج ٣٨٦٩، سنن النسائي ٥/٩٧ ج ٨٣٧٠، ٨٣٧١، المستدرک، الحاكم ٣/١٧٣ ج ٤٧٥١.

(٢) سنن البخاري ١٣٢٦/٣ ج ٢٤٢٦ و ٢٣١٧/٥ ج ٥٩٢٨، سنن مسلم ٥/٥٦ ج ٩٨، سنن ابن ماجه ١/٥١٨ ج ١٦٢١، خصائص النسائي ٥/٩٦ ج ٨٣٨٦، مسند أحمد ٧/٤٠١ ج ٢٥٨٧٤، أسد الغابة ٧/٢٢٣.

(٣) مسند أحمد ٥/٣٧٥، ذخائر العقبى ٣٧.

(٤) مقاتل الطالبين ص ٤٩، بيروت، مروج الذهب ١/٤٠٣، كتاب سليم ٢٠٤.

(٥) معالم الزلفى ١٣٣، الكافي ١/٤٥٨، أي وفاتها في اواسط جمادى الاولى، وقال ابن شهر آشوب: اثنان وسبعون يوماً، المناقب ٢/١١٢.

(٦) مقاتل الطالبين ٤٩ وقاله ابن سعد والواقدي، البحار ٤٣/٢١٥.

(٧)

(٨) الكافي ٦/٤٥٢، البحار ٤٧/١٧.

السنة الحادية عشر للهجرة بعد فترة وجيزة من شهادة أبيها ﷺ^(١).

المسلمون الأوائل

ذهب كثير من الناس إلى أن علياً ﷺ لم يشرك بالله شيئاً فيستأنف الإسلام بل كان تابعاً للنبي ﷺ في جميع أفعاله مقتدياً به، وبلغ على ذلك فعصمه الله تعالى وسدده ووفقه لتبعية النبي عليه السلام^(٢).

فكان علي بن أبي طالب أول من أسلم وهو القائل: أنا عبد الله وأخو رسوله، وأنا الصديق الأكبر لا يقو لها بعدي إلا كاذب مفتر، صليت مع رسول الله ﷺ قبل الناس بسبع سنين^(٣) وقال البعض إن خديجة أول من أسلم وأول مخلوق آمن به^(٤).

والصحيح أن خديجة أول من آمن به من النساء ولكن بعد علي ﷺ. وعلي ﷺ أول من آمن به من الناس إذ جاء ذلك عن سلمان وأبي ذر وخباب وجابر وأبي سعيد الخدري وزيد بن أرقم والتزمه ابن اسحاق والزهري^(٥). وقد أيد ذلك الصحابة الأوائل قبل العهد الأموي^(٦).

قال النبي ﷺ أولكم وروداً علي الحوض أولكم اسلاماً علي بن أبي طالب^(٧).

(١) وقد اختلفت الأقوال في سنة ولادتها فقال البعض أنها ولدت قبل البعثة النبوية الشريفة بخمس سنين، تاريخ الخميس ٢٧٧/١، البحار ٩/٤٣.

وبعضهم قال ولدت قبل البعثة بسبع سنين، تاريخ الخميس، ذخائر العقبى وقالوا: ولدت قبل البعثة بأثني عشرة سنة. المستدرک ١٦١/٣، الإشتیاب بهامش الإصابة ٣٧٤/٤.

وقالوا: ولدت سنة البعثة، البحار ٨/٤٣، تهذيب التهذيب ٤٤١/٢، وقالوا: ولدت في السنة الثانية بعد البعثة، البحار ٩/٤٣، الإشتیاب بهامش الإصابة ٣٧٤/٤.

(٢) مروج الذهب ٢/٢٧٦.

(٣) تاريخ ابن الأثير ٥٧/٢.

(٤) السيرة النبوية، دحلان، الأوائل، الطبراني ٨٠، السيرة الحلبية ٢٦٧/١.

(٥) عيون الأثر ١٢٤/١، مناقب الخوارزمي ١٨ - ٢٠، السيرة الحلبية ٢٦٨/١، ٢٧٥ حلية الأولياء ٦٦/١، السيرة النبوية، دحلان ٩١/١، تاريخ بغداد ٢٣٣/٤، تهذيب تاريخ دمشق ٤٠٧/٣، الكامل ابن الأثير ٥٧/٢.

(٦) المستدرک، الحاکم ١٣٦/٢، الأوائل ١٩٥/١، حياة الصحابة ٥١٤/٢، ٥١٥.

(٧) مستدرک الحاکم ١٣٦/٢، الإصابة ٢٨/٣.

ولقد حاول الأمويون تقديم خديجة على أمير المؤمنين ﷺ ليس حياً لها بل طمساً
لفضائله ﷺ. ثم حاولوا محاولة أخرى لتقديم أبي بكر عليه لكنها فشلت إذ ادعى العلماء
اسلام أبي بكر بعد سنوات من البعثة النبوية^(١) أي بعد اسلام أكثر من خمسين رجلاً^(٢).
وبالضبط بعد رحلة الإسراء والمعراج التي كانت قبل الهجرة بسنة ونصف برواية
الواقدي^(٣).

أي أسلم أبو بكر وسن علي ﷺ واحد وعشرون سنة وقبل الهجرة بسنة ونصف^(٤).
وقال النبي ﷺ هذا علي ﷺ أول من آمن بي وصدقني وصلى معي^(٥)
ومشكلة حكوماتنا في التاريخ تتمثل في رغبتها في جعل سلاطين البلدان هم الاوائل في
كل شيء! ولو تفحصنا الأمر لوجدناه صحيحاً أليس كذلك؟
وقد أسلم أبو بكر بناءً على نصيحة كاهن في الشام أخبره بوقت خروج النبي ﷺ
وأمره باتباعه^(٦).

وفي يوم وفاة النبي ﷺ عصي أبو بكر الأمر النبوي بحملة اسامة. وشارك عمر في
قولهم لرسول الله ﷺ يهجر اي أنه مجنون واغتصب خلافة الرسول ﷺ. وأمر باقتحام
بيت فاطمة بنت محمد ﷺ^(٧).

وقال أبو القاسم الكوفي: «إنَّ أبا بكر قد أسلم بعد سبع سنين من البعثة^(٨).
وقال المسعودي: ذهب كثير من الناس إلى أنه (علي ﷺ) لم يشرك بالله شيئاً فيستأنف

(١) السيرة الحلبية ٢٧٣/١.

(٢) البداية والنهاية ٢٨/٣، تاريخ الطبري ٦٠/٢.

(٣) مجمع الزوائد ٧٦/١.

(٤) مجمع الزوائد ٧٦/١ عن الطبراني في الكبير.

(٥) شرح النهج المعتزلي ١٣ / ٢٢٥، تاريخ بغداد ٤ / ٢٢٤.

(٦) البداية والنهاية ٢٩/٣ - ٣٠، السيرة النبوية، ابن كثير ٤٣٩/١.

(٧) البداية والنهاية ٨ / ٧٣، عيون الأثر ٢ / ٢٨١، لسان الميزان ٨ / ١٨٩ في ترجمة علوان، تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٣٧.

راجع كتاب هل اغتيل النبي محمد ﷺ للمؤلف.

(٨) الإستغاثة ٢ / ٣١.

الإسلام، بل كان تابعاً للنبي ﷺ في جميع أفعاله مقتدياً به وبلغ وهو على ذلك، وإن الله تعالى عصمه وسدده ووفقه لتبعية نبيه ﷺ... ومنهم من رأى أنه أول من آمن وإن الرسول دعاه وهو موضع التكليف بظاهر قوله عز وجل ﴿وانذر عشيرتك الأقربين﴾^(١) وكان بدؤه بعلي عليه السلام إذ كان أقرب الناس إليه وأتبعهم له^(٢).

وقال السيوطي: إنه (علي عليه السلام) أول من أسلم ونقل بعضهم الإجماع عليه^(٣). وقد جاء في الروايات بأن علياً عليه السلام سبق الناس في الصلاة سبع سنين وهي لا تخالف رواية صلاته قبل الناس بثلاث سنين، لانه عليه السلام سبق الناس بعد البعثة بثلاث سنين وسبقهم قبل البعثة بأربع سنين فيكون المجموع سبع سنين.

إذ قال علي بن الحسين بن علي عليه السلام: لقد آمن بالله تبارك وتعالى وبرسوله ﷺ وسبق الناس كلهم إلى الإيمان بالله وبرسوله وإلى الصلاة ثلاث سنين^(٤).

وقال أبو جعفر الإسكافي: ضم رسول الله ﷺ علياً عليه السلام إلى نفسه سنة القحط والمجاعة وعمره يوم ذاك ثمان سنين، فكث معه سبع سنين إلى أن أتاه جبرئيل بالرسالة وقد أصبح بالغاً كامل العقل والإدراك فأسلم بعد إعمال الفكر والنظر، وورد في كلامه أنه صلى قبل الناس سبع سنين، وعنى بذلك السنين السبع التي التحق فيها بالرسول ﷺ قبل مبعثه، ولم يكن حينذاك دعوة ولا نبوة، وإنما كان رسول الله ﷺ يتعبد على ملة إبراهيم ودين الحنيفية وعلي يتابعه فلما بلغ الحلم وبُعث النبي ﷺ دعاه إلى الإسلام فأجابه عن نظر ومعرفة لا عن تقليد^(٥).

والمسلمون الأوائل:

(١) الشعراء ٢١٤.

(٢) مروج الذهب، المسعودي ٢/٢٧٦.

(٣) تاريخ الخلفاء، السيوطي ١٨٥، المستدرک، الحاكم ٣/١٣٦، حلية الأولياء ١/٦٦ تاريخ الخطيب البغدادي ٨١/٢، السيرة الحلية ١/٢٦٨.

(٤) الكافي الكليني ٨/٣٣٩، المستدرک، الحاكم ٣/١١١، ذخائر العقبى ٦٠، صفين، نصر بن مزاحم ١٠٠، الرياض النضرة ٢/١٥٨، كتاب التفسير ٣/٢٢١ - ٢٤٠.

(٥) شرح النهج، المعتزلي ١٣/٢٤٨.

جعفر وزوجته أسماء بنت عميس وعقيل^(١) وعبيدة بن الحارث^(٢) ثم أسلم زيد بن حارثة^(٣). ومصعب بن عمير^(٤) وبلال والزبير بن العوام.
 وخالد بن سعيد بن العاص وامراته أمينة بنت خلف بن أسعد^(٥).
 وحاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود^(٦). وعتبة بن غزوان^(٧). وعبيدة بن الحارث بن المطلب^(٨).

وأبو حذيفة مهشم بن عتبة بن ربيعة^(٩). وعتبة بن مسعود أخا عبدالله بن مسعود^(١٠).
 وخالد وعامر وعافل وإياس بنو البكير بن عبد ياليل^(١١).
 والارقم بن أبي الارقم^(١٢) وأبو ذر جندب بن جنادة^(١٣)، وعمار بن ياسر العنسي^(١٤)
 وأبوه وأمه وخباب بن الأرت^(١٥) وعبدالله بن جحش وأخوه أبو أحمد بن جحش^(١٦)،
 وعبدالله بن مسعود^(١٧) وخنيس بن حذافة بن قيس^(١٨)، وعمرو بن عبسة السلمي^(١٩).



- (١) عيون الأثر ١/١٢٤، ١٢٨، سير أعلام النبلاء ١/١٤٤.
- (٢) تاريخ يعقوبي ٢/٢٧.
- (٣) عيون الأثر ١٢٦ قال ابن اسحاق انه أسلم بعد علي بن أبي طالب عليه السلام، سير أعلام النبلاء ١/١٤٤.
- (٤) تاريخ يعقوبي ٢/٢٣٢.
- (٥) عيون الأثر ١/١٢٩، الكامل، ابن الأثير ٢/٦٠، تاريخ يعقوبي ٢/٢٣.
- (٦) عيون الأثر ١/١٢٩.
- (٧) تاريخ يعقوبي ٢/٢٢.
- (٨) سير أعلام النبلاء ١/١٤٤.
- (٩) عيون الأثر ١/١٢٩.
- (١٠) عيون الأثر ١/١٣٠، البداية والنهاية ٧/١٦٠.
- (١١) عيون الأثر ١/١٣٠.
- (١٢) عيون الأثر ١/١٢٧، البدء والتاريخ ٤/١٤٦، سير أعلام النبلاء ١/١٤٤.
- (١٣) عيون الأثر ١/١٢٩، سير أعلام النبلاء ١/١٤٥.
- (١٤) عيون الأثر ١/١٣٠، سير أعلام النبلاء ١/١٤٥.
- (١٥) عيون الأثر ١/١٢٧، سير أعلام النبلاء ١/١٤٤.
- (١٦) البدء والتاريخ، المقدسي ٤/١٤٦، سير أعلام النبلاء ١/١٤٤.
- (١٧) عيون الأثر ١/١، سير أعلام النبلاء ١/١٤٤.
- (١٨) عيون الأثر ١/١٢٧.
- (١٩) نفحات الأزهار ١/٣١٣، عيون الأثر ١/١٢٩.

وعامر بن ربيعة العنزي^(١) وحاطب بن الحرث بن معمر وامراته فاطمة بنت المجلل^(٢)
والسائب بن عثمان بن مظعون^(٣) والمطلب بن ازهر بن عبد عوف وامراته رملة بنت أبي
عوف بن صبرة^(٤).
وكل هؤلاء قد أسلموا قبل أبي بكر^(٥) وأول شهيد في الإسلام سمية أم عمار حين ربطت
بين بعيرين ووجيء قلبها بحربة وقتل زوجها ياسر^(٦).

المستهزؤون وتعذيب المسلمين

كان المستهزؤون برسول الله ﷺ من قريش: الوليد بن المغيرة المخزومي، والعاص بن
وائل السهمي، والحارث بن حنظلة^(٧) والأسود بن عبد يغوث بن وهب الزهري،
والأسود بن المطلب بن أسد. فدعا النبي ﷺ عليهم فنزلت فيهم: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ
الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾^(٨)، فأماهم الله شرمية^(٩).
وحاول الحزب القرشي مدح الوليد بن المغيرة لذلك فأسندوا إليه قضية بناء الكعبة كذباً
وزوراً^(١٠). وسار على ذلك معظم رجال السيرة المحبين للحزب القرشي وكان المستهزؤون
يتغامزون بالنبي ﷺ وأصحابه ويقولون: قد جاءكم ملوك الأرض ومن يغلب على كنوز
كسرى وقيصر ويصفرون به ويصفقون فاوماً النبي ﷺ إلى عيني الأسود فعمي فشغله

(١) عيون الأثر ١/١٢٧.

(٢) عيون الأثر ١/١٢٧.

(٣) عيون الأثر ١/١٢٨، سير أعلام النبلاء ١/١٤٤.

(٤) عيون الأثر ١/١٢٨.

(٥) شرح النهج ١٣ / ٢٢٤، العثمانية ٢٨٦، الفدير ٣ / ٢٤١.

(٦) أسباب نزول الآيات، الواحدي ١٩٠.

(٧) وقالوا الحارث بن عيطلة أو الحارث بن قيس، راجع تفسير القمي، الآية، وكتاب الاحتجاج.

(٨) الحجر ٩٥.

(٩) تفسير البرهان ٦١/٢، البحار ٦١/٤، تفسير الصافي ٩١٤/١، تفسير العياشي ٢/٢٥٢، تفسير القمي ١/٣٧٨.

تفسير الدر المنثور، السيوطي ١٠٦/٤.

(١٠) لاحظ موضوع بناء الكعبة في هذا الكتاب.

عن رسول الله ﷺ، وقُتِلَ ابنه وابن ابنه عتيب وابن ابنه الآخر الحارث بن زمعة بن الأسود في بدر^(١).

وكان أبو لهب يضع الأوساخ على باب جاره رسول الله ﷺ فقتله الله تعالى بالعدسة^(٢). بعد معركة بدر.

والأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة وهو ابن خال النبي ﷺ فكان يقول للنبي ﷺ مستهزئاً: أما كُلِّمَتَ اليوم من السماء يا محمد فأوماً جبرائيل إلى السماء فأصابته الأكلة فامتلاً قيحاً فمات^(٣).

والحارث بن قيس السهمي أكل حوتاً مملوحاً فلم يزل يشرب الماء حتى مات^(٤). ووطيء الوليد بن المغيرة المخزومي سهماً فخدشه، فأوماً جبرائيل إلى ذلك الخدش بيده فانتقض ومات^(٥).

ومن المستهزئين ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب^(٦). وربض الحمار العاص بن وائل السهمي ولُدغ في رجله فانتفخت حتى صارت كعنق البعير فمات منها^(٧). ومنهم طعيمة بن عدي بن نوفل بن عبد مناف قتل في بدر^(٨).

ومن جملة أعمال القتل التي تعرّض لها أصحاب رسول الله ﷺ أن أخذت قريش من استضعفت منهم وعذبتهم لإجبارهم على الرجوع عن الإسلام والشتم لرسول الله ﷺ فكان ممن يعذب في الله عمار بن ياسر وياسر أبوه وسُميَّة أمه، حتى قتل أبو جهل سميَّة، طعنها في قلبها فماتت، فكانت أول شهيد في الإسلام.

(١) تاريخ ابن الأثير ٧٥/٢.

(٢) تاريخ ابن الأثير ٧١/٢ العدسة بثرة تخرج في الجسد وهي من الطاعون.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) تاريخ ابن الأثير ٧٢/٢.

(٦) تاريخ ابن الأثير ٧٥/٢.

(٧) تاريخ ابن الأثير ٧٣/٢.

(٨) تاريخ ابن الأثير ٧٥/٢ الاحاد والمثنائى ٣٦١/١.

وخباب بن الارت، وأبو ذر الغفاري، وأبو فكيهة الأزدي، وعامر بن فهيرة، وبلال بن رباح. قال خباب بن الارت: يا رسول الله ادع لنا.

فقال ﷺ: إنكم لتعجلون، لقد كان الرجل ممن كان قبلكم يُشيط بأمشاط الحديد، ويُشق بالمنشار فلا يرده ذلك عن دينه، والله ليتمنن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله تعالى والذئب على عنزه.

واشتد على القوم العذاب ونالهم منه أمر عظيم، فرجع عن الإسلام خمسة نفر وهم: أبو قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة...^(١)

فروي أن فيهم نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُم الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ...﴾^(٢) قال محمد بن اسحاق: فصدع رسول الله ﷺ بأمر الله تعالى، وبأدى قومه بالإسلام، فلما فعل ذلك لم يبعد منه قومه، ولم يردوا عليه بعض الرد فيما بلغني حتى ذكر آلهتهم وعابها، فلما فعل ذلك ناكروه، وأجمعوا على خلافه وعداوته إلا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام، وهم قليل مستخفون^(٣).

فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ لا يعتنهم من شيء أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم، ورأوا أن أبا طالب قد حذب عليه وقام دونه فلم يسلمه لهم، مشئ رجال من أشرف قريش إلى أبي طالب، عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البختري بن هشام والأسود بن المطلب والوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام والعاص بن وائل ونيبه ومنبه ابنا الحجاج.

فقالوا: يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سبَّ آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه^(٤).

(١) بياض في الأصل.

(٢) النحل ٢٨، تاريخ يعقوبي ٢٨/٢.

(٣) تاريخ الطبري ٦٤/٢.

(٤) إذ كان أبو طالب سيد قريش لا يمكنهم تجاوزه، ولما ازداد حقدهم واشتد دفاع أبي طالب عن رسول الله ﷺ خلعوه من زعامة قريش وحصروه في الشعب. وكان أبو طالب كاتماً لإيمانه.

فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً وردّهم ردّاً جميلاً، فانصرفوا عنه ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه يظهر دين الله ويدعو إليه، ثم سرى الأمر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا. واكثرت قريش ذكر رسول الله ﷺ بينها وتذاثروا فيه، وحض بعضهم بعضاً عليه، ثم إنهم مشوا إلى أبي طالب مرّة أخرى، فقالوا:

يا أبا طالب إن لك سناً وشرفاً ومنزلةً فينا وإنّا قد نهيناك من ابن أخيك فلم تنه عنا. وإنّا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين.

وفي مرة ثالثة جاءوا إلى أبي طالب فقال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى أبي طالب فنكلّمه فيه فلي نصفنا منه، فيأمره فلي كف عن شتم آلهتنا وندعه وإلهه.

فبعث إليه أبو طالب، فلما دخل عليه رسول الله ﷺ قال: يا ابن أخي هؤلاء مشيخة قومك وسرواتهم، وقد سألوك النصف أن تكف عن شتم آلهتهم، ويدعوك وإلهك. قال ﷺ: أي عم أولاً أدعوهم إلى ما هو خير لهم منها. قال: وإلى ما تدعوهم؟

قال: ادعوهم إلى أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب ويملكون بها العجم.

فقال أبو جهل من بين القوم: ما هي وأبيك لنعطيكها وعشر أمثالها.

قال ﷺ: تقول لا إله إلا الله.

فنفروا، وقالوا: سلنا غير هذه.

فقال ﷺ: لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها.

فغضبوا وقاموا من عنده غضابى، وقالوا: والله لنشتُمَنَّك وإلهك الذي يأمرك بهذا. فقال

الله تعالى عنهم:

﴿وانطلق الملام منهم ان امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد﴾^(١)

ثم ردّ أبو طالب عرضهم في اعطائه عمارة بن الوليد بن المغيرة ليكون ابناً له ويعطيهم محمداً ﷺ ليقتلوه!

فقال المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف ^(١) لأبي طالب: لقد انصفك قومك.
فقال أبو طالب: والله ما أنصفوني ولكنك قد أجمعت على خذلاني ومظاهرة القوم عليّ
فاصنع ما بدا لك ^(٢).

فحميت الحرب بينهم، ووثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم
عن دينهم، ومنع الله تعالى رسوله منهم بعمه أبي طالب.

فكانت فتنة شديدة الزلزال على من اتبع رسول الله ﷺ من أهل الإسلام، فافتتن من
افتتن وعصم الله تعالى منهم من شاء، فلما فعلوا ذلك بالمسلمين أمرهم رسول الله ﷺ أن
يخرجوا إلى أرض الحبشة ^(٣).

وبقي رسول الله ﷺ في مكة يدعو إلى الله تعالى سراً وجهراً قد منعه الله تعالى بعمه أبي
طالب وبمن استجاب لنصرته من عشيرته.

ولما رأت قريش أنهم لا سبيل لهم إليه رموه بالسحر والكهانة والجنون وأنه شاعر.
وجعلوا يصدون عنه من خافوا منه أن يسمع قوله فيتبعه.

قال عمرو بن العاص: قد حضرتهم وقد اجتمع اشرافهم يوماً في الحجر، فذكروا رسول
الله ﷺ فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط سَفَهَ أحلامنا وشتَمَ آبائنا
وعاب ديننا وفرّق جماعتنا وسبَّ آلهتنا، لقد صبرنا منه على امرٍ عظيم.

فبينما هم كذلك إذ طلع رسول الله ﷺ فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مرَّ بهم طائفاً
بالبيت، فلما مرَّ بهم غمزوه ببعض القول، قال: فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ، ثم
مضى فلما مرَّ بهم الثانية غمزوه مثلها، ثم مرَّ بهم الثالثة فغمزوه بمثلها.

(١) ابن عم رسول الله ﷺ.

(٢) لقد اختلف أولاد عبد مناف فيما بينهم فوقف المطلب إلى جانب هاشم ووقف نوفل إلى جانب أمية واستمر ذلك في

أبنائهم، سيرة ابن اسحاق ١٥٢، تاريخ الطبري ٦٦/٢، ٦٧، تاريخ ابن الأثير ١٥٢/٢.

(٣) تاريخ الطبري ٦٧/٢ - ٦٩.

فوقف ﷺ فقال: أسمعون يا معشر قريش أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح.

فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع، وحتى أن أشدهم فيه وطأة، قبل ذلك ليرفأه بأحسن ما يجد من القول حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم راشداً، فوالله ما كنت جهولاً^(١).

واستمر المسلمون في السعي والاجتهاد إذ قرأ عبدالله بن مسعود القرآن في الكعبة: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم، الرحمن علّم القرآن خلق الإنسان علمه البيان﴾^(٢) فقاموا إليه يضربونه في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله تعالى أن يبلغ^(٣). وكان أمية بن خلف يخرج بلال بن رباح إذا حميت الظهر، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له: لا والله لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد ﷺ وتعبد الملات والعزى فيقول: أحد أحد^(٤). وأخذ المشركون بعض المسلمين فألْبَسُوهم أدرع الحديد وصهروهم في الشمس. وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه (وكانوا أهل بيت إسلام) إذا حميت الظهر يعذبونهم برمضاء مكة، فيمر بهم رسول الله ﷺ فيقول: صبراً آل ياسر موعدكم الجنة^(٥). وأول شهيد في الإسلام كانت أم عمار سمية طعنها أبو جهل بحربة في قُبلها^(٦). وكان أبو جهل الفاسق إن سمع برجل قد أسلم له شرف ومنعة أنه وخزاه وقال تركت دين أبيك وهو خير منك، لنسفهن حلمك، ولنفيلنّ رأيك، ولنضعفنّ شرفك: وإن كان تاجراً قال: والله لنكسدنّ تجارتك ولنهلكنّ مالك، وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به.

(١) تاريخ الطبري ٧١/٢.

(٢) الرحمن ٤.

(٣) تاريخ الطبري ٧٣/٢.

(٤) البداية والنهاية ٧٥/٣.

(٥) سيرة ابن هشام ٣٤٢/١، البداية والنهاية ٧٦/٣، دلائل البهقي ٢٨٢/٢، المستدرک الحاکم ٣٨٨/٣، مجمع الزوائد، الهيثمي ٢٩٣/٩.

(٦) الاستيعاب، بهامش الإصابة ٣٣٠/٤، الإصابة ٣٣٥/٤، البداية والنهاية ٧٦/٣.

قال ابن عباس: إن كانوا ليضربون أحدهم، ويجمعونه، ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضرب الذي به حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة.

فزل قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١).

الصراع الأبدي على السياسة

كان الوليد بن المغيرة وأبو جهل المخزوميان وبنو عدي (قبيلة عمر) وبنو عبد الدار من حزب لعقة الدم المعارض لحلف الفضول فأستمر هؤلاء في محاربة حلف الفضول وأفراده والإسلام المحمدي صراعاً على السلطة فأراد عمر بن الخطاب قتل رسول الله ﷺ في مكة قبل إسلامه، ولما فشل توسل بالسياسة فأعلن إسلامه وكرّر محاولاته في المدينة مع رجال الحزب القرشي فنجحوا أخيراً^(٢). ثم نجح أفراد حزب لعقة الدم في قتل أبي بكر أيضاً لاقصاء بني تيم المنتمية إلى حزب الفضول عن السلطة^(٣). وبابعد بني هاشم وبني تيم عن الحكم خلت الاجواء لرجال حزب لعقة الدم من بني عدي وبني أمية^(٤).

وكان الوليد بن المغيرة المخزومي من أشد الناس على رسول الله ﷺ فجمع قريشاً وقال لهم: قد حضر الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فاجمعوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، ويرد قول بعضكم بعضاً. فقالوا: نقول كاهن. فقال: ما هو بكاهن، لقد رأيت الكهان فما هو بزمزمة الكاهن وسجعه. فقالوا: نقول مجنون^(٥)، فقال: ما هو بمجنون، لقد رأينا المجنون وعرفناه، فما هو تخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته.

(١) النحل ١٠٦، البداية والنهاية ٣/٧٦.

(٢) راجع كتاب هل أغتيل النبي محمد ﷺ للمؤلف.

(٣) راجع كتاب اغتيال الخليفة أبي بكر وعائشة.

(٤) راجع موضوع بناء الكعبة في هذا الكتاب لأهميته.

(٥) وهو رأي عمر وقد تمسك عمر بن الخطاب بهذا الاقتراح إلى الأبد ففي يوم مقتل رسول الله ﷺ قال له أنه يهجر

أي مجنون سنن البخاري، باب جوائز الوفد ٢ / ١١٨.

فقالوا: نقول شاعر، فقال: ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر برجزه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر.

قالوا: فنقول ساحر، قال: ما هو بساحر، قد رأينا السحار وسحرهم ما هو بنفته ولا عقده.
قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟

قال: والله إن قوله لحلاوة وإن أصله لعذق، وإن فرعه لجناة، فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل، وإن اقرب القول لأن تقولوا: ساحر يفرق بين المرء وبين أبيه وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته، فتفرقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون يسألون الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه وذكروا لهم أمره، فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة:

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا... إِلَى قَوْلِهِ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾^(١)

وكانت أطروحة الحزب القرشي في محاربة الإسلام تتمثل في :

١ - منع انتشار الإسلام بين الناس

٢ - اغتيال رسول الله ﷺ .

٣ - القضاء على رسول الله ﷺ والمسلمين بالحرب .

٤ - دخول بعض دهاة قريش في الإسلام صورياً مثل أبي بكر وعمر وابن العاص

وخالد ومحاولتهم تنفيذ البنود السابقة والسيطرة على خلافة رسول الله ﷺ.

٥ - دخول زعماء الحزب القرشي في الإسلام ظاهراً بعد فتح مكة ونجاحهم في جر

جيش المسلمين إلى الهزيمة وتمّ ذلك فتدخل الله تعالى ونصر مجموعة المسلمين الصامدة

بقتل علي بن أبي طالب لحامل لواء هوازن فتسبب في فرار الكافرين^(٢). فنجح المشروع الرابع

ووصل زعماء الحزب القرشي إلى سدة الرئاسة والحكومة. وهذا الأمر كان معروفاً في

قريش في حينها فلقد أظهر أبو طالب الكفر واسراً الايمان، قال جعفر الصادق عليه السلام:

(١) سورة المدثر ١١ - ٢٦، تاريخ ابن الأثير ١/٥١، البداية والنهاية ٣/٧٨، ٧٩، عيون الأثر ٢/١٣٤.

(٢) راجع موضوع معركة حنين في هذا الكتاب.

إنَّ مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف اسرّوا الايمان واظهروا الشرك فأتاهم الله
أجرهم مرتين^(١).

ونزلت في الوليد بن المغيرة ﴿عُتِّلْ بعد ذلك زنيم﴾^(٢)
واعترف أبو جهل بالاسلام قائلاً: والله إني لأعلم أن ما يقول حق ولكن يمنعني شيء،
إن بني قصي قالوا: فينا الحجابة. فقلنا: نعم.

ثم قالوا: فينا السقاية.

فقلنا: نعم.

ثم قالوا: فينا الندوة.

فقلنا: نعم.

ثم قالوا: فينا اللواء.

فقلنا: نعم.

ثم أطعموا وأطعمنا. حتى إذا تحاكت الركب قالوا: منّا نبي، والله لا أفعل^(٣).
وهذا الحسد والصراع القبلي والقومي هو الذي دعا أبا بكر وعمر ورجال الحزب
القرشي لا حقاً لمعارضة اجتماع النبوة والخلافة في قبيلة بني هاشم^(٤) وذلك الصراع هو
الذي دعا هؤلاء لقتل رسول الله ﷺ وابنته فاطمة^(٥)، وهو الذي تسبب في اقدام
عمر وعثمان على قتل أبي بكر وصحبه^(٦)، وهو الذي دفع عثمان وبني أمية لقتل عمر، وهو
الذي دعا معاوية للمساعدة في قتل عثمان ليصل السلطة!!.

(١) شرح النهج ١٤ / ٧٠ البحار ٣٥ / ١١١، اصول الكافي ١ / ٣٧٣.

(٢) سورة القلم ١٣.

(٣) دلائل النبوة، البيهقي ٢ / ٢٠٧، البداية والنهاية ٢ / ٨٣.

(٤) تاريخ ابن الاثير ٣ / ٢٤، شرح النهج ٢ / ١٠٧، تاريخ الطبري ٣ / ٢٨٩، الأرشاد ١ / ٢٤٨.

(٥) راجع كتاب هل اغتيل النبي محمد ﷺ للمؤلف.

(٦) راجع كتاب اغتيال الخليفة أبي بكر وعائشة.

اسلام حمزة

واستمر طغيان قريش على رسول الله ﷺ بعد موت أبي طالب فرأى أبو جهل عليه وهو جالس عند الصفا فأذاه وشتمه ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف له فلم يكلمه رسول الله ﷺ.

فأقبل حمزة متوشحاً قوسه راجعاً من قنص له. وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، وكان إذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم، وكان أعز قريش وأشدّها شكيمة.

فقالت له مولاة عبدالله بن جدعان: يا أبا عمار لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آنفاً قبل أن تأتي من أبي الحكم بن هشام وجده ههنا جالساً فسبّه وآذاه وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه، ولم يكلمه محمد.

فاحتمل حمزة الغضب فخرج سريعاً لا يقف على أحدٍ كما كان يصنع يريد الطواف بالكعبة، فلما دخل المسجد نظر إليه جالساً في القوم، فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها ضربة فشجه بها شجة منكراً، وقال:

أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول فردّ ذلك عليّ إن استطعت.

وقامت رجال بني مخزوم لينصروا أبا جهل، فقال أبو جهل: دعوا أبا عمار فإني والله لقد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً^(١).

فلما أسلم حمزة عزّبه الدين والنبي ﷺ^(٢) وكان حمزة أعز فتى في قريش وأشدّهم شكيمة^(٣).

محاولة قتل النبي ﷺ في مكة

ومن ضمن المحاولات الرامية لقتل رسول الله ﷺ في مكة محاولة عمر بن الخطاب:

(١) تاريخ الطبري ٧٢/٢، ٧٣.

(٢) البدء والتاريخ، المقدسي ٩٨/٥.

(٣) السيرة النبوية، ابن هشام ٣١٢/١، تاريخ الطبري ٧٢/٢ - ٧٣.

جاء عن انس بن مالك بأن عمر خرج متقلدا سيفه فلقى رجل من بني زهرة، فقال:
اين تعمدا يا عمر؟

فقال: أريد أن اقتل محمداً.

قال: وكيف تأمن في بني هاشم، وبني زهرة، وقد قتلت محمداً؟

فقال عمر: ما أراك إلا صبوت وتركت دينك الذي أنت عليه.

قال: أفلا أدلك على العجب يا عمر؟ إن خنتك^(١) واختك قد صبوا وتركوا دينك الذي
انت عليه.

فقال عمر: أتيت الدار (دار أرقم بن أبي الأرقم) وحمزة وأصحابه جلوس في الدار،
ورسول الله ﷺ في البيت، فضربت الباب، فاستجمع القوم، فقال لهم حمزة: ما لكم؟
قالوا: عمر بن الخطاب.

قال: وعمر بن الخطاب؟ افتحوا له الباب، فإن أقبل قبلنا منه، وإن أدبر قتلناه.

قال: فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: ما لكم؟

قالوا: عمر بن الخطاب.

فخرج رسول الله ﷺ فأخذ بمجامع ثيابه، ثم نثره نثرة، فما تمالك أن وقع على ركبتيه في
الأرض. وقال ﷺ: ما أنت بمنته يا عمر؟

قلت: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله^(٢).

أي ان عمر خرج متقلداً السيف وقائلاً: اريد ان اقتل محمداً، وبعد ضربه لاخته لم ينزع
سيفه، بل ذهب إلى رسول الله ﷺ ليقتله إذ جاء:

حتى أتى ﷺ عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف، فقال: أما أنت منته يا عمر حتى
يُنزل الله بك من الخزي والنكال ما انزل بالوليد بن المغيرة^(٣).

(١) زوج اخته.

(٢) مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر ٢٦٩/١٨ طبع دار الفكر، سيرة ابن اسحاق ١٨١/٢ طبع دار الفكر.

(٣) الطبقات، ابن سعد ٢٦٨/٣، ٢٦٩، طبع دار صادر - بيروت، صفوة الصفوة، ابن الجوزي ٢٦٩/١.

وواضح من النص أن النبي ﷺ وحمزة كانا متيقنين من قدوم عمر للاغتيال، إذ جاء متقلداً سيفه.

وذكر ابن اسحاق: وقد بلغ رسول الله ﷺ أن عمر يطلبه ليقتله^(١).

وكان عمر كثير الأذى لرسول الله ﷺ في مكة لذا قال النبي ﷺ له: يا عمر ما تتركني ليلاً ولا نهاراً^(٢). وقال له أيضاً: ما أنت بمنته يا عمر^(٣).

ولما فشلت محاولة عمر اضطر إلى الاستسلام والدخول في الإسلام لينال السلطة من الطرق السياسية. والوصول إلى الزعامة من الناحية الداخلية أفضل من الاستحواذ عليها من الأبواب الخارجية، أليس كذلك؟

ولكن من بعث عمرَ لاغتيال رسول الله ﷺ؟

ذكر محمد بن اسحاق أن قريشاً بعثت عمر بن الخطاب لقتل النبي محمد ﷺ فتقلد سيفه^(٤). وقال ابن عساكر: لقد حاول عمر بن الخطاب في مكة أيام الجاهلية قتل رسول الله ﷺ بأمر قريش، لكنه فشل في ذلك^(٥). وفشل في محاولاته الأخرى في المدينة ثم حاول مرة أخرى في سنة ١١ هجرية، فهل نجح أم فشل في مهمته القرشية ستقرأ ذلك في نهاية الكتاب.

لذلك لم يقتل زعماء قريش وهم العاص بن سعيد وخالد بن الوليد وضرار بن الخطاب الفهري عمر في حروبهم عندما تمكنوا منه ثلاث مرات في بدر واحد والخندق^(٦).

(١) سيرة ابن اسحاق ص ١٨٣ طبع دار الفكر.

(٢) حلية الأولياء ٤٠/١.

(٣) حلية الأولياء ٤٠/١.

(٤) سيرة ابن اسحاق ص ١٦٠، طبع دار الفكر.

(٥) مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر ٢٦٩/١٨، طبع دار الفكر، الطبقات، ابن سعد ١٩١/٣، صفوة الصفوة، ابن الجوزي ٢٦٩/١.

(٦) الأرشاد ١/ ٧٦ مغازي الواقدي ١/ ٢٣٧، السيرة الحلبية ٢/ ٢٣١، مختصر تاريخ دمشق ١١/ ١٥٦، ١٥٧ طبعة دار الفكر، شرح النهج ١٤/ ٢١٤، طبقات الشعراء لابن سلام ٦٣، البداية والنهاية ٣/ ١٠٧.

تصميم النبي ﷺ على تبليغ الرسالة

لما ضغطت قريش على أبي طالب وهددته قال للنبي ﷺ:

يا ابن أخي إن قومك قد آذوني فأبق عليّ وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت. واكفف عن قومك ما يكرهون من قولك هذا الذي فرق بيننا وبينهم. فقال رسول الله ﷺ: يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي ما تركت الأمر حتى يظهره الله تعالى أو أهلك في طلبه.

فقال أبو طالب: إمض على أمرك، وأفعل ما أحببت، فوالله لا نسلمك بشيء أبداً^(١).

واغروا النبي ﷺ بالمال والشرف والنساء فرفض عرضهم إذ قال له عتبة بن ربيعة: أيها الرجل إن كنت إنما بك الرياسة عقدنا الويتنا لك فكنت رأساً ما بقيت، وإن كان بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً، وإن كان إنما بك الباه فاختر أي نساء قريش شئت فزوجك عشراً، فقال رسول الله ﷺ: فرغت؟

قال: نعم.

فقال رسول الله ﷺ: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم، حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون... فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾^(٢)

فلم يهتم النبي ﷺ لعروضهم المغرية في الملك والمال والنساء، ولم يخف أعمالهم المخزية بل مضى لأمر الله تعالى، فنصره الله تعالى.

فعاد عتبة إلى قومه فقال لهم: أجابني بشيء والله ما هو بسحر ولا بشعر ولا كهانة، قرأ: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم﴾ حتى بلغ ﴿فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾^(٣)

فأمسكت فيه وناشدته الرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب،

(١) سيرة ابن اسحاق ١٥٤، تاريخ ابن الأثير ١٥٧/٢.

(٢) فصلت ٢ - ١٣.

(٣) فصلت ١ - ١٣.

فخفت أن ينزل عليكم العذاب^(١).

وأضاف عتبة: يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فلكم ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به^(٢). ولكن قريشا استمرت في غيها وجبروتها في محاربة رسول الله ﷺ والمسلمين ومناصرة أوثانها والذود عنها، واعتمدوا على محورين في مجابهة الإسلام؛ الأول اغراء رسول الله ﷺ بحطام الدنيا والثاني اعتماد سياسة العصا الغليظة لتخويف المسلمين. فلم يهتم النبي ﷺ لعروضهم المغرية في الملك والمال والنساء ولم يخف اعبالهم المخزية بل مضى لأمر الله تعالى، فنصره الله تعالى.

الدلائل والعبر

في النواحي التربوية والعقائدية والفقهية.

سعى عبد المطلب وابو طالب الى صيانة النبي ﷺ من المخاطر الاجتماعية وواظب محمد على تهذيب نفسه وضبط اهوائه وتحكيم طاعته لله تعالى فجزاه الله الجزاء الاوفى فقد آتاه الباري الحكيم صبيا مثل يحيى وساعده الله تربويا بالملائكة والمعاجز الالهية فلا يستطيع احد اطعامه الشيء الحرام فأصبح معصوما بالتربية.

ثم تربى في بيته علي ﷺ منذ نعومة اظفاره ولم يفارقه ابدا مثلما لم يفارق ابو طالب محمدا ﷺ ثم تربت في بيته فاطمة ﷺ.

ومن الجهة الاخرى ربى طغاة قريش الوليد بن المغيرة وابو سفيان وابو جهل افرادهم على التربية المضادة المتمثلة في تكذيب آيات الله ووصم النبي ﷺ بالجنون. ومنع تلاميذهم بعد اسلامهم المزيف تدوين القرآن والحديث ونادوا بجنون النبي ﷺ في بيته وفي يوم شهادته.

(١) دلائل النبوة، البيهقي ٢/٢٠٢، البداية والنهاية ٣/٨١.

(٢) البداية والنهاية ٣/٨٢.

ومن الناحية العقائدية جاء النبي ﷺ بكتاب كامل في اصول الدين في التوحيد والعدل والنبوة والامامة والمعاد وسار المسلمون والكافرون في هذا الطريق العقائدى والفكرى في خطين متوازيين لا يلتقيان ولما اسلم طغاة قريش بعد فتح مكة زيفاً بقى هذان الخطان لا يلتقيان الاول بقيادة اهل البيت والثانى بقيادة الحزب القرشى . فقال علي عليه السلام عند شهادته فزت ورب الكعبة وقال ابو بكر ياليتنى كنت بكرة وقال عمر ياليتنى كنت عذرة^(١) ومن الناحية الفقهية فقد بين النبي ﷺ فروع الدين العشرة بعد البعثة النبوية واحكامها تدريجياً وقال الله تعالى عن البعثة المباركة: ﴿وما كنا معذيين حتى نبعث رسولا﴾^(٢) . فبعث عز وجل محمداً رسولاً الى البشرية هادياً ايها الى الصراط المستقيم، وقدوة في الآداب والأخلاق، ومنقذاً من الضلالة الى النور.

فأصبحت البلاد العربية القاحلة والمتروكة من قبل القوتين العظيمتين الرومية والفارسية مركزاً مهماً للحضارة، وقطباً مهماً في السياسة، ولم يمض زمناً طويلاً حتى أضحت الدولة الإسلامية الفتية مسيطرة على بلاد كثيرة، والأمر القيادي بإدارة ايران والعراق والشام وأفريقيا يصدر منها! وذلك من العبر المستحقة للنظر والتدقيق!

فالله تعالى هو الرازق والواهب يفضل من يشاء على من يشاء ويدحر من أراد في لحظة واحدة. ولقد فضل الله تعالى مكة على من سواها بنزول كتابه الشريف على محمد ﷺ وجعلها قبله للعالمين. وبينما كانت مدينة القدس القبلة الاولى للمؤمنين حلت مكة محلها رغم المركزية الجغرافية التي تتمتع بها القدس، والمكانة النائية التي تتصف بها مكة. فاعتبروا يا أولى الألباب.

فصلّى خاتم الأنبياء اول صلاة جماعة في مكة مع أمير المؤمنين علي عليه السلام وخديجة فكانت حادثة عظيمة تتناقلها المجالس في مدن العرب، وباقي الحواضر العالمية.

(١) حياة الصحابة للكاندهلوى ٩٩/٢. وكنز العمال ٣٦١/٤ و ٣٦٥/٦. وتاريخ الخلفاء للسيوطى ١٤٢. والامامة والسياسة لابن قتيبة ١٨/١.

(٢) الإسراء ١٥.

ولما ولد النبي ﷺ في مكة وبعث فيها أضحى الحديث فيها عن رسول الله ﷺ وكتابه المنزل ومكة هو الغالب على بقية الأحاديث. وكرم الله تعالى الكعبة بولادة أمير المؤمنين علي عليه السلام في جوفها الذي قال فيه خاتم الانبياء: «إمام المتقين وقائد الغر المحجلين يوم القيامة»^(١). ومن العبر النادرة تطهير وليد الكعبة علي عليه السلام الكعبة من الأصنام في يوم فتح مكة وعلى دربه سار الأئمة الخلفاء من ولده عليه السلام. وأبقى الله تعالى تلك الشمس المضيئة للبشرية يتبعها المهتدون بقول رسول الحضارة محمد ﷺ:

اهل بيتي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم^(٢).

لقد كانت هاجر خادمة سارة ثم أصبحت ضرّتها واما لاسماعيل فلم تتحمّل سارة ذلك. فنقل النبي إبراهيم عليه السلام سكنها الى مكة. وقد وقفت عند العبرة المستوحاة من رحلة اسماعيل عليه السلام واهله هاجر الى أم القرى فقد حزّنت من ترك إبراهيم عليه السلام لها وابنها في ارض جرداء لا ماء فيها ولا شجر ولا بشر بعد غضب سارة عليها.

ولكن لم تدم حسرة هاجر ولم يطل حزنها، يجري اسماعيل عليه السلام في الارض المحرام إذ نبع ماء زمزم تحت قدميه ففرحت هاجر وجرّت دموع الفرح على خديها بعد حزنها العميق وحسرتها الطويلة. فتحول ذلك الماء علة لسكن الناس ونبات الشجر في مكة فطار صيتها وذاع خبرها في الآفاق حتى أصبحت أمّاً للقرى فهل من مدّكر؟

ثم ولدت سارة ولداً (اسحاق) مثلما ولدت خادمتها هاجر ولداً فهل من معتبر؟

وعلى طريق العبر ذكرت كتب السير بان أميّة بن خلف قد عذب بلالاً الحبشي في رمضان مكة عذاباً لا نظير له، ولم تنض ايام كثيرة إلا وأميّة بن خلف مهزوماً من معركة بدر وبلال الحبشي جارياً خلفه في براري الحجاز وقاضياً عليه!^(٣)

وبينما شارك ابو جهل في اهانة وتعذيب عبد الله بن مسعود شاءت الصدفة ان يصعد ابن مسعود على صدره في معركة بدر! فقد أجلس الله تعالى ابن مسعود الهذلي حليف بني زهرة

(١) الاصابة ٤ / ٣٣، اسد الغابة ١ / ٦٩، ٢ / ١١٦، المستدرک علی الصحیحین ٣ / ١٤٨ ح ٤٦٦٨.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣ / ٢٠٩.

(٣) شرح النهج ١٤ / ١٣٨.

على صدر رئيس قبيلة مخزوم كرامة له واهانة للطاغية! فقال له ابو جهل: لقد ارتقيت يا رويحي الغنم مرتقى صعباً! فاحتز ابن مسعود رأسه (١).

والأدلة على رؤية النبي ﷺ للملائكة قبل المبعث :

١ - قوله تعالى:

﴿إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ (٢).

فقال محمد الباقر عليه السلام: يوكل الله تعالى بأنبيائه ملائكة يحصون أعمالهم ويؤدون إليه تبليغهم الرسالة. ووكل بمحمد ﷺ ملكاً عظيماً منذ فصل من الرضاع يرشده الى الخيرات ومكارم الأخلاق ويصدّه عن الشرّ ومساوئ الأخلاق وهو الذي كان يناديه: السلام عليك يا محمد يا رسول الله (٣).

٢ - وقال اليعقوبي كان جبرئيل يظهر له ويكلّمه وربما ناداه من السماء ومن الشجر ومن الجبل، ثم قال له: إن ربك يأمرك أن تحتجب الرجس من الأوثان فكان أول أمره عليه السلام (٤).

٣ - قال علي بن أبي طالب عليه السلام: كنت في غار حراء أرى نور الوحي والرسالة وأشم ريح النبوة ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل عليه فقلت للنبي

فقال ﷺ: إنك تسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي ولكنك لوزير (٥).

٤ - قال جعفر الصادق عليه السلام: كان علي عليه السلام يرى مع رسول الله ﷺ قبل الرسالة الضوء ويسمع الصوت (٦).

(١) تاريخ ابن الأثير ٢ / ١٢٧.

(٢) سورة الجن: ٢٧.

(٣) شرح النهج: ١ / ٢٠٧.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٧.

(٥) شرح النهج: ١٣ / ١٩٧.

(٦) شرح النهج: ١٣ / ٢١٠.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کتب و علوم اسلامی

باب

الهجرة إلى الحبشة



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

هجرة المسلمين إلى الحبشة فيها وجهات نظر واهداف عديدة منها ضرورة الهجرة إلى الأماكن الاخرى هرباً من الطغاة والعتاة.

كما قال تعالى: «قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها»^(١).

وعليه يجب على المسلم الركون إلى أصحاب الديانة والرحمة والشفقة والابتعاد عن الكفرة والقساة والفسقة وتمت الهجرة وكان النجاشي النصراني بين ضغط قريش واغراءاتها وبين مطالب المسلمين، فهل كان ذلك الملك عند حسن ظن رسول الله ﷺ؟

هذا ما نراه من خلال البحث الآتي
لما قهرت قريش المسلمين المستضعفين، وعذبت العبيد فيها أمرهم رسول الله ﷺ بالخروج إلى الحبشة في السنة الخامسة للبعثة، وفيها مَلِكٌ صالح يقال له النجاشي لا يُظلم أحد بأرضه، وكانت أرض الحبشة مَشْجَرًا لقريش يتجرون فيها ويجدون فيها رفاغاً من الرزق وأمنًا ومتجرًا حسنًا.

وأصبح مجموع الخارجين إلى الحبشة ثلاثة وثمانين رجلاً وتسع عشرة امرأة عدا الاطفال، ويقال: إنَّ المجموعة الأولى كانت عشرة رجال وأربع نساء عليهم عثمان بن مظعون^(٢).

وكان مخرجهم في رجب في السنة الخامسة من نُبِئَ رسول الله ﷺ، وخرجت قريش في آثارهم حتى جاءوا البحر حيث ركبوا فلم يدركوا منهم أحداً^(٣).

(١) النساء ٩٧.

(٢) البداية والنهاية ٦٧/٢، سيرة ابن هشام ٣٤٥/١، السيرة الحلبية ٣٢٤/١، تاريخ الخميس ٢٨٨/١.

(٣) تاريخ الطبري ٦٩/٢، تاريخ يعقوبي ٢٩/٢.

وفي الحبشة جاورهم الأحباش أحسن جوار، وآمنوهم على دينهم لا يؤذوهم ولا يسمعوهم شيئاً يكرهوه في ظل عدالة الملك الحبشي النصراني. والمهاجرون إلى الحبشة: جعفر بن أبي طالب، وعثمان بن مظعون، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وامراته سهلة بنت سهيل بن عمرو، وأبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى، وأبو سلمة وأم سلمة^(١) وأبو سلمة أول من هاجر بأهله وحاطب بن أبي عمر وسليط بن عمرو^(٢).

واختار النبي ﷺ الحبشة لملكها العادل واستقلالها عن الروم وفارس، وطغت قريش ولم تفرح من هجرة المسلمين إليها بل أرادت ارجاعهم منها وقتلهم.

فلما رأت قريش أن المهاجرين قد أطمأثوا بالحبشة وأمنوا، وأن النجاشي قد أحسن صحبتهم، ائتمروا بينهم فبعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة، وعمارة بن الوليد بن المغيرة ومعهم هدايا كثيرة إلى النجاشي وأعيان أصحابه.

فساروا حتى وصلوا الحبشة، وأعطوا أصحاب النجاشي هدايا وقالوا لهم: إن ناساً من سفهائنا فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دين الملك وجاءوا بدين مُبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم.

وقد أرسلنا أشرف قومهم إلى الملك ليردّهم إليهم، فإذا كلّمنا الملك فيهم، فأشيروا عليه بأن يرسلهم معنا من غير أن يكلمهم، وخافوا أن سمع النجاشي كلام المسلمين أن لا يسلمهم.

فحضروا عند النجاشي وأعطوه الهدايا، وطلبوا منه تسليم المسلمين.

فأشار أصحابه بتسليم المسلمين إليهم. فغضب من ذلك وقال: لا والله لا أسلم قوماً جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى ادعوهم وأسأهم عما يقولون.

→ جاء بأن ابن العاص ذهب إلى الحبشة ليؤكد الإسلام مرتين السيرة النبوية، ابن كثير ٢٧/٢ البداية والنهاية ٧٦/٣ الاحتجاج ٤١١/١، ٤١٢ أي مرة مع عمارة بن الوليد ومرة مع عبد الله بن أبي ربيعة.

قال اليعقوبي: أرسلت قريش ابن العاص وعمارة بن الوليد وقال الطبري أرسلوا ابن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة وقال آخرون أرسلوا ثلاثة: ابن العاص وعمارة وعبد الله بن أبي ربيعة دلالة النبوة ٢٩٧-٣٠٣، عيون الأثر ١٥٦/١.

(١) أسد الغابة ١٩٦/٣، الإصابة ٣٣٥/٢، الإشتياع بهامش الإصابة ٣٣٨/٢، السيرة الحلبية ٣٢٣/١.

(٢) الإصابة ٣٠١/١، السيرة الحلبية ٣٢٣/١.

فأرسل النجاشي إلى أصحاب النبي ﷺ، وقد أجمعوا على صدقه فيما ساءه وسرّه، وكان المتكلم عنهم جعفر بن أبي طالب.

فقال لهم النجاشي: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا دين أحد من الملل؟

فقال جعفر: أيها الملك كنّا أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القويّ منّا الضعيف.

حتى بعث الله إلينا رسولاً منّا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا لتوحيد الله تعالى، وأن لا نشرك به شيئاً ونخلع ما كنّا نعبد من الأصنام وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء.

ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وأمرنا بالصلاة والصيام، فأمنّا به وصدّقناه، وحرّمنا ما حرّم علينا وحلّلنا ما أحلّ لنا.

فتعدى علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردّونا إلى عبادة الاوثان، فلما قهرونا وظلمونا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك ورجونا أن لا تُظلم عندك أيها الملك.

فقال النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله تعالى شيء؟

قال: نعم فقرأ عليه بعض سورة الكهف.

فبكى النجاشي وأسأفته، وقال: إنّ هذا والذي جاء به عيسى عليه السلام يخرج من مشكاة واحدة، انطلقوا والله لا أسلمهم أبداً.

فلما خرجوا قال عمرو بن العاص: والله لا آتينه غداً بما يبید خضراءهم فلما كان الغد قال للنجاشي: إنّ هؤلاء يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً.

فأرسل النجاشي فسأهم عن قوهم في المسيح عليه السلام.

فقال جعفر: نقول فيه الذي جاءنا به نبينا: هو عبدالله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

فأخذ النجاشي عوداً من الأرض، وقال: ما عدا عيسى عليه السلام ما قلت هذا العود.

ورد هدية قريش، وقال: ما أخذ الله تعالى الرشوة مني حتى أخذها منكم، اخرجوا من بلادي، فخرجوا مقبوحين^(١).

وبعد ما فشل وفد قريش في مأموريتهم تفرغوا لأمرهم. وكان عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد قد تلاحيا في الطريق، وكانت رابطة بنت منبه بن الحجاج السهمي مع زوجها عمرو بن العاص. وكان عمارة مغرمًا بالنساء فقال لعمرو: قل لها فلتقبلني.

فقال: سبحان الله: أتقول هذا لابنة عمك؟

قال: والله لتفعلن أو لأضربنك بهذا السيف.

فقال لها: قبلي، ثم إن عمارة اعتقل عمرًا فألقاه في البحر، فعام عمرو وأوهمه أنه فعل هذا مزاحاً فقال: ألق إلى ابن عمك الحبل، فألقى إليه الحبل فخرج.

فلما أراد عمرو وعمارة الانصراف وأيسا من عند النجاشي، قال عمرو وعمارة: لو أرسلت إلى امرأة الملك النجاشي فلعلنا ننال منها حاجتنا عنده، ففعل ذلك ولاطفها، فكان ينام عندها، ودهنته بدهن النجاشي.

وقال عمرو بن العاص له: لقد أصبت شيئاً ما أصاب أحد من العرب مثله، امرأة الملك، ثم وشى به عند النجاشي فدعا به ودعا السواحر فنفخن في أحليله فجن وخرج هارباً مع الوحوش^(٢).

وعمارة بن الوليد من المتهمين بالزنا بهند بنت عتبة مع ثلاثة آخرين ومعاوية منهم^(٣). إن أعمال عمارة اللاأخلاقية مع زوجة عمرو بن العاص وزناه بزوجة الملك الحبشي كان فيها تجربة جيّدة للنجاشي للتعرف على فساد زوجته وسفيري قريش وطهارة المسلمين وعلى رأسهم جعفر بن أبي طالب، وهي تجربة تربوية له ولباقي الملوك في وجوب الابتعاد عن الكافرين والمنافقين والاعتماد على المؤمنين.

(١) سيرة ابن هشام ٣٦٠/١، البداية والنهاية ٧٤/٢، تاريخ الخميس ٢٩٠/١، حلية الاولياء ١١٤/١، تاريخ ابن الأثير ٨١/٢، ٨٢، تاريخ الطبري ٧٣/٢.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٣٠/٢، سيرة ابن اسحاق ١٦٨، ١٦٩.

(٣) البحار ٢٠١/٣٣.

والسؤال المطروح هو هل أدى هذا العمل إلى اسلام النجاشي؟
لقد أرسلت قريش ثلاثة من دعاتها إلى الحبشة ليذكروا بالمسلمين فكر الله تعالى بهم
فجن عمارة وعاد ابن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة ذليلين إلى مكة.
ثم نال ابن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة أعلى المناصب في زمن خلافة قريش ولو
عاش عمارة لنال ما ناله ابن العاص وابن أبي ربيعة، اللذان كانا مثل باقي طغاة مكة لا
يتمسكان بالتقوى ولا يدينان بالورع! ولم يستخدم أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية
المسلمين السابقين المهاجرين في وظائف الدولة. لماذا؟
هل أصبح عمر في كفة ابن العاص وابن أبي ربيعة بعد ان رفضهم رسول الله ﷺ
والنجاشي؟

اسلام النجاشي

بعث رسول الله ﷺ رسالة إلى النجاشي ملك الحبشة بيد جعفر بن أبي طالب جاء فيها:
بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم عظيم
الحبشة سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا
شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الله، فإني
أنا رسوله فأسلم تسلم.

﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله، ولا نشرك
به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله. فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأننا
مسلمون﴾^(١).

فإن أبيت فعليك إثم النصارى من قومك^(٢).

فأسلم النجاشي وكتب رسالة إلى النبي ﷺ بذلك جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم. إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصحم بن أبجر، سلام

(١) آل عمران ٦٤.

(٢) المستدرك، الحاكم ٦٢٣/٢، البداية والنهاية ٨٢/٣، دلائل النبوة ٣٠٨/٢.

عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته لا إله إلا هو الذي هداني إلى الإسلام، فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى عليه السلام.

فورب السماء والأرض إن عيسى عليه السلام ما يزيد على ما ذكرت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا وقد قربنا ابن عمك وأصحابه، فأشهد إنك رسول الله صادقاً مصداً، وقد بايعتك، وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين.

وقد بعثت إليك يا نبي الله بأريحا بن الاصم بن أبحر فأني لا أملك إلا نفسي، وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله، فأني أشهد أن ما تقول حق»^(١).

وقال: أشهد أنه رسول الله وإنه الذي بشر به عيسى عليه السلام في الانجيل^(٢).

ولما عرف الأحباش بإسلامه ثاروا عليه، فوضع النجاشي المسلمين في سفينة قائلًا لهم إن هزمت فاذهبوا بسفينتكم، وإن انتصرت فابقوا عندي، فنصره الله تعالى على أعدائه، وبقي المسلمون في دولته^(٣).



مركز بحوث التاريخ والحضارة الإسلامية

قضية الغرائق والآيات الشيطانية

إخترع الحزب الأموي أكذوبة مفادها: مدح النبي ﷺ لأصنام العرب اللات والعزى ومناة، وتلقي رسول الله ﷺ الوحي من الشيطان.

وهدف قريش من ذلك إعلاء شأن أصنامها، واتهام النبي ﷺ في رسالته وعصمته ومصداقيته، والتشكيك في القرآن الكريم.

والقصة المخترعة تتمثل في جلوس النبي ﷺ مع كفار قريش بعد هجرة المسلمين إلى الحبشة بحوالي شهرين، فأنزل الله تعالى عليه سورة النجم؛ فقرأها حتى إذا بلغ قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾^(٤).

(١) دلائل النبوة ٣/٣١٠، البداية والنهاية ٢/٨٣ - ٨٤، البحار ١٨/٤١٨.

(٢) عيون الأثر ١/١٥٥.

(٣) السيرة الحلبية ٢/٢٠٢، البداية والنهاية ٢/٨٨، سيرة ابن هشام ١/٣٦٥.

(٤) النجم ١٩، ٢٠.

وسوس إليه الشيطان بكلمتين، هما (تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى) ظاناً
أنهما من جملة الوحي.

حتى إذا بلغ السجدة، سجد وسجد معه المسلمون والمشركون ولكن الوليد بن المغيرة لم
يتمكن من السجود لشيخوخته، أو لتكبره فرفع تراباً إلى جبهته فسجد عليه.
وسجد الانس والجن، وطار الخبر في مكة، وفرح المشركون، فحملوا الرسول وطافوا به
في مكة من أسفلها إلى أعلاها.

ولما أمسى جاءه جبرائيل فعرض عليه السورة، وذكر الكلمتين فيها؛ فانكرهما
جبرائيل فقال ﷺ: قلتُ على الله ما لم يقل؟
فأوحى الله إليه: ﴿وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك، لتفترى علينا غيره،
وإذا لاتخذوك خليلاً...﴾^(١)

ودعموا هذه القصة الكاذبة بالآية القرآنية: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا
نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته، فينسخ الله ما يلقي الشيطان، ثم يحكم الله
آياته، والله عليم حكيم، ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض...﴾^(٢)
والصحيح أن الله تعالى بين رأيه في رسوله قائلاً: ﴿إن هو إلا وحي يوحى﴾^(٣)
﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين﴾^(٤).
وكذب الله تعالى سلطة الشيطان على المؤمن قائلاً:

﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾^(٥)

﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾^(٦)

ولم تأت أحاديث نبوية تكذب هذه القصة مما يبين كذبها، إذ لو كانت القصة مختلفة في

(١) سورة الاسراء ٧٣.

(٢) الحج ٥٢، ٥٣ تفسير الطبري ١٧/١٣١ - ١٣٤، تفسير الدر المنثور، السيوطي ٤/١٩٤، فتح الباري ٨/٣٢٣.

(٣) النجم ٤.

(٤) الحاقة ٤٤، ٤٥.

(٥) سورة النحل ٩٩.

(٦) سورة الإسراء ٦٥.

زمن النبي ﷺ لكذبها النبي في حينه لكنها وجدت في العصر الاموي .
 فنحن نعتقد بأن القصة كاذبة من أصلها اخترعها الأمويون .
 وسار معظم المؤرخين والحفاظ على نظرية الحزب الأموي فذكروا قضية الغرائيق في
 كتبهم^(١) .
 واستفاد سلمان رشدي الملحد من هذه القصة فألف كتابه الآيات الشيطانية اعتماداً على
 كتاب البخاري ومسلم .
 وكذب محمد بن اسحاق هذه القصة وألف في ذلك كتاباً وقال بانها من وضع الزنادقة^(٢) .
 ورغم هذا دونها المتأخرون في كتبهم .
 وقال أبو حيان: إنه نزه كتابه عن ذكر هذه القصة أي قصة الغرائيق فيه^(٣) .
 وقد كذب هذه القصة السيد المرتضى، وابن العربي، والبيهقي، والرازي، والنووي،
 والنسفي، والقاضي عبد الجبار^(٤) . وقد كذبها الدمياطي والحافظ عبد العظيم المنذري .
 وكذب اليعقوبي قضية الغرائيق وما اتصل بها من الهجرة الثانية إلى الحبشة فلم يذكرها
 في تاريخه .
 وبقي جعفر وصحبه ١٢ سنة في الحبشة لتبليغ الاسلام وعادوا في فتح خيبر .

كذب الهجرة الثانية الى الحبشة

جاء في الخبر الصحيح كانت الهجرة إلى الحبشة واحدة فقد روى الواقدي أن أول من
 هاجر منهم أحد عشر رجلاً وأربع نسوة^(٥) .

(١) البدء والتاريخ، البلخي ٥٤/٢، عيون الأثر، ابن سيد الناس ١٥٨/١، تاريخ الطبري ٧٧٧٦/٢، تاريخ ابن الأثير

٧٧/٢، البداية والنهاية ١١٣/٣، سيرة ابن اسحاق ١٧٧ .

(٢) راجع البحر المحيط لأبي حيان ٣٨١/٦ .

(٣) تفسير البحر المحيط ٢٨١/٦ .

(٤) تنزيه القرآن عن المطاعن ٢٤٣، فتح الباري ٣٣٣/٨، تفسير الرازي ٥٠/٣٣، المواهب اللدنية ٥٣/١، السيرة
 العلوية ١١/١ .

(٥) البداية والنهاية ٨٤/٢ .

وقال ابن جرير وآخرون بل كانوا اثنين وثمانين رجلاً سوى نسائهم وأبنائهم^(١).
وقد قال عبدالله بن مسعود: «بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي ونحن ثمانون رجلاً،
ومعنا جعفر بن أبي طالب وعثمان بن مظعون... فدخلوا على النجاشي فلم يسجدوا له .
فقالوا: ما لكم لم تسجدوا للملك؟».

فقال (جعفر بن أبي طالب): إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ إِلَيْنَا نَبِيَّه فَأَمَرَنَا أَنْ لَا نَسْجُدَ إِلَّا لِلَّهِ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى^(٢).

ومن الطبيعي ان تكون الهجرة إلى الحبشة مثل الهجرة إلى المدينة في مجموعات متفرقة
مستخفية على ان يكون التقاؤها في جدة أو في الساحل الحبشي. وتسمى هذه هجرة واحدة.
لكن مخترعي قصة الغرائق احتاجوا لتكميل قصتهم إعادة بعض المسلمين خيالاً من
الحبشة بعد شهرين من وصولهم إليها لتكمل اكذوبتهم فقالوا بعودة بعض المسلمين إلى مكة
منهم عثمان بن مظعون.

ولم يكن كذبهم مرتباً إذ كيف يصل خبر المصالحة بين رسول الله ﷺ وقريش بهذه
السرعة القياسية إلى الحبشة، فيعودوا إلى مكة! بلا ضمان ودون التثبت من صحة الخبر!
إذ ان وصول الخبر إلى الحبشة وعودتهم إلى مكة يحتاج إلى شهرين! وبعض المسلمين لم
يكن مضى عليه في الحبشة شهر واحد، ولماذا لم يرجع كل المسلمين من الحبشة بعد سماعهم
الخبر؟

إن عودة بعض المسلمين من الحبشة ورجوعهم إليها مستندة إلى قصة الغرائق، والمبني
على الفاسد فاسد^(٣).

الدلائل والعبر

من الناحية العقائدية عذب المشركون المسلمين وأذاقوهم ألوان العذاب في مكة بدءاً

(١) البداية والنهاية ٨٥/٣

(٢) دلائل النبوة، البيهقي ٢/٢٩٨.

(٣) سألته بانتفاء الموضوع بزيف قصة الغرائق.

من المقاطعة الاجتماعية والاقتصادية والعذاب الجسدي والنيل من كرامتهم لترك العقيدة الإسلامية فصبر المسلمون ودعوا الله تعالى بانقاذهم من شر العتاة المردة، فأوجد الباري عز وجل طريقاً للنجاة والكرامة لهم متمثلاً في الحبشة بتسهيل أمر الهجرة إليها من جهة وهداية ملكها إلى الإسلام من جهة أخرى. فحصل المسلمون على العز والراحة والأمان في تلك البلاد.

﴿والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئتهم في الدنيا حسنة﴾^(١).

فاشتد غضب قريش وطار صوابها لأمر عديدة منها:

الأول: نجاة المسلمين من القتل والعذاب القرشي.

الثاني: أصبحت هجرتهم مكسباً هاماً في اذهان أهالي مكة والحجاز يشجع الناس على

دخول الاسلام، ويدفع المسلمين إلى مواصلة الاعتقاد بالدين الجديد.

الثالث: خوف قريش من تحالف الحبشيين مع المسلمين ومساعدتهم لهم في صراعهم مع

قريش. فتفقد مكة تجارتها مع الحبشة وتخسر صديقاً قديماً لها. وكان القرشيون يزورون الحبشة واليمن في رحلاتهم التجارية الشتوية.

ومن الناحية العقائدية أيضاً أرسلت قريش اعتقاً شياطينها إلى الحبشة للمجىء،

بالمسلمين وقتلهم، وتقوية علاقاتها بدولة الحبشة وهم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي

ربيعة وعمارة بن الوليد المخزومي^(٢) فحصل صراع عقائدي بين الإسلام والكفر في الحبشة

مركزه القصر الملكي واشتد ذلك الصراع فانقسمت الحكومة الحبشية بين مؤيد ومعارض.

وبينما كان جعفر بن أبي طالب يقود راية الإسلام في هذا البلد كان عمرو بن العاص

يحمل راية الكفر هناك، وبعد مناقشات حادة نصر الله تعالى الموحدين وطمس راية

المشركين، فردّ الملك هدايا القرشيين.

وهما نموذجان لتربيته مختلفتين الأولى تربية أبي طالب وفاطمة بنت اسد الدينية

(١) النحل ٤١.

(٢) سيرة ابن هشام ١ / ٣٦٠، البداية والنهاية ٣ / ٧٤، تاريخ الخميس ١ / ٢٩٠، حلية الأولياء ١ / ١١٤.

والثانية تربية العاص والنابعة الجاهلية

ومن الناحية التربوية ايضاً أصبحت أخلاق المسلمين في الحبشة عبرة للمسيحيين، في حين أصبحت أعمال الكافرين لعنة عليهم وعلى أنصارهم، إذ نفذ عمارة المتربى في حضن الوليد بن المغيرة إلى مخدع ملكة البلاد، فأخبر عمرو بن العاص ملك الحبشة بذلك فطار الخبر في البلاد وأصبح عمارة بن الوليد بن المغيرة عبرة للزناة الخونة وللناس جميعاً، إذ كانت الحبشة نهاية لمغامراته النسائية، التي كان منها روابطه اللامشروعة بهند (ام معاوية) وملكة الحبشة. فاصبحت رحلة سفراء قريش المذكورة عاراً ولعنة عليها، ومن دواعي سوء علاقتها بملك الحبشة.

وهذه من مصاديق قوله تعالى «إِنْ تَنْصَرُوا لِلَّهِ يَنْصِرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ»^(١). فجعل الباري عز وجل الحبشة أرضاً للسلام ومقراً للغز والأمان للمسلمين انه على كل شيء قدير.

فبرزت ناحية فقهية مهمة في تحريم الاسلام للزنا ورعايته للعفة وانجرار الكفرة وراء الانحطاطات اللااخلاقية.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کتب و علوم اسلامی

باب

المقاطعة السياسية والاجتماعية والاقتصادية





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

صحيفة المقاطعة

لما فشلت إغراءات قريش للنبي ﷺ واستمر بنو هاشم في الدفاع عن محمد ﷺ ائتمروا في أن يكتبوا بينهم كتاباً يتعاقدون فيه على أن لا يُنكحوا بني هاشم وبني المطلب ولا يُنكحوا إليهم، ولا يبيعوهم ولا يبتاعوا منهم شيئاً، فكتبوا بذلك صحيفة وتعاهدوا على ذلك، ثم علّقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً لذلك الأمر على أنفسهم.

فلما فعلت قريش ذلك انحازت بنو هاشم وبني المطلب إلى أبي طالب، فدخلوا معه في شعبه، وخرج من بني هاشم أبو لهب بن عبد المطلب إلى قريش، فلقى هنداً بنت عتبة فقال: كيف رأيت نصري اللات والعزى؟ قالت: لقد أحسنت^(١).

وقد وقّع على تلك الصحيفة أربعون رجلاً من وجوه قريش، وختموها بخواتيمهم وذلك في السنة السابعة من البعثة النبوية^(٢).

وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة فشلت يده وقُتل يوم بدر كافراً^(٣).

ولقد اضطرت قريش إلى هذه المقاطعة بحق بني هاشم والمطلب لأجبارهم على تسليم رسول الله ﷺ ليقتلوه، إذ أن قريشاً خافت إقدامها على قتل النبي ﷺ من رد فعل بني هاشم والمطلب.

فأقام ومعه جميع بني هاشم وبني المطلب ثلاث سنين حتى أنفق رسول الله ماله، وانفق

(١) تاريخ ابن الأثير ٨٧/٢ - ٩٠.

(٢) تاريخ ابن الأثير ٨٧/٢ - ٩٠.

(٣) تاريخ ابن الأثير ٨٩/٢، سيره ابن دحلان ١ / ٢٢٢.

أبو طالب ماله، وانفقت خديجة بنت خويلد ماله وصاروا إلى حد الضر والفاقة. ووضعت قريش عليهم الرقباء حتى لا يأتيهم أحد بالطعام، فكانوا لا يخرجون من شعب أبي طالب إلا في موسم العمرة في رجب وموسم الحج في ذي الحجة للبيع والشراء، أكلوا فيها الخبط وورق الشجر^(١). وتعرض الاطفال لمحنة عظيمة وعلى رأسهم فاطمة بنت محمد ﷺ التي بقيت في الحصار من عمر اثنين سنة إلى خمس سنين. فتحركت قريش لمنع ذلك بشراء بضاعة التجار بأعلى الأثمان، وتهديد المتعامل مع بني هاشم بمصادرة ماله، وعلى رأس أولئك أبو جهل، وأبو لهب، وأبو سفيان^(٢). وفي فترة المحنة كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ يأتيهم بالطعام من مكة سرّاً، ولو أنهم ظفروا به لم يبقوا عليه^(٣).

ولما كان هدف قريش الإجهاز على روح النبي ﷺ، فقد احتاط أبو طالب في ذلك بنقله من فراشه ليلاً ووضع أحد أبنائه محله^(٤). وكان عمر وأبو بكر مع المحاصرين لشعب أبي طالب لأنهما لم يسلمتا في ذلك التاريخ^(٥).

أبو طالب بن عبدالمطلب

وهو عبدمناف بن عبدالمطلب ترأس قبيلة بني هاشم بعد أبيه عبدالمطلب، وسار على وصية أبيه في الاهتمام بمحمد ﷺ اهتماماً خاصاً^(٦). فكان يحبه أكثر من ابنائه إلى درجة السعي للتضحية بابنائه في سبيل الدفاع عنه. وظهر ذلك في شعب أبي طالب يوم كان يضع أحد ابنائه في فراش النبي ﷺ ليلاً لانقاذه من أي شر محقق به!!

(١) سيرة ابن دحلان ١ / ٢٢٢.

(٢) البحار ١٩ / ١٦، البداية والنهاية ٣ / ٨٤، تاريخ اليعقوبي ٢ / ٣١.

(٣) شرح النهج، المعتزلي ١٣ / ٢٥٦.

(٤) شرح النهج، المعتزلي ١٣ / ٢٥٦، ١٤ / ٦٤، البداية والنهاية ٣ / ٨٤، سيرة ابن دحلان ١ / ٢٢٣.

(٥) مجمع الزوائد ١ / ٧٦ عن الطبراني في الكبير.

(٦) تاريخ أبي زرعة ٢٢.

وقتل اهتمام أبي طالب برسول الله ﷺ في عدم مفارقتة له، بأخذه معه إلى الشام للتجارة وهناك التقى بحبر من احبار اليهود في تيماء، فقال لأبي طالب: ما هذا الغلام منك؟ قال: هو ابن أخي. قال: أشفيق أنت عليه.

قال: نعم. قال: فوالله لئن قَدِمْتُ به الشام لا تصل به إلى اهلك أبدًا لَتَقْتُلَنَّ اليهود، إنَّ هذا عدُوهم فرجع به أبو طالب من تيماء إلى مكة^(١). والظاهر أنَّ رسول الله ﷺ التقى بالرهبان في أطراف الشام.

واهتمت فاطمة بنت أسد زوجة أبي طالب بمحمد ﷺ واهتمامها نابع من اعتقادها الديني الراسخ بدين إسماعيل وإبراهيم فقال ﷺ في وصف رعايتها يوم ماتت: اليوم ماتت أمي، وكفنها بقميصه، ونزل في قبرها، واضطجع فيه، وصنع ما لم يصنعه مع مسلم قبلها، وقال لمن سأله عنها: إنها كانت أمي تجيع أولادها وتطعمني وتشعثهم وتدهنني، وما أحسست باليتم منذ أن التجأت إليها.

وأسلم أبو طالب سرًّا وهذا أمرٌ مؤكد، ومما يدل على اسلامه:

١ - قوله لرسول الله ﷺ: والله لا يخلص اليك أحد بشيء تكرهه ما بقيت^(٢).

٢ - وذكروا انه قال لعلي: أي بُني ما هذا الدين الذي أنت عليه؟

فقال: يا أبت آمنت برسول الله، وصدقت بما جاء به، وصليت معه لله واتبعته.

فقال أبو طالب له: أما أنَّه لم يدعك إلَّا إلى خير فالزمه^(٣).

٣ - ولما أظهرت قريش عداوتها، حذب عليه أبو طالب عمه ونصره ومنعه^(٤) وقال:

والله لَن يَصْلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ	حَتَّى أُغَيَّبَ فِي التَّرَابِ دَفِينَا
وَدَعَوْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ نَاصِحٌ	وَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ ثَمَّ أَمِينَا
وَعَرَضْتَ دِينًا قَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّهُ	مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينًا ^(٥)

(١) دلائل النبوة، البيهقي ٨٩/١

(٢) عيون الأثر ١٢٦/١، تاريخ ابن الأثير ٥٨/٢، تاريخ الطبري ٥٨/٢، ٥٩.

(٣) عيون الأثر ١٢٦/١، الكامل، ابن الأثير ٥٨/٢، تاريخ الطبري ٥٨/٢، ٥٩.

(٤) أسد الغابة ١٩/١.

(٥) تاريخ اليعقوبي ٣١/٢.

- ٤- وقال ابن اسحاق: كان أحب الناس إلى أبي طالب رسول الله ﷺ^(١).
- ٥- وقد أجمع أهل البيت ﷺ على إيمان أبي طالب^(٢). بل جاء أنه من الأوصياء^(٣).
- وقال العلامة الأميني: إن بعض العلماء من أهل السنة صرحوا بإيمان أبي طالب مثل الإسكافي والبلخي والتلمساني والشعراني وسبط ابن الجوزي والقرطبي والسبكي والسيوطي^(٤).
- ٦- وقال ابن الأثير: ما أسلم من أعمام النبي ﷺ غير حمزة والعباس وأبي طالب عند أهل البيت^(٥).
- ٧- واستدل سبط ابن الجوزي على إيمانه بأنه لو كان أبو علي كافراً لكان شنع عليه معاوية وحزبه والزبيريون وأعدائهم وسائر أعدائه عليه السلام مع أنه عليه السلام كان يذمهم ويزري عليهم بكفر الآباء والأمهات ورذالة النسب^(٦).
- ٨- جاء أبو بكر بأبيه أبي قحافة إلى رسول الله ﷺ يقوده وهو شيخ أعمى يوم فتح مكة، فقال رسول الله ﷺ: ألا تركت الشيخ في بيته حتى نأتيه؟ قال: أردت أن يؤجره الله تعالى لأنني كنت بإسلام أبي طالب أشد فرحاً مني بإسلام أبي، التمس بذلك قرّة عينك^(٧).
- ٩- وقال عماد الدين أبو الفداء: أسلم أبو طالب قبل موته^(٨) وذكر شعره.
- ودعوتني وعلمت أنك صادق ولقد صدقت وكنت ثم أميناً

(١) سيرة ابن اسحاق ١٥٥.

(٢) شرح النهج، المعتزلي ١٤/١٦٥، البحار ٣٥/١٣٥، أوائل المقالات ١٣، التبيان، الطوسي ٢/٣٩٨، مجمع البيان ٢/٢٨٧.

(٣) الفدير ٧/٣٨٩ وألف البعض كتباً في إيمان أبي طالب، منها منية الراغب في إيمان أبي طالب للطبسي، وأبو طالب مؤمن قريش للخنيزي.

(٤) الفدير ٧/٣٦٩.

(٥) الفدير ٧/٣٦٩، البحار ٣/١٣٩.

(٦) راجع كتاب أبو طالب مؤمن قريش.

(٧) حياة الصحابة ٢/٣٤٤، مجمع الزوائد ٦/١٧٤، شرح النهج، المعتزلي ١٤/٦٩، الإصابة ٤/١١٦.

(٨) تاريخ أبي الفداء ١/١٧٩.

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية ديناً
والله لن يصلو إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفيناً^(١)

١٠ - وقال المعتزلي: «روي بأسانيد كثيرة بعضها عن العباس بن عبدالمطلب، وبعضها عن أبي بكر بن أبي قحافة: إنَّ أبا طالب ما مات حتى قال: لا إله إلا الله، محمد رسول الله^(٢). وجمع أبو طالب قريشاً قبل موته فقال لهم: لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد، وما اتبعتم أمره، فأطيعوه ترشدوا، فلم يقبلوا منه قوله، ولما مات أبو طالب اشتدت قريش على النبي ﷺ ونالت منه من الأذى ما لم تكن تطمع فيه في حياته^(٣).

١١ - وقد ترحم واستغفر النبي ﷺ على أبي طالب بعد موته على المنبر^(٤)، في حين لم يترحم على من مات كافراً^(٥).

١٢ - وسئل الإمام السجاد عليه السلام عن إيمان أبي طالب فقال: وأعجباً إنَّ الله نهى رسوله أن يقر مسلمة على نكاح كافر.

وقد كانت فاطمة بنت أسد من السابقات إلى الاسلام، ولم تزل تحت أبي طالب حتى مات^(٦).

١٣ - وقال الصادق عليه السلام: «إنَّ مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الشرك، فأتاهم الله تعالى أجرهم مرتين»^(٧).

لقد حاول معظم أتباع الخط القرشي اثبات كفر أبي طالب بشتى الوسائل والطرق غير المشروعة بغضاً لامير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي قال رسول الله ﷺ في حقه: يا

(١) تاريخ أبي الفداء ١/١٧٩.

(٢) شرح النهج، المعتزلي ١٤/١٧١ الإصابة ٤/١١٦، البداية والنهاية ٣/١٢٣، السيرة الحلبية ١/٣٧٢ تاريخ أبي الفداء ١/١٢٠، سيرة ابن هشام ٢/٨٧.

(٣) سيرة ابن دحلان ١/٢٢٧.

(٤) عيون الأنباء ٥/٧٠٥.

(٥) السيرة الحلبية ٣/٢٠٥.

(٦) الفدير ٧/٣٨١، ٣٨٩، شرح النهج، المعتزلي ١٤/٦٨، الدرجات الرفيعة، كتاب الحجة ٢٤.

(٧) شرح النهج، المعتزلي ١٤/٧٠، البحار ٣٥/١١١، أمالي الصدوق ٥٥١، أصول الكافي ١/٣٧٣ روضة الواعظين ١٣٩.

علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق. (١)

واعتقد بأن إسلام أبي طالب أصبح علنياً في الشعب. فأبغضه الكفار واحبوا أبا سفيان وصفوان بن أمية والحكم بن أبي العاص وادخلوهم الجنة زيفاً، لأنّ منهجيتهم عكس منهجية أبي طالب.

وهل من الإنصاف إدخال أبي سفيان وهند الجنة وإحراق أبي طالب في النار؟
وقد ضحّى أبو طالب بكل شيء في سبيل الإسلام واستخدم زعامته لقريش في سبيل الدفاع عن رسول الله ﷺ والإسلام لذلك لم تصل قريش بأذى للنبي ﷺ في حياته فهو سيد قريش الأول لذلك قالت اخت عمرو بن عبد ود عن قاتل أخيها علي ﷺ.

لكن قاتله من لا يعاب به أبوه من كان يدعى سيد البلد (٢)

انشقاق القمر

لقد طلب المشركون من رسول الله ﷺ في السنة الثامنة للهجرة عندما كان في شعب أبي طالب أن يريهم آية. فدعا الله سبحانه وتعالى فانشق القمر نصفين حتى نظروا إليه ثم التأم. لكن قريشاً استمرت في كفرها فقالوا: هذا سحر مستمر.

فأنزل تعالى: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر، وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر﴾ (٣).

وقد وصف السيد المرتضى ذلك الحديث بالمتواتر (٤).

واجتمع المسلمون على وقوع ذلك في زمنه، حتى رأى أهالي مكة حراء بينهما، إذ أصبح القمر فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة على جبل آخر وقالوا: انشق القمر مرتين (٥).

(١) صحيح مسلم، كتاب الايمان ١/١٢٠ ح ١٣١، سنن النسائي ٥/١٣٧ ح ٨٤٨٥، سنن ابن ماجه ١/٤٢ ح ١١٤.

(٢) تاريخ الخميس ١/٤٨٨.

(٣) سورة القمر ١، ٢، تفسير الميزان ١٩/٦٢، ٦٤، الدر المنثور ٦/١٣٣، مناقب آل أبي طالب ١/١٢٢.

(٤) تفسير الميزان ١٩/٦٠.

(٥) مسند أحمد ١/٣٧٧، ٤١٣، ٤٤٧، سنن مسلم في كتاب المناقب ٤/٢١٥٩، سنن البخاري في كتاب المناقب

ج ٣٦٢٧، فتح الباري ٦/٦٣١، دلائل النبوة، البيهقي ٢/٢٦٨.

وحادثة انشقاق القمر من الوقائع الخطيرة في حياة الإنسان الدينية تبين، العظمة الإلهية من جهة، والتعصب الجاهلي من الجهة الأخرى.

وهل يُسلم الكافرون اليوم لو انشق القمر لهم مرة أخرى وتعصّبهم غالب عليهم؟

نقض الصحيفة

وفي السنة الثالثة من المقاطعة الاجتماعية والاقتصادية أخبر جبرئيل النبي ﷺ بأن الأرضة أكلت كل ما في صحيفتهم من ظلم وقطيعة رحم، ولم يبق فيها إلا ما كان اسماً لله تعالى.

فأخبر النبي ﷺ عمه أبا طالب بذلك، وكان أبو طالب لا يشك في قوله فخرج من الشعب إلى الحرم، فاجتمع الملا من قريش في أعظم تجمع جماهيري تشهده مكة فقال أبو طالب: إن ابن أخي أخبرني أن الله أرسل على صحيفتكم الأرضة فأكلت ما فيها من قطيعة رحم وظلم وتركت اسم الله تعالى فأحضروها، فإن كان صادقاً علمتم أنكم ظالمون لنا قاطعون لأرحامنا وإن كان كاذباً علمنا أنكم على حق وأنا على باطل^(١).

وذكر اليعقوبي: أن أبا طالب قال لهم:

يا قوم أحضروا صحيفتكم فلعننا أن نجد فرجاً وسبباً لصلة الأرحام وترك القطيعة؛ وأحضروها وهي بخواتيمهم. فقال: هذه صحيفتكم على العهد لم تنكروها. قالوا: نعم. قال: فهل أحدثتم فيها حدثاً؟ قالوا: اللهم لا. قال: فإن محمداً أعلمني عن ربه أنه بعث الأرضة فأكلت كل ما فيها إلا ذكر الله؛ أفرايتُم إن كان صادقاً ماذا تصنعون؟

قالوا: نكف ونمسك. قال: فإن كان كاذباً دفعته إليكم تقتلونه. قالوا: قد أنصفت وأجهلت؛ وفُضت الصحيفة فإذا الأرضة قد أكلت كل ما فيها إلا مواضع اسم الله عز وجل. فقالوا: ما هذا إلا سحر، وما كنّا قطّ أجدرّ في تكذيبه ممّا ساعتنا هذه. وأسلم يومئذ خلق من الناس عظيم وخرج بنو هاشم من الشعب وبنو المطلب فلم يرجعوا إليه^(٢).

(١) تاريخ ابن الأثير ٨٩/٢، ٩٠، تاريخ الطبري ٧٨/٢، ٧٩، عيون الأثر ١٦٥-١٦٨، البدء والتاريخ، البلخي ٥٦/٢.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٣٢/٢.

وحرّفها القرشيون الى ان جماعة من قريش وهم: هشام بن عمرو بن الحرث بن عمرو بن لؤي وزهير بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي ومطعم بن عدي وزمعة بن الاسود اتفقوا على نقض الصحيفة فقال زهير لزعماء مكة: والله لا اقعده حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة. فقال أبو جهل: كذبت والله لا تشق.

قال زمعة: انت والله أكذب ما رضينا بها حين كتبت وقال المطعم بن عدي: صدقتا وكذب من قال غير ذلك. وقال هشام بن عمرو نحواً من ذلك.

فقال أبو جهل: هذا أمر قضي بليل فقام مطعم بن عدي ليشقها فوجد الأرضة قد اكلتها إلا ما كان باسمك اللهم^(١)

فكانت محاولة للقضاء على المعجزة الالهية لرسول الله ﷺ التي شهدها معظم اهالي مكة وكذبوا رواية مفادها ان حكيم بن حزام كان ينقل الطعام لعمته خديجة^(٢).

وخرج بنو هاشم والمطلب من شعب أبي طالب بفضل تلك المعجزة الإلهية وبواسطة اضعف خلق الله تعالى الأرضة^(٣).

وكان نقض الصحيفة في السنة العاشرة للهجرة^(٤).

وصمود بني هاشم وانتصارهم في شعب أبي طالب يشبه صمود النبي ايوب عليه السلام وانتصاره على المشركين. وقد برز إيمان أبي طالب بيّنا في تلك القضية الخطيرة^(٥).

عام الحزن

وبعد خروج النبي ﷺ وبني هاشم من شعب أبي طالب وعبورهم مرحلة المقاطعة

(١) مقام الامام علي عليه السلام نجم الدين العسكري ٢/ ٢٩، شرح النهج ١٤ / ٦١، تاريخ ابن الاثير ٢ / ٩٠.

(٢) شرح النهج ١٤ / ٥٨.

(٣) سيرة ابن كثير ٢ / ٤٤، البداية والنهاية ٣ / ٨٥، ١١٩، دلائل النبوة ٢ / ٣١٢، تاريخ ابن الاثير ٢ / ٨٨ - ٩٠، أنساب الاشراف ١ / ٢٧٣.

(٤) سيرة ابن دحلان ١ / ٢٢٤.

(٥) راجع الغدير ٧ / ٣٨٨، ٣٥٩، الكافي ١ / ٤٤٩، أبو طالب مؤمن قريش ص ٧٣، نزهة المجالس ٢ / ١٢٢، السيرة الحلبية ١ / ٢٩١، ٢٩٢.

الاجتماعية والاقتصادية فوجيء النبي ﷺ بحادث مؤلم آخر ألا وهو وفاة أبي طالب وخديجة.

وقد سمي النبي ﷺ عام وفاة أبي طالب وخديجة عام الحزن، وهو السنة العاشرة من البعثة النبوية^(١). وعمره ست وثمانون سنة^(٢) وعمرها خمسون سنة.

ففقد رسول الله ﷺ بذلك اقوى محام له على تبليغ دينه، واعظم شخصية عاصرت البعثة الإسلامية في مكة، واقوى مضج في سبيل الإسلام في عصره الأول. قال رسول الله ﷺ: ما زالت قريش كاعين (منهزمين) عني حتى مات أبو طالب^(٣).

وتبع ذلك موت خديجة زوجته، أول امرأة مسلمة، وأفضل نساء رسول الله ﷺ إذ توفيت بعد أبي طالب بثلاثة أيام^(٤).

وقد حزن رسول الله ﷺ لفقدتهما حزناً عميقاً احتراماً لخدمتهما الجليلة وتضحياتهما القيمة للإسلام قائلاً: اجتمعت على هذه الأمة مصيبتان، لا أدري بأيهما أنا أشدُّ جزعاً^(٥).

قال ابن اسحاق: فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً.

فدخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه فاطمة رضي الله عنها تغسله وتبكي. ورسول الله ﷺ يقول: لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أباك، ويقول بين ذلك: ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب^(٦).

وأقسم الملا من قريش باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى على قتل محمد ﷺ

(١) اسنى المطالب ٢١، تاريخ الخميس ٣٠١/١.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٣٥ / ١.

(٣) سيرة ابن اسحاق ٢٣٩.

(٤) وقيل بشهر واحد البداية والنهاية ١٢٧/٢، السيرة الحلبية ٣٤٦/١، التنبيه والاشراف، المسعودي ٢٠٠. عيون الأثر ١ / ١٧١، وقال الواقدي توفت قبله بخمس وثلاثين ليلة، عيون الأثر ١ / ١٧١.

(٥) تاريخ اليعقوبي ٣٥/٢، عيون الأثر ١٧١/١.

(٦) البداية والنهاية ١٥١/٣، عيون الأثر ١ / ١٧١.

فأقبلت فاطمة عليها السلام تبكي حتى دخلت على أبيها عليه السلام فقالت: هؤلاء الملاء من قومك في الحجر قد تعاقدوا على أن لو رأوك قاموا إليك فليس منهم رجل إلا عرف نصيبه من دمك. فقال: يا بنية أريني وضوءاً، فتوضأ ثم دخل عليهم المسجد، فلما رأوه قالوا: هو هذا هذا هو.

فخفضوا أبصارهم وعقروا في مجالسهم فلم يرفعوا إليه أبصارهم ولم يقيم منهم رجل، فأقبل رسول الله عليه السلام حتى قام على رؤوسهم فأخذ قبضة من تراب فحصبهم بها، وقال: شأنت الوجوه، فما أصاب رجلاً منهم حصاة إلا وقُتِل يوم بدر كافراً^(١).

خروج النبي عليه السلام إلى الطائف

ذهب النبي عليه السلام إلى الطائف وأقام فيها عشرة أيام فلم يدع أحداً من أشراف ثقيف إلا جاءه وكلمه^(٢) فما هي اسباب رحلته إلى الطائف؟

قال محمد بن اسحاق: لما مات أبو طالب ونالت قريش من رسول الله عليه السلام ما لم تكن تنال منه في حياته خرج إلى الطائف وحده^(٣) يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله تعالى.

فلما انتهى إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف، وهم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم، وهم أخوة ثلاثة عبدياليل، ومسعود، وحبيب بنو عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غبرة بن عوف بن ثقيف فجلس إليهم رسول الله عليه السلام وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه.

فقال له أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله تعالى أرسلك.

وقال الآخر: أما وجد الله أحداً يرسله غيرك.

(١) دلائل النبوة، البيهقي ٢/٢٧٧، المستدرک، الحاكم ١/١٦٣، صحيح ابن حبان ١٦٩١، دلائل النبوة، أبو نعيم ١/٦١، تفسير ابن كثير ٣/٥٨٦، الوفا بأحوال المصطفى ١٨٧.

(٢) البدء والتاريخ، البلخي ٢/٥٧.

(٣) وقال ابن سعد معه زيد بن حارثة.

وقال الثالث: والله لا أكلمك أبداً لأن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي أن نكلمك فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يؤس من خير ثقيف، وقال لهم ﷺ: إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عليّ سفري إليكم.

إذ كره النبي ﷺ أن يبلغ قومه فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونهم ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس.

قال موسى بن عقبة قعدوا له صفين على طريقه، فلما مرّ رسول الله ﷺ بين صفيهم جعل لا يرفع رجله ولا يضعها إلا راضخوها بالحجارة حتى أدموا رجله. وزاد سليمان التيمي أنه ﷺ كان إذا أذلقته الحجارة^(١) قعد إلى الأرض فيأخذون بعضديه فيقيمونه، فإذا مشى رجموه وهم يضحكون^(٢).

ثم دعا النبي ﷺ قائلاً: اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري. إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو تحل عليّ سخطك لك العتبى حتى ترضى، لا حول ولا قوة إلا بك^(٣).

قال النبي ﷺ فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث لك ملك الجبال، لتأمره بما شئت فيهم، ثم ناداني ملك الجبال فسلم عليّ ثم قال: يا محمد قد بعثني إليك ربك لتأمرني ما شئت، إن شئت تطبق عليهم الأخشبين؟

(١) أي بلغت منه الجهد.

(٢) عيون الأثر ١/١٧٥، ١٧٦، البدء والتاريخ، البلخي ١/٥٧، تاريخ الطبري ٢/٨٠، تاريخ ابن الأثير ٢/٩١، أنساب الأشراف ١/٢٧٣.

(٣) البداية والنهاية ٣/١٦٦، ١٦٧.

فقال رسول الله ﷺ: ارجو أن يخرج الله تعالى من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً^(١). فلم يدعو النبي إلى قتلهم واحراقهم.

لقد خالف أهل الطائف الأعراف العربية والأخلاق الانسانية مع ضيفهم رسول الله ﷺ فكشفوا عن وجه قبيح وشخصية حاقدة وهوية بذينة.

إذ كان بإمكانهم رده رداً جميلاً وتقديم عذرٍ مقبولٍ بدل تلك العنجهية السيئة. وقابلهم رسول الله ﷺ بعفوٍ مشكور وصفح مشهود وفعلاً خرج من اصلاب اولئك الكفار مؤمنون نصرروا الدين وضحووا من أجله.

ومن الأكاذيب التي وضعت على النبي ﷺ عن رحلته إلى الطائف عطف شيبة وعتبة الأمويين عليه هناك وإعطائه شيئاً من عنب بستانها وأكل رسول الله ﷺ ذلك.

بينما كان النبي ﷺ يرد هدية الكفار ويرفضها^(٢) وكيف يعطفان على النبي ﷺ وقد شاركوا في حصار بني هاشم في الشعب لقتلهم مع اطفالهم جوعاً

ومن ضمن الأكاذيب عودته ﷺ إلى مكة بجوار المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف. بينما كان المطعم مثل أبي لهب محارباً عنيداً للإسلام، وكيف يخاف النبي ﷺ قريشاً وقبيلته في مكة! يدافعون عنه^(٣).

وهل يحتمي النبي ﷺ بجوار كافر معاند، ويترك قبيلته عرضة لسطوات قريش! وكان أهل الطائف معاندين للإسلام حتى تأخر إسلامهم عن أهل مكة واطرافها، وكان لوجود صنم اللات فيها الأثر الكبير في تمسكها بالدين الجاهلي^(٤). فاسلموا بعدما تأثروا بأخلاق النبي محمد ﷺ في حقهم.

(١) سنن البخاري، كتاب بدء الخلق ح ٣٢٣١، فتح الباري ٦/٣١٢ - ٣١٣، سنن مسلم، كتاب الجهاد ٣٩ ح ١١١ ص ١٤٢٠، دلائل النبوة، البيهقي ٢/٤١٧، البداية والنهاية ٣/١٦٨.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٨١، البدء والتاريخ، البلخي ٢/٥٧، وهدية الكافر حلال شرعاً، الا إذا كان فيها إساءة لرسول الله ﷺ والإسلام فتكون حراماً.

(٣) تاريخ ابن الأثير ٢/٩٢، أنساب الأشراف، ١/٢٧٤، البداية والنهاية ٣/١٦٩.

(٤) الاضنام، الكلبي، تاريخ الخميس ٢/١٣٥، السيرة النبوية، لدحلان المطبوع بهامش السيرة الحلبية ٣/١١.

دعوة الناس إلى الإسلام

ثم هاجر النبي ﷺ إلى بني صعصة فلم يجيبوه وغاب عن مكة عشرة أيام، وهاجر إلى بني شيبان، وغاب ثلاثة عشر يوماً فلم يجيبوه أيضاً^(١). وهو يلقي الحجة على الكافرين. أي أنه عمل في تبليغ رسالته على أحسن وجه بلا تردد ولا وجل كما كان ﷺ يعرض نفسه على القبائل في أيام الموسم داعياً إياهم إلى الإسلام، فكان يلقي منهم تجهماً وغلظةً، ولقي من بني عامر بن صعصة ما لم يلقَ من العرب، اذ قال له رجل من بني محارب يوماً: والله لا يؤوب بك قوم إلى دارهم إلا أبوا بشر ما آب به أهل موسم وكان يطوف على القبائل، يدعوهم وأبو لهب خلفه يشبط الناس عنه. وزار رسول الله ﷺ بني حنيفة يدعوهم للإسلام فلقى ما لقي من بني عامر.

ولم يكن حيٍّ من العرب ألين قولاً ولا أحسن ردّاً عليه من كنده، ودعا كلباً لأن يقبلوا منه. فقال شيخ منهم: ما أحسن ما يدعو إليه هذا الفتي إلا أن قومه قد باعدوه، ولو صالح قومه لا تبعته العرب^(٢).

مركز تحقيقات كويتية للعلوم الإسلامية

وقدم قوم من الأوس مكة يطلبون حلف قريش على الخزرج، لما كان بينهم من الحرب، فدعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام. فقال له أنس بن رافع: عجبا، جئنا نطلب حلف قريش على أعدائنا فنرجع وقريش عدونا، ومال إليه بعضهم^(٣).

وأسلم في تلك الفترة الطفيل بن عمرو الدوسي وذهب إلى قومه داعياً إياهم إلى الإسلام^(٤). ووقف النبي ﷺ في سوق ذي المجاز قائلاً: يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا^(٥). واشترطت بنو عامر على الرسول ﷺ أن ينصروه على أن تكون الخلافة لهم من بعده فقال الرسول ﷺ: الأمر لله يضعه حيث يشاء. فقالوا:

(١) شرح النهج، المعتزلي ١٢٦/٤.

(٢) أنساب الاشراف، البلاذري ٢٧٤/١، تاريخ ابن الأثير ٩٣/٢.

(٣) أنساب الاشراف ٢٧٤/١.

(٤) عيون الأثر ١٨٤/١.

(٥) البداية والنهاية ١٧٠/٣.

أفنهذف نحورنا للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا، لا حاجة لنا بأمرك^(١). ولما عاد بنو صعصة إلى قومهم قال لهم شيخهم: والذي نفس فلان بيده ما تقوؤها اسماعيلي قط، وإنما لحق فأين رأيكم كان عنكم؟^(٢)

إسلام الجن

وكان إبليس من الجن المؤمنين ثم فسق عن أمر ربه قال تعالى ﴿كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾^(٣)

والجن ليسوا من الملائكة بل مخلوقون من النار مكلفون بتكاليف وفيهم المؤمن والكافر كالإنسان^(٤).

قال تعالى: ﴿وَأَنَا مِّنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا، وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾^(٥) والجن كالانس لا تعلم الغيب فقد جاء في القرآن:

﴿أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾^(٦)

إذ قبض عزرائيل روح النبي سليمان عليه السلام وهو متكئ على عصاه فكث الجن مدة طويلة يبنون ويعتقدون بأن سليمان عليه السلام حي، فلما أكلت الأرضة عصاه سقط سليمان عليه السلام.

﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾^(٧)

(١) البداية والنهاية ١٧١/٣.

(٢) سيرة ابن هشام ٦٥/٢ - ٦٦، البداية والنهاية ١٧١/٣.

(٣) الكهف ٥٠.

(٤) تفسير فرات الكوفي ١٩٩.

(٥) الجن ١٤، ١٥.

(٦) سبأ ١٤.

(٧) سبأ ١٤.

فالجَن تشكر الأرضَ بما عملت بعضا سليمان عليه السلام (١)

واستمر رسول الله ﷺ في جهوده لنشر الإسلام بلا كلل ولا ملل ذائبا في هدفه الساعي لنشر الاسلام. فربه سبعة من جن نصيبين فآمنوا به، ورجعوا إلى قومهم منذرين فانزل الله تعالى ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمْعُونَ الْقُرْآنَ﴾ (٢) ونزلت ﴿قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ (٣)

فجاءت جماعة منهم زهاء ثلاثمائة رجل، وخرج رسول الله ﷺ إلى الحجون فقرأ عليهم، ودعاهم إلى الله عز وجل فآمنوا به وصدقوه ثم صلى بهم وقرأ في الصلاة تبارك (الملك) وسورة الجن (٤).

وقد انكر البعض الجن ومنهم الفلاسفة وعلى رأسهم أبو علي سينا، واعترف بالجن قدماء الفلاسفة.

وقال ابن عباس إن رسول الله ﷺ ما رآهم، في حين قال عبد الله بن مسعود إنه رآهم (٥) ومشكلة زعماء الجن أن بعض الانس زادوهم رهقا بالاستعاذة بهم دون الله تعالى ذلك أن الرجل من العرب كان إذا أمسى في واد قفر في بعض مسايرة وخاف على نفسه قال: أعوذ بسيّد هذا الوادي من سفهاء قومه.

يريد الجن وكبيرهم، فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا: سدنا الانس والجن (٦).

المجاعة الشديدة في مكة

ولما وجد النبي ﷺ اصرار قريش على الكفر ومحاربة الإسلام دعا عليهم فأخذهم

(١) تفسير علي بن إبراهيم القمي ٥٥/١.

(٢) الاحقاف ٢٩.

(٣) الجن ١.

(٤) البدء والتاريخ، البلخي ٥٨/٢، البداية والنهاية ١٦٩/٢، تاريخ الخميس ٣٠٣/١ - ٣٠٤ الدر المستور ٢٧٠/٦، ٢٧٥.

(٥) تفسير الفخر الرازي ١٠ / ٦٦١ - ٦٧٨.

(٦) تفسير الزمخشري ٤ / ٦٢٤.

العوز واشتدت بهم الفاقة فأكلوا الكلاب الميتة والجيف، ونبشوا القبور وأكلوا العلهز^(١) والقدر. فكانت تلك فرصة طيبة للنبي ﷺ لتبليغ دينه أثناء انشغال قريش بجوعها، وفي السنة الحادية عشرة طلبت قريش من رسول الله ﷺ بصلة الرحم الدعاء لها لكشف مجاعتها، وعلى رأس المطالبين أبو سفيان.

فدعا لهم النبي ﷺ واستجاب الله تعالى دعاءه قائلاً: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾^(٢).

لاحظ الفرق بين رحمة المسلم وطغيان الكافر، فالكفار أرادوا قتل المسلمين في الشعب، والنبي ﷺ دعا لهم بإزالة العذاب الإلهي!

الدلائل والعبر

من الامور العقائدية التربوية في سيرة محمد واهل بيته ﷺ المتقين التضحيات المستمرة لهم وزهدهم وعفتهم وتركهم للدنيا، *الزهد في الدنيا* تركهم للدنيا وتركهم للدنيا. ولو كان رسول الله ﷺ فأصبحت هذه المسألة من الدلائل على صدق رسالة محمد ﷺ. واهل بيته من اللاهثين خلف الدنيا والساعين نحو لذاتها وسرابها لشكك الكثير من الناس بدينهم ورسالتهم. فتحمل الاذى وقال رسول الله ﷺ ما أؤذي نبي مثلي ما أؤذيت^(٣). وقدم ارحام النبي حمزة وطالب وجعفر ابني ابي طالب واباعبيدة وعلياً ﷺ وحسناً وحسيناً ﷺ قرايين في طريق الاسلام. ومات رسول الله ﷺ ولم يشبع من خبز بر^(٤). وقال النبي ﷺ: «الدنيا جيفة وطلابها كلاب»^(٥).

الاغراءات الدنيوية المتمثلة بتنصيبه ملكاً عليهم، وجعله اكثرهم مالاً، وفضلهم نساءً

(١) طعام من وير الناقة والدم اليابس يدق مع بعض.

(٢) سورة الدخان ١٥، تفسير البرهان، الآية، البدء والتاريخ، المقدسي ١٥٧/٤.

(٣) كشف الغمة، الاربلي ٣/ ٣٤٦.

(٤) الطبقات الكبرى ١/ ٤٠١، تهذيب الكمال، المعزي ١/ ٢٣٠.

(٥) كنز العمال ٣/ ٧١٩، فيض القدير ١/ ١٤٧، كشف الخفاء، العجلوني ١/ ٤٠٩.

رفضها النبي متمثلاً في قوله ﷺ: والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته^(١)

ومن القضايا العقائدية والتربوية تضحية أبي طالب بابنه علي عليه السلام في سبيل الدفاع عن الدين فكان يضجعه في سريرته ليلا خوفاً عليه من القتل .

ولم يقتصر الأمر على الأذى الجسدي والمعنوي لرسول الله ﷺ في مكة بل أقدموا على حصره وقبيلته في شعب أبي طالب فلاقى رسول الله ﷺ وعلي عليه السلام وفاطمة عليها السلام وأبو طالب وآخرون من بني هاشم مجاعة شديدة ومشقة بالغة أستمريت ثلاث سنين ذهب ضحيتها أبو طالب وخديجة! فكان ذلك أعظم قربان قدمه محمد ﷺ في طريقه المخلص لإنقاذ البشرية، ونشر المدنية، والدعوة لعبادة الله الواحد سبحانه.

وهو من دواعي بذل الآخرين أنفسهم وأموالهم في طريق الإسلام، فصمد عمار وأبوه وأمه في هذا الدرب الطويل فضحى ياسر بدمه في هذا المشروع الإلهي وأعطت سمية نفسها الزكية قرباناً للتوحيد الإلهي. لتكون مع زوجها ياسر وابنها عمار نموذجاً في التربية الاجتماعية. أليس من العبر الملفتة للنظر حصول سمية (مملوكة بني مخزوم) على لقب أول شهيدة في الإسلام لتنال بذلك المنزلة العالية في نفوس الناس في الدنيا والكرامة في الآخرة، ويُقبر أبو جهل سيد بني مخزوم في مزبلة القليب؟

ومن الدلائل والعبر استمرار النبي في تبليغ الإسلام رغم المعارضة القوية له من قبل الطغاة والقبائل فبلغ الإسلام لكل قبائل الجزيرة العربية القادمة للحج ملقياً الحجة عليهم . وبصمود بني هاشم فقد تحول الحصار إلى أعظم نصر إلهي للمسلمين وأعظم هزيمة للكافرين .

وثبت الجهل المركب الطغاة على الكفر رغم المعجزات الإلهية في انشقاق القمر واكل الأرض للصحيفة وتركها اسم الله .

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب ١ / ٥٣، البحار ١٨ / ١٨٢، دلائل النبوة، الأصبهاني ١٩٧.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

باب

الأسراء والمعراج



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

سألني طالب ياباني في طوكيو متيقن بالدين ومولع برحلات الفضاء:
كم مرة سافر رسول الله ﷺ إلى السماء العليا ومتى وبأي وسيلة وما هي الغاية من
رحلته؟

فكان هذا البحث جواباً لسؤاله ولقراء السيرة النبوية.
جاء في رواية: أتى رسول الله ﷺ بالبراق فحمل عليها والنص القرآني لم يذكر البراق في
عروج النبي ﷺ إلى السماء وهو الصحيح فهو ﷺ لا يحتاج إلى براق للإسراء والمعراج
وأيد العلم ذلك.

فخرج النبي يرى الآيات فيما بين السماء والأرض حتى انتهى إلى بيت المقدس، فوجد
فيه إبراهيم وموسى وعيسى عليه السلام في نفر من الأنبياء قد جُمعوا له فصلى بهم^(١).
وجاء أيضاً أنه ﷺ التقى بالأنبياء في السماء^(٢) فيكون لقاءه بهم مرة في الأرض، ومرة
في السماء.

الإسراء برسول الله ﷺ، إلى بيت المقدس، والعروج به إلى السماء من المعاجز الخظيرة
التي مرَّ بها رسول الله ﷺ في حياته الرسالية.
فذكرها العلماء في دلائل النبوة له ﷺ، وقد أيد العلم الحديث خروج الإنسان إلى
السماء، فأصبح الإسراء والمعراج مؤكداً ومقبولاً ومؤيداً بالسنن العلمية.

(١) تفسير الزمخشري ٣٩٥/٢، تفسير الطوسي ٤٤٧/١٥، البداية والنهاية ١٣٦/٣، ١٣٧، دلائل النبوة ٣٦٠/٢.
تفسير القرطبي ٢٠٨/١٠.
(٢) الطبقات، ابن سعد ٢١٣/١، سنن البخاري ٢٤٨/٤.

قال تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾^(١)
﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾^(٢)

وواضح من ذلك أن الرؤية كانت على نحوين: رؤية بالعين المجردة ورؤية في المنام. واتفق العلماء والمؤرخون على كون الإسراء والمعراج قبل الهجرة إلى المدينة واختلفوا في تاريخ الإسراء والمعراج إلى رأيين اثنين:

١ - في السني الأولى للبعثة النبوية المباركة.

٢ - في السنوات الثلاث الأخيرة قبل الهجرة إلى المدينة.

والصحيح في الأمر أن النبي ﷺ أسري به إلى بيت المقدس وعرج به إلى السماء مرتين بعد البعثة النبوية. وعلى ذلك لا يكون هناك اختلاف بين الرأيين.

وعن عدد مرات عروج رسول الله ﷺ إلى السماء جاء في الكافي: عرج برسول الله ﷺ مرتين وقال بذلك علماء آخرون^(٣)

وأيد الطباطبائي ذلك بقوله تعالى: ﴿ولقد وآه نزلة أخرى﴾^(٤)

وفي عدد مرات الإسراء قالوا: وقع له ثلاثون مرة^(٥) وقيل أربعاً وثلاثين مرة بجسمه والباقي بروحه.

وقال ابن دحلان: حمل البعض اختلاف روايات الأحاديث على تعدد الإسراء، وأنه وقع له ذلك ثلاث مرات أو أكثر، وكان واحد منها بجسمه وروحه، وباقيها في المنام^(٦).

وعن الذين قالوا بأن الإسراء والمعراج في بداية البعثة النبوية قال ابن عساكر وعياض: إنه بعد البعثة بخمسة عشر شهراً، وأكد ذلك النووي وقيل معظم السلف وجمهور المحدثين

(١) الإسراء ١.

(٢) الإسراء ٦٠.

(٣) تفسير الميزان ٣١/١٣، البداية والنهاية ١٤٢/٣، تفسير الآلوسي ٧/١٥، تفسير القرطبي ١٠/٢٠٧-٢١٢.

(٤) النجم ١٣.

(٥) السيرة الحلبية ١/٣٦٥.

(٦) سيرة ابن دحلان ١/٢٣٤، تفسير الآلوسي ٧/١٥-١٠، تفسير الرازي ٧/٢٩٢-٢٩٥.

والفقهاء^(١).وقالوا: في السنة الثانية من البعثة^(٢).وفي كتاب الخرائج: في السنة الثالثة من البعثة^(٣).وقال الديار بكري عن الزهري أنه كان بعد النبوة بخمسة أعوام وأيده القرطبي^(٤).وقد ولدت فاطمة عليها السلام بعد البعثة بخمس سنوات لقول النبي :

لما أسري بي إلى السماء أدخلني جبرئيل الجنة، فناولني منها تفاحة فأكلتها فصارت
نطفة في صلبِي، فلما نزلت واقعت خديجة ففاطمة من تلك الجنة، حوراء انسية، وكلما اشتقت
إلى الجنة قبَّلَتها^(٥).

ولم يذكر البعض تاريخاً معيناً للإسراء والمعراج، ومن هؤلاء الطبرسي والطوسي
واليعقوبي^(٦).

قال الطباطبائي: ولا مستند يصح التعويل عليه في السنة والشهر واليوم^(٧).

وقال الأكثرية إن الإسراء والمعراج كان قبل الهجرة إلى المدينة على الشكل التالي:

ثلاث سنين قبل الهجرة: وعلى رأس هؤلاء ابن اسحاق الذي قال إن الإسراء والمعراج
كان قبل موت أبي طالب، وقال ابن الجوزي والبخاري بعد موت أبي طالب^(٨)، أي ذلك

(١) شرح الشفاء، القاري ٢٢٢/١، سيرة مغلطاي ٢٧.

(٢) تفسير الطباطبائي ٣١/١٣.

(٣) تفسير الطباطبائي ٣١/١٣.

(٤) سيرة مغلطاي ٢٧، تاريخ الخميس ٣٠٧/١، البحار ٣٧٩/١٨، تاريخ بغداد ٨٧/٥، المواهب اللدنية ٢٩/٢،
المستدرک، الحاكم ١٦٥/٣، ذخائر العقبى ٣٦، مقتل الحسين، الخوارزمي ٦٤/٦٣، ميزان الاعتدال ٢٩٧/٢، حلل
الشرائع ٧٢، ينابيع المودة ٩٧، مناقب المغازلي ٣٥٨، عيون الأثر ١٩٦/١، تفسير الألوسي ٦/١٥.

(٥) المستدرک، الحاكم ١٦٥/٣، ميزان الاعتدال ٢٩٧/٢، ينابيع المودة ٩٧، تاريخ بغداد ٨٧/٥، البحار ٣١٩/١٨،
٣٨١، المناقب، ابن شهر آشوب ١٧٧/١، تفسير القرطبي ٢١٠/١٠.

(٦) راجع تاريخ اليعقوبي، تفسير الطبرسي ٣٩٥/٢، تفسير الطوسي ٤٤٦/١٥.

(٧) تفسير الطباطبائي ٣١/١٣.

(٨) تاريخ أبي الفداء ١٧٨/١.

ابن الأثير والحلي^(١).

سنتان قبل الهجرة: قال البعض إنّ الإسراء والمعراج كان قبل الهجرة بسنتين^(٢).

سنة ونصف قبل الهجرة: قال بذلك السدي وابن سعد^(٣).

سنة قبل الهجرة: قال بذلك الواقدي والبيهقي عن الزهري^(٤) وادعى ابن حزم الإجماع على ذلك^(٥).

حدث هذا الخلط لأن المعراج حدث مرتين مرة بعد البعثة بخمسة أعوام، ومرة قبل الهجرة بثلاث سنين من بيت أبي طالب وقبل موته^(٦).

ولأنّ الإسراء والمعراج كان لمرات عديدة في المنام واليقظة فقد ذكروا ثلاثة تواريخ لليوم والشهر الذي أسري به:

٢٧ ربيع الأول: قال بذلك الزهري وعروة وابن أبي شبة^(٧).

رجب: قال به عبدالغني المقدسي وآخرون^(٨).

١٧، ٢٩ رمضان: قال به الواقدي وآخرون^(٩).

ولكن هل كان الإسراء والمعراج بالروح أم بالروح والجسد؟

(١) تاريخ ابن الأثير ٥١/٢، السيرة الحلبية ٣٢٦/١، سنن البخاري، باب مناقب الانصار ٤١ باب حديث الإسراء ح ٢٨٨٦ فتح الباري ١٩٦/٧، سنن مسلم، كتاب الايمان ح ٢٧٦، سنن الترمذي في تفسير سورة الإسراء، تفسير الآكوسي ٦/١٥.

(٢) السيرة الحلبية ٣٢٦/١، سيرة ابن دحلان ٢٣٤/١.

(٣) البدء والتاريخ، البلخي ٥٩/٢، عيون الأثر ١٩٤/١، ١٩٦، البداية والنهاية ١٣٥/٣ أنساب الأشراف ٢٩٩/١، الطبقات ٢١٣/١، دلائل النبوة ٣٥٥/٢.

(٤) الوفا بأحوال المصطفى ٢٢١، البداية والنهاية ١٠٨/٣، دلائل النبوة، البيهقي ٣٥٤/٢.

(٥) السيرة الحلبية ٣٦٦/١، راجع سيرة ابن دحلان ٢٣٤/١، تاريخ أبي الفداء ١٧٨/١، البداية والنهاية ١٠٨/٣، تاريخ ابن الأثير ٥١/٢، تفسير القرطبي ٢١٠/١٠، تفسير الزمخشري ٦٤٦/٢.

(٦) راجع تفسير الميزان ٣١/١٣، تفسير القرطبي ٢٠٧/١٠ - ٢١٢.

(٧) البداية والنهاية ١٣٥/٣، الوفا بأحوال المصطفى ٢٢٢، تفسير الآكوسي ٦/١٥، السيرة الحلبية ٣٦٦/١.

(٨) البداية والنهاية ١٣٥/٣، الوفا بأحوال المصطفى ٢٢٢، الطبقات ٢١٤/١، سيرة ابن دحلان ٢٣٤/١، البداية والنهاية ١٣٥/٣، تفسير الآكوسي ٦/١٥، تفسير القرطبي ٢١٠/١٠.

(٩) الوفا بأحوال المصطفى ٢٢١، السيرة الحلبية ٣٦٦/١، تاريخ أبي الفداء ١٧٨/١، تفسير الآكوسي ٦/١٥.

هذا ما ستعرفه الان.

لقد سار الله تعالى بموسى ﷺ إلى الطور: ﴿وما كنت بجانب الطور﴾^(١)
وسار تعالى بإبراهيم ﷺ إلى السماء الدنيا ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات
والأرض وليكون من الموقنين﴾^(٢)

وعرج تعالى بعيسى ﷺ إلى السماء الرابعة: ﴿بل رفعه الله إليه﴾^(٣)
وعرج بادريس ﷺ إلى الجنة ﴿ورفعناه مكاناً علياً﴾^(٤)
والعروج الأعظم لمحمد ﷺ ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾^(٥)
ويراد بسرى واسرى به أي سار به ليلاً، والإسراء يعني السير بالليل إذ جاء قوله تعالى
لموسى ﷺ:

﴿ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي﴾^(٦)
أي سر بهم ليلاً، والسير يختص بالنهار أو يعمه والليل. في يقظته دون منامه^(٧).
والذي عليه المشهور (الإسراء والمعراج) أنه كان بجسده وروحه^(٨).
وقال البعض كان في نومه، وقالوا كان الإسراء جسدياً والمعراج روحانياً^(٩).
والخوارج ينكرون المعراج.
وقالت الزيدية والمعتزلة بعروجه بروحه وجسمه إلى بيت المقدس^(١٠).
وقال الطباطبائي والطبري بعروجه بروحه^(١١) وأيد معظم المفسرين عروجه بروحه

(١) القصص ٤٦.

(٢) الأنعام ٧٥.

(٣) النساء ١٥٨.

(٤) مريم ٥٧.

(٥) النجم ٩.

(٦) طه ٧٧.

(٧) تفسير الطوسي ٤٤٦/٦.

(٨) تاريخ أبي الفداء ١٧٨/١، سنن البخاري في تفسير سورة الإسراء ح ٤٧١٦، تفسير الميزان ٣٢/١٢.

(٩) تاريخ أبي الفداء ١٧٩/١.

(١٠) تفسير الطباطبائي ٣٢/١٣.

(١١) تفسير الطباطبائي ٣٢/١٣، تفسير الفخر الرازي ٢٩٢/٧.

وجسده إلى السماء^(١).

أقول: إنَّ العروج برسول الله ﷺ كان بروحه وجسده ولو كان بروحه فقط فليس هذا بالأمر المعجز والآية العظمى.

والعلم الحديث يؤيد انتقال المادة بسرعة الضوء، والقرآن يؤيد ذلك في قول وزير سليمان: ﴿أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾^(٢).

فالوزير قادر على المجيء بعرش بلقيس من اليمن إلى القدس بسرعة الضوء، والله تعالى على كل شيء قدير، وخاتم الأنبياء محمد ﷺ أفضل من وزير سليمان ﷺ بالاجماع.

وأيد الله تعالى ذلك بقوله: ﴿ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام﴾^(٤).

واحتج الجمهور بأنه لو كان مناماً ما تعجبت منه قريش وكان غير معجز^(٥).

وقال الفخر الرازي: لو امتنع ارتفاع رسول الله ﷺ إلى العرش ونزوله في لحظة لامتنع نزول جبرئيل من العرش إلى مكة في لحظة، ولما كان ذلك باطلاً كان ما ذكره أيضاً باطلاً^(٦). وإن حركة إبليس السريعة تثبت أمكانيه حركة النبي ﷺ وعروجه إلى السماء فإبليس جسم^(٧).

ومن آيات مسراه قوله ﷺ: «ثم أقبلت حتى إذا كنت بضجنان^(٨) مررت بعير بني فلان فوجدت القوم نياماً ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء فكشفت غطاءه وشربت منه وارتقت الباقي، ثم غطيت عليه كما كان». (وللهاء أهمية كبيرة في الصحراء).

(١) تفسير الفخر الرازي ٢٩٢/٧، ٢٩٤، تفسير الزمخشري ٦٤٦/٢، تفسير القرطبي ٢١٠/١٠ - ٢١٣، تفسير الطوسي ٤٤٦/١٥.

(٢) سورة النمل ٤٠.

(٣) سورة النجم ١٧، ١٨.

(٤) الإسراء ١، سنن البخاري ٢٨٤/٤.

(٥) تفسير الآلوسي ٧/١٥، تفسير القرطبي ٢٠٩/١٠، تفسير الطبرسي ٣٩٥/٣.

(٦) تفسير الرازي ٢٩٣/٧.

(٧) تفسير الرازي ٢٩٣/٧، ٢٩٤.

(٨) بين ضجنان ومكة خمسة وعشرون ميلاً.

وآية ذلك أن غيرهم تصوب الآن من ثنية التنعيم البيضاء يقدمها جمل اوراق عليه غرارتان إحداها سوداء والأخرى برقاء، واخبرهم بيوم مجيئها مكة.

فابتدر القوم الثنية وسألوهم عن الإناء وعن البعير فأخبروهم كما ذكر عنه ^(١) فزار الرسول عليه السلام الطبقات السبعة، وشاهد سدرة المنتهى، والتقى بالملائكة والأنبياء، وقال له جده إبراهيم عليه السلام: يا محمد اقرأ امتك مني السلام واخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ^(٢).

ولما عاد الرسول عليه السلام إلى الأرض حدث الناس بذلك في الحرم فصدقه المسلمون وكذبه الكافرون كعادتهم وعلى رأسهم طغاة قريش.

ولما اسرى بالنبي بحث بنو هاشم عن محمد عليه السلام وخافوا عليه من رجال قريش وجمع أبو طالب أفراد قبيلته وسلحهم بالحديد ليقتلوا به زعماء قريش ^(٣). وكان الإسراء من بيت أبي طالب ^(٤). ولما كان الإسراء مرتين يكون مرة من الحجر ومرة من بيت أبي طالب.

وجاء عن رؤية النبي عليه السلام ربه في السماء:

«من زعم أن محمداً رأى ربه عز وجل فقد أعظم الفرية على الله عز وجل» ^(٥).

وقد كذبوا كثيراً في رؤية النبي عليه السلام الله تعالى، وقد قال تعالى في كتابه الكريم:

﴿لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار﴾ ^(٦)

(١) تفسير القرطبي ٢٠٨/١٠، تفسير الزمخشري ٦٤٦/٢، ٦٤٧، تفسير الطبرسي ٣٩٩/٢ البداية والنهاية ١٣٧/٢، تفسير الميزان، الطباطبائي ١٧/١٣، تفسير الطبرسي ٣٩٥/٢، تفسير الطوسي ٤٤٦/١٥.

(٢) تفسير الطباطبائي ٢٤/١٣.

(٣) الطبقات ٢١٤/١.

(٤) السيرة الحلبية ٣٦٦/١، الطبقات ٢١٤/١، تفسير الآلوسي ٦٠٤/١٥، تفسير الزمخشري ٦٤٦/٢، تفسير الطوسي ٤٤٦/١٥.

(٥) دلائل النبوة ٣٧٠/٢، سنن مسلم ١، كتاب الايمان ٧ باب آية «ولقد رآه نزلة أخرى الحديث ٢٨٧، ١٥٩/١، سنن

البخاري، كتاب بدء الخلق ٧ باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء ح ٣٢٢٤، فتح الباري ٣١٣/٦.

(٦) الأنعام ١٠٣.

ولما قال موسى لربه: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾^(١)
قال الله تعالى لنبيه موسى: ﴿لَنْ تَرَانِي...﴾^(٢)
وكذب بعض المفسرين حديث شق بطنه وغسل قلبه قبل الإسراء^(٣)؛ كالطبرسي
والرازي لزيف ذلك.

الصلاة

وذكروا أن الله سبحانه وتعالى أعطى رسوله ﷺ الصلوات الخمس في السماء السادسة
أثناء عروجه اليها واتفق العلماء على أن الصلاة فرضت ليلة الإسراء^(٣) وفُرضت الصلاة
عشرًا ركعتين ركعتين.

ولما ولد الحسن والحسين ﷺ زاد رسول الله ﷺ سبع ركعات شكرًا لله تعالى فأجاب
الله له ذلك^(٤). والصلاة عمود الدين. وأول ما يسأل الله تعالى عنها يوم القيامة .
والصلاة فريضة إلهية إن قبلت قيل ما سواها وأصل من أصول الدين .

الدلائل والعبر

الهدف من رحلته ﷺ إلى السماء تتمثل في رغبة الباري في إطلاعه ﷺ على آياته؛
بقوله تعالى «لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير»^(٥).
ولا ثبات معجزة إلهية للناس في ذلك العصر وعصرنا المؤمن بإمكانية الرحلة للفضاء
الدالة على عظمة الإسلام، والبرهنة على عدم إمكانية رؤية الباري عز وجل في الأرض
والسما^(٦). وتوجيه انظار الناس إلى عظمة الآيات السماوية وإمكانية الرحلة الفضائية

(١) الأعراف ١٤٣.

(٢) تفسير الطبرسي ٣٩٥/٢، تفسير الرازي ٢٩٢/٧ - ٢٩٥.

(٣) تفسير القرطبي ٢١٠/١٠ دلائل النبوة، البيهقي ٣٧٢/٢، تفسير الميزان ١٦/١٣، ٢٢ المناقب، ابن شهر آشوب ٤٣/١.

(٤) تفسير الطباطبائي ١٦/١٣ - ٢٢ عن الكافي ومن لا يحضره الفقيه للصدوق.

(٥) الإسراء ١.

(٦) دلائل النبوة ٢ / ٢٧٠، سنن البخاري كتاب بدء الخلق ج ٣٢٣٤.

«لا تنفذون إلا بسلطان»^(١). وتوجيه الناس نحو الفضاء والوصول اليه وفعلًا تم هذا .
كان الاسراء والمعراج اعظم معجزة اهلها النبي ﷺ وايدها العلم الحديث وهذا
من مفاخر الاسلام . وبينت هذه الرحلة السماوية عدم امكانية رؤية الباري عز وجل وهذا
أمر مهم في قضية التوحيد .

والصلاة عملية عبادية تربوية تربط الانسان بربه وتهذب النفس وتطهر الروح وتمكن
الانسان من السيطرة على رغباته الجسدية . وهي تصقل العقائد الاسلامية وتربى المسلم
على النظام ومراعاة قضية الوقت . وصلاة الجماعة اكبر مشروع اقليمي لبث المساواة بين
الناس ونشر المحبة بين المسلمين وصف المصلين في وحدة اسلامية شاملة . ولاهمية الصلاة
الفائقة فقد بنى النبي ﷺ مسجده في المدينة قبل اى مشروع سياسى وادارى وتربوى
آخر .

فالمسجد مركز العقائد الدينية ومدرسة التربية الروحية والثقافية والفقهية .



مركز تحقيقات كليات علوم إسلامي



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کلمه نور علوم اسلامی

باب

الدعوة وبيعتي العقبة





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

بداية المنافسة على الملك

عَرَفَ عبدالمطلب سيد قريش والمسمى بإبراهيم الثاني بحسد قومه لبني هاشم وسعيهم للنيل منهم وكأنه أخذ ذلك عن إسماعيل وإبراهيم عليهما السلام فقال قبل موته: لتنفسني قريش غداً الشرف العظيم والبناء الكريم والعزّ الباقي والسناء العالي إلى آخر الدهر ويوم الحشر^(١).

إذ أدرك عبد المطلب العالم بالدين والأمور الاجتماعية والسياسية في مكة شدة حسد قريش للنبي ورفضهم للدين.  مركز تحقيقات كليات العلوم الإسلامية
ويقصد عبدالمطلب حسدهم للنبوة العظيمة والرسالة الجليلة، وقد قال ملك اليمن ابن ذي يزن نفس الكلام لعبد المطلب.

وبعد موت عبد المطلب حصل ابو طالب على منصب رئاسة قريش ونافسه حرب بن امية دون جدارة فلم يتمكن.

وفي زمن رسول الله ﷺ ورسالته استمرت تلك المنزلة الاجتماعية لأبي طالب لجدارته وأخلاقه، فاستطاع بها الدفاع عن رسول الله ﷺ.

وبعد استمراره في الدفاع عن ابن أخيه في تبليغه الدين الجديد وحطه من آلهة قريش استنكر زعماء قريش زعامته وحاصروه في شعبه مع قومه.

وفي أثناء تلك الفترة ظهرت القيادة الجديدة لقريش والمتمثلة في أبي سفيان وأبي جهل وعتبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة المخزومي وعبد الله بن جدعان.

واستمر هذا المنحى في المنافسة على الزعامة فنافس أبو جهل المخزومي وأبو سفيان وعنتبة وشيبة الأمويون محمداً ﷺ ونافس أبو بكر التيمي وعمر العدوي وأبو عبيدة الفهري وعثمان الأموي علياً ﷺ!

فسار أبو بكر التيمي على خطى ابن جدعان التيمي، وسار خالد بن الوليد المخزومي على خطى الوليد المخزومي، وسار أبو سفيان وعثمان ومعاوية الأمويون على خطى أمية وحرب بن أمية.

ولكن ابن جدعان الصعلوك والوليد الحداد لم تكن عندهما المكانة القبلية والاعتبارية والشخصية والنسبية التي كانت عند أبي طالب فبقي هو السيّد والزعيم الأول في مكة مثل أبيه عبد المطلب.

وخلعت قريش زعامته قبل حصار بني هاشم في الشعب عندما تيقنوا باسلامه فهو مثل مؤمن بني فرعون الذي ذكره الله تعالى في كتابه قائلاً:

وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه^(١)

«ولما عرفت قريش بحقيقة قصّة أبي طالب دسّت هي مجموعة من دهاتها في صفوف المسلمين مدعين الإسلام فحاولوا مراراً قتل رسول الله ﷺ فلم ينجحوا وأفلحوا أخيراً وهم الذين سيطروا على خلافة المسلمين بالتعاون مع زعماء قريش أبي سفيان ومعاوية وعكرمة بن أبي جهل وحكيم بن حزام.

وكان الحزب القرشي الماكر قد أرسل شياطين متعددين إلى صفوف المسلمين افتضح أمرهم لاحقاً مثل عمرو بن العاص.

دار أبي طالب مركز الإسلام والمسلمين

عاش رسول الله ﷺ في منزل عمه أبي طالب منذ أن كان عمره ثماني سنين وإلى زمن زواجه، أي سكن فيها النبي ﷺ سبع عشرة سنة! ولم يفارقها رسول الله ﷺ فهي مركز بني هاشم ومقر سيد قريش وزعيم مكة.

وبعد البعثة النبوية المباركة تعاظم دور تلك الدار فأصبحت مناراً للإسلام والمسلمين ففيها قال رسول الله لأبي طالب: يا عم لو وضَعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته^(١).

وفيهما قال أبو طالب شيخ البطحاء للنبي ﷺ: لا يخلص اليك أحد بشيء تكرهه ما بقيت^(٢) وفي طول مدة البعثة النبوية كانت وفود قريش تتردد على تلك الدار وتتوسل بأبي طالب لمنع النبي ﷺ من فضح آهتها. فعاشت دار أبي طالب ثلاث عشرة سنة مع البعثة المحمدية تتلألأ نوراً بالإسلام. وتصمد صموداً مذهلاً بوجه الكفر.

وفشلت محاولات قريش في إقناع أبي طالب بشكاواها، فابتكروا الحصار الاقتصادي والاجتماعي الذي استمر ثلاث سنوات ففشل أيضاً!

وأعظم تضحية قدمها أبو طالب في ذلك المجال نفسه الزكية إذ مات في داره الصامدة بعد انتهاء الحصار الاقتصادي الظالم. عليه وعلى بني هاشم.

واحترم الله تعالى تلك الدار الحيرة التي أصبحت مناراً للإسلام ومركزاً للتوحيد الإلهي بعروج النبي ﷺ منها إلى السماء العليا وهذا تمجيد لها ما فوقه تمجيد، وبركة إلهية غير منكورة^(٣). ووفر أبو طالب بسياسته سبع سنين للنبي يبلغ فيها الإسلام قبل الحصار الاقتصادي ازداد فيها عدد المسلمين وقويت شوكة الدين قبل يقظة قريش من غفلتها.

كذب الدعوة السرية وزيف دار الأرقم

لم يوجد في قاموس الدعوة المحمدية شيء اسمه الدعوة السرية المحدوده زمنياً، فنذ البعثة النبوية ورسول الله ﷺ يدعو الناس إلى الإسلام مبتدءاً بقبيلته بني هاشم بصورة علنية وصریحة.

(١) تفسير القمي ٢/ ٢٢٨، البداية والنهاية ٣/ ٦٣، عيون الأثر ١/ ١٢٢، سيرة ابن هشام ١/ ١٧٢.

(٢) عيون الأثر ١/ ١٢٦، تاريخ ابن الأثير ٢/ ٥٨، تاريخ الطبري ٢/ ٥٨، ٥٩.

(٣) السيرة الحلبية ١/ ٣٦٦، الطبقات ١/ ٢١٤، تفسير الألوسي ١٥/ ٤، ٦، تفسير الزمخشري ٢/ ٦٤٦، تفسير

الطوسي ١٥/ ٤٤٦.

إذ استمر الرسول ﷺ يدعو القريب والبعيد والقرشي وغيره والأسود والأبيض إلى الإسلام دون كتمان ولا تردد.

ولقد افترى الأمويون قضية الدعوة السرية لاغراض سياسية ولقد محصت الموضوع وحققته فوجدته فرية من أباطيل أعداء الإسلام لا أصل ولا واقع له.

ولقد حاول البعض الالحاح لتعظيم قضية الدعوة السرية في بيت الأرقم بن أبي الأرقم كذباً لطمس معالم بيت أبي طالب المركز السياسي للإسلام والمسلمين.

ان اعطاء دور خطير لدار الأرقم بن أبي الأرقم هدفه تقليص دور دار أبي طالب قبل وبعد المحاصرة الاقتصادية والاجتماعية. لأنها هي الدار العظيمة التي تربي وكبر فيها محمد ﷺ وعلي ﷺ وجعفر. ومنها اسري برسول الله ﷺ إلى القدس وعرج به إلى السماء^(١).

وقضية الدعوة السرية في دار الأرقم معتمدة على رواية مزيفة ذكرها ابن كثير الأموي^(٢). ومما ذكروه لتعظيم دار الأرقم قولهم: أسلم خباب بن الارت قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم^(٣).

وكانوا في الروايات الصحيحة يضعون زمن دخول الرسول وبني هاشم شعب أبي طالب تاريخاً لمعرفة مراحل الحركة الإسلامية. فيقولون أسلم قبل حصار بني هاشم في الشعب أو بعده.

ولكن الخط الأموي والقرشي الحاقدا على بني هاشم لم يرغب في منقبة فيها ذكر لشعب أبي طالب ودار أبي طالب فوضعوا المناقب لدار الأرقم! لأنها دار مخزومية كافرة غير هاشمية.

فقال ابن حجر عن عبدالله بن جحش: أسلم قديماً قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم^(٤). واضاف ابن حجر: واقد بن عبدالله بن عبدمناف التيمي أسلم قبل دخول النبي ﷺ

(١) السيرة الحلبية ١ / ٣٦٦، طبقات ابن سعد ١ / ٢١٤، تفسير الطوسي ١٥ / ٤٤٦.

(٢) السيرة النبوية، ابن كثير ١ / ٤٤، البداية والنهاية ٣ / ٤٠.

(٣) تهذيب التهذيب ٢ / ١١٥.

(٤) تعجيل المنفعة ٢١٧.

دار الأرقم^(١). وأبو الأرقم اعمى كافر^(٢) مات على الكفر.

وحاول ابن الأثير تعظيم دار ابن الأرقم قائلاً:

«إن رسول الله ﷺ لما خاف كفار قريش اختفى هو ومن معه في دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي إلى أن أسلم عمر فخرجوا»^(٣).

أما لماذا انتخب الأمويون دار الأرقم فلأنها في بني مخزوم قبيلة أبي جهل والوليد بن المغيرة عدوي الإسلام.

وكان بنو مخزوم حلفاء بني أمية في الجاهلية والإسلام! وهذا كاف لتعظيم دورهم، فهم من حزب لعقة الدم الذي أصبح نواة للحزب القرشي.

وختموا الرواية المزيفة بخروجهم من دار الأرقم بإسلام عمر بن الخطاب! فأراد بنو أمية أن تكون دار الأرقم بدل دار أبي طالب ويكون الأرقم محل أبي طالب!

في حين كان عمر بن الخطاب رجلاً عادياً من عبيد الحبشة المنتسبين لقبيلة عدي في الجاهلية ليس له جاء ولا عظمة ولا رئاسة ولا أتباع ولا قبيلة قوية، وكان عبداً من عبيد الوليد بن المغيرة المخزومي^(٤).

ولم تكن عنده بطولة يحتمي بها المسلمون كما هو واضح في المعارك الإسلامية الشهيرة فقد فر في معارك أحد والخنندق وخيبر وحنين وحملة اسامة، ولم يقتل كافراً قط!! وكان جباناً معروفاً في الحروب وجباراً على النساء والمستضعفين وفي أيام رئاسته لم يقدر جيشاً لحرب قط^(٥).

ورغم معرفة اغلب المؤرخين بكذب قضية دار الأرقم إلا أنهم أرخوا بها أحداثهم في إسلام كثير من الصحابة باسم قبل وبعد دخول النبي ﷺ دار الأرقم^(٦).

(١) المصدر السابق ٤٣٥.

(٢) البداية والنهاية ٣ / ٤٢.

(٣) أسد الغابة، ابن الأثير ١ / ١٩، ٣ / ١٣١.

(٤) شرح النهج، المعتزلي ١٢ / ١٨٣. اقرب الموارد، مادة عسف.

(٥) راجع باب الحرب في هذا الكتاب.

(٦) تهذيب الكمال المزي ١٤ / ١٩، ١٧ / ٧٢٧، سير اعلام النبلاء، الذهبي ١ / ٨، ١ / ٧١٣٥ / ٣٦٢، تاريخ

الطبري ٣ / ٤٤٤، ١٠ / ١٨.

وأصل الرواية موجود في سيرة ابن كثير الدمشقي الأموي عن ابن الحسن خيثمة بن سليمان الطرابلسي، عن عبيد الله بن محمد بن عبد العزيز العمري قاضي المصيصة عن أبي بكر عبد الله بن عبيد الله بن اسحاق بن محمد بن عمران عن أبي عبيد الله عن عبد الله بن محمد بن عمران عن القاسم بن محمد بن أبي بكر عن عائشة^(١).

قالوا أسلم عمر بن الخطاب وأعلن الإسلام الذي به بدأت المرحلة العلنية وانتهت المرحلة السرية؛ وانهم اقاموا في الدار شهراً وهم تسعة وثلاثون رجلاً وكل ما كتبوه في هذا المجال اعتمد على رواية عائشة عن اسلام عمر في دار الأرقم.

وعائشة معروفة بعذائها لعللي^{عليه السلام} وارضام علي^{عليه السلام} كما اعترفت به .

وقد زار النبي ﷺ دور أصحابه جميعاً في المناسبات الحاصلة عندهم من حزن وسرور ومن الطبيعي أن يزور النبي ﷺ دار الأرقم وادلة بطلان الموضوع هي .

١ - الرواية المزيفة عن المرحلة السرية في بيت الأرقم لم تبين سبب الاختفاء المذكور، فإن كان مرجعه إلى الاضطهاد القرشي فهو مستمر منذ سنوات دون كلل ولا ملل.

٢ - ولو كان النبي ﷺ بحاجة إلى اختفاء لاختفى في دور بني هاشم ليحموه، بل أن النبي ﷺ لم يكن بحاجة إلى ذلك الاختفاء مع وجود أفراد بني هاشم.

٣ - ولم تكن عند قريش في تلك الفترة خطة لإغتيال رسول الله ﷺ كي يختفي، بل انهم بدأوا بتعذيب المسلمين الضعفاء فهاجروا وهربوا واختفوا، وبقي النبي ﷺ والإمام علي^{عليه السلام} وحمزة في مكة في حماية قبيلتهم.

٤ - والمدعش أن الرواية تربط نهاية المرحلة السرية في دار الأرقم بإسلام عمر بن الخطاب وهو الذي أخاف قريشا وحمى المسلمين فبدأت المرحلة العلنية؛

ولو كانت القصة هكذا فلماذا هاجر المسلمون إلى المدينة؟ ولم يبقوا في حماية عمر؟

ولقد انتشرت تلك القصص المزيفة بواسطة قصاصي معاوية المنتشرين في مساجد المسلمين، الذين أمرهم معاوية بصنع احاديث في مناقب الخلفاء والصحابة لارغام انوف

بني هاشم (كما قال معاوية) ^(١).

٥ - ولقد أمر الله تعالى رسوله بانذار عشيرته أولاً ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ^(٢)

ثم أمر بانذار باقي الناس ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ ^(٣).

فوقف رسول الله على حجر فقال: يا معشر قريش، يا معشر العرب أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وأمركم بخلع الانداد والاصنام، فأجيئوني تملكون بها العرب، وتدين لكم العجم، وتكونون ملوكاً في الجنة.

فاستهزأوا به وقالوا: جُنَّ محمد بن عبد الله، ولم يجسروا الموضع أبي طالب ^(٤). فكيف يعود

النبي ﷺ إلى المرحلة السرية!

٦ - وفي مرة أخرى وقف رسول الله ﷺ على الصفا ونادى قريشاً فاجتمعوا له فقال

لهم: أرايتم لو أخبرتكم أن خيلاً في سفح هذا الجبل قد طلعت عليكم أكنتم مصدقي؟

قالوا: نعم، أنت عندنا غير متهم وما جربنا عليك كذباً قط.

فقال: إني نذير لكم من عذاب شديد، فتهض أبو لهب وصاح به: تباً لك سائر اليوم ألهذا

جمعت الناس؟ وتفرقوا عنه.

فأنزل الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَ﴾ ^(٥).

وهذه الأدلة كلها تثبت عدم توسل الرسول ﷺ بالناحية السرية في التبليغ إذ لا يعقل

تمسكه بالمرحلة العلنية أولاً ثم عودته إلى السرية لاحقاً!

٧ - وقد اختلفوا في زمن ومدة الفترة السرية لزيافتها، فقال ابن سعد وابن كثير بأنها قبل

هجرة المسلمين إلى الحبشة أي في زمن حياة أبي طالب ^(٦).

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ٣١١/١٨، لسان الميزان، الذهبي ١٢/٢، شرح النهج، المعتزلي ٣٦٠/١.

(٢) الشعراء ٢١٤.

(٣) المدثر ٢.

(٤) تفسير نور الثقلين ٣/٣٤ عن تفسير القمي.

(٥) تفسير السيوطي تفسير سورة الشعراء آية ٢١٤.

(٦) السيرة النبوية، ابن كثير ٤٤/١، البداية والنهاية ٤١/٣، ٤٢، تهذيب الكمال، المزني ١٩/١٤، ٧٢٧/١٧.

واختلفوا في مدتها فقالوا مدتها ثلاث أو أربع سنوات. وقالوا: مدتها شهر واحد فقط! (١).
 فزيف الموضوع تسبب في اختلافهم في تاريخ ومدة وكيفية الاختفاء في دار الأرقم.
 ٨- أخرج الطيالسي وعبد الرزاق والترمذي وابن الضريس وابن جرير وابن مردويه
 وابن الأنباري أن سورة المدثر، أول سورة نزلت (٢).

وجاء في رواية عن جابر بن عبد الله أن أول ما نزل على الرسول سورة المدثر (٣). وذكر
 السيوطي بأنها ثالث سورة بعد العلق والمزمل (٤) إذ قال:

﴿يا أيها المدثر قم فانذر وربك فكبر، وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن
 تستكثر ولربك فاصبر﴾ (٥)

وإذا كانت أول أو ثالث سورة قرآنية فهذا يبين أنها نزلت في بداية البعثة في مكة تأمر
 رسول الله ﷺ بإنذار قومه جميعاً دون تردد ولا خوف منهم.
 وهذا ينفي ما ذكره البعض عن المرحلة السرية في تبليغ رسول الله ﷺ فالإنذار حركة
 جماهيرية لكل أفراد الأمة.

وخوف المسلمين المستضعفين من طغاة قريش وخوف العبيد المسلمين من أسيادهم
 أدى إلى كتمان بعضهم الإسلام. وهذا الكتمان قد يوحى إلى البعض مرور النبي ﷺ
 والمسلمين بالمرحلة السرية!

٩- وكان أبو الأرقم المخزومي كافراً معانداً فكيف يوافق على تجمع المسلمين في بيته
 تجمعاً خطيراً لمدة ثلاث سنوات؟

١٠- وذكر الرسول ﷺ أن قريشاً لم تؤذه في حياة أبي طالب فكيف يتوسل الرسول
 بحماية الأرقم مع وجود أبي طالب وقبيلته. والأرقم نفسه بحاجة إلى حماية.

(١) راجع السيرة النبوية، ابن كثير ٤/٤١١، البداية والنهاية ٢/٤١، تهذيب الكمال، المزي ١٤/١٩، ١٧/٧٢٧.

(٢) تفسير الدر المنثور ٦/٢٨٠.

(٣) تفسير التبيان، الطوسي ١٠/٣٧٨.

(٤) تفسير الدر المنثور ٦/٢٤٩.

(٥) المدثر ١-٧.

وإنَّ أبا الأرقم لم يكن مجيراً للمسلمين ولم يكن مسلماً ولم يسع للدفاع عن الإسلام والمسلمين فكيف تكون داره مقراً لتجمع عشرات المسلمين على مدى ثلاث سنوات. وقد دافع النجاشي عن المسلمين لنصرانيته ودخوله الإسلام واضطر لخوض حرب دامية مع المخالفين للإسلام في الحبشة انتصر فيها، ولم يكن أبو الأرقم المغرور الكافر المعاند للحق كذلك. وسمَّى الأمويون دار الأرقم بدار الإسلام^(١).

وقال رسول الله ﷺ في الابطح^(٢) أمام قريش:

إني رسول الله ادعوكم إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، ولا تخلق ولا ترزق، ولا تحيي ولا تميت، فاستهزأت منه قريش وآذته^(٣) فنزلت: ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين، إنا كفيناك المستهزئين الذي يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون، ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون، فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾^(٤).

قال ابن اسحاق وابن جرير في قوله: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ هذا أمر من الله تعالى لنبيه بتبليغ رسالة قومه^(٥).

وابن اسحاق لم يذكر المرحلة السرية في سيرته وانكرها.

وبعد ذلك الأمر الإلهي بانذار الناس فهل يبقى مجال للدعوة السرية!

١٢ - ولم توجد آية في القرآن الكريم تدعو النبي ﷺ إلى المرحلة السرية، وما دام الأمر العلني الإلهي لم ينسخ ﴿وانذر عشيرتك الأقربين﴾^(٦) ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ فليس هناك داع للمرحلة السرية.

ولو كانت القضية متعلقة بتعليم رسول الله ﷺ المسلمين اصول وفروع دينهم في بعض

(١) التراتيب الادارية ١ / ٤٠٨.

(٢) مكان بين مكة ومنى.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٤.

(٤) سورة الحجر ٩٤ - ٩٩.

(٥) تفسير الدر المنثور السيوطي ٤ / ١٠٦.

(٦) الشعراء ٢١٤.

بيوت المسلمين وخارج الكعبة فهذه الجلسات كانت موجودة على مدار ثلاث عشرة سنة في مكة ولا ارتباط لها ببيت الأرقم ولا تاريخ معين ولا أيام معدودة في الوعظ والتبليغ.

١٣ - ومن زيف الروايات عن ذلك البيت السري جداً أنهم ذكروا بحبيء عمر بن الخطاب (يوم كان كافراً) إلى دار الأرقم لقتل الرسول ﷺ فتصدى له حمزة والرسول ﷺ فأسلم عمر.

فأي سرية مع معرفة قريش ومنهم عمر بتجمع المسلمين في دار الأرقم! وهي في حي بني مخزوم المحاربين للإسلام.

١٤ - ولا يمكن تجمع عشرات المسلمين في حي بني مخزوم وفيها طاغيتهم الوليد بن المغيرة وفرعونهم أبو جهل وإخوانه وخالد بن الوليد وقد لعن النبي ﷺ بني المغيرة وبني أمية.

ولم تبين الرواية الكاذبة سبب تجمع المسلمين في دار الأرقم، فإن كان لتعلم أحكام الإسلام فيجب أن يستمر ذلك المنحى لأنهم بحاجة مستمرة إلى تعلم الإسلام الجديدة والمشاورة في قضايا المسلمين.

والرواية نفسها تنفي هذا السبب لأنها تدعي بأن المدة كانت محدودة زمنياً وانتهت بإسلام عمر بن الخطاب.

وان كان سبب الاختفاء هرباً من قريش فبيت الأرقم الكافر لم يكن آمناً، إذ ادعت الرواية معرفة قريش بتجمع المسلمين فيه!

ثم إن عمر أسلم متأخراً بعد هجرة المسلمين إلى الحبشة وبعد خروج بني هاشم من شعب أبي طالب. قال بذلك معظم المؤرخين ومنهم ابن كثير^(١).

كل هذه القضايا والحقائق تنفي فرية المرحلة السرية وتنفي وجود دار معروفة ومركزية للمسلمين باسم دار الأرقم بن أبي الأرقم في حي الطاغيتين أبي جهل والوليد بن المغيرة.

حاجة الأنصار لمصلح

لقد آمن الكثير برسول الله ﷺ ومنهم تبع الأول وسيف بن ذي يزن ملكا اليمن^(١) وكانت قبيلتا الأوس والخزرج اليمانيّتان تنتظر خاتم الأنبياء ﷺ لأسباب عديدة:

١ - معرفة الأنصار بقرب ظهور رسول الله ﷺ الصادق المصدّق المنصور من السماء وتوارثهم ذلك أبا عن جد. وبشارات اليهود بقرب ظهور النبي محمد ﷺ تزيدهم إيمانا فوق إيمانهم.

٢ - إختلاف الأوس والخزرج وحروبها المستمرة جعلتها بحاجة إلى مصلح عظيم يهديهم إلى الحق وينقذهم من الفتنة، فقال أسعد بن زرارة:

«إنا من أهل يثرب من الخزرج وبيننا وبين أخوتنا من الأوس حبال مقطوعة فإن وصلها الله بك، لا أحد أعز منك»^(٢).

٣ - الأخلاق الحسنة التي يتحلّى بها الأنصار جعلتهم ينسجمون مع الرسالة الإسلامية العظيمة السمحة فهم على خلاف أهالي مكة الذين تمتاز طائفة كبيرة منهم بالمكر والخديعة والاحتيال.

فطبيعة سكّان مكة غير طبيعة سكّان المدينة، فالناس في المدينة تغلب عليهم طبيعة أخلاق الفلاحين الكرماء مثل سعد بن عباد، وأسعد بن زرارة، وسعد بن معاذ.

والناس في مكة تغلب على طباعهم المكر والدهاء مثل عمرو بن العاص وأبي سفيان وأبي لهب وابن الجراح.

وأخلاق المدن المكتظة بالزائرين كالموانئ ومدن السياحة عادة ما تتّصف بهذا الأمر من الدهاء.

فقال اليعقوبي في وصف أهل يثرب:

«وكان الأوس والخزرج إني حارثة بن ثعلبة أهل عزّ ومنعة في بلادهم حتى كانت

(١) ثمرات الأوراق ٢٩٠، عن القرطبي.

(٢) البحار ١٩ / اعلام الورى ٥٧.

بينهم الحروب التي أفتتهم في أيام لهم مشهورة، منها يوم الشفينة وهو أول يوم جرت الحرب فيه، ويوم السرارة، ويوم وفاق بني خطمة، ويوم حاطب بن قيس، ويوم حضير الكتائب، ويوم أطم بني سالم، ويوم أبتروه، ويوم البقيع، ويوم بُغات، ويوم مضرب، ومُعَبَس، ويوم الدار، ويوم بُعات الآخر، ويوم فجار الأنصار؛ وكانوا ينتقلون في هذه المواضع التي تعرف أيامهم بها ويقتتلون قتالاً شديداً. فلما ضرّستهم الحرب، وألقت بركها عليهم وظنّوا أنها الفناء، واجترأت عليهم، بنو النضير وقريظة وغيرهم من اليهود، خرج قوم منهم إلى مكة يطلبون قريشاً لتقويهم؛ فاشترطوا عليهم شروطاً لم يكن لهم فيها مقنع. وكان المشترط عليهم أبو جهل بن هشام المخزومي؛ وقد قيل إن قريشاً أجابتهم حتى قدم أبو جهل من سفر له وكان غائباً فنقض الحلف واشترط عليهم شروطاً لم يقنعوا بها.

ثم صاروا إلى الطائف فسألوا ثقيفاً فأبطأوا عنهم فانصرفوا. وقدم رجل منهم بعد مبعث رسول الله يقول له سويد بن الصامت من الأوس حاجاً أو معتمراً فبلغه أمر رسول الله فلقيه وكلمه فدعاه رسول الله إلى الله.

فقال له سويد: إنّ معي مجلّة لقمان تحيتكم بغير طعن ولا عيب

قال النبي ﷺ: فاعرضها عليّ؛ فعرضها عليه. فقال رسول الله: إنّ هذا الكلام لحسن، والذي معي أحسن منه: كلام الله، وقرأ عليه. فقال: يا محمد إنّ هذا الكلام حسن. ثمّ انصرف إلى المدينة، فلم يلبث أن قتلته الخزرج؛ ثمّ قدم نفر منهم أيضاً إلى مكة، وهم بنو عَفراء، يتفاحرون مع أسعد بن زرارة، فلقاهم رسول الله ودعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن. فقال رجل منهم يقال له إياس بن معاذ: يا قوم هذا والله النبي الذي كانت اليهود تعدكم به، فلا يسبقنكم إليه أحد، فأسلموا»^(١).

بيعة العقبة الأولى

قال جابر الأنصاري: رأيت رسول الله ﷺ قبل أن يهاجر إلى المدينة يطوف على الناس في منازلهم بمعنى يقول: يا أيها الناس إنّ الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، يا أيها

(١) تاريخ يعقوبي ٣٨/٢، تاريخ ابن الأثير ٩٦/٢.

الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا وخلفه رجل له غدirtان اي ذؤابتان يرمجه بالحجارة حتى ادمى الكعبة ويقول: يا ايها الناس لا تسمعوا منه فإنه كذاب. فسألت عن النبي ﷺ فقيل لي: إنه غلام عبدالمطلب والذي يرمجه عمه عبد العزى يعني أبا لهب^(١).

كانت الأخبار منتشرة بين سكان المدينة عن قرب ظهور النبي محمد ﷺ ولما تعرف بعض المدنيين على رسول الله ﷺ في مكة سرعان ما أسلموا طبقاً لما سمعوه سابقاً، وشوقاً إلى التعاليم الرائعة للإسلام.

ولما عادت تلك المجموعة إلى المدينة، وأخبرت بما رأت وسمعت من النبي محمد ﷺ أصبح حلم الناس في رسول الله ﷺ حقيقة، فانتشرت تلك الأخبار وطار صيتها.

وفي السنة الثانية، وفي موسم الحج جاء وفد المدينة إلى مكة وهناك التقى منهم جماعة برسول الله ﷺ وهم اثنا عشر رجلاً ثلاثة منهم من الأوس والباقي من الخزرج. وكان اللقاء في العقبة، فاتفق معهم رسول الله ﷺ على بيعته بيعة النساء: أن لا يشركوا بالله شيئاً، ولا يسرقون ولا يزنون ولا يقتلون أولادهم، ولا يأتون بهتان يفترونه من بين أيديهم وأرجلهم، ولا يعصونه في معروف، فان وفوا فلهم الجنة، وان غشوا من ذلك شيئاً فأمرهم إلى الله عز وجل، إن شاء عذب وإن شاء غفر». وهم: أسعد بن زرارة، وعوف، ومعاذ بن الحارث، ورافع بن مالك بن عجلان، وذكوان بن عبد قيس من بني زريق، وعُباد بن الصامت من بني عوف بن الخزرج، ويزيد بن ثعلبة بن خزمة، وعباس بن عباد بن نضلة من بني سالم، وعقبة بن عامر بن نابي، وقطبة بن عامر بن حديدة وهؤلاء من الخزرج وشهدوا من الأوس أبو الهيثم بن التيهان حليف لبني عبد الأشهل، وعويم بن ساعدة حليف لهم وسعد بن خيثمة^(٢). وأرسل رسول الله ﷺ مع مسلمي المدينة مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ليقارئهم القرآن ويفقههم في الدين ويعلمهم الإسلام، فنزل عند أسعد بن زرارة فخرج به أسعد بن زرارة فجلس في دار بني ظفر، واجتمع عليها

(١) سيرة ابن دحلان ١ / ٢٣٨.

(٢) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٩٦، تاريخ الطبري ٢ / ٨٧، البدء والتاريخ ٢ / ٦٣.

رجال من [قبيلة] أسلم. فأسلم على يديه سعد بن معاذ وآخرون^(١). وبهذا الاتفاق فقد انتصر الاسلام في ثلاث جهات مكة والمدينة والحبيشة. وفشلت قريش في محاصرته فأصبح قويا واضحا عالميا بهجرة المسلمين للحبيشة في السنة الخامسة

بيعة العقبة الثانية

وفي موسم حج السنة الثانية بعد بيعة العقبة الأولى المصادف للسنة الثالثة عشرة جاء حسجاج يثرب إلى مكة وعددهم خمسمائة حجاج، فيهم المسلمون، فاتفق معهم رسول الله ﷺ على اللقاء في أوسط أيام التشريق بالعقبة. أي في أواخر أيام الحج على ألا ينهوا نائماً ولا ينتظروا غائباً.

فخرجوا بعد مضي ثلث الليل مستخفين يتسللون حتى اجتمعوا بالعقبة، وهم سبعون رجلاً وامرأتان هما نُسَيْبَةُ بنت كعب أم عمارة وأسماة أم عمرو بن عدي من بني سلمة. فجاءهم رسول الله ﷺ وحمزة وعلي^(٢)

حاول العباسيون ذكر العباس جدّهم في بيعة العقبة الثانية على حساب شخصية رسول الله ﷺ فقالوا بأنه كان أشهر من رسول الله ﷺ لانه معروف بالتجارة في المدينة فيعرفونه بالعباس وحاول الأمويون تعظيم منزلة أبي بكر على حساب شخصية رسول الله ﷺ فقالوا بأن أهل المدينة عرفوا أبا بكر عند مجيئه المدينة ولم يعرفوا الرسول ﷺ^(٣). في حين كانت منزلة العباس أقل من منزلة رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ يومها في سن الخمسين وقد أصبح أشهر من الصفا والمروة يتكلم في نبوته أهالي فارس والروم. وأبو بكر رجل مغمور من قبيلة ضئيلة المنزلة لا يعرفه أبو سفيان إلا بأبي فضيل^(٤). ولو كان العباس مهتماً بحياة رسول الله ﷺ لأسلم ولحقه إلى المدينة!.. أليس كذلك؟

(١) تاريخ ابن الأثير ٩٦/٢، ٩٧.

(٢) اعلام الوری ٥٩، البحار ١٢/١٩، ١٣، ٤٧، السيرة الحلبية ١٦/٢، السيرة النبوية، دحلان ١٥٢/١.

(٣) راجع البداية والنهاية ١٩٣/٣، طبقات ابن سعد ٦١٨/٣، تاريخ الطبراني ٣٦١/٢، سيرة ابن هشام ٨١/٢.

(٤) أي راعي الأبل، شرح النهج ٢/ ٣١ - ٣٤، تاريخ الخلفاء، السيوطي ٦٦.

وحاول الأمويون والعباسيون حشر أبي بكر والعباس بن عبد المطلب في قضية بيعة العقبة الثانية لكنهم فشلوا.

لقد بقي العباس بن عباد بن نضلة الأنصاري في مكة إلى أن هاجر النبي ﷺ فهو أنصاري مهاجري واستشهد باحد^(١).

فحصل خطأ متعمد بين العباس بن عباد بن نضلة الأنصاري والعباس بن عبد المطلب بحشر العباسيين اسم جدّهم في هذه البيعة والا فإن العباس لم يكن له تاريخ في نصرة الإسلام ورسول الله ﷺ في مكة.

لذلك لم يكن لأبي بكر وللعباس بن عبد المطلب ذكر في رواية عاصم بن عمر بن قتادة^(٢). ولم يذكرهما جابر بن عبد الله الأنصاري في روايته^(٣).

ولم يذكرهما الديار بكري وابن سيد الناس والبلخي وآخرون^(٤). فقال حمزة: يا معشر الخزرج (وكانت العرب تسمّي الخزرج والأوس به)، إنّ محمداً منّا حيث قد علمتم في عزّ ومنعة، وإنّه قد أبى إلاّ الإنقطاع إليكم، فإن كنتم ترون أنكم تفون له بما دعوتوه إليه وتبايعوه فأنتم وذلك وإن كنتم ترون أنكم مسلموه فمن الآن دعوه فإنّه في عزّ ومنعة.

فقال الأنصار: قد سمعنا ما قلت، فتكلّم يا رسول الله وخذ لنفسك وربك ما أحببت. فتكلّم ﷺ وتلا القرآن ورغب في الإسلام ثمّ قال: تمنعوني ممّا تمنعون منه نساءكم وأبناءكم. ثمّ أخذ البراء بن معرور بيده وقال: والذي بعثك بالحقّ لتمنعنكم ممّا تمنع منه أزرتنا، فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أهل الحرب.

فاعترض الكلام أبو الهيثم بن التّيهان فقال: يا رسول الله إنّ بيننا وبين الناس حبّالاً، وإنّا قاطعوها، يعني اليهود، فهل عسيت إن أظهرك الله عزّ وجلّ أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟

(١) سيرة ابن دحلان ١ / ٢٤٣.

(٢) البداية والنهاية ٣ / ١٩٨.

(٣) الوفا، ابن الجوزي ٢٣٠.

(٤) تاريخ الخميس ١ / ٣١٦، عيون الأثر ١ / ٢٠٧، ٢٠٨، البدء والتاريخ ٢ / ٦٢.

فتبسم رسول الله ﷺ، وقال: بل الدم الدم والهدم الهدم، أنتم مني وأنا منكم، أسالم من سالمتم وأحارب من حاربتم.

وكانت البيعة في هذه العقبة على غير الشروط في العقبة الأولى. فإن الأولى كانت على بيعة النساء وهذه البيعة على حرب الأحمر والأسود^(١). بل هي بيعة على الدفاع عن الإسلام حتى الموت.

وقال لهم العباس بن عباد بن نضلة الأنصاري: يامعشر الخزرج هل تدرون على ما تبايعون هذا الرجل؟ تبايعونه على حرب الأحمر والأسود، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم وقُتل أشرافكم قتلاً أسلمتموه، فمن الآن فهو والله خزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة.

قالوا: فإننا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف، فما لنا بذلك يارسول الله؟ قال الرسول ﷺ: الجنة.

قالوا: أبسط يدك، فبايعوه.

وما قال العباس بن عباد ذلك إلا ليشد العقد عليهم.

فكان أول من بايعه أبو الهيثم بن التيهان، وكان لا يقرب في الجاهلية الاوثان^(٢). ثم تتابع القوم فبايعوا.

لقد أدرك العباس بن عباد بن نضلة وآخرون خطورة الأمر من قول الرسول ﷺ: «وتدين لكم العجم وتكونون ملوكاً».

وقال له العباس بن عباد: والذي بعثك بالحق نبياً لئن شئت لتميلن غداً على أهل منى بأسيا فئنا. فقال ﷺ: لم نؤمر بذلك فرجعوا.

وقال عباد بن الصامت: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة

(١) راجع تاريخ ابن الأثير ٩٦/٢ - ١٠١، السيرة النبوية، أبو حاتم ١١٨/١ - ١٢٢، عيون الأثر ٢٢٣/١، تاريخ الطبري ٨٧/٢ - ٩٣.

(٢) البدء والتاريخ، البلخي ٦٢/٢، تاريخ الطبري ٩٣/٢.

لائم^(١). قال السيوطي: يريد الملك والأمانة^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: أخرجوا إليّ اثني عشر نقيباً يكونون على قومهم، فأخرجوهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس.

وقال ابن هشام: إنما جعل النبي ﷺ النقباء اثني عشر اقتداءً بقوله سبحانه في قوم موسى ﷺ: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾^(٣).

وكذلك أرسل الله تعالى اثني عشر خليفة للمسلمين أولهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم الحسن والحسين رضي الله عنهما... وآخرهم المهدي (عج).

فلما بايعوه صرخ الشيطان من رأس العقبة: يا أهل الجباب^(٤)، هل لكم في مُدْمَم والصُّبَاة معه قد اجتمعوا على حربكم؟

فقال رسول الله ﷺ: أما والله لأفرغنّ لك أي عدو الله!

ثم قال الرسول ﷺ: انفضُّوا إلى رحالكم.

ولما جاءت قريش بسلاحها ورجالها لمعرفة نتيجة الاجتماع وأهدافه قال حمزة: ما اجتمعنا، وما هاهنا أحد، والله لا يجوز أحد هذه العقبة إلّا ضربته بسيفي.

فرجعت قريش إلى عبدالله بن أبي فقالوا له: قد بلغنا أنّ قومك بايعوا محمّداً على حربنا، والله ما من حي أبغض من أن ينشب الحرب بيننا وبينه منكم، فحلف لهم عبدالله أنّهم لم يفعلوا، ولا علم له بذلك، وأنهم لم يطلعوه على أمرهم، ورحلت الأنصار ورجع رسول الله ﷺ إلى مكة.

ولما تأكدت قريش من خبر البيعة طلبت الأنصار فأدركت سعد بن عباد والمُنذر بن

(١) عيون الأثر ٢٢٣/١ مسند أحمد ٣١٤/٥، سير أعلام النبلاء ٧/٢، سنن النسائي ١٣٨/٧ - ١٣٩ الموطأ المطبوع مع تنوير الحوالك ٤/٢ سنن البخاري ١٥٦/٤، السيرة النبوية، ابن هشام ٩٧/٢.

(٢) تنوير الحوالك ٤/٢.

(٣) المائدة ١٢، عيون الأثر ٢٢٥/١.

(٤) كمال الدين ٧٣، ينابيع المودة، الكنجي الشافعي ٤٤٦.

(٤) المنازل.

عمير فهرب المنذر وبقي سعد بن عباد في قبضتهم فعذبوه.

ولما سمع جبير بن مطعم والحارث بن حرب بن أمية جاء وأنقذاه لأنه يجير لهما تجارتها ويمنع الناس من التعدي عليهما^(١).

فلما بايعوه ورجعوا إلى المدينة، أقام رسول الله ﷺ بمكة بقية ذي الحجة والمحرم وصفر ثلاثة أشهر، وهاجر إلى المدينة في شهر ربيع الأول، وقدمها لاثنتي عشرة ليلة خلت منه. وقد كانت قريش لما بلغهم إسلام من أسلم من الأنصار اشتدوا على من بمكة من المسلمين، وحرصوا على أن يفتنوه، فأصابهم جهد شديد، وهي الفتنة الآخرة؛ وأما الأولى فكانت قبل هجرة الحبشة.

إن جهود رسول الله ﷺ المتواصلة لتبليغ الإسلام للقبائل قد نجحت أخيراً مع قبيلتين مهمتين هما الأوس والخزرج.

وثانياً إن النبي ﷺ عقد بيعة الأنصار له وهو في مكة احكاماً للأمر وتثبيتاً لنجاحه، فهو لا يريد الفرار من مكة كما يدعون بل يريد قوماً يتعهدون بالتضحية بما يملكون في سبيل الإسلام، ويبايعونه على حرب كل القوى العظمى والصغرى التي يحاربها رسول الله ﷺ. فغضبت قريش غضباً عظيماً على ذلك الاتفاق الخطير، ووجدت الحل الوحيد لمشكلتها يتمثل في اغتيال رسول الله ﷺ لمنع الكارثة التي ستحل بها عاجلاً.

إن السرية التي أحاطت ببيعة العقبة تثبت بأنه ﷺ قد استخدم السرية طول فترة وجوده الشريف في مكة والمدينة كلما تطلب الأمر ذلك، ولم يخصص السرية بفترة محددة كما قال بعض رجال الحزب القرشي!

أمّا من ناحية الأنصار فإنهم دخلوا الإسلام سريعاً لانتظارهم الطويل له، وشوقاً لتعاليمه السمحاء وأحكامه الفاضلة، ولم يفعلوا أفعال قريش وأهل الطائف في محاربة الإسلام والتمسك بأصنام الجاهلية وعاداتها. فهم بقايا عرب اليمن الذين كانت حضارتهم

(١) تفسير القمي ٢/٢٧٢، ٢٧٣، البحار ١٢/١٩، ١٣، أعلام الوري ٥٧، عيون الأثر ١/٢١٧، ٢١٨، ٢٢٣، تاريخ الطبري ٢/٩٦، تاريخ الخميس ١/٣١٨، ٣١٩، البداية والنهاية ٣/١٥٨، السيرة النبوية، ابن كثير ٢/١٩٣، ٢١٩، دلائل النبوة، البيهقي ٢/٤٥٠.

أرفع من باقي أرجاء جزيرة العرب.

وإتفاق الأنصار مع رسول الله ﷺ قائم على تضحية وإخلاص وإيمان من قبلهم على أن يُعطوا الجنة^(١).

الدلائل والعبر

نال منزل أبي طالب مرتبة افضل منزل في الدنيا إذ تربى في هذه الدار خاتم الانبياء محمد وخاتم الاوصياء علي عليه السلام. وفي تلك الدار عاش رسول الله سبع عشرة سنة عند أبي طالب المتكفل بتربيته. ثم انتقل الى بيت زوجته مع خديجة. وفي تلك الدار عاش علي بن أبي طالب عليه السلام قبل انتقاله الى بيت رسول الله ﷺ وفيها ولد طالب بن أبي طالب الممتنع عن حضور معركة بدر في صفوف المشكرين.

وفيها ولد جعفر بن أبي طالب زعيم المهاجرين الى الحبشة وقائد حملة مؤتة وشهيدها. وعاصرت تلك الدار البداية الرائعة للبعثة النبوية والدعوة الاسلامية، فكان يحتمي بها رسول الله ﷺ وباقي أفراد بني هاشم، لتجري فيها المناقشات الحادة بين رسول الله من جهة وطغاة قريش من جهة حول أدلة الديانة الجديدة وسقم عبادة الاصنام.

وبينما كان جعفر بن أبي طالب يدافع عن الاسلام في الحبشة كان علي بن أبي طالب عليه السلام يصحب رسول الله ﷺ مدافعاً عنه في مكة والمدينة ولأجل تلك المسيرة المشهودة لأبي طالب وعائلته حاول الحزب القرشي لاحقاً مهاجمة كل فضيلة تعود لأبي طالب وأولاده! باذلين في هذا السبيل اموالاً طائلة. وبعد مرور قرون عديدة نلاحظ فشل مساعيهم وخيبة آمالهم في هذا الطريق فأصبحوا عبرة للمعتبرين.

ومن الناحية العقائدية أضحت هذه الدار مقراً لنشر عقيدة لا اله الا الله محمد رسول الله. وأصبحت هذه الدار مقراً لقيادة رسول الله ﷺ وقطباً مركزياً لنشر الرسالة المحمدية في ربوع شبه الجزيرة العربية. كلما حاول طغاة وعتاة مكة الدفاع عن أوثانهم طرّقوا بابها متحدّين مع أبي طالب في مطالبتهم، فيردّهم ابو طالب زعيم مكة بالأساليب الملائمة

لنفوسهم المهدئة لاندفاعهم فيعيدهم الى مجالسهم. وكانت دار ابي طالب مركزاً لمداورات أمور قريش وبني هاشم يقصدها الأشراف وعامة الناس.

وما ان يبدأ رسول الله ﷺ ثانية بالنيل من اوثانهم والخط من دينهم حتى يجرون ثانية الى دار ابي طالب راجينه الحد من حركة ابن أخيه.

فكانت تلك الدار وسيدها في خدمة الاسلام والمسلمين من بداية البعثة النبوية والى ساعة وفاة ابي طالب فاستحقت بجدارة نيل عنوان مقر قيادة البعثة الاسلامية في مكة، ونال ابو طالب باستحقاق كامل لقب سيد قريش وحامي رسول الله ﷺ فلم تجرؤ قريش على النيل من محمد ﷺ في حياته.

وبعد ما مات ابو طالب وفقد رسول الله ﷺ ناصره فرح القرشيون وحزن المسلمون فرّت برسول الله ﷺ فترة صعبة وحرجة ردّ فيها اهالي الطائف دعوته وردّت قبائل العرب ارشاداته وتعاليمه.

ولما أيقن القرشيون بالنصر الكاذب أنزل الله تعالى نصره على رسوله متمثلاً في اسلام اليتريين المبايعين له في العقبة الاولى والثانية.

فطار صواب قريش وجنّ جنونها ببيعة أهالي يثرب رسول الله ﷺ فقررت قراراً طائشاً متمثلاً في اغتيال رسول الله ﷺ لانه الوسيلة الوحيدة الباقية في يديها.

ولكن الله تعالى أفشل خطتها مرّة اخرى وخيّب أملها فبلغ خاتم الأنبياء ﷺ يثرب. فكانت قصة سيد الرسل ﷺ من أحسن القصص التي مرّت بها الحواضر العالمية.

ونلاحظ بأن النبي لم يذهب الى يثرب الا بعد اجرائه عقد البيعة مع الانصار في مكة في حين كان بإمكانه الذهاب ليثرب دون عقد بيعة وكان بإمكانه عقد البيعة في يثرب لاحقاً مما يبين احكامه للامور وعدم تسرعه في تنفيذ مشاريعه الدينية والسياسية وفي هذا حكمة للمسلمين.

ولم يكتف النبي ببيعة العقبة الاولى بل اجري بيعة العقبة الثانية بعد مرور سنة كاملة بينما كان بإمكانه الاكتفاء بالبيعة الاولى والهجرة للمدينة خاصة مع وجود الاضطهاد القرشي له وللمسلمين.



مركز تحقيقات كليات علوم إسلامی

باب

الهجرة إلى المدينة





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

من صاحب النبي في الهجرة أبو بكر ام ابن بكر؟

ثم أمر النبي ﷺ أصحابه بالهجرة إلى المدينة، فكان أول من قدمها أبو سلمة بن عبد الأسد، ثم هاجر بعده عامر بن ربيعة حليف بني عدي مع امرأته ليلى ابنة أبي حشمة، ثم عبدالله بن جحش ومعه أخوه أبو أحمد وجميع أهله، فأغلقت دارهم وتتابع الصحابة، ثم هاجر عمر بن الخطاب وعيَّاش بن أبي ربيعة فنزلا في بني عمرو بن عوف، وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عيَّاش بن أبي ربيعة بالمدينة، وكان أخاهما لأُمَّهما، فقالا له احتيالا: إِنَّ أَمْرَكَ قد نذرت أنها لا تستظل ولا تمتشط. فرق لها وعاد فسجناه وعذباه وتتابع الصحابة بالهجرة^(١) ولما خرج المسلمون إلى المدينة بقي رسول الله ﷺ وعليه في مكة فطلب النبي ﷺ من علي بن أبي طالب المبيت في فراشه والنوم ببردته فنام في مكانه ليحسبوه رسول الله ﷺ. فقرأ النبي ﷺ شيئا من سورة ياسين ووضع التراب على رؤوسهم فلم يشاهده المحاصرون لبيته وكذلك أبو بكر وذهب إلى غار ثور وحده. وهناك التقى بعبد الله بن اريقط بن بكر دليله^(٢) وهو الذي صحبه في الغار والسفر. ثم جعل المحرفون متأخرا أبا بكر بدل ابن بكر. وجعلوا اسم أبي بكر عبد الله وهو عتيق. ولم يهاجر النبي ﷺ مع أبي بكر اعتمادا على شواهد وقرائن كثيرة. ولم يسمع أبو بكر نفسه بقضية هجرته مع النبي ﷺ ومرافقته له في الغار. لذا لم يفتخر أبو بكر وعمر بها ابداً قبل السقيفة وبعدها. وحرف العباسيون أيضاً مناقب الشهيد العباس بن نضلة

(١) تاريخ ابن الأثير ١/٢، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣.

(٢) طبقات ابن سعد ١/٢٢٩، الروض الانيب ١/١٨١.

الانصاري لصالح العباس جدهم^(١).

واعطى عروة بن الزبير بن العوام أجير معاوية ويزيد وعبد الملك بن مروان في رواية السيرة دوراً كاذباً لاسماء زوجة الزبير في قضية الهجرة فسمهاها بذات النطاقين واعطى دوراً كاذباً لجده صفيه في منازلة الرجال وقتلها يهودياً في معركة الخندق^(٢). وقد عظم الامويون زيفا دور أبي بكر وعائلته في قضية الهجرة بشكل مستغرب في مقابل دور علي عليه السلام في المبيت بفراشه وتوزيع أماناته والمجيء بفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله إلى المدينة. وكانت قريش قد بذلت مائة بعير لمن جاءها بالنبي محمد صلى الله عليه وآله^(٣). وفي الغار حزن صاحب النبي خوفاً فقال له صلى الله عليه وآله لا تحزن إن الله معنا^(٤). وكان أمير المؤمنين علي عليه السلام هو الذي يأتي النبي صلى الله عليه وآله بالطعام والشراب إلى الغار^(٥). وهو صلى الله عليه وآله الذي أرسل زادا وراحلة لرسول الله صلى الله عليه وآله. وكان اعداد الراحلة عملية صعبة لا يقوم بها غير علي عليه السلام. وغير الامويون هذا أيضا لصالح ابي بكر^(٦).

محاولة ممثلي قبائل قريش اغتيال النبي صلى الله عليه وآله في مكة

واستمرت المحاولات لاغتيال النبي صلى الله عليه وآله فجاءه صلى الله عليه وآله واجتمعت قريش على قتل رسول الله، وقالوا: ليس له اليوم أحد ينصره، وقد مات أبو طالب، فأجمعوا جميعاً على أن يأتوا من كل قبيلة بغلام نهد فيجتمعوا عليه فيضربوه بأسيا فهم ضربة رجل واحد، فلا يكون لبني هاشم قوة بمعادة جميع قريش. فنما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله أنهم أجمعوا على أن يأتوه الليلة التي اتحدوا فيها، خرج رسول الله صلى الله عليه وآله لما اختلط الظلام وأوحى الله تعالى في تلك الليلة إلى جبريل وميكائيل أني قضيت على أحدكما بالموت فأيكما يواسي صاحبه؟ فاختار الحياة كلاهما. فأوحى الله إليهما: هلا كتما كعلي بن أبي طالب، آخيت

(١) راجع سيرة ابن دحلان ١/ ٢٤٢ وتاريخ الخميس ١/ ٣١٦.

(٢) اسد الغابة ٧ / ١٧٤.

(٣) السيرة الحلبية ٢/ ٣٩، البداية والنهاية ٣/ ١٨٢، تاريخ الخميس ١/ ٣٣٠.

(٤) سورة التوبة ٥٠.

(٥) تاريخ دمشق، ترجمة الإمام علي بتحقيق المحمودي ١/ ١٣٨، اعلام الوری ١٩٠، البحار ١٩/ ٨٤.

(٦) البحار ١٩/ ٧٠، ٧٥، اعلام الوری ٦٣، الإحتجاج، الطبرسي ١/ ٢٠٤.

بينه وبين محمد، وجعلت عمر أحدهما أكثر من الآخر، فاختر علي الموت وآثر محمداً بالبقاء وقام في مضجعه، اهبطاً فاحفظاه من عدوه.

فهبط جبريل وميكائيل فقعدهما عند رأسه والآخر عند رجله يحرسانه من عدوه ويصرفان عنه الحجارة، وجبريل يقول:

بخ بخ لك يا بن أبي طالب من مثلك يباهي الله بك ملائكة سبع سموات! وخلف علياً لردّ الودائع التي كانت عنده، وصار إلى الغار فكن فيه، وأتت قريش فراشه، وجعل المشركون يرمون علياً بالحجارة، كما كانوا يرمون رسول الله ﷺ وهو يتضور (أي يتقلب) وقد لفّ رأسه في الثوب لا يخرج حتى أصبح، فهجموا عليه.

فلما بصر بهم علي ﷺ قد انتضوا السيوف وأقبلوا عليه يقدمهم خالد بن الوليد، وثب به علي ﷺ فختله وهمز يده فجعل خالد يقص قصص البكر^(١)، ويرغو رغاء الجمل، وأخذ من يده السيف وشدّ عليهم بسيف خالد، فأجفلوا أمامه أجفال النعم إلى خارج الدار، وتبصّروه فإذا علي.

مركز تحقيقات كميونير علوم إسلامي

قالوا: وإِنَّكَ لعلِّي؟

قال: أنا علي. قالوا: فإنّا لم نردك، فما فعل صاحبك؟^(٢) قال: قلت له اخرج عنا، فخرج عنكم. فطلبوا الأثر فلم يلقوا عليه، وأعمى الله عليهم المواضع، فوقفوا على باب الغار وقد عشعشت عليه حمامة. فقالوا: ما في هذا الغار أحد، وانصرفوا.

وخرج رسول الله ﷺ متوجهاً إلى المدينة، ومرّ بأُمّ معبد الخزاعية فنزل عندها. ثم نفذ لوجهه حتّى قدم المدينة، وكان جميع مقامه بمكة حتّى خروجه منها إلى المدينة ثلاث عشرة سنة من مبعثه. وروى بعضهم: ما علمت قريش أين توجه رسول الله ﷺ حتّى سمعوا هاتفاً من بعض جبال مكة يقول:

فإن يُسلم السعدان يُصبح محمدٌ بمكة لا يخشى خلاف المخالف

(١) أي يصرخ من الألم.

(٢) أمالي الشيخ الطوسي ٨٢/٢، تاريخ اليعقوبي ٢/٣٩، النور والبرهان، ابن الصباغ المالكي، الاصل المطبوع بكراچي.

وقال أبو سفيان: من السعود سعد هذيم وسعد تميم وسعد بكر، فسمعوا قائلاً يقول:
 فياسعد سعد الأوس كن أنت ناصراً وياسعد سعد الخزرجين الغطارف
 أنبياً إلى داعي الهدى وتمنياً على الله في الفردوس منية عارف
 فعلمت قريش أنه قد مضى إلى يثرب. واتبعه سُرَاقَة بن جشعم المدلجي لما صار إلى
 ماء بني مدلج. فلما لحقه قال رسول الله ﷺ: اللهم اكفنا سُرَاقَة.

فساخت قوائم فرسه، فطالب بإطلاق فرسه، فلعمري لئن لم يصبك مني خير لا يصبك
 مني شر.

فلما رجع إلى مكة خبرهم الخبر فكذبوه، وكان أشدهم له تكذيباً أبو جهل، فقال
 سُرَاقَة:

أبا حكم والله لو كنت شاهداً لأمر جوادي حيث ساخت قوائمه
 علمت ولم تشكك بأن محمداً رسول وبرهان فمن ذا يكاتمه^(١)
 قال الخطيب ونوم علي عليه السلام في فراش محمد ﷺ وارتداؤه لباسه والتصرف على أنه
 رسول الله ﷺ أكبر دليل على خلافة علي عليه السلام لخاتم الأنبياء^(٢).

والمهاجمون لبیت النبي ﷺ هم: أبو جهل والحكم بن أبي العاص وعقبة بن أبي
 معيط، والنضر بن الحارث وأمّية بن خلف وابن الغيطلة وزمعة بن الأسود وطعيمة بن
 عدي، وأبو لهب وأبي بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج.

ووسيلة الأغتيال أسهل طريقة ظالمة لوصول المجرمين إلى غاياتهم، وأسرع طريقة
 للقضاء على صوت الحق والعدالة.

فكان مشروع قريش للقضاء على حياة الرسول ﷺ مشابهاً لمشروع اليهود في
 القضاء على حياة عيسى عليه السلام، وهو ذات المشروع الغادر لليهود جزيرة العرب ضد
 رسول الله ﷺ.

وهنا علامة سؤال؛ لماذا انتظر المهاجرون إلى الصباح ولم يهجموا عليه ليلاً؟

(١) تاريخ يعقوبي ٤٠/٢ طبعة ليدن، أسد الغابة، ابن الأثير ١٩/٤، تاريخ ابن خلدون ١٥/٣.

(٢) علي بن أبي طالب، عبدالكريم الخطيب ١٠٥، ١٠٦.

لقد انتظر المهاجمون لبيت النبي ﷺ إلى الصباح خوفاً من انتقاد العرب لهم إذ لمّا اقتحموا عليه الجدار صاحت امرأة من الدار، فقال بعضهم لبعض: إنها لسُبة في العرب، أن يتحدث عنا؛ أنا تسورنا الحيطان على بنات العم^(١).

إذ كان في البيت فاطمة رضي الله عنها فتكون فاطمة قد تعرضت لهجومين على بيتها مرة في مكة بقيادة الحزب الجاهلي ومرة في المدينة بقيادة عمر. وبعض المهاجمين اشتركوا في الهجومين أي معاوية وابن العاص وخالد بن الوليد فنجت في الحملة الأولى وأستشهدت في الثانية^(٢).

ونزلت في مبيت علي رضي الله عنه في فراش النبي ﷺ: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله﴾^(٣) وكان علي رضي الله عنه موطناً نفسه على القتل^(٤).

أداء الأمانة من قبله ﷺ

كان الناس المسلمون منهم والكفار يضعون أماناتهم عند رسول الله ﷺ قبل وبعد المبعث الشريف.

ولمّا هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة اهتم اهتماماً بالغاً برّد الأمانات إلى أهلها رغم ما في ذلك من خطورة على القائم به.

وكان المضحّي بهذا الدور الخطير علي بن أبي طالب رضي الله عنه. إذ أمره رسول الله ﷺ أن ينادي صارخاً بالأبطح غدوة وعشياً: من كان له قبل محمد أمانة فليأت فلنؤدّ له أمانته. وبعد ما مات رسول الله ﷺ نادى علي بن أبي طالب رضي الله عنه: من كان له عند رسول الله ﷺ عدة أو دين فليأتني.

واستمر الإمام علي رضي الله عنه في ندائه المذكور كلّ عام عند العقبة يوم النحر وتولّى ذلك بعده

(١) الروض الأنف ٢/٢٢٩، السيرة الحلبية ٢/٢٨، سيرة ابن هشام ٢/١٢٧، تاريخ الهجرة النبوية، البيلاوي ١١٦.

(٢) راجع نظريات الخلفيتين للمؤلف ج ١ باب بيت فاطمة رضي الله عنها.

(٣) البقرة ٢٠٧، شرح النهج، المعتزلي ١٣/٢٦٢.

(٤) أمالي الشيخ الطوسي ٢/٦٢، البحار ١٩/٥٦.

الإمام الحسن عليه السلام ثم الإمام الحسين عليه السلام. فلا يأتي أحد من خلق الله تعالى إلى علي عليه السلام بحق أو باطل إلا أعطاه^(١).

الطريق إلى قباء

ومرّ رسول الله ﷺ وعبد الله بن اريقط بن الديل بن بكر بخيمة أم معبد في طريقهما إلى المدينة، فطلب عندها قري، فقالت: ما يحضرني شيء، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في ناحية قد تخلّفت عن الغنم لضربها، فقال ﷺ: أتأذنين في حلبها؟

قالت: نعم ولا خير فيها فمسح يده على ظهرها فصارت أسمن ما يكون من الغنم ثم مسح يده على ضرعها، فأرخت ضرعاً عجيباً ودرّت لبناً كثيراً، فطلب ﷺ العس وحلب لهم فشربوا جميعاً حتّى رويوا.

ثم عرضت عليه أم معبد ولدها الذي كان كقطعة لحم لا يتكلّم ولا يقوم فأخذ رسول النبي ﷺ تمرّة فمضغها وجعلها في فيه فنهض في الحال، ومشى وتكلّم، وجعل نواها في الأرض فصار نخلة في الحال، وقد تهدّل الرطب منها، وأشار إلى جوانبها فصار مراعي.

ورحل ﷺ فلما قتل ﷺ لم ترطب تلك النخلة، فلما قُتل علي عليه السلام لم تخضر، فلما قُتل الحسين عليه السلام سال منها الدم^(٢).

ولما وصل رسول الله ﷺ ناحية قباء نزل فيها في بيت عمرو بن عوف ورفض الدخول في المدينة إنتظاراً لمجيئي علي عليه السلام قائلاً ﷺ: ما أنا بداخلها حتّى يقدم ابن أُمّي وأخي وإبنتي يعني علياً وفاطمة عليهما السلام^(٣).

(١) الطبقات، ابن سعد ٢/ القسم ٢ ص ٧٩.

(٢) تاريخ الخميس ١/ ٣٣٥.

(٣) الأُمالي، الطوسي ٢/ ٨٣، البحار ١٩/ ٦٤، ١٠٦، ١١٥، ١١٦، الفصول المهمة، ابن الصباغ المالكي ٣٥، اعلام الوری ٦٦.

من هاجر بالفواطم إلى المدينة؟

فخرج الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بالفواطم وهن فاطمة بنت رسول الله ﷺ وفاطمة بنت أسد (أمّه) وفاطمة بنت الزبير بن عبدالمطلب من مكة باتجاه المدينة. وهذا يثبت أن رسول الله ﷺ ليس عنده بنت باسم أم كلثوم أصغر سنّاً من فاطمة عليها السلام وإنما ذلك من زيف الأمويين الذين اختلقوها وزوّجوها عثمان الأموي^(١). فأدركه المشركون قرب ضجنان وهم سبعة فوارس وثامنهم جناح مولى الحارث بن أمية. فأنزل علي عليه السلام النسوة وأقبل على القوم منتضياً سيفه فأمرّوه بالرجوع. فقال عليه السلام: فإن لم أفعل؟

قالوا: لترجعن راغماً، ولترجعن بأكثرك شعراً، وأهون بك من هالك. ودنا الفوارس من المطايا ليثوروها، فحال علي عليه السلام بينهم وبينها فأهوى جناح بسيفه، فراغ علي عليه السلام عن ضربته، وتختله علي عليه السلام فضربه على عاتقه فأسرع السيف مضياً فيه حتّى مسّ كاتبة فرسه، وشدّ عليهم بسيفه وهو يقول:

خَلُّوا سَبِيلَ الْجَاهِدِ الْمَجَاهِدِ أَلَيْتَ لَا أَعْبُدُ غَيْرَ الْوَاحِدِ

فتصدّع القوم عنه وقالوا: أغن عنا نفسك يا بن أبي طالب.

قال: فإنّي منطلق إلى ابن عمّي رسول الله ﷺ يثرب فمن سرّه أن أفري لحمه، وأهريق دمه فليتبعني أو فليدن منّي ثمّ أقبل على صاحبيه فقال لهما: أطلقا مطاياكم. ثمّ سار ظاهراً حتّى نزل بضجنان، فتلوم بها قدر يومه وليلته ولحق به نفر من المستضعفين من المؤمنين وفيهم أمّ أيمن مولاة الرسول ﷺ فعبدوا الله تعالى تلك الليلة قياماً وقعوداً، وعلى جنوبهم.

وفي أثناء المسير من مكة إلى المدينة كان الإمام علي عليه السلام يصلي بالمرافقين له جماعة فنزلت في حقهم:

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ، وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾

(١) راجع موضوع بنات النبي في هذا الكتاب.

فاستجاب لهم، ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾^(١)
ولما بلغ النبي ﷺ قدومه ﷺ قال: ادعوا لي علياً، فقالوا له: يا رسول الله لا يقدر أن
يمشي، فأتاه ﷺ بنفسه، فلما رآه اعتنقه وبكى رحمة لما بقدميه من الورم، وكانتا
تقطران دماً^(٢).

وقال ﷺ لعلي عليه السلام: أنت أول هذه الأمة إيماناً بالله ورسوله، وآخرهم عهداً برسوله لا
يحبك إلا مؤمن قد امتحن قلبه للإيمان ولا يبغضك إلا منافق أو كافر^(٣).
ولما وصل علي بن أبي طالب عليه السلام والفواطم إلى قباء نزل مع رسول الله ﷺ عند
كلثوم بن هدم^(٤).
وأقام رسول الله ﷺ بقباء ثلاثة أيام وأسس مسجده ثم أقام أول جمعة في بني سالم
بن عوف في المدينة^(٥).

استقبال الأنصار للرسول ﷺ

ولما سمع المسلمون بالمدينة بخروج رسول الله ﷺ إلى بلدهم كانوا يغدون كل غداة
إلى الحرة ينتظرون قدومه ﷺ حتى يردهم حرّ الظهيرة.
ولما وصل رسول الله ﷺ المدينة، استقبله الناس وقال النساء والولدان شعراً جاء
فيه:

طلع البدر علينا	من ثنّيات الوداع
وجب الشكر علينا	ما دعا الله داع
أيّسها المبعوث فينا	جئت بالأمر المطاع ^(٦)

(١) آل عمران ١٩١ - ١٩٥.

(٢) البحار ١٩/٦٤ - ٦٧، المناقب ابن شهر آشوب ١/١٨٣، ١٨٤، تفسير البرهان ١/٣٣٢، ٣٣٣، الأماشي، الطوسي ٨٦ - ٨٣/٢.

(٣) تفسير البرهان ١/٣٣٢، ٣٣٣، البحار ١٩/٦٤، الأماشي، الطوسي ٨٦ - ٨٣/٢.

(٤) الروض الأنف، السهيلي ٢٣١/٤.

(٥) الروض الأنف ٢٣٢/٤.

(٦) دلائل النبوة، البيهقي ٢/٢٣٣، فتح الباري ٧/٢٠٤، السيرة الحلبية ٢/٥٤، تاريخ الخميس ١/٣٤١، ٣٤٢.

ورويت روايات في رقص وغناء المستقبلين للنبي ﷺ في المدينة^(١) لا تصح مخالفة لعفة وحياء رسول الله ﷺ بل هي مخالفة لخلق أشرف عرب الجاهلية. وكان رسول الله ﷺ حرم الرقص والغناء^(٢).

لما وصل رسول الله ﷺ المدينة ركب ناقته وأرخصي لها الزمام فجعلت لا تمرّ بدار من دور الأنصار إلّا دعاه أهلها إلى النزول عندهم، وقالوا له: هلم يارسول الله إلى العدد والعدة والمنعة فيقول لهم ﷺ:

خلّوا زمامها فإنها مأمورة حتّى انتهت إلى موضع مسجده اليوم فبركت على باب مسجده^(٣). فعوضه الله تعالى محبة الانصار بدل بغض قريش.

وكان موضع مسجد النبي ﷺ لبني النجار وكان فيه نخل وحرث وقبور من قبور الجاهلية فقال لهم رسول الله ﷺ: ثامنوني به.

فقالوا: لا نبتغي به ثمناً إلّا ما عند الله. فأمر رسول الله ﷺ بالنخل فقطع، وبالحرث فأفسد وبالقبور فنبشت. وتولّى بناء مسجده ﷺ هو بنفسه وأصحابه من المهاجرين والأنصار^(٤) وكانت القبور دارة. *مركز تقيت كويت علوم ديني*

ولمّا أثقلوا عمّار بن ياسر باللبن لبناء المسجد قال: يارسول الله قتلوني يحملون عليّ ما لا يحملون.

فنفض النبي ﷺ وفرته بيده وهو يقول: ويح ابن سُميّة ليسوا بالذين يقتلونك، إنّما تقتلك الفئة الباغية^(٥).

(١) تاريخ الخميس ٣٤١/١، البداية والنهاية ٢٠٠/٣، فتح الباري ٢٠٤/٧، دلائل النبوة، البيهقي ٢٣٤/٢، ٢٣٥، السيرة الحلبية ٦١/٢.

(٢) تفسير الألوسي ٧٦/٢١، سنن البيهقي ٢٢١/١٠، الدرّ المثور ٣٢٤/٢، إرشاد الساري ١٦٣/٩، نيل الأوطار ٢٦٤/٨، السيرة الحلبية ٦٣/٢، تفسير الطبري ٣٩/٢١، تفسير ابن كثير ٤٤٢/٣، سنن الترمذي كتاب ١٢/باب ٥١، تفسير الخازن ٣٦/٣، تفسير القرطبي ٥١/١٤، المستدرک، الحاكم ٤١١/٢، تاريخ البخاري ٤ قسم ١ ص ٢٣٤.

(٣) سيرة ابن هشام ١٤٠/٢.

(٤) تاريخ الطبري ١١٦/٢، ١١٧.

(٥) الروض الأنف ٢٣٥/٤، سيرة ابن هشام ١٤٢/٢.

وكانت مشادة حدثت بين عمار بن ياسر وعثمان بن عفان في غبار نال عثمان من بناء المسجد بعدما مر وهو واضع كفه على أنفه.

فقال علي بن أبي طالب:

لا يستوي من يبتني المساجدا يظل فيها راکعاً وساجداً
كمن يمر بالغبار حائداً يعرض عنه جاهداً معانداً
وارتجز بالشعر عمار بن ياسر .

فقال عثمان بن عفان: قد سمعت ما قلت اليوم يا ابن السوداء إياي تعني؟
والله إنني لأراني سأعرض هذه العصا لأنفك وفي يده عصا.

فغضب رسول الله ﷺ ثم قال: ما لهم ولعمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار إن عماراً جلدة ما بين عيني وأنفي^(١). فكف الناس عن ذلك ثم قالوا لعمار: إن النبي ﷺ قد غضب فيك، ونخاف أن ينزل فينا القرآن.

فأخذ رسول الله ﷺ بيده ومسح وفرته^(٢) وطاف به في المسجد.
ثم أتى عثمان رسول الله ﷺ فقال له لم تدخل معك لتسب اعراضنا.
فقال له رسول الله ﷺ: قد أقلتك اسلامك فاذهب، فانزل الله تعالى:
﴿يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾^(٣).

وكان أول من بنى مسجداً عمار بن ياسر^(٤).

وهذه الحادثة بين عثمان وعمار تبين قدام الصراع بين أتباع أهل البيت ﷺ وأفراد الحزب القرشي العائد إلى أيام مكة، والمنفجر بعد وصول المسلمين إلى المدينة انفجاراً حاداً. وقد وقف النبي ﷺ إلى جانب عمار ووصفه بإمام من أئمة الجنة ووصف عدوه

(١) تاريخ الخميس ١/٣٤٥، السيرة الحلبية ٢/٧٢، وفاء الوفاء ١/٢٢٩، الروض الأنف ٤/٢٣٥، ٢٣٦، سيرة ابن هشام ٢/١٤٢ وقد ذكر ابن إسحاق اسم الرجل عثمان بن عفان وسماه ابن هشام رجلاً خَوْفاً من افتضاح أمره منذ الأيام الأولى لوصول المسلمين إلى المدينة.

(٢) المصدر السابق.

(٣) البحار ٢٠ / ٢٤٣، تفسير القمي ٢ / ٣٢٢.

(٤) المصدر السابق.

بإمام من أئمة جهنم. ووقوف النبي ﷺ إلى جانب أتباعه المعروفين مثل عمّار وأبي ذر وسلمان والمقداد وحذيفة ظاهرة معروفة للجميع.

واستمرت هذه الحالة من الخصام إلى أيام رئاسة عثمان بن عفان الذي أعاد الكرة على عمّار رغم إنذار رسول الله ﷺ له فوطأ عمّاراً بنفسه وفتق بطنه! (١).

فانتشر الإسلام في المدينة المنورة بصورة سريعة في السنة الأولى من وصول رسول الله ﷺ إليها فأسلم أهلها إلا ما كان من خطمة وواقف ووائل وأمّية وتلك أوس الله وهم حي من الأوس فإنهم أقاموا على شركهم (٢). ثم أسلموا.

الدلائل والعبر

بعد ما حارب القرشيون الاسلام وأذوا رسول الله ﷺ فتح الله تعالى عليه بابين من رحمته:

الباب الاول هو الحبشة التي عاش فيها المسلمون في رغد وأمان يتعلّمون فيها طقوس دينهم من القرآن والحديث ويتعبّدون بنصوصه ويعبدون الله عزّ وجل في أرضه. والباب الثاني يثرب التي تنوّرت بنور الاسلام فأصبحت المدينة المنورة مصداق من مصاديق الوعود الإلهية بالنصر.

﴿فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ (٣).

فعاشرت قريش حدثين مهمين في الهجرة إلى الحبشة ويثرب، أصبح فيها ملك الحبشة وأهل يثرب في صف رسول الله ﷺ في صراعه مع جبهة الكفر. وتحول ملك الحبشة وأهالي يثرب إلى جبهة المسلمين دليلاً على عظمة الدين الاسلامي وكماله. فهؤلاء نظروا إلى هذا الدين من باب خال من التعصب فوجدوه مشروعاً متكاملًا وشاملاً فاعتنقه ملك الحبشة وأهالي يثرب.

(١) نهج الحق، العلامة، الحلي ٢٩٧. وهاتان الحادثتان تبين اقدام عثمان على قتل اعدائه بالمعصاة والقدم.

(٢) الروض الأنف ٤/٢٣٩.

(٣) الروم ٤٧.

أما القرشيون فكانوا يزدادون تعصباً وجهلاً مع كل معجزة الهية تشاهدها أعينهم وتصححها نفوسهم! مستمرين في طريق الكفر والفساد.

ومن العبر العجيبة في رحلة قريش مع الاسلام مخالفة معظمهم له رغم معاشتهم له على مدى ثلاث وعشرين سنة، ولم تنفعهم مبايعتهم رسول الله ﷺ في فتح مكة فارتدوا بعد شهادة النبي ﷺ فأمرهم سهيل بن عمرو باتباع سبيل الرشاد وهدّدهم بجيش المدينة فعادوا الى الدين!

إنّ نظرة اهالي يثرب الصحيحة للاسلام ارشدتهم للهداية واليقين، ونظرة اهالي قريش الباطلة له منعتهم من ذلك ودفعتهم الى الكفر.

وكان التعصب الممقوت المتمثل في الالتزام بالقومية والمذهبية والحزبية من دواعي خذلان الانسان وانحطاطه وفساده، والى يومنا هذا يسير الكثير من الناس على خطى الحزب القرشي في رؤاه المعادية للاسلام ورسوله ﷺ.

ورغم المخاطر الجمة الحاققة برسول الله ﷺ في رحلته للمدينة والصعوبات المحيطة بعلي ابن أبي طالب ﷺ في مكة أوكل النبي ﷺ الى علي ﷺ مهمة ارجاع الأمانات الى اصحابها.

مما يبين مجيئه ﷺ لتأسيس حضارة قائمة على الاخلاق اهدافها واضحة وسيرتها بيّنة.

وكان بإمكان النبي ﷺ دعوة علي ﷺ الى المدينة وترك الأمانات هناك او جلبها معه وتبرير ذلك بالمخاطر المحدقة به وبعلي ﷺ في مكة.

ولتعزيز الركن الأخلاقي بردّ أمانات الناس استمر علي والحسين ﷺ بالنداء في مكة في موسم الحج قائلين:

من كان له قبل محمد ﷺ أمانة فليأت فلنؤدّ له أمانته، وهذا العمل النبوي مشروع إنساني للبشرية بحفظ حقوق الناس وأموالهم. فياترى هل يتبع المسلمون اليوم هذا المشروع الحضاري؟



مركز تحقيقات كميوتيز علوم دسدي

باب

الحكومة الإسلامية في المدينة





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

أول صلاة الجمعة

بعد وصول رسول الله ﷺ إلى المدينة صادفته أول جمعة هناك فصلّاها جماعة طبقاً للمراسم العبادية للمسلمين في مسجد الجمعة وذلك أن أرتحاله عنها كان يوم الجمعة عامداً المدينة فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف ببطن وادٍ لهم، قد اتخذ اليوم في ذلك الموضع مسجداً وكانت هذه الجمعة أول جمعة جمّعها رسول الله ﷺ في الإسلام. قال فيها:

«الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأشهد به وأؤمن به ولا أكفره وأُعادي من يكفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وأنقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الأجل من يُطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى وفرط وضلّ ضلالاً بعيداً.

وأوصيكم بتقوى الله فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضّه على الآخرة وأن يأمره بتقوى الله فاحذروا ما حذركم الله من نفسه ولا أفضل من ذلك نصيحة ولا أفضل من ذلك ذكراً وإنّ تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة.

ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السرّ والعلانية لا ينوي بذلك إلا وجه الله يكن له ذكراً في عاجل أمره وذخراً فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدّم وما كان

من سوى ذلك يودّ لو أنّ بينه وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد والذي صدّق قوله وأنجز وعده لا خُلف لذلك فإنه يقول عزّ وجلّ .

﴿ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾^(١)

فاتّقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السرّ والعلانية، فإنه من يتّق الله يكفر عنه سيئاته ويُعظم له أجراً، ومن يتّق الله فقد فاز فوزاً عظيماً، وإنّ تقوى الله يوقى مقتته ويوقى عقوبته ويوقى سخطه وإنّ تقوى الله يبيّض الوجوه ويرضى الربّ ويرفع الدرجة؛ خذوا بحظكم ولا تفرّطوا في جنب الله؛ قد علّمكم الله كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين.

فأحسنوا كما أحسن الله إليكم وعادوا أعداءه وجاهدوا في الله حقّ جهاده هو اجتباكم وسامكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيّ عن بينة ولا قوّة إلاّ بالله، فأكثرُوا ذكر الله،

واعملوا لما بعد اليوم فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس، ذلك بأنّ الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه، ويملك من الناس ولا يملكون منه، الله أكبر ولا قوّة إلاّ بالله العظيم^(٢).

فكانت كلماته الرسالية النورية تدخل في قلوب الأنصار، وتبتهج بها النفوس فهي الأساس القويم للدين الجديد النازل من السماء.

بناء مسجد المدينة

ووصل رسول الله المدينة يوم الاثنين لثمان خلون من شهر ربيع الأول وعند وصوله رسول الله ﷺ إلى المدينة قرر الشروع في الحصول على أرض والقيام ببنائها مسجداً. فاشترى مربداً ليتيمين من الخزرج بعشرة دنانير.

(١) ق، ٢٩.

(٢) تاريخ الطبري ١١٦/٢.

ومكان المسجد اختارته ناقة رسول الله ﷺ حيث بركت عنده ونقلوا اليه الحجارة من منطقة الحرّة^(١).

ومثلما ساهم رسول الله ﷺ في بناء الكعبة فقد شارك في بناء مسجد المدينة. فكان مسجد رسول الله ﷺ هو المقر العام للحكومة الإسلامية والمركز المهم لتجمع المسلمين ومتابعة شؤونهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية.

وجعل بيوت ازواجه امام القبلة وبنى بيت فاطمة في غرب المسجد حيث قبره الان اذ دفن النبي ﷺ في بيتها.

وابتنى جيران المسجد منازلهم وجعلوا أبوابها إلى المسجد، إلى ان أمر الله تعالى بسد الابواب الا باب رسول الله ﷺ وباب علي عليه السلام.

وقد أزال المسلمون القبور الموجودة في تلك الأرض قبل البناء عليها وكانت قبورها دارة مما يبين جواز هذا الأمر مع المقابر. وكان طول المسجد أولاً مئة ذراع في مثلها^(٢) ثم زيد في مساحة مسجد النبي ﷺ في مرّات عديدة.

وقد قال الله تعالى: ﴿لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد. والهدف من ذلك اجتماع المسلمين في بيوت الله سبحانه ودراسة امورهم وحل مشاكلهم ونشر الأخوة في صفوفهم. وكان رسول الله ﷺ قد بنى مسجد قباء أولاً، واستمر بناء المساجد في أرجاء المدينة المنورة.

(١) وهي المنطقة التي حدثت فيها واقعة الحرّة بين أهل المدينة وجيش يزيد فقتل الجيش الشامي الرجال وسب النساء وسرق الأموال وفعل بأهالي المدينة ما لم يفعله المسلمون مع الكفار. دلائل النبوة، البيهقي ٥٣٨/٢، تاريخ الطبري ١١٦/٢.

(٢) تاريخ الخميس ١/٣٦٥، وفاء الوفاء ١/٣٤٠.

(٣) سورة التوبة ١٠٨ وراجع الروض الأنف ٢/٢٤٦، فتح الباري ٧/٢٠٨، البداية والنهاية ٣/٢٠٧.

التاريخ الهجري

كانت العرب قبل الإسلام تؤرخ بموت كعب أجد النبي ﷺ إلى عام الفيل فأرخوا به ثم أرخوا بموت عبد المطلب^(١) وكانت الفرس تؤرخ بملوكهم فيتجدد ذلك بموت كل ملك^(٢).

والروم تؤرخ بزمان الاسكندر^(٣) ثم عدلوا إلى ميلاد المسيح^(٤). وقال السهيلي: إن التاريخ الهجري نزل به القرآن وإن اتفاق الصحابة على جعل الهجرة مبدأ للتاريخ إن كان مستنداً إلى القرآن الكريم فنعم الاستفادة تلك. وقال ابن عباس عين ما نقل عن السهيلي^(٥). أي ان القرآن نزل بالتاريخ الهجري. وقال الحاكم: كان التاريخ في السنة التي قدم فيها رسول الله ﷺ المدينة وفيها ولد عبدالله بن الزبير^(٦).

وكان مبدأ السنة في شهر ربيع الأول شهر وصول النبي ﷺ إلى المدينة المنورة^(٧) وبه أرخ رسول الله ﷺ، وقدم المدينة يوم الاثنين لتنتي عشرة ليلة من ربيع الأول وهو ابن ثلاث وخمسين سنة^(٨).

وقال الزهري عن ابن عباس ان رسول الله ﷺ هو الذي أمر بالتأريخ يوم قدم المدينة في شهر ربيع الأول^(٩). وغير عمر بن الخطاب بداية السنة من ربيع الأول إلى محرم^(١٠).

(١) السيرة الحلبيه ١ / ١٦.

(٢) البحار ٥٨ / ٣٤٩، ٣٥٠، الخطط، المقرئزي ١ / ٢٨٤، تاريخ ابن الوردي ١ / ١٤٥.

(٣) البحار ٥٨ / ٣٥٠، كنز العمال ١٠ / ١٩٥، نزهة الجليس ١ / ٢٢.

(٤) المصدر السابق.

(٥) تنوير المقباس، هامش الدرّ المشور ٢ / ٢٣٤.

(٦) المستدرك، الحاكم ٣ / ١٣، ١٤، التاريخ الكبير، البخاري ١ / ٩، مجمع الزوائد ١ / ١٩٦.

(٧) الوزراء والكتاب ٢٠، الخطط، المقرئزي ١ / ١٨٤. تاريخ ابن عساكر ١ / ٣٢.

(٨) تاريخ ابن عساكر ١ / ٣٢.

(٩) تاريخ ابن عساكر ١ / ٣٢، البحار ٥٥ / ٣٥١.

(١٠) راجع فتح الباري ٧ / ٢٠٩، كنز العمال ١٧ / ١٤٥، تاريخ الخميس ١ / ٣٣٨، وفاء الوفاء ١ / ٢٤٨، التراتيب الإدارية ١ / ١٨١.

وكان كفار قريش ينكرون ويرفضون التأريخ القائم على هجرة رسول الله ﷺ فغير عمر شهر التأريخ من ربيع الأول إلى محرم! ولم يستجب أبو بكر لهم .
وانكر رجال السيرة والحديث قيام رسول الله ﷺ بوضع التأريخ ابتداءً من هجرته في ربيع الأول ونسبوا ذلك إلى عمر لسلب مناقب رسول الله ﷺ. في محاولة منهم لتزييف الواقع^(١).

وكان محرم أول السنة عند عرب الجاهلية^(٢) فأخذ به عمر وترك ربيع الأول أول السنة عند رسول الله ﷺ^(٣). فأخر تاريخ المسلمين شهرين ارضاءً لقريش وأخر لهم مقام إبراهيم عن مكانه!

ووصلت إلينا الكثير من الكتب المؤرخة بشهر ربيع الأول والسنة الهجرية من زمن رسول الله ﷺ وأبي بكر مثل كتاب رسول الله ﷺ لنصارى نجران وجاء فيه كتب لخمس خلون من الهجرة^(٤).

وقال رسول الله ﷺ: يقتل حسين بن علي رأس ستين من مهاجري^(٥). وجاء في كتاب خالد بن الوليد لاهل الحيرة انه كتب في شهر ربيع الأول من سنة اثنتي عشرة^(٦). وكتب كثيرة اخرى موجودة في كتب السيرة والحديث. وأتباع الخط القرشي هم الذين أرادوا تشويه سمعة رسول الله ﷺ في عدم اعتنائه بالتأريخ ذلك الأمر المهم وأعلاء منزلة عمر!

الوحدة الإسلامية بين المهاجرين والأنصار

وفي السنة الأولى من هجرة رسول الله ﷺ والمسلمين إلى المدينة وبعد مضي

(١) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٥٢٦، تاريخ الخلفاء ١٣٢، ١٣٦، إحقاق الحق ٨ / ٢٢٠، تاريخ عمر لابن الجوزي ٧٦.

(٢) البداية والنهاية ٣ / ٢٠٧، البحار ٥٨ / ٣٥٠.

(٣) الوزراء والكتاب ٢٠، فتح الباري ٧ / ٢٠٨، وفاء الوفا ١ / ٢٤٨، مناقب آل أبي طالب ٢ / ١٤٢، البحار ٤٠ / ٢١٨، التنبيه والاشراف ٢٥٢.

(٤) نزهة الجليس ١ / ٢١، التراتيب الادارية ١ / ١٨١، السماريخ في علم التاريخ، السبوطي ١٠.

(٥) منتخب كنز العمال هامش مستند أحمد ٥ / ١١١، مجمع الزوائد ٩ / ١٩٠، كنز العمال ١٣ / ١١٣، ميزان الاعتدال ١ / ٢١٢.

(٦) كتاب مشهد الإمام علي عليه السلام، د. سعاد ماهر محمد ١٠٤ - ١٠٥.

خمسـة أشهر على وصولهم المدينة آخى رسول الله ﷺ أولاً بين المهاجرين انفسهم^(١) ثم آخى بين المهاجرين والأنصار^(٢).

وكانت المؤاخاة بين كل ونظيره فقد آخى بين نفسه وعلي عليه السلام وآخى بين أبي بكر وعمر وآخى بين طلحة والزبير وبين عثمان وعبدالرحمن بن عوف، وبين حمزة وزيد بن حارثة^(٣). وآخى ﷺ بين سلمان وحذيفة^(٤).

جاء في الرواية لما آخى رسول الله ﷺ بين المسلمين بقي علي عليه السلام فقال لرسول الله ﷺ: أخيت بين أصحابك وتركتني؟

فقال ﷺ: إنما تركتك لنفسي أنت أخي وأنا أخوك فإن ذكرك أحد فقل: أنا عبد الله وأخو رسوله لا يدعيها بعدك إلا كذاب، والذي بعثني بالحق ما أخرتك إلا لنفسي، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي وأنت أخي ووارثي^(٥).

والتآخي بينهم كان على الحق والمواساة. وكان عددهم يومها تسعين رجلاً خمسة وأربعون رجلاً من الأنصار ومثلهم من المهاجرين^(٦).

واهتم رسول الله ﷺ بالمؤاخاة بين المسلمين فقد أجراها في مكة والمدينة ثم أجراها بين المهاجرين والأنصار^(٧).

من دلائل نبوة رسول الله ﷺ هذا الأخاء بين النفوس المتشابهة والتوجهات المتطابقة فعمر شبيه بابي بكر والزبير نظير لطلحة وعثمان مرآة لابن عوف وسلمان مطابق لتوجهات حذيفة ورسول الله ﷺ نفس علي عليه السلام.

(١) الطبقات، ابن سعد ١/ قسم ٢ / ص ١.

(٢) البحار ١٩/ ١٢٢، فتح الباري ٧/ ٢١٠، تاريخ الخميس ١/ ٣٥، السيرة الحلبية ٢/ ٩٢.

(٣) المستدرك ٣/ ١٤، السيرة الحلبية ٢/ ٢٠، فتح الباري ٧/ ٢١١.

(٤) الطبقات ٤/ قسم ١ / ص ٦٠.

(٥) تفسير البرهان ٢/ ٩٣، السيرة النبوية، أبو حاتم ١/ ١٤٧، الإمامة والسياسة ١/ ٨٣، اعلام النساء ٤/ ١١٥، ووضع الأمويون حديثاً مزيفاً في مقابل هذا الحديث جاء فيه: إن خليلي من أمتي أبو بكر كذبه المعتزلي، الرياض النضرة ١/ ٨٣، شرح النهج ١١/ ٤٩.

(٦) وقيل مائة رجل، فتح الباري ٧/ ٢١٠، البحار ١٩/ ١٣٠، الطبقات ١/ قسم ٢ / ص ١، السيرة الحلبية ٢/ ٩٠.

(٧) تذكرة الخواص، ابن الجوزي ٢٢، ٢٤، ينابيع المودة ٥٦، ٥٧، السيرة الحلبية ٢/ ٢٠، ٩٠، المستدرك ٣/ ١٤، البداية والنهاية ٣/ ٢٢٦، جامع الترمذي ٢/ ١٣، الإصابة ٢/ ٥٠٧، كنز العمال ٦/ ٢٩٤، ٢٩٩، ٣٩٠، ٣٩٩.

والمؤاخاة أفضل عمل إجتماعي عمله الرسول ﷺ لوحدة المسلمين تحت راية الإسلام ولاهميته كرّره ﷺ في مكة والمدينة.

وهذا الإنسجام الحاصل هو الذي مكّن المسلمين من الانتصار في الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية والعسكرية. وسرّ انقسام عرى الأمم وإنحلالها أنعدام الوحدة وفقدان الإنسجام.

وثيقة الوحدة الإسلامية والصلح مع اليهود

و من أهم الوثائق الخطيرة التي نظّمها رسولُ الله ﷺ في المدينة هي وثيقة الوحدة الإسلامية بين المسلمين أولاً ومعاهدة عدم الاعتداء بين المسلمين واليهود ثانياً؛ وهذه الوثيقة النادرة جمعت قبائل المدينة من الانصار مع المهاجرين في اتحاد مثالي تحت مبادئ فذة وأصول حكيمة.

فنظم النبي ﷺ مبادئ وحدة وطنية بين المسلمين واليهود تصون حقوق الطرفين وتمنع الظلم والأجحاف.

فكانت اعظم وحدة دينية بين الطائفتين لم يشهد لها التاريخ مثيل وهي على عكس ما فعله اليهود بحق النصارى من قتل وفتك وتحريك الحكومات ضدهم.

وقد فعل اليهود بحق المسلمين نفس عملهم بحق النصارى من غش بحقهم وتحريض الأعداء عليهم بالرغم من كون النصارى في وقتها محكومين من قبل الروم وان المسلمين حاكمون على اليهود في المدينة.

قال محمد بن اسحاق وكتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والانصار وادع فيه يهود وعاهدهم واقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم، واشترط عليهم:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد النبي ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش

على ربعتهم^(١) يتعاقلون بينهم، وهم يقدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى، كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى، كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى، كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى، كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى، كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى، كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى، كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى، كل طائفة تفدي عانيها^(٢) بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وأن المؤمنين لا يتركون مفرحاً^(٣) بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل.

وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة^(٤) ظلم أو إثم، أو عدوان، أو فساد بين المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعاً، ولو كان ولد أحدهم.

(١) كما كانوا عند مجيء الإسلام.

(٢) العاني: الأسير. والمعاقل الديات.

(٣) كثير الدين والعيال.

(٤) العظيمة.

ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر، ولا ينصر كافراً على مؤمن. وإن ذمة الله واحدة، يجير عليهم أدناهم. وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس.

وإن من تبعنا من يهود؛ فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين، ولا متناصرين عليهم. وإن سلم المؤمنين واحد، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم. وأن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً. وإن المؤمنين يبئ بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله. وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه. وإنه لا يجير مشرك مالألقريش، ولا نفساً، ولا يحول دونه على مؤمن.

وإنه من اعتبط^(١) مؤمناً قتلاً عن بينة، فإنه قود به، إلا أن يرضى وليّ المقتول، وإن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيام عليه.

وإنه لا يحل لمؤمن أقرّ بما في هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر: أن ينصر محدثاً، ولا يؤويه، وإن من نصره أو آواه؛ فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل. وإنكم مهما اختلفتم في شيء؛ فإن مردّه إلى الله عز وجل، وإلى محمد ﷺ.

وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم؛ فإنه لا يوتغ^(٢) إلا نفسه، وأهل بيته.

وإن لليهود بني النجار مثل ما لليهود بني عوف.

وإن لليهود بني الحارث مثل ما لليهود بني عوف.

وإن لليهود بني ساعدة مثل ما لليهود بني عوف.

وإن لليهود بني الأوس مثل ما لليهود بني عوف.

وإن لليهود بني ثعلبة مثل ما لليهود بني عوف، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه، وأهل بيته.

وإن جفنة - بطن من ثعلبة - كأنفسهم.

(١) اعتبط: قتله بلا جناية منه توجب قتله.

(٢) يوتغ: يهلك.

وإن لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف. وإن البرّ دون الإثم.
وإن موالي ثعلبة كأنفسهم.
وإن بطانة^(١) يهود كأنفسهم.
وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ﷺ.
وإنه لا ينحجز على ثار جرح. وإنه من فتك فبنفسه فتك، وأهل بيته إلا من ظلم. وإن
الله على أبرّ هذا^(٢).
وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم.
وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة.
وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم.
وإنه لم يأتهم امرؤ بحليفه. وإن النصر للمظلوم.
وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.
وإن يشرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة.
وإن الجار كالنفس، غير مضار ولا آثم. وإنه لا تجار حرمته إلا بأذن أهلها.
وإن ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله
عزّ وجلّ، وإلى محمد ﷺ. وإن الله مع اتقى ما في هذه الصحيفة وأبرّه.
وإنه لا تجار قريش، ولا من نصرها. وإن بينهم النصر على من دهم يشرب، وإذا
دعوا^(٣) إلى صلح يصلحونه ويلبسونه، فإنهم يصلحونه ويلبسونه، وإنهم إذا دعوا إلى
مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين، إلا من حارب في الدين، على كل أناس حصتهم^(٤)، من
جانبهم الذي قبلهم.
وإن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من
أهل هذه الصحيفة.

(١) بطانة الرجل: خاصته وأهل بيته.

(٢) أي على الرضا به.

(٣) أي اليهود.

(٤) في الأموال: وعلى كل أناس حصتهم في النفقة.

وإن البر دون الإثم، لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبرّه. وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وأثم.

وإنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم وأثم. وإن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله ﷺ^(١).

وكان يهود الحجاز ينقسمون إلى قسمين:

اليهود القادمون من الشام وهم الاسرائيليون (خير وقريظة والنضير). والعرب الذين تهودوا.

قال اليعقوبي: وتهوّد قوم من الأوس والخزرج بعد خروجهم من اليمن لمجاورتهم يهود خيبر وقريظة والنضير، وتهوّد قوم من بني الحارث بن كعب وقوم من غسان وقوم من جذام^(٢).

قال البعض بأن الوثيقة كانت بين الرسول ﷺ واليهود الاسرائيليين فقط. والظاهر بأنها بين النبي ﷺ وبين يهود المدينة عامة إذ ورد في نص: إن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم.

وثانياً نحن نعلم من النصوص الكثيرة وجود عقد صلح بين رسول الله ﷺ ويهود قريظة وقينقاع والنضير وهؤلاء اليهود هم الذين نقضوا وثيقتهم مع النبي ﷺ بعد ذلك.

وهذا الاتفاق المبرم مع اليهود هو الذي فضحهم لانهم لا يلتزمون بالعقود والمواثيق.

واتفق رسول الله ﷺ مع اليهود (النضير، قينقاع وقريظة) على الهدنة وعلى أن لا يساعدوا عليه أحداً، ولا يتعرضوا لأحد من أصحابه بلسان ولا يد ولا بسلاح ولا بكراع في السر والعلانية.

فإن فعلوا فرسول الله ﷺ في حل من سفك دمائهم وسبي ذراريهم ونسائهم وأخذ أموالهم.

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٤٧ - ١٥٠، البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٤٤ - ٢٢٦، والأموال ص ٢٠٢ - ٢٠٧، ومجموعة

الوثائق السياسية وأشار إليه في مسند أحمد ج ١ ص ٢٧١، وأشار إليه أيضاً في مسند أبي يعلى ج ٤ ص ٣٦٦/٣٦٧.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢٥٧/١.

وأضمت قبائل اليهود ذلك الاتفاق^(١) وأبقى الرسول ﷺ ذلك الكتاب عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام^(٢).

فلم تمض فترة زمنية طويلة حتى نقض يهود بني قنيقاع الاتفاق وتبعهم يهود بني النضير ثم التحق بهم يهود قريظة لكن الله تعالى نصر المسلمين عليهم.

فريضة الزكاة

بعد وصول المسلمين ورسولهم إلى المدينة وتأسيس الدولة الإسلامية استمر نزول القرآن وآخره سورة التوبة. وفي مكة والمدينة نزلت آيات الزكاة وهي سبع وثلاثون آية.

والزكاة مأخوذة من زكا الشيء إذا نما وزاد فجاء «الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة»^(٣).

«وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً»^(٤) وتعلق الزكاة بتسعة أشياء: الأنعام الثلاثة (الأبل والبقر والغنم) والنقدين والغلات الأربع (الحنطة والشعير والتمر والزبيب) ومصرفها للفقراء والمساكين.

وكان بنو إسرائيل يضعون الزكاة فتنزل النار على ما تقبل ولا تنزل ما لم يتقبل وليست كزكاة أمة محمد ﷺ المتمثلة في بذل المال للفقراء.

وفي النقدين إذا كملت عشرين مثقالاً من الذهب ففيها نصف مثقال والدينار الشرعي يعادل مثقالاً واحداً من الذهب الخالص المسكوك، وإن بلغت الفضة مائتي درهم ففيها خمسة دراهم.

فأمر الرسول ﷺ الناس بالزكاة في مكة قائلاً: «إن الله فرض عليكم الزكاة

(١) البحار ١٩/١١٠، السيرة النبوية، دحلان ١٧٥/١.

(٢) طبقات ابن سعد ٢٣/٢، تاريخ الخميس ١٤٤/١، المصنف، عبدالرزاق ٢٠٤/٥، دلائل النبوة، البيهقي ط دار الكتب العلمية ١٩٨/٣، المغازي، الواقدي ١٩٢/١.

(٣) النحل ٤.

ونادي منادي الرسول ﷺ:

أيها المسلمون زكّوا أموالكم تقبل صلاتكم، ثم وجه ﷺ عمّال الصدقة^(١). بعد قيام الحكومة الإسلامية.

ولو طبّق الناس فريضة الزكاة والخمس بصورة صحيحة ما بقي فقير على سطح المعمورة، ولعاش الناس في ضلّ العدالة الإسلامية. في اخاء وغنى.

صوم شهر رمضان

وفي السنة الثانية للهجرة فرض الله تعالى الصيام :

﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون، أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وإن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون، شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾^(٢).

وأول من صام شهر رمضان نوح عليه السلام لما خرج من السفينة، وقد كتب الله رمضان على كل أمة، وسمي رمضان لانه يرمض الذنوب ويحرقها.

وقال ﷺ: إذا جاء رمضان فتحت أبواب الرحمة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين^(٣).

وفي هذا الشهر نزلت صحف إبراهيم عليه السلام وتوراة موسى عليه السلام وانجيل عيسى عليه السلام وزبور داود عليه السلام وقرآن محمد ﷺ^(٤).

(١) تفسير البرهان ١٥٦/٢، الكافي ٤٩٧/٣.

(٢) البقرة ١٨٣ - ١٨٥.

(٣) تفسير القرطبي ٢ / ٢٩٢ - ٢٩٦.

(٤) تفسير الطبرسي ١ / ٢٧٦.

صرف القبلة الى الكعبة

كان المسلمون يصلُّون أولاً إلى بيت المقدس طيلة مدة بقائهم في مكة وفي بداية وجودهم في المدينة.

فنزلت الآية المباركة في صرف القبلة إلى الكعبة في مسجد بني سلمة بعد ركعتين من الظهر، فتحول ﷺ إليها وذلك في النصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من قدومه المدينة^(١) فسمي بمسجد القبلتين.

قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ...﴾^(٢) وكان اليهود يقولون: يخالفنا محمد ويتبع قبلتنا.

واشد من خالف الرسول ﷺ في تغيير القبلة اليهود لأنهم لا يعتقدون بنسخ الإسلام أولاً، ورغبتهم في نقض احكام الإسلام ثانياً. فقال سبحانه: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا...﴾^(٣) وأراد تعالى بالسفهاء اليهود والمشركيين^(٤) الذين

والحكمة من اتخاذ بيت المقدس قبلة أولى وتغيير ذلك إلى الكعبة هو بيان أفضلية الكعبة على بيت المقدس من وجهة النظر الألهية. بينما استمر كعب الأخبار وغيره من الداخلين في الإسلام زيفاً يفضلون بيت المقدس على الكعبة إذ قال: إن الكعبة تسجد لبيت المقدس في كل غداة^(٥).

وبنزول هذه الآية دُحر اليهود وخابت دسائسهم في هذا المجال ومحاولتهم تصوير المسلمين بالتابعين لهم في التوجه لبيت المقدس ومحاولتهم الأخرى اخراج

(١) تاريخ ابن الأثير ١١٥/٢، تفسير الألوسي ٨/٢

(٢) البقرة ١٤٤.

(٣) البقرة ١٤٢.

(٤) سنن البخاري تفسير الآية ٣٧٨ دلائل النبوة، البيهقي ٥٧١/٢، تفسير الطباطبائي ٣١٧/١ - ٣٢٠، تفسير الألوسي

٨/٢ - ١٠.

(٥) تفسير الدر المنثور ١/١٣٦.

الرسول ﷺ من المدينة إلى القدس مثلما أخرجه الكافرون من مكة^(١).

الدلائل والعبر

حينما شرع رسول الله ﷺ بالبحث عن ارض لبناء مسجد للمسلمين ارادت كل قبيلة كسب تلك الفضيلة لها دون سواها لتفضل نفسها على غيرها، ولكن رسول الله ﷺ اسقط ذلك من ايديهم مرجعاً قضية الارض المذكورة الى حيث بروك ناقتة. فكان الحكم عادلاً لا يثير حساسية الناس في المدينة.

وسمح لكل المسلمين من مهاجرين وانصار العمل في بناء المسجد والحصول على المنقبة المرجوة، ولم يحصر الامر في عدة محدودة.

وتقدم رسول الله ﷺ أكثر في منهجه الاخلاقي فأخى بين المهاجرين والانصار ليزداد تلاحمهم وتتقوى وحدتهم. فأصبح المسلمون في المدينة في دعة وأمان بعد ذلك الاتحاد الاسلامي وصعب على المنافقين العمل المضاد.

ونظم النبي ﷺ علاقة المسلمين مع اليهود وكتب معاهدة معهم ليستقر الامر في عموم المدينة المنورة.

ونظرة كلية منا لاعمال النبي ﷺ في المدينة المتمثلة في ايجاد وحدة بين صفوف الانصار وتحكيم العلاقة بين المهاجرين والانصار وتدوين معاهدة حقوقية بين المسلمين واليهود والمسلمين والنصارى تبين رفعة وكمال عقل خاتم الانبياء ﷺ.

واقام رسول الله ﷺ صلاة الجمعة العبادية الثقافية، التي اصبحت منبراً اعلامياً لتعليم احكام الدين وعقائد الاسلام واصول الاخلاق، ولإخبار الناس بآخر المستجدات السياسية والعسكرية والاجتماعية.

وكان رسول البشرية يلقي على الناس اخبار الدول المندرسية، وحكايات الامم السالفة، وكيفية الاستفادة منها، ففيها الشروط اللازمة للحيد عن غضب الله تعالى، والاركان الواجبة في انزال رحمته ورزقه.

(١) حياة محمد ﷺ، هيكل ٢٥٠.

وبلغ تأثير رسول الله ﷺ في المسلمين حدّاً دفع الكثير من الانصار لطلاق بعض نسايتهم وتزويجها من المهاجرين! ومقاسمة أموالهم معهم والتضحية بأرواحهم في سبيل الاسلام.

ومن القصص المذكورة اقدام عبد الله بن عبد الله بن ابي عليّ منع أبيه (ملك يثرب) من دخول المدينة لانه هاجم المسلمين قائلاً:

﴿ليخرجن الأعز منها الأذل﴾^(١).

فلم يسمح له بدخول المدينة الا بإذن رسول الله ﷺ.

ولحاجة ذلك المجتمع الإسلامي الى الزكاة فقد فرضها الله تعالى على المسلمين بأخذ صدقة الأغنياء لتطهير أموالهم واعطائها للفقراء لإغنائهم، كما أمر الله تعالى قائلاً:

﴿رَبَّنَا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم﴾^(٢).

﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم﴾^(٣).

والعجيب ان بعض الدول الغربية فرضت هذه الفريضة القرآنية وتنكرت لها الدول الإسلامية، وما زال اسمها في السويد وبعض الدول باسم الزكاة أو السكات!

واستمراراً لطريق العبادة والقول القرآني: ﴿وما خلقت الجن والإنس الا ليعبدون﴾ فقد أنزل الله تعالى فريضة الصيام ليشعر الأغنياء بجوع الفقراء. ويتعلم الناس الصبر امام العطش والجوع واللذات الجسدية. ويفرغوا أنفسهم لعبادة الله تعالى في هذا الشهر المبارك، وبعبارة أخرى محاولة الهية لدعم الحالة المعنوية والروحية للانسان امام الاهواء الدنيوية والشهوات المادية.

فالاسلام يريد تلاحم الصورة الانسانية مع السيرة الانسانية وعدم اقتصار الأمر على الصورة كما هو الحال في الماديين واللاهثين خلف حطام الدنيا.

(١) المنافقون ٨، تفسير فرات الكوفي ٤٨٥، تفسير الطوسي ٥ / ٢٦١، تفسير الحويزي ٥ / ٣٣٣.

(٢) البقرة ١٢٩.

(٣) التوبة ١٠٣.

ووضع النبي ﷺ التاريخ الهجري لتقويم دولته وتدوين الاحداث والمحافظة على
 حقوق الناس المالية والاجتماعية.
 وحاول رجال الحزب القرشي واذنابهم من وعاظ السلاطين والرواة اتُّهَم رسول
 الحضارة بعدم اعتنائه بالتاريخ واسناد فضل ذلك للأعراب!
 ولكن الله سبحانه وتعالى دحر مكرهم وكشف خبثهم فجعلهم عبرة لمن اعتبر .



مركز تحقيقات كميوتير علوم دینی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کتب و علوم اسلامی

باب

معركة بدر وماتلاها





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

أول راية لرسول الله ﷺ

ولمّا وصل رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة عقد أول راية حرب لعمّه حمزة. قال الواقدي: إن رسول الله ﷺ عقد في هذه السنة في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من مهاجره لحمزة بن عبدالمطلب لواءاً أبيض في ثلاثين رجلاً من المهاجرين ليعترض لعيرات قريش، وأن حمزة لقي أبا جهل في ثلاثمائة رجل فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني، فافترقوا ولم يكن بينهم قتال^(١).
وثاني راية عقدها رسول الله ﷺ كانت لعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف، لواء أبيض وأمره بالمسير إلى بطن رابغ، وأن لواءه كان مع مسطح بن أثاثة، فبلغ ثنية المرة وهي بناحية الجحفة في ستين من المهاجرين ليس فيهم أنصاري.
وإنهم التقواهم والمشركون على ماء يقال له أحياء، فكان بينهم الرمي دون المسايقة، وكان أبو سفيان بن حرب أمير الكفار في مائتين من المشركين^(٢).
ومن خلال عمل رسول الله ﷺ في دفع عمّه حمزة وابن عمّه عبيدة إلى ساحات القتال بيّن رسول الله ﷺ أن القائد يجب أن يكون أول مضحّ في سبيل الله، لا آخر مضحّ في سبيل الإسلام وبيّن مطلباً آخر وهو دفعه المهاجرين للحرب قبل الأنصار ليكونوا قدوة لهم تحتذي بهم رجال المدينة.

(١) تاريخ الطبري ١٢١/٢.

(٢) تاريخ الطبري ١٢٠/٢.

وفعلًا نجح مشروع رسول الله ﷺ في هذا المجال نجاحاً باهراً تمثل في إندفاع الأنصار والمهاجرين للتضحية في سبيل الإسلام.

وغزوة الأبواء بقيادة رسول الله ﷺ إلى الأبواء لاعتراض عير قريش فلم يلق كيداً^(١).

وغزوة بواط لاعتراض قافلة قريش بقيادة أمية بن خلف في مائة رجل فلم تلق كيداً^(٢).

وغزوة بدر الأولى على رأس ثلاثة عشر شهراً من مقدمه الشريف للمدينة في طلب كُرُز بن جابر الفهري الذي أغار على سرح المدينة، ولم يدركوه^(٣).

وغزوة ذي العشيرة على رأس ستة عشر شهراً من قدومه ﷺ المدينة وهدفها عير قريش فلم يدركوها^(٤).

وسرية نخلة وأميرها عبدالله بن جحش (ابن عمّة رسول الله ﷺ) إلى نخلة على رأس سبعة عشر شهراً من قدومه ﷺ المدينة. فأعطاه رسول الله ﷺ صحيفة تبين مقصد السرية على أن يفتحها بعد مسيرة ليلتين في طريق النجدية.

فلما فضّ الكتاب بعد يومين وجد هدف الحملة بطن نخلة لترصد عير قريش فهاجموا العير بقيادة عمرو بن الحضرمي فغنموا الأموال وقتلوا بعضاً وفرّ آخرون.

فقال الرسول ﷺ لأصحابه ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام وودّي عمرو بن الحضرمي الذي قتله المسلمون^(٥). والصحيح أن المسلمين لم يحاربوهم في الشهر الحرام ولم يود النبي ﷺ عن ابن الحضرمي^(٦).

لأن الهجوم لم يكن في الشهر الحرام. ولقد حاول رجال الحزب القرشي واتباعهم

(١) مغازي الواقدي ١٢/١.

(٢) مغازي الواقدي ١٢/١، تاريخ ابن الأثير ١١٢/٢.

(٣) مغازي الواقدي ١٢/١.

(٤) مغازي الواقدي ١٣/١، تاريخ ابن الأثير ١١٢/٢.

(٥) مغازي الواقدي ١٨/١، تاريخ ابن الأثير ١١٣/٢.

(٦) سيرة ابن دحلان ١/٢٠٧-٣٢١.

اتهام المسلمين بارتكاب حرب الفجار في الشهر الحرام مثلما كذبوا سابقاً في اشتراك رسول الله ﷺ وقبيلته في حرب الفجار قبل الإسلام.

والملاحظ على هذه الغزوات عدم اشتراك الأنصار فيها ولم يطلب النبي ﷺ ذلك منهم.

غزوة بدر الكبرى

وهي أول معركة عظمى للمسلمين ضد قوات قريش الكافرة فحاول كل طرف منهم الانتقام من الطرف الثاني

قال ابن دحلان: وكان خروجهم يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان على رأس تسعة عشر شهراً من هجرة النبي ﷺ وخرجت معه الأنصار ولم تكن قبل ذلك خرجت معه وكان عدة البدرين ثلاثمائة وثلاثة عشر، وسبب هذه الغزوة التعرض للعرس التي خرج رسول الله ﷺ في طلبها حتى بلغ العشيرة ووجدها سبقتها، فلم يزل مترقباً قفولها أي رجوعها من الشام، فعند قفولها نذب المسلمين أي دعاهم

وقال: هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها، فانتدب ناس أي أجابوا واثقل آخرون، ولم يحفل بهم رسول الله ﷺ أي لم يهتم بهم بل قال: من كان ظهره أي ما يركبه حاضراً فليركب معنا ولم ينتظر من كان ظهره غائباً عنه.

وكان أبو سفيان لقي رجلاً فأخبره أنه ﷺ قد كان عرض لعيره في بدايته، وأنه ينتظر رجوع العير فلما رجع وقربت العير من أرض الحجاز صار يتجسس الأخبار ويبحث عنها، ويسأل من لقي من الركبان تخوفاً من رسول الله ﷺ، فسمع من بعض الركبان أنه استنفر أصحابه لك ولعيرك فخاف خوفاً شديداً فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري بعشرين مثقالاً ليأتي مكة وأن يجدع بعيره ويحول رحله ويشق قميصه من قبله ومن دبره، إذا دخل مكة ويستنفر قريشاً ويخبرهم أن محمداً قد عرض لعيرهم هو وأصحابه، وكانت تلك العير فيها أموال قريش، حتى قيل إنه لم يبق بمكة قرشي ولا قرشية له مثقال

فصاعداً إلا بعث به في تلك العير إلا حويطب بن عبد العزى.
ويقال: إن في تلك العير خمسين ألف دينار وألف بعير وتقدم أن قائدها أبو سفيان،
وكان معه مخرمة بن نوفل وعمر بن العاص، وكان جملة من معه سبعة وعشرين؛ وقيل:
إنها تسعة وثلاثون رجلاً. فخرج ضمضم سريعاً إلى مكة.

منام عاتكة

وقبل أن يقدم بثلاث ليالٍ رأت عاتكة بنت عبد المطلب عمّة النبي ﷺ رؤيا أفرعتها
فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب ﷺ فقالت له: يا أخي والله لقد رأيت الليلة رؤيا
أفزعني أي اشتدت عليّ وتخوّفت أن يدخل على قومك منها شرّ ومصيبة فاكنم عني ما
أحدّثك. وفي رواية قالت له: لن أحدّثك حتى تعاهدني أن لا تذكرها فإنهم إن سمعوها -
تعني كفّار قريش - آذونا وأسمعونا ما لا نحبّ، فعاهدها العباس ثم قال لها: ما رأيت؟
قالت: رأيت راكباً أقبل على بعيره، حتى وقف بالأبطح، ثم صرخ بأعلى صوته: ألا
انفروا يا آل غدر إلى مصارعكم في ثلاث أي بعد ثلاثة أيام. وقوله: يا آل غدر معناه يا
أصحاب الغدر وعدم الوفاء قالت: فأرى الناس اجتمعوا إليه ثم دخل المسجد والناس
يتبعونه فينما هم حوله قالت: رأيت بعيره مثل به أي انتصب به على ظهر الكعبة، ثم صرخ
بمثلها، ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها، ثم أخذ صخرة فأرسلها
فأقبلت تهوي حتى إذا كانت بأسفل الجبل أرفضت أي تكسّرت فما بقي بيت من بيوت
مكة ولا دار إلا دخلها منها فلقّة.

فقال لها العباس: والله إن هذه لرؤيا أي عظيمة وأنتِ فاكنمها ولا تذكرها لأحد. ثم
خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة، وكان صديقاً له فذكرها له واستكتمه، فذكرها الوليد
لأبيه فتحدّث بها ففشا الحديث.

قال العباس: فغدوت لأطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود
يتحدّثون برؤيا عاتكة.

فلما رأني أبو جهل قال: يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا، فلما فرغت

أقبلت حتّى جلست معهم فقال أبو جهل: يا بني عبدالمطلب متى حدثت فيكم هذه النبوة؟ قال: قلت: وما ذاك؟ قال: الرؤيا التي رأت عاتكة. قلت وما رأت؟ قال: يا بني عبدالمطلب أما رضيتم إن يتنبأ رجالكم حتّى يتنبأ نساؤكم. وفي رواية ما رضيتم يا بني هاشم بكذب الرجال حتّى جئتمونا بكذب النساء، ثم قال أبو جهل: وقد زعمت عاتكة في رؤياها أنّه قال:

أنفروا في ثلاث فسنترصد بكم هذه الثلاث فإن يكن حقاً ما تقول فسيكون، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب، قال العباس: فوالله ما كان مني إليه كبير أمر إلا أنّي جحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأت شيئاً.

قال العباس: فلمّا أمسيت لم تبق امرأة من بني عبدالمطلب إلا أتتني تقول لي: أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم؟ ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ثم لم يكن عندك غيرة لشيء ممّا سمعت فقلت لهنّ، وأيم الله لأتعرّضن له وإن عاد قتلته. فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا مغضب أرى أنّي قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه، فدخلت المسجد فرأيت فوالله إنّني لأمشي نحوه أتعرّضه ليعود إلى بعض ما قال فأوقع به إذ هو قد خرج نحو باب المسجد يشتدّ أي يعدو، فقلت في نفسي: ما له لعنه الله أكلّ هذا الفرق أي الخوف مني.

فإذا هو سمع ما لم أسمع صوت ضمضم بن عمرو الغفاري وهو يصرخ يبطن الوادي واقفاً على بعيره قد جدع بعيره أي قطع أنفه وأذنه وحول رحله وشقّ قميصه وهو يقول: يامعشر قريش، اللطيمة اللطيمة، أي أدركوا اللطيمة وهي العير التي تحمل الطيب والبرّ أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمّد في أصحابه لا أرى أن تدركوها. وفي لفظ: إن أصابها محمّد لن تفلحوا أبداً الغوث الغوث.

قال العباس: فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر فتجهّز الناس سراعاً وفرعوا أشدّ الفرع وخافوا من رؤيا عاتكة^(١).

(١) سيرة ابن هشام ٢/٢٥٩، سيرة ابن دحلان ١/٣٠٦، ٣٠٧.

الخروج للحرب

وروي أنهم قالوا: أیظنّ محمّد وأصحابه أن تكون كعیر ابن الحضرمي التي أخذها محمّد ﷺ، والله ليعلمنّ غير ذلك فكانوا بين رجلين إمّا خارج وإمّا باعث مكانه رجلاً وأعان قوّیهم ضعيفهم، وقام أشراف قريش يحضّون الناس على الخروج. وقال سهيل بن عمرو: أتاكون أنتم محمّداً والصبابة من أهل يثرب يأخذون أموالكم من أراد مالا فهذا مالي، ومن أراد قوّة فهذه قوّتي، ولم يتخلف من أشراف قريش إلّا أبو لهب خوفاً من رؤيا عاتكة، وكان يقول: رؤيا عاتكة كأخذ بيد أي صادقة لا تتخلف، وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة استأجره بأربعة آلاف درهم كانت له عليه ديناً فأفلس بها فقال له: أخرج وديني لك. والعاص هذا قُتل كافراً في هذه الغزوة.

وأراد التّخلف أميّة بن خلف وكان شيخاً جسيماً ثقيلاً فجاء إليه وهو جالس مع قومه عقبة بن أبي معيط بمجرة فيها بخور يحملها حتّى وضعها بين يديه ثمّ قال: يا أبا صفوان إستجمر فإنما أنت من النساء، فقال له: قبحك الله وقبح ما جئت به، وكان عقبة سفيهاً، وكان أبو جهل هو الذي سلّط عقبة على ذلك.

وجاء أبو جهل أميّة بن خلف فقال له: يا أبا صفوان إنك متى يركّ الناس قد تخلفت وأنت سيّد أهل الوادي؟ وفي رواية: من أشراف الوادي تخلفوا معك فسر يوماً أو يومين، فتجهّز أميّة مع الناس.

وسبب إرادته التّخلف أن سعد بن معاذ قدم مكّة معتمراً فنزل على أميّة لأنّ أميّة كان إذا قدم المدينة للذهاب إلى الشام في تجارته ينزل على سعد فقال سعد لأميّة: أنظر لي ساعة لعلّي أطوف بالبيت، وقال أميّة لسعد: إذا انتصف النهار. فبينما سعد يطوف إذ أتاه أبو جهل فقال: من هذا الذي يطوف؟

فقال له سعد: أنا سعد بن معاذ، فقال له أبو جهل: أتطوف بالكعبة آمناً وقد آويتم محمّداً وأصحابه؟ وفي لفظ: آويتم الصبابة وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم، أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالماً، فتلاحيا أي تخاصما وسعد يرفع صوته، فصار أميّة يقول لسعد: لا ترفع صوتك على أبي الحكم فإنّه سيّد أهل الوادي،

وجعله يسكت.

فقال سعد لأُمَيَّة: إليك عني فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه قاتلك».

قال: إياي؟

قال: نعم.

قال: بمكة؟

قال سعد: لا أدري.

قال أُمَيَّة: والله ما كذب محمد، فكان يحدث أي يبول في ثيابه فرعاً، فرجع إلى امرأته

فقال: أما تعلمين ما قال أخي اليثربي يعني سعد بن معاذ؟ قالت: وما ذاك؟

قال: زعم أنه سمع محمداً يزعم أنه قاتلي، قالت: والله ما كذب محمد.

فلما جاء الصريخ وأراد الخروج قالت له امرأته: أما علمت ما قال لك أخوك اليثربي؟

فقال: فإني لا أخرج.

فلما صم على عدم الخروج بل أقسم بالله لا يخرج من مكة أتاه عقبة بن أبي معيط

بالمجرة، وقال له أبو جهل ما قال كما تقدم، فخرج ناوياً أن يرجع عنهم ومعنى

كونه ﷺ قاتله، أنه كان ﷺ سبياً في قتله، وإلا فهو ﷺ لم يباشر إلا قتل أخي أُمَيَّة،

وهو أبي بن خلف في غزوة أحد كما سيأتي إن شاء الله تعالى. واستقسم بالأزلام جماعة،

فخرج لهم ما يكرهون، منهم أُمَيَّة بن خلف وعتبة بن ربيعة وأخوه شيبه وزمعة بن الأسود

وحكيم بن حزام.

فلما خرج لهم القداح الناهي المكتوب عليه لا تفعل، أجمعوا على المقام وعدم

الخروج، فجاءهم أبو جهل وأزعجهم وحثهم على الخروج وأعانهم على ذلك عقبة بن أبي

معيط والنضر بن الحرث.

يروى أن عداساً الذي اجتمع بالنبي ﷺ بالطائف وأسلم على يديه قال لسيديه عتبة

وشيبه ابني ربيعة: بأبي وأمي أنتما والله ما تساقان إلا لمصارعكما، فأرادا عدم الخروج،

فلم يزل بهما أبو جهل حتى خرجا عازمين على العود عن الجيش، ولما فرغوا من

جهازهم وكان ذلك في ثلاثة أيام؛ وأجمعوا السير أي عزموا عليه، وكانوا خمسين

وتسعمائة؛ وقيل: كانوا ألفاً وقادوا معهم من الخيل مائة فرس عليها مائة درع سوى دروع المشاة، وكان حامل لوائهم السائب بن يزيد ثم أسلم، وخرجوا على الصعب والذلول لشدة إسراعهم، ومعهم القيان وهنّ الإماء المغنيات يضربن بالدفوف يغنين بهجاء المسلمين وهم في غاية من البطر والخيلاء حين خروجهم، كما قال تعالى:

﴿خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدّون عن سبيل الله، والله بما يعملون محيط﴾^(١)

وكان المطعمون لهذا الجيش إثني عشر رجلاً كل واحد منهم ينحر كل يوم عشر جزر، وفيهم أنزل الله:

﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدّوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون﴾^(٢)

وهؤلاء الإثنا عشر هم أبو جهل وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وحكيم بن حزام والعبّاس بن عبدالمطلب وأبو البختري وزمعة بن الأسود وأبي بن خلف وأمّية بن خلف والنضر بن الحرث ونبیه ومنبه ابنا الحجاج؛ وقيل الآية المذكورة نزلت في الذين أنفقوا أموالهم لتجهيز الجيش الذي قاتلوا به النبي ﷺ يوم أحد، وقيل في هؤلاء وهؤلاء.

ولما أرادوا الخروج من مكة كان بينهم وبين كنانة دماء لأنّ قريشاً كانت قتلت شيخاً من كنانة، فمرّ شاب وضيء من قريش بكنانة فقتلوه، ثمّ إنّ أخا المقتول ظفر بعامر سيّد كنانة بمرّ الظهران فقتله وجاء بسيفه وعلّقه بأستار الكعبة فلما أصبحت قريش، رأت سيف عامر فعرفوه وعرفوا قاتله فكاد ذلك يصرفهم عن الخروج خوفاً من كنانة لكون طريقهم في المسير عليهم، وخافوا أن يخلفوهم على ديارهم بشيء يكرهونه، فجاءهم إبليس لعنه الله في صورة سراقه بن مالك المدلجي الكناني، وكان من أشراف بني كنانة وقال لهم: أنا لكم جار من أن يأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه، وخرج معهم إبليس ووعدهم أن بني كنانة قد أقبلوا لنصرهم، وحسن لهم الأمر وقرب به لهم وهوّنه

(١) الأنفال: ٤٧.

(٢) الأنفال: ٣٦.

عليهم، كما قال تعالى:

﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٍ لَكُمْ﴾^(١).

ثم بعد أن خرج ضمضم إلى أهل مكة اشتدّ حذر أبي سفيان، فأخذ طريق الساحل وجدّ في السير حتّى فات المسلمين، فلمّا أمن أرسل إلى قريش يأمرهم بالرجوع، وكانوا حينئذ بالجحفة فامتنع أبو جهل، وقال: والله لا نرجع حتّى نحضر بدرًا فنقيم فيه ثلاثة أيّام، وننحر الجزر، ونطعم الطعام ونسقي الخمر، وتعزف علينا القيان بالمعازف وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبدًا.

و ضرب ﷺ عسكره ببئر أبي عتبة على ميل من المدينة، فعرض أصحابه وردّ من استصغر، وتقدّم أن عدّة أصحابه البدرين ثلاثمائة وثلاثة عشر، وكان الانصار المساهمون في الحرب واحداً وستين من الأوس ومائة وسبعين من الخزرج ومن المهاجرين ثلاثة وثمانين رجلاً^(٢). وكان معهم سبعون بعيراً يتعقبونها، وكان معهم من الخيل فرسان فرس لمرثد الغنوي، وفرس للمقداد، ولما عدّ ﷺ أصحابه ووجدهم ثلاثمائة وثلاثة عشر فرح ﷺ وقال: «عدّة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر».

ولمّا أراد ﷺ الخروج لبس درعه ذات الفضول وتقلّد سيفه العضب، ولمّا نظر إلى أصحابه قال: «اللهم إنّهم حفاة فاحملهم، وعراة فاكسهم، وجياع فأشبعهم، وعالة فأغنهم من فضلك»، فما رجع منهم أحد إلّا وله البعير والبعيران، واكتسى من كان عارياً، وأصابوا طعاماً من أزواد قريش، وأصابوا فداء الأسارى فاغتنى به كلّ عائل، وسار ﷺ حتّى بلغ الروحاء وهو موضع به بئر على نحو أربعين ميلاً من المدينة فأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا غيرهم، وكان قد بعث ﷺ رجلين يتجسّسان أخبار غير أبي سفيان، فمضيا حتّى نزلا بدرًا، فأناخا إلى تلّ قريب من الماء، وأخذا يستقيان من الماء، فسمعا

(١) الأنفال: ٤٨.

(٢) تاريخ الخميس ١ / ٣٩٩ - ٤٠٣.

جاريّتين تقول إحداهما لصاحبتها: إن أتاني العير غداً أو بعد غد أعمل لهم أي أخدمهم ثم أقضك الذي لك، فانطلقا حتّى أتيا رسول الله ﷺ فأخبراه بما سمعا، فاستشار النبي ﷺ أصحابه في طلب العير، وفي حرب النفير أي القوم النافرين للحرب يعني أنّ النبي ﷺ خيّر أصحابه بين أن يذهبوا للعير أو إلى محاربة النفير. وأخبرهم عن قريش بمسيرهم وقال لهم: «إنّ الله وعدكم إحدى الطائفتين إمّا العير وإمّا قريش». وكانت العير أحبّ إليهم ليستعينوا بما فيها من الأموال على شراء الخيل والسلاح، قال تعالى:

﴿وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونَ لَكُمْ، وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾^(١).

وفي رواية: قالوا هلاً ذكرت لنا القتال حتّى نتأهب له إنّنا خرجنا للعير؟ وكان ﷺ يخشى أن تكون الأنصار لا ترى وجوب نصرته عليها إلّا ممّن دهمه أي جاءه فجأة من العدو بالمدينة فقط، وأنّ ليس عليهم أن يسير بهم من بلادهم إلى عدوّ. فلمّا قال ذلك أي كرّر قوله: «أشيروا عليّ»، قال له سعد بن معاذ ﷺ وهو سيّد الأوس: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «أجل»، قال: قد آمنّا بك وصدّقناك وشهدنا أنّ ما جئت به هو الحقّ، وأعطيناك على ذلك عهداً وموائيق على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أمرت.

ثم أسر المسلمون رجلين من جيش قريش فقال ﷺ: «أخبراني عن قريش؟

قالا: هم وراء هذا الكتيب من الرمل.

فقال لهما رسول الله ﷺ: كم القوم؟

قالا: هم والله كثير عددهم شديد بأسهم.

قال: ما عدّتهم؟

قالا: لا ندري.

قال: كم تنحرون من الجزر كلّ يوم؟

قالا: يوماً تسعاً ويوماً عشراً.

فقال ﷺ: القوم ما بين التسعمائة والألف، ثم قال لهما: فمن فيهم من أشرف قريش؟ قالوا: عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، وأبو البحتري بن هشام، وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، وزمعة بن الأسود، وأبو جهل بن هشام، والنضر بن الحرث، وسهيل بن عمرو، فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال: هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها أي قطع كبدها.

وكان نزول قريش بالعدوة القصوى، والعدوة جانب الوادي وحافته والمكان المرتفع، والقصوى أي التي هي أبعد من الأخرى عن المدينة.

قال علي رضي الله عنه: فلما أن طلع الفجر نادى رسول الله ﷺ للصلاة عباد الله فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فصلّى بنا رسول الله ﷺ ثم خطب وحضّ على القتال في خطبته. فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: «أما بعد، فإنّي أحثكم على ما حثكم الله عليه»، إلى أن قال: «وإنّ الصبر في موطن اليأس ممّا يفرّج الله به الهمّ، وينجي به النعم». واجبرت قريش بني هاشم في مكة على الحضور معها فقالت: لا تدعوا أحداً من عدوكم خلفكم، ولما رجع طالب بن أبي طالب مع بني زهرة، إلى مكة فقد أثره^(١).

هل تردد عتبة وحكيم في الحرب؟

ثمّ لما أصبحوا عدل النبي ﷺ صفوف أصحابه وأقبلت قريش ورآها ﷺ وقال: «اللهمّ هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادّك وتكذب رسولاك، اللهمّ فنصرك الذي وعدتني». ولما اطمأنت قريش أرسلوا عمير بن وهب الجمحي، وكان كافراً ثمّ أسلم بعد ذلك وقالوا: احرز لنا أصحاب محمّد أي أنظر عدّتهم، فجال بفرسه حول عسكر النبي ﷺ ثمّ رجع إليهم فقال: ثلاثمائة رجل يزيدون أو ينقصون قليلاً، ولكن أمهلوني حتّى أنظر اللقوم كمين أو مدد؟

فذهب في الوادي حتّى أبعد، ثمّ رجع إليهم، وقال: ما رأيت شيئاً ولكن قد رأيت

(١) تاريخ الطبري ٢ / ١٤٤، سيرة ابن هشام ٢ / ٢٧٦، تاريخ بن الأثير ٢ / ١٢١، مناقبي الواقدي ١ / ٣٦، ٣٧ أي

قتلوه غيلة في الطريق وفقد جسده.

يامعشر قريش البلايا تحمل المنايا، رجال يثرب تحمل الموت الناقع إذ تروهم خرساً لا يتكلمون، يتلمظون تلمظ الأفاعي، لا يريدون أن يقبلوا إلى أهلهم زرق العيون كأنهم الحصى تحت الحجف، قوم ليس لهم منعة إلا سيوفهم. والله ما نرى أن تقتل منهم رجلاً حتى يُقتل رجل منكم، فإذا أصابوا منكم عدادهم فما خير العيش بعد ذلك فروا رأيكم. المصاييح يعني قريشاً أن تجعلوها أنداداً لهذه الوجوه التي كأنها عيون الحيّات يعني الأنصار. وقد رآه النبي ﷺ في القوم وهو على جملة فقال: «إن يكن في أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الأحمر إن يطيعوه يرشدوا».

وذكر ابن إسحاق أن عتبة قام خطيباً فقال: يامعشر قريش، والله ما تصنعون شيئاً أن تلقوا محمداً وأصحابه، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه قد قتل ابن عمه أو ابن خاله، أو رجلاً من عشيرته، فارجعوا واخلّوا بين محمد وسائر العرب، فإن أصابه غيركم فذاك الذي أردتم، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعدموا منه ما تريدون، يا قوم اعصبوها اليوم برأسي (أي اجعلوا عارها متعلقاً بي) وقولوا جبن عتبة، وأنتم تعلمون أنني لست بأجبنكم.

ثم قال عتبة لحكيم: إنطلق لابن الحنظلية وأخبره - يعني أبا جهل - قال حكيم: فانطلقت فوجدت أبا جهل قد نثل درعاً له من جراها أي أخرجها فقلت: يا أبا الحكم إن عتبة أرسلني إليك بكذا وكذا، فقال: إنفخ سحره، وهي كلمة تقال للجهان. ثم جاء أبو جهل لعتبة وقال له: لو غيرك يقول هذا لأعضضته بظر أمه، والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد. ^(١)

ماذا قال أبوبكر وعمر في معركة بدر؟

وفي أول معركة عظمى للمسلمين وهي بدر الكبرى لم يرض الرسول ﷺ من قولي أبي بكر وعمر، وأعرض عنهما، وسرَّ جداً بقول سعد بن معاذ والمقداد بن عمرو إذ جاء في الرواية:

فتكلم أبو بكر فاعرض ﷺ عنه وتكلم عمر فاعرض عنه. وجاء في سنن مسلم: «أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان، فتكلم أبو بكر فاعرض عنه، ثم تكلم عمر فاعرض عنه، فقام سعد بن عبادَةَ فقال: إيانا تريد يا رسول الله؟ والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا. قال: فندب رسول الله الناس فانطلقوا حتَّى نزلوا بدرًا...»^(١).

إذ قال أبو بكر وعمر: إنها والله قريش وعزها والله ما ذلت منذ عزت، والله ما آمنت منذ كفرت، والله لا تُسلم عزها أبداً ولتقتلنك، فاتهب لذلك أهبتة واعد لذلك عدته^(٢) في محاولة منهما لتثييط عزيمة الرسول ﷺ والمسلمين.

لقد اعرض النبي ﷺ عن قولي أبي بكر وعمر لأنهما قالاً قولاً فيه مجد وعزة لقريش وخوف من مواجهة قريش، فأستنكر النبي ﷺ ذلك^(٣). وفعل عمر فعلاً شنيعاً آخر قبل معركة بدر إذ هجر أمام رسول الله ﷺ^(٤).

ثم قال المقداد بن عمرو: يا رسول الله: امض لأمر الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لنبيها «فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون»^(٥).

ولكن إذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، والذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا معك (وبرك الغماد من وراء مكة بخمس ليالٍ من وراء الساحل مما يلي البحر) فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعاً له بخير^(٦).

ثم قال سعد بن معاذ فسرَّ رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه^(٧) إذ قال لو استعرضت هذا البحر فخضته لخضناه معك^(٨).

(١) صحيح مسلم ١٤٠٤/٣، حديث ١٧٧٩، البداية والنهاية، ابن كثير ٣/٣٢١.

(٢) المغازي، الواقدي ١/٤٨.

(٣) مغازي الواقدي ١/٤٨.

(٤) دلائل النبوة، البيهقي ٣/١٠٧.

(٥) المائدة ٢٤.

(٦) المصدر السابق.

(٧) السيرة النبوية، ابن كثير ٢/٣٩١-٣٩٥، دلائل النبوة ٣/١٠٦، سيرة ابن دحلان ١/٣١٣، صحيح مسلم

٣/١٤٠٣، ١٤٠٤.

(٨) المغازي، الواقدي ١/٤٨.

الماء كسلاح في الحروب

لقد منع طغاة قريش الماء عن عبد المطلب وصحبه لقتلهم عطشا في الصحراء فنبع الماء تحت قدميه بأمر الله تعالى (١)

لقد عطش النبي ﷺ والمسلمون في بدر عطشاً شديداً فجاء علي رضي الله عنه بالماء من بدر رغم الحرس الكثير هناك (٢).

روى مسلم عن انس بن مالك: «نزل المسلمون على كتيب اعفر قليل المراد أحمر وأبيض تسوح فيه الأقدام وحوافر الدواب.

وسبقهم المشركون إلى ماء بدر فأحرزوه وحفروا القلب لأنفسهم ليجعلوا فيها الماء من الآبار المعينة، فيشربوا منها ويسقوا دوابهم. ومع ذلك التقى الله في قلوبهم الخوف حتى صاروا يضربون وجوه خيلهم إذا صهلت من شدة الخوف. والتقى الله تعالى، الأمانة والنوم على المسلمين بحيث لم يقدروا على منعه وأصبح المسلمون بعضهم محدث وبعضهم جنب لأنهم لما ناموا احتلم أكثرهم وأصابهم الظم، وهم لا يصلون إلى الماء لسبق المشركين إليه. ووسوس الشيطان لبعضهم وقال: تزعمون أنكم على الحق وفيكم نبي ﷺ وأنكم أولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم عطاش وتصلون محدثين مجنبيين، وما ينتظر أعداؤكم، إلا أن يقطع العطش رقابكم، ويذهب قواكم، فيتحكموا فيكم كيف شاؤوا؟! فأرسل الله عليهم مطراً سال منه الوادي فشرب المسلمون واتخذوا الحياض على عدوة الوادي، واغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب وملؤوا الأسقية وأطفأ المطر الغبار ولبد الأرض حتى ثبَّت عليها الأقدام والحوافر وزالت عنهم وسوسة الشيطان، وقد أشار سبحانه إلى ذلك بقوله: «إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمْنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رَجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ» (٣).

(١) تاريخ الخميس ١ / ١٧٩.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب ١ / ٣٥٨، البحار ٤١ / ٦٩.

(٣) الأنفال ١١، سيرة ابن دحلان ١ / ٣١٤، ٣١٥.

وفي الحديبية فشل سعد بن ابى وقاص في المجى بالماء خوفاً من الكفار وجاء به ^٢.
الإمام علي عليه السلام.

لقد استخدمت قريش سلاح الماء ضد النبي صلى الله عليه وآله في معركة بدر وضد علي عليه السلام في معركة صفين وضد الحسين عليه السلام في واقعة كربلاء ^(١).
وأوصل الإمام علي عليه السلام الماء الى عثمان يوم حاصروه ^(٢).

وسيطرت قوات معاوية بن أبي سفيان على نهر الفرات في معركة صفين ومنعت الماء عن جيش الإمام علي عليه السلام فقال له عمرو بن العاص الذي كان في معركة بدر مع المشركين سوف تأخذ قوات الإمام علي عليه السلام منك الماء وفعلاً تقدمت قوات امير المؤمنين عليه السلام وسيطرت على الماء فخاف معاوية من العطش، فقال له عمرو بن العاص ان علي بن أبي طالب عليه السلام سوف لا يمنع عنك الماء بالرغم من منعك الماء عنه وعن جيشه لانه لا يحارب من أجل الماء وفعلاً تم ما ذكره ^(٣).

لقد تعلم عمرو بن العاص هذا المبدأ من معركة بدر الكبرى يوم سيطرت قوات قريش الكافرة على الماء ومنعت قوات المسلمين منه، فحارب النبي صلى الله عليه وآله الكفار وسيطر على الماء ولم يمنع قريشاً منه.

وكان الحسين عليه السلام قد سقى قوات الحر بن يزيد الرياحي المحاصرة له وعددهم ألف مقاتل ^(٤)، مثلما فعل أبوه في صفين ^(٥)، وجده في بدر ولأن قريشاً الجاهلية وسليهم معاوية استخدموا الماء سلاحاً في المعارك فقد غير الأمويون سيرة معركة بدر تبعاً لنظريتهم فوصفوا النبي صلى الله عليه وآله بمانع الماء عن كفار قريش!

(٢) البحار ٤١/٦٨.

(١) البحار ٣٢/٤٤٧، تاريخ ابن عساكر، ترجمة الامام الحسين ٤٤٧.

(٢) البداية والنهاية ٧/٢٠٩.

(٣) انساب الاشراف ٣٠٠، تاريخ اليعقوبي ٢/١٨٨.

(٤) الاخبار الطوال ٢٤٨.

(٥) صفين ١٦٠ - ١٦٦، تاريخ أبي مخنف ١/١٥٩ - ١٦٢.

أحداث المعركة

ثم أفسد أبو جهل على الناس رأي عتبة وبعث إلى عامر بن الحضرمي وقال له: هذا حليفك يريد الرجوع بالناس، وقد رأيت ثارك بعينك فقم فأنشد مقتل أخيك فقام عامر وحشا التراب على رأسه وصرخ واعمراه واعمراه، فحميت الحرب في ١٧ رمضان وتهيئوا للقتال والشیطان معهم لا يفارقهم في صورة سراقه يقول لهم: لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم، فخرج الأسود المخزومي، وكان شرساً سيء الخلق. فلما أقبل قصده حمزة بن عبدالمطلب ﷺ فضربه دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دماً.

والأسود هذا هو الأسود بن عبد الأسد المخزومي أخو عبدالله بن عبد الأسد المخزومي زوج أم سلمة والأسود أول قتيل قتل يوم بدر من المشركين. ثم إن عتبة بن ربيعة التمس بيضة أي خوذة يدخلها في رأسه فما وجد في الجيش بيضة تسع رأسه لعظمه فاعتجر بيزد له (أي تعمم به)، ثم خرج بين أخيه شيبة بن ربيعة وإينه الوليد بن عتبة حتى انفصل من الصف ودعا إلى المبارزة فخرج إليه فتية من الأنصار وهم: عوف ومعاذ إينا الحرث الأنصاريان النجاريان، وأمهما عفراء بنت عبيد بن ثعلبة الأنصاري، وعبدالله بن رواحة فقال عتبة ومن معه لهم: من أنتم؟ قالوا: رهط من الأنصار.

قالوا: ما لنا بكم من حاجة أكفاء كرام إنما نريد قومنا. ثم نادى مناديهم: يا محمد، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا، فناداهم أن ارجعوا إلى مصارفكم، وليقم إليهم بنو عمهم. ثم قال ﷺ: «قم يا عبيدة بن الحرث قم يا حمزة، قم يا علي»، فلما قاموا ودنوا منهم قالوا: من أنتم لأنهم كانوا متلثمين لما خرجوا فتسموا لهم، قال ابن إسحاق: فقال عبيدة: عبيدة، وقال حمزة: حمزة، وقال علي: علي، قالوا نعم، أكفاء كرام، فبارز عبيدة وكان أسن القوم المسلمين شيبة وكان أسن الثلاثة وبارز حمزة عتبة. واتفقوا على أن علياً برز للوليد، فقتل علي الوليد وقتل حمزة عتبة واختلف عبيدة وشيبة بضربتين كلاهما أثخن صاحبه، فكر حمزة وعلي بأسيا فهما على شيبة فدنفا عليه واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه،

وكانت الضربة التي أصابت عبيدة في ركبته فمات منها لما رجعوا بالصفراء وقبره معروف بين الصفراء والحمراء، ولما احتملوا عبيدة جاؤوا به إلى النبي ﷺ ومنح ساقه يسيل، وأضجعوه إلى جانب موقفه ﷺ، فأفرشه رسول الله ﷺ قدمه الشريف فوضع خده عليها، وقال له رسول الله ﷺ: «أشهد أنك شهيد»، بعد أن قال له عبيدة: أأنت شهيداً؟. ان اقدام عتبة وشيبة والوليد على طلب المبارزة يكذب ترددهم في الحرب ويدل على إصرارهم عليها!

ومجيء حكيم بن حزام بأمه إلى المعركة يظهر حقدهما العميق على الإسلام والمسلمين.

ونزلت في يوم بدر: «هذان خصمان اختصموا»^(١) في ستة نفر من المؤمنين والكفار تبارزوا يوم بدر وهم حمزة وعبيدة وعلي بن أبي طالب والوليد وعتبة وشيبة^(٢) ونزلت فيهم آيات أخرى.^(٣)

وسمى الكفار علياً بن أبي طالب يوم بدر بالموت الأحمر لشجاعته وبطولته^(٤).

الأخلاق الراقية في الحرب

كانت الأخلاق الحربية سيئة جداتمثل في تجريد القتل من لباسه والتمثيل به مثلما فعلت هند بحمزة فخالفها النبي ﷺ وعلي بن أبي طالب في منهجها. ومع اتصاف علي بن أبي طالب بالشجاعة والاقدام فإنه يتصف بالأخلاق في الحرب فقد كتب السري: «كان من سيرة علي أن لا يقتل مدبراً ولا يذفق على جريح ولا يكشف سترأ، ولا يأخذ مالاً»^(٥).

(١) الحج ١٩.

(٢) سنن البخاري ٦ / ٩٨، سنن مسلم ٨ / ٢٤٥.

(٣) البقرة ٢٥، ص ٢٨، الانفال ٦٤ وآل عمران ١٢٣.

(٤) المناقب، بن شهر آشوب ٢ / ٦٨.

(٥) تاريخ الطبري ٣ / ٥٤٥، حوادث سنة ٣٦ هـ.

ومن سيرته أن لا ينظر إلى عورة كما فعل مع ابن أبي طلحة في معركة بدر وعمر بن عبد ود العامري في معركة الخندق وعمر بن العاص في معركة صفين وغيرهم^(١).

لماذا لم يقتل العاص بن سعيد عمر؟

والعجيب في معركة بدر أنها كانت بين طائفتين واحدة إسلامية والثانية كافرة وفي الجانبين يوجد أفراد يودون انتصار أعدائهم أي أنهم مكرهون على الحرب المذكورة فطلب رسول الله ﷺ عدم قتل بني هاشم لأنهم أكرهوا على الحرب . فلم يقتل المسلمون العباس وعقيل وغيرهم .

وفي الجانب الآخر أمرت قريش بعدم قتل المتعاونين معها من المسلمين بدلالة النصوص فلم يقتل العاص بن سعيد عمر بن الخطاب^(٢).

وهذه الأمور عادية في معظم الحروب في العالم.

إذ قال عمر: مررت به يوم بدر فرأيتُه يبحث للقتال كما يبحث الثور بقرنه، وإذا شدقاه قد أربدا كالوزغ، فلما رأيتُ ذلك هبته ورغمتُ عنه، فقال: إلى أين يا ابن الخطاب؟ وصمد له عليّ، فوالله ما رميتُ مكاني حتى قتله^(٣).

وكان الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وسعيد بن العاص في ذلك المجلس فقال علي عليه السلام: اللهم غفرًا، ذهب الشرك بما فيه، ومحا الإسلام ما تقدّم فما لك تهيج الناس! فكفّ عمر^(٤).

الفارون من معركة بدر

كان المسلمون ٦١ أوسيا و ١٧٠ خزرجيا و ٨٢ مهاجرا .

(١) سيرة ابن هشام ٧٨/٣، الكامل في التاريخ ١٥٢/٣.

(٢) الارشاد ٧٦/١

(٣) الأرشاد، المفيد ٧٦ / ١.

(٤) المصدر السابق.

والذي وصموه بالفرار في معركة بدر هو عثمان بن عفان، وقد وصفه بذلك عبد الرحمن بن عوف^(١). اذ تغيب عثمان بن عفان عن حضور هذه المعركة، فذمه لاحقاً ابن عوف وعلي بن أبي طالب عليهما السلام وطلحة بن عبد الله^(٢).
وكما تغيب عثمان عن حضور معركة بدر فقد تغيب عن حضور بيعة الرضوان في الحديبية.

وحاول الأمويون اخفاء هذا الأمر وتبريره، فقالوا: إن النبي صلى الله عليه وسلم قد أبقى عثمان عند زوجته لمرضها ونحن نعلم بأن علاقته مع رقية غير جيدة. ولم تكن رقية مريضة. وافترى الأمويون رواية مرض رقية في معركة بدر لأمرين.
الأول: التستر على فرار عثمان في معركة بدر.
وثانياً: التستر على قضية اغتيال عثمان لرقية بعد معركة أحد^(٣).
وإن فرار عثمان في المعارك اللاحقة يكشف عن هويته الجهادية، قال عبد الرحمن بن عوف مخاطباً عثمان:

أبلغه عني أنني لم أغب عن بدر، ولم أفر يوم عيين (أحد)^(٤).
وتبعاً لأوامر معاوية في إيجاد مناقب للخلفاء ومنع ذكر علي عليه السلام فقد جاء: ان علياً قال: من أشجع الناس؟

قالوا: أنت. قال أشجع الناس أبو بكر، لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشاً فقلنا من مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أي من يكون معه لئلا يهوي إليه أحد من المشركين فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهراً بالسيف^(٥).

لقد حاول الراوي التمويه على كذبه بذكر الرواية على لسان علي عليه السلام وإلا فهزائم أبي بكر في الحروب واضحة ومعروفة عند كتاب السيرة، واعترف أبو بكر بهزيمته في أحد

(١) تفسير ابن كثير ٦٥٧/١.

(٢) المثالب، ابن الكلبي ١٨٢، أنساب الاشراف ١/٣٢٦.

(٣) راجع ذلك في موضوع معركة أحد.

(٤) تاريخ المدينة المنورة، ابن شبة ١٠٣٣/٣ طبع مكة.

(٥) السيرة الحلبية ١٥٦/٢.

باكياً كما سترى، وإن النبي ﷺ أعرض عن قولي أبي بكر وعمر في معركة بدر^(١)، الداعين للهزيمة. ولم يشاركاً في معركة بدر وانحرفاً جانباً وفرَّ عثمان.

وقد تغيب عن معركة بدر عثمان بن عفان وطلحة بن عبد الله وسعيد بن زيد^(٢) ولاخفاء قضية فرار طلحة وسعيد قالوا بأن الرسول ﷺ اعطاهما من غنائم بدر لكن السيوطي انكر ذلك قائلاً:

وضرب ﷺ لعثمان يوم بدر، ولم يضرب لأحد غاب غيره^(٣) ولكننا اثبتنا فرار عثمان ايضاً.

وقال علي عليه السلام لعثمان وطلحة وباقي أهل الشورى: أفياكم أحد كان له سهم في الحاضر وسهم في الغائب؟ قالوا: لا^(٤).

وعبر عبد الرحمن بن عوف عثمان من فراره في بدر، وهو الذي آخى الرسول ﷺ بينه وبين عثمان قائلاً: إني لم أفر يوم عنين (أحد) ولم اتخلف يوم بدر وبيعة الرضوان^(٥) وفرَّ عثمان مرة ثانية في أحد وثالثة في بيعة الرضوان فأحبته قريش وولعت به. وقال عثمان للناس عند عبد الله بن مسعود: قدمت عليكم دويبة سوء، من يمشي على طعامه يبقى ويسلح.

فقال ابن مسعود: لست كذلك ولكن صاحب رسول الله ﷺ يوم بدر ويوم بيعة الرضوان^(٦) يعرض بفراره في بدر.

(١) البداية والنهاية، ابن كثير ٣/ ٣٢١.

(٢) عيون الأثر ١/ ٣٢٥، سيرة ابن حبان ١/ ١٨٢.

(٣) السيرة الحلبية ٢/ ١٨٥.

(٤) اللآلئ المصنوعة ١/ ٣٦٢ ترجمة الإمام علي عليه السلام من تاريخ ابن عساكر بتحقيق المحمدي ٣/ ٩٣، الضعفاء الكبير ١/ ٢١١، ٢١٢.

(٥) مستند أحمد ١/ ٦٨، البداية والنهاية ٧/ ٢٠٧، شرح النهج ١٥/ ٢١، ٢٢، الغدير ٩/ ٣٢٧، مغاري الواقدي ١/ ٢٧٨، الدر المنثور ٢/ ٨٩، الرياض النضرة ٢/ محاضرات الادباء للراغب ٢/ ١٨٤، المستدرک ٣/ ٩٨.

(٦) يعرض بعثمان الذي فرَّ فيهما، راجع الغدير ٩/ ٣، أنساب الاشراف ٥/ ٣٦.

وهناك صحابييان آخران اعترضا على عثمان فراره في بدر واحد والرضوان^(١).
والأكاذيب التي طرحت لمواجهة هذا الأمر صنعوها ونشروها في زمن الحكم
الأموي فقالوا زيفاً: تخلف لمرض رقية، ولما وجدوا هذا لا ينفع قالوا تخلف لمرضه
بالبجدي^(٢).

وكانت أم أبي امامة بن ثعلبة مريضة فأمره النبي ﷺ بالمقام عند أمه، وضرب له
بأجره وسهمه، فرجع ﷺ من بدر وقد توفيت فصلى رسول الله ﷺ على قبرها^(٣)
فسرق الأمويون هذه الرواية لصالح عثمان!

واشترك عموم الصحابة في معركة بدر الكبرى في السنة الثانية في السابع عشر من
رمضان وهي أول معركة للمسلمين ضد كفار قريش، وكان في الصف المعادي أبو سفيان
ومعاوية وابن العاص وخالد، وكانت هذه الحرب مناسبة جيدة لأحتكاك قريش
بالمهاجرين والانصار...

ولم يؤمر رسول الله ﷺ على علي بن أبي طالب^(٤).
وكان حامل الراية في معركة بدر علي بن أبي طالب^(٥).
وساهمت الملائكة في المعركة إلى جانب المسلمين.

واشتاق المسلمون إلى الجنة ودعا رسول الله لهم بالنصر وحثن التراب في عيون
الكفرة قائلاً: شأهت الوجوه.

وقال عمير بن الحمام: لئن حييت حتى آكل تمراتي إنها لحياة طويلة ثم رمى التمرات
من يده وقاتل حتى قتل^(٦).

(١) سنن البخاري ١٢٢ / ٦، البداية والنهاية ٢٠٧ / ٧، المستدرک، الحاكم ٩٨ / ٣، مسند أحمد ١٠١ / ٢، الفدير ١٠ / ١٠،
٧٠، الجامع الصحيح للترمذي ٦٢٩ / ٥، الرياض النضرة ٩٤ / ٢.

(٢) السيرة الحلبية ١٤٦ / ٢، ١٨٥.

(٣) اسد الغابة ١٣٩ / ٥، الإصابة ٩ / ٤، السيرة الحلبية ١٤٧ / ٢، الإستهباب بهامش الإصابة ٤ / ٤.

(٤) المناقب، ابن شهر آشوب ٢٢٣ / ٤، البحار ٤٧ / ١٢٧.

(٥) المستدرک، الحاكم ١١١ / ٣، ١٣٧، المناقب، الخوارزمي ٢٢ / ١، الأرشاد، المفيد ٤٨ / ٢، ذخائر العقبى ٧٥.

تاريخ الخميس ٤٣٤ / ١، أسد الغابة ٢٠ / ٤، انتساب الاشراف ١٠٦ / ٢، حياة الصحابة ٥١٤ / ٢.

(٦) تاريخ ابن الاثير ١٢٦ / ٢، سيرة ابن هشام ٢٧٩ / ٢.

الأسرى

ومن ضمن الأسرى كان العباس بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب وفيهم شياطين قريش عقبة بن أبي معيط . وقد أمر رسول الله ﷺ بقتل عقبة بن أبي معيط فقط (١).
والقسم الثاني من الأسرى أطلق سراحهم مقابل فداء دفعه أهلهم مثل الوليد بن الوليد المخزومي . ومن ﷺ على الآخرين فأطلق سراحهم منهم أبو عزة عمرو الجمحي الشاعر الذي كان يؤذي رسول الله ﷺ بشعره فأطلقه لعياله وأخذ عليه عهداً أن لا يظهر عليه أحداً.

ولما وصل مكة قال: سحرت محمداً، ورجع لما كان عليه من الإيذاء بشعره ولما كان يوم أحد خرج مع المشركين يحرض على قتال المسلمين بشعره، فأمر النبي ﷺ بضرب عنقه.



فقال: اعتقني وأطلقني فأني تائب.

فقال ﷺ: لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، فضربت عنقه (٢).

وأطلق ﷺ سراح الأسيرة الوحيدة أم حكيم بنت حزام ثم أسلمت وبايعت عند فتح مكة فهي من الطلقاء وهي والددة حكيم بن حزام (٣).

وعن عبد الرحمن بن عوف قال: لقيت أمية بن خلف وكان صديقاً لي في الجاهلية ومعه ابنه علي أخذاً بيده، وكان معي أدراع استلبتها من القوم فأنا أحملها، فلما رأني أمية ناداني باسمي الأول يا عبد عمرو، فلم أجبه، فناداني يا عبد الإله فأجبتة، وذلك أنه كان قال لي: لما سماني رسول الله ﷺ عبد الرحمن أترغب عن اسم سمائك به أبوك؟ فقلت: نعم، فقال: الرحمن لا أعرفه ولكنني أسميك بعبد الإله، فلما ناداني بعبد الإله قلت نعم.
ثم قال: هل لك في فأنا خير لك من هذه الأدراع التي معك؟ قلت: نعم، فطرحت

(١) طبقات الشعراء، ابن سلام ٦٤، ٦٥.

(٢) سيرة ابن دحلان ٢٤٧/١، سيرة ابن حبان ١٨٤/١.

(٣) السيرة النبوية، أبو حاتم ١٧٩/١.

الأدراع من يدي وأخذت بيده ويده ابنه علي وهو يقول: ما رأيت كالיום قط، ثم قال لي: يا عبد الإله من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره أي كانت في درعه بحيال صدره؟ قلت: ذلك حمزة بن عبدالمطلب، قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل.

قال عبد الرحمن: ثم خرجت أمشي بهما، فوالله إنني لأقودهما إذ رآه بلال معي، وكان هو الذي يعذب بلالاً بمكة على أن يترك الإسلام كما تقدم، فقال بلال: يا أنصار رسول الله ﷺ هذا أمية بن خلف رأس الكفر لا نجوت إن نجا، فقلت: يا بلال أبأسيرى تفعل ذلك؟ قال: لا نجوت، إن نجا، فأحاطوا بنا، فأصلت بلال السيف (أي سلّه من غمده) وضرب رجل علي بن أمية، فوقع وصاح أمية صيحة ما سمعت مثلها قطّ وقتل أمية بن خلف^(١).

وقُتل من سادات قريش سبعون رجلاً وأُسِر منهم سبعون رجلاً، وأخذ الفداء من ثمانية وستين رجلاً، وإفتدى العباس نفسه وابني أخيه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث وحليفاً لهما من بني فهر.

وقال رسول الله في الليلة التي بات فيها العباس أسيراً: لقد أسهرني أنين العباس عني في القدّ منذ الليلة

ومن الأسرى مالك بن عبيد الله أخو طلحة فمات أسيراً، واسر من بني مخزوم وحلفائهم أربعة وعشرون رجلاً، ومن بني عبد شمس وحلفائهم اثنا عشر رجلاً منهم أبو العاص بن الربيع زوج زينب ربيبة رسول الله ﷺ وعمرو بن أبي سفيان،^(٢)

وكان الفداء من ألف إلى أربعة آلاف درهم على قدر أموالهم، والأسير الذي ليس عنده مال دفع إليه رسول الله ﷺ عشرة غلمان من غلمان المدينة يعلمهم، فاذا حذقوا فهو فداؤه^(٣).

وهذا أعظم دليل على دعم رسول الله ﷺ للعلم إذ اعطاه مكانة عظيمة لم تكن معروفة في ذلك الزمان.

(١) سيرة ابن هشام ٢٥٧/٣ - ٢٦٠، سيرة ابن دحلان ٣٠٧/١ - ٣٢١، البدء والتاريخ، البلخي ٧٣/٢ - ٧٩، تاريخ الطبري ١٣١/٢ - ١٦٠، البداية والنهاية ٣١٣/٣ - ٣٨٣، تاريخ ابن الأثير ١١٦/٢ - ١٣٦.

(٢) عيون الأثر، ابن سيد الناس ٣٧٣/١، تاريخ ابن الأثير ١٣٣/٢، المغازي، الواقدي ١٣٠/١.

(٣) عيون الأثر ٣٧٣/١.

وبلّغ رسول الله ﷺ والمسلمون الإسلام لهؤلاء الأسرى فأسلم العباس، وعقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب والوليد بن الوليد بن المغيرة والظاهر أن إسلامهم كان سرّاً إذ لا تقبل قريش بوجود مسلمين بين صفوفها^(١).

وكان سهيل بن عمرو والأسير مقروناً إلى ناقة النبي ﷺ ففر منه عليّ أميال من المدينة والقي القبض عليه^(٢) ومن عادة رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليّ  أن لا يقتلا مدبراً^(٣).

وفي الأسرى أمية بن خلف وابنه فقتلها المسلمون لأفعالهما السيئة السابقة^(٤). دون علم النبي ﷺ.

وكانت العلاقة بين عمر والعباس قد ساءت بعد البعثة الإسلامية لأن عمر من المؤذنين للرسول ﷺ والمسلمين والعباس من المدافعين عنه ﷺ، ومثلما ضرب حمزة أبا جهل لأذيته النبي ﷺ فقد صفع العباس عمر دفاعاً عن النبي ﷺ^(٥) ومن يومها اشتدت العداوة بين عمر والعباس، ولما أسر المسلمون العباس في معركة بدر قال عمر: يا رسول الله دعني حتى أقتله^(٦).

وكان النبي ﷺ قد نهى عن قتل بني هاشم لأنهم مكرهون على الحرب في بدر، ولما فشل عمر في محاولة قتل العباس في الأسر فقد حاول الانتقام منه من طريق آخر إذ تولّى شدّ وثاقه.

فقال العباس له: ما يحملك على شدّ وثاقي إلا لظمي إياك في رسول الله ﷺ، فسمع رسول الله ﷺ أنين العباس، فقالوا: يا رسول الله ما يمنعك من النوم؟ فقال رسول الله ﷺ: وكيف أنا وأنا أسمع أنين عمي العباس فأطلقه الأئصار^(٧).

(١) السيرة الحلبية ٢ / ١٩٩، عيون الأثر ١ / ٣٧٤، المغازي، الواقدي ١ / ١٤٠.

(٢) حقائق التأويل ٥ / ١١١.

(٣) تاريخ الطبري ٣ / ٥٤٥.

(٤) تاريخ ابن الأثير ٢ / ١٢٨.

(٥) كنز العمال ٥ / ٢٧٢ ح ٥٣٩١.

(٦) تاريخ عمر بن الخطاب، ابن الجوزي ٧.

(٧) كنز العمال ٥ / ٢٧٢ ح ٥٣٩١.

ولما وضع رسول الله ﷺ عمر على السعاية أتى العباس في صدقة ماله فضيق عليه عمر. وفي زمن حكمه استولى عمر على بيت العباس غصباً وضافها إلى مسجد رسول الله ﷺ^(١).

وقالت سودة أم المؤمنين لأسرى قريش كلاماً سيئاً جاء فيه: أعطيتم بأيديكم كما تفعل النساء ألا متم كراماً.

فقال رسول الله ﷺ يا سَوْدَةُ أَعْلَى الله ورسوله تحرّضين؟^(٢) وكانت صديقة لعائشة فأعطت يومها وليلتها لعائشة^(٣).

القتلى

وعن قتلى المشركين قال الواقدي: «فجميع من يحصى قتله تسعة وأربعون رجلاً (في معركة بدر) منهم من قتله أمير المؤمنين علي عليه السلام، وشرك في قتله اثنان وعشرون رجلاً»^(٤) وقالوا قتل منهم سبعون وأسر سبعون^(٥).

ومن الذين قتلهم علي بن أبي طالب عليه السلام في بدر كان نوفل بن خويلد من شياطين قريش وهو أخو خديجة، وعمير بن عثمان التميمي، وعبد الله بن المنذر المخزومي، والعاص بن منبه بن الحجاج، وأبو العاص بن قيس السهمي^(٦). وحنظلة بن أبي سفيان، والعاص بن سعيد بن العاص، وعامر بن عبد الله، وعقيل بن الأسود بن المطلب، والنضر ابن الحارث بن كلدة، وزيد بن مليص، وعمير بن عثمان بن تميم، ويزيد بن تميم، وأبو قيس ابن الوليد، ومسعود بن أبي أمية، وعبد الله ابن أبي رفاع، وحاجب بن السائب بن عويمر، واوس بن المغيرة بن لؤذان، ونبيه بن الحجاج^(٧). وأبو مسافع الأشعري، وقيس

(١) الطبقات، ابن سعد ٤ / ٢١.

(٢) تاريخ ابن الأثير ٢ / ١٣١.

(٣) الإصابة ٤ / ٣٣٨.

(٤) مغازي الواقدي ١ / ١٥٢.

(٥) دلائل النبوة ٣ / ١٢٤.

(٦) تاريخ ابن الوردي ١ / ١١٠.

(٧) مغازي الواقدي ١ / ١٥٢.

ابن الفاكه ابن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، ومعاوية بن عامر^(١)، وعبيدة بن سعيد بن العاص^(٢)، وطعيمة بن عدي والوليد بن عتبة وشيبة بن ربيعة، ولوذان بن ربيعة، وعاصم ابن أبي عوف^(٣)، والحارث بن زمعة، وعثمان بن عبيد الله، أخو طلحة بن عبيد الله، وحذيفة بن أبي حذيفة بن المغيرة، وعمرو بن مخزوم، ومنبه بن الحجاج السهمي، وعلقمة بن كلفة، وهشام ابن أبي أمية بن المغيرة فذلك خمسة وثلاثون رجلاً^(٤) وقتل المسلمون خمسة وثلاثين رجلاً^(٥).

فقال ابن اسحاق: أكثر قتلى المشركين يوم بدر كان بيد علي عليه السلام^(٦) وأمر رسول الله ﷺ بقبر قتلى المشركين السبعين في القليب وردها عليهم. وحزن أهالي القتلى المشركين لكن أبا سفيان منعهم من البكاء ومنع الشعراء من ندب القتلى لئلا يخفف ذلك من غيظهم.

وشرب أبو بكر وعمر الخمر بعد بدر وكانت محرمة أساساً في أول البعثة^(٧) استمراراً لفعل الجاهلية وقالوا هذا الشعر في رثاء قتلى بدر من الكفار

وكائن بالقلب قلب بدر من الفتيان والعرب الكرام
أيوعدنا ابن كبشة أن سنحيا وكيف حياة أصداء وهام
أيعجز أن يرد الموت عني وينشرني إذا بليت عظامي
فقل لله يمنعي شرابي وقل لله يمنعي طعامي^(٨)

وحقد معاوية على أهل بدر فرفض تحكيمهم قائلاً: لا أحكم رجلاً من أهل بدر^(٩) فأرسل

(١) سيرة ابن هشام ٣٧٤/٢.

(٢) تاريخ أبي الفداء، عماد الدين أبو الفداء ١٨٩/١.

(٣) وسعيد بن وهب حليف بني عامر وعبد الله بن جميل، والسائب بن مالك وأبو الحكم بن الأخنس، الأرشاد ٧١ / ١، ٧٢، المغازي، الواقدي ١ / ١٤٧ - ١٥٢.

(٤) الأرشاد، المفيد ٧٢/١.

(٥) وقتل علي عليه السلام سبعة وثلاثين كافراً كما هو مثبت هنا.

(٦) المناقب، ابن شهر آشوب ٣ / ١٢٠، البحار ١٩ / ٢٩١.

(٧) البحار ٢ / ١٢٧، الوسائل العشرة ج ٨ باب ١٢٦، الفدير ٧ / ١٠١، مجمع الزوائد ٥ / ٥٣، الكافي ٦ / ٣٩٥.

(٨) اسباب النزول، الواحدي، وأخرجه الطبري في تفسيرهما لآية «لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى» ٢ / ٢٠٣، ٢١١.

(٩) أنساب الاشراف ٣ / ٢٣.

عمرو بن العاص المحارب لأهل بدر.

وانتقم يزيد بن معاوية لقتلى بدر فقتل الحسين بن علي عليه السلام وصحبه وسبى عائلة رسول الله ﷺ ولم يكتف القرشيون بثارهم في معركة احد وما فعلوه بحمزة وباقي الشهداء إذ قال يزيد بن معاوية :

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلناه ببدر فاعتدل
لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل
لست من خندف إن لم انتقم من بني أحمد ما كان فعل^(١)
واستشهد من المسلمين اربعة عشر رجلاً ستة من المهاجرين^(٢).



وتمثلت الغنائم في مئة وخمسين من الأبل وثلاثين فرساً وسلاحاً ومتاعاً وانطاعاً وادماً كثيراً^(٣) ولم يأخذ رسول الله ﷺ وأهل بيته شيئاً من الخمس لحاجة الناس إلى تلك الغنائم، قيل وأول خمس أخذه في غزوة بني قنيقاع^(٤) وقالوا حتى في الوقائع الأخرى لم يأخذ ﷺ الخمس، وهو مردود عليهم^(٥) ولم يأخذ علي والحسنان عليهما السلام الخمس في خلافة أبيهم ﷺ^(٦) والصحيح انهم اخذوا الخمس وهو حقهم بمقدار حاجتهم. ويعاد فائض الخمس من حق السادة على عموم المسلمين .

(١) اللهوف ٧٥، ٧٦.

(٢) المغازي، الواقدي ١ / ١٤٥.

(٣) تاريخ ابن الأثير ٢ / ١١٨، السيرة الحلبية ٢ / ١٨٣، مغازي الواقدي ١ / ١٠٢، ١٠٣.

(٤) الثقات، ابن حبان ١ / ٢١١.

(٥) الأموال، أبو عبيد ٤٤٤، ٤٤٧، مسند أحمد ٥ / ٣١٦، ٣١٩، الفتوح، ابن اعثم ٢ / ٢٢٢، الموطأ ٢ / ١٤.

(٦) السنن الكبرى ٦ / ٣٦٣.

الدلائل والعبر

وفرّح النجاشي بهذا الانتصار وأخبر المسلمين في الحبشة به^(١)، ولقد انتصر المسلمون على الكافرين وهم ثلث عددهم لمعنوياتهم العالية وهدفهم السامي ورغبتهم في الشهادة وإيمانهم بقيادتهم الراقية.

وكان أول من قدم مكة وخبر بخبر قريش ومن قتل منها عمرو بن جحدم الفهري. وبعد بدر بتسعة أيام مات أبو لهب بالعدسة (مرض خبيث معدي) فبقي ثلاثة أيام دون دفن فازكمت الأنوف جيفته فطرحوا عليه حائط^(٢).

وأعز الله نبيه وقتل من قريش من قتل، فأوفدت العرب وفودها إلى رسول الله، وحاربت ربيعة كسرى وكانت وقعتهم بذى قار.

فقالوا: عليكم بشعار التهامي، فنادوا: يامحمد، يامحمد؛ فهزموا جيوش كسرى وقتلوه. فقال رسول الله: اليوم أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبي نصروا. وكان يوم ذي قار بعد وقعة بدر بأشهر أربعة أو خمسة.

واشتد حقد قريش على بني هاشم لقتلهم في بدر والمعارك الأخرى إذ قال العباس لرسول الله ﷺ ما لنا ولقريش، يلقى بعضهم بعضاً بوجوه مشرقة، فإذا لقونا لقونا بغير ذلك. فغضب رسول الله ﷺ وقال: لا يدخل قلب امرء الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله^(٣). وشكى أمير المؤمنين علي عليه السلام من قريش أنهم قطعوا رحمه ومالوا عليه عدوه.

وأهان عمر أهل بدر بحشر أبي سفيان ومعاوية معهم في العطاء^(٤).

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٢ / ٤٧٦ - ٤٧٧.

(٢) تاريخ ابن الأثير ١ / ١٣٢.

(٣) مجمع الزوائد ٩ / ٢٦٩، المستدرک، الحاكم ٣ / ٣٣٣.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٠٦، الإستهباب، ٣ / ٤٧١.



مرکز تحقیقات کتب و تاریخ علوم اسلامی

باب

الوقائع بعد معركة بدر





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

معركة ذي قار

وهي أول معركة تنتصر فيها العرب على الدولة الكسروية وفي هذه السنة ايضاً غلبت الروم على فارس^(١) وكان مع كسرى بعض العرب برئاسة اياس بن قبيصة الطائي الذي كان ملكاً بعد النعمان بن المنذر المقتول بأمر كسرى وتحت يديه طييء وايباد وبهراء وقضاة والعباد وتغلب والنمر بن قاسط.

وكان سبب المعركة مطالبة كسرى بتركة النعمان بن المنذر وكان النعمان قد خلفها وخلف ابناً وبنثاً عند هاني بن قبيصة بن هاني بن مسعود الشيباني. وتواطأت العرب على العجم فطارت ايباد عن العجم حين تشاجرت الرماح كأنهم منهزمون، وقُتل الهامرز وخلا بزر عامل كسرى، وبسبب ما صنع قيس بن مسعود (عامل كسرى على الطف من خيانة للعجم) استدرجه كسرى وقتله. وفي تلك المعركة تبعت بكر بن وائل جنود العجم يقتلونهم^(٢)، وكانت الواقعة بعد منصرف النبي ﷺ من معركة بدر، وقالت ربيعة: عليكم بشعار التهامي يا محمد يا محمد فهزموا جنود كسرى وقتلوه.

قال رسول الله ﷺ عن معركة ذي قار: أول معركة انتصف فيها العرب من العجم وبني نصر. فقتلوا عامل كسرى وحصلوا على غنائم كثيرة^(٣). وذي قار ماء لبكر بن وائل قريب من البصرة، وأتباع الحزب القرشي في عصرنا الحاضر يصفون شعار يا محمد بانه شرك؟!؟

(١) تاريخ الخميس ٤٠٦ / ١.

(٢) معجم قبائل العرب، كحالة ٩٧ / ١، الأغاني ١٣٢ / ٢٠ - ١٣٨. العمدة، ابن رشيقي ١٦٩ / ٢.

(٣) طبقات ابن سعد ٧٧ / ٧، طبقات خليفة ٨٧، العلل، أحمد بن حنبل ١٢٩.

لقد كانت مجاميع كبيرة من قيادات وجنود بكر بن وائل تعتقد برسول الله ﷺ وهذا الاعتقاد هو الذي دفعها للمناداة في تلك الحرب يا محمد يا محمد وهذا الشعار هو الذي نصرها على الفرس. وكانت الحروب السابقة دائماً تنتهي بانتصار الفرس. وذلك الاعتقاد الديني الجيد هو الذي دفع هذه القبيلة للدخول في الإسلام مبكراً وذلك في السنة التاسعة للهجرة.

وفي حرب فتح العراق شاركت قبيلة بكر بن وائل وكان عددهم ستة آلاف، وفي حروب الجمل انقسمت إلى قسمين، ثم صارت بكر بن وائل من أنصار الإمام علي بن أبي طالب وشيعته^(١).

زواج علي من فاطمة

تزوج علي وعمره خمس وعشرون سنة وتزوجته فاطمة وعمرها تسع سنين وكان الله سبحانه هو الذي أمر بزواج فاطمة من علي إذ جاء عن النبي ﷺ: والذي بعثني بالحق، ما تكلمت في هذا حتى أذن لي الله فيه من السماء. فقالت فاطمة: لقد رضيت ما رضى الله ورسوله^(٢).

وقال عمر بن الخطاب: نزل جبريل فقال: يا محمد إن الله يأمرك أن تزوج فاطمة ابنتك من علي^(٣).

وقال النبي ﷺ لفاطمة: فوالله ما زوجتك أنا، بل الله زوجك به...^(٤). وقال العلامة المعتزلي: إن إنكاحه (علياً) إياها ما كان إلا بعد أن انكحه الله تعالى إياها في السماء بشهادة الملائكة^(٥).

(١) المصدر السابق.

(٢) كنز العمال ٩٥/١٥، السيرة العلية ٢٠٦/٢، مستدرک الحاكم ١٢٩/٣.

(٣) شرح نهج البلاغة، المعتزلي ١٩٣/٩، ذخائر العقبى ١٦٩.

(٤) مناقب الخوارزمي ٢٠٥، ٢٠٦.

(٥) شرح نهج البلاغة ١٩٣/٩.

وكان النبي ﷺ قد قال: لو لم يُخلق علي ما كان لفاطمة كفو^(١).

ويذكر أن فاطمة رضي الله عنها هي البنت الوحيدة للنبي ﷺ، أما زينب ورقية فهن ربائب النبي ﷺ كما سبق بيانه.

لذلك رغب الصحابة في الزواج منها مع وجود زينب (بعد طلاقها من أبي العاص). وقال عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: كل نسب وسبب ينقطع يوم القيامة ما خلا سببي ونسبي، وكل بني انثى فعصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فاني أبوهم، وانا عصبتهم^(٢).

وبين الله تعالى منزلة بعض الصحابة بشكل واضح في قضية الزواج من فاطمة بنت رسول الله ﷺ، إذ قال النبي ﷺ: فاطمة سيدة نساء العالمين وفاطمة سيّدة نساء أهل الجنة^(٣)، ولأجل تلك المنزلة السامية لفاطمة رضي الله عنها فقد رفض النبي ﷺ طلب أبي بكر وعمر بن الخطاب وعبدالرحمن بن عوف الزواج منها^(٤).

وتدل هذه المناقب على فضل علي رضي الله عنه على باقي المسلمين، ومنزلته السامية في الأرض والسماء، التي لا يسبقه فيها إلا محمد المصطفى ﷺ. وهذه الفضائل الحميدة لوصي المصطفى متواترة وصحيحة السند وتختلف عن المناقب المزيفة للشيوخ الثلاثة التي أمر بها طغاة بني أمية لدحر منزلة أهل بيت النبي ﷺ، ورفع منزلة أفراد الحزب القرشي! جاء في اللآلئ المصنوعة عن العقيلي والطبراني معا: خطب أبو بكر وعمر فاطمة فقال النبي ﷺ (لعلي): هي لك لست بدجال^(٥).

(١) كشف الغمة ٩٨/٢، كنوز الحقائق للمناوي بهامش الجامع الصغير ٧٥/٢ عن الفردوس للديلمى. حياة الإمام الحسين عليه السلام للقرشي ١٥/١.

(٢) ذخائر العقبى ١٦٩.

(٣) سنن البخاري ٥/٢٥، ٣٦، سنن الترمذي ٥/٣٧٨١، مسند أحمد ٥/٣٩١.

(٤) مستدرک الحاكم ١٦٧/٢، صحيح ابن حبان (مخطوطة في مكتبة قوسراي في استانبول طبقات ابن سعد ١١/٨ تاريخ الخميس ١/٣٦١، سنن النسائي ٦/٦٢، أسد الغابة ٥/٥٢٠، شرح نهج البلاغة ١٣/٢٢٨، كنز العمال ١٥/١٩٩، ٢٨٦، خصائص أمير المؤمنين، النسائي ١١٤، تذكرة الخواص ٣٠٦.

(٥) مجمع الزوائد، الهيثمي ٩/٢٠٤، طبقات ابن سعد ٨/١٢، الإصابة ١/٣٧٤.

وقوله ﷺ فيه تعريض بالشيخين لذلك هاج ابن الجوزي فقال: موضوع، موسى (الراوي) من الغلاة في الرفض. لكن السيوطي قال: روى له أبو داود (صاحب السنن) ووثقه ابن معين وأبو حاتم والهيثمي. فآلحم ابن الجوزي حجراً! وتزوج الإمام علي بن أبي طالب ﷺ بفاطمة الزهراء ﷺ وعمرها تسع سنين، في السنة الثانية للهجرة^(١).

ولما عتب الخاطبون على النبي ﷺ لرفضه زواجهم بفاطمة ﷺ قال رسول الله ﷺ: والله ما أنا منعتكم وزوجته، بل الله منعكم وزوجه^(٢). فيكون هذا الزواج بين سيد المسلمين ﷺ وسيدة نساء العالمين ﷺ بأمر من الله سبحانه وتعالى، فجاءت تلك الذرية الصالحة التي تبدأ بالحسن ثم الحسين، وتختتم بمهدي هذه الأمة ﷺ^(٣).

وكانت فاطمة ﷺ طاهرة بنص القرآن الكريم وكلمت أمها في بطنها ولم تر دماً قط في حيض ولا نفاس^(٤).

مركز تحقيقات كميته علوم إسلامي

إغلاق أبواب المسجد باستثناء بابين

رواية سد الأبواب في المسجد من الروايات الصحيحة، جاء في الإصابة: لما أمر الرسول ﷺ بسد الأبواب التي في المسجد شق عليهم. قال حبة: إني لأنظر إلى حمزة بن عبد المطلب، وهو يجر قطيفة حمراء، وعيناه تذرفان يقول: أخرجت عمك، وأبا بكر وعمر والعباس واسكنت ابن عمك^(٥)...

وعن أبي الطفيل في حديث مناشدة علي ﷺ للمجتمعين يوم الشورى قال علي ﷺ: سد النبي أبواب المهاجرين وفتح بابي، حتى قام إليه حمزة والعباس فقالا: يا رسول الله

(١) تاريخ الخميس ٤١١/١.

(٢) البحار ١٤١/٤٣ - ١٤٥، كشف الغمّة ٩٨/٢.

(٣) مستدرك الحاكم ١٣٧/٣، الإصابة ٢٧٤/٢، صحيح البخاري ١١٢٦/٣، صحيح مسلم ٢٩/٤.

(٤) اللالي المصنوعة ٢٠٥/١، ذخائر العقبى ٢٦/، تاريخ القرمانى ٨٧.

(٥) الإصابة ٣٧٣/١، الدر المنثور ١٢٢/٦.

سددت أبوابنا وفتحت باب علي؟

فقال النبي ﷺ: ما أنا ففتح ... بل الله فتح (١).

وجاء في رواية بأن حمزة ورقية كانا على قيد الحياة عند سد الأبواب، وإن أبا بكر وعمر قد سداً بآبيهما، ثم أرسل إلى عثمان (وعنده رقية).

فقال عثمان: سمعاً وطاعة وسد بابيه.

فقال النبي ﷺ لعلي عليه السلام: أسكن طاهراً مطهراً، فبلغ حمزة قول النبي ﷺ لعلي، فقال: يا محمد تخرجنا وتمسك غلمان بني عبد المطلب؟

فقال له نبي الله: لا، لو كان الأمر لي ما جعلت من دونكم من أحد، والله ما أعطاه إياه إلا الله، وإنك لعلى خير من الله ورسوله، أبشر فبشره النبي ﷺ فقُتل يوم أحد شهيداً (٢).

وعن الإمام علي بن أبي طالب: لما أمر رسول الله ﷺ بسد الأبواب التي في المسجد خرج حمزة يجزّ قطيفة حمراء وعيناه تذرفان وهو يبكي.

فقال ﷺ: ما أنا أخرجتك، وما أنا أسكنته، ولكن الله أسكنه (٣).

فالظاهر أن سد الأبواب قد حدث قبل السنة الثانية للهجرة أي قبل معركة أحد التي قُتل فيها حمزة، وهناك روايات جاء فيها اسم العباس إلى جنب اسم حمزة، مما يؤكد وقوع الحادثة بعد معركة بدر العظمى بعد أسر العباس بن عبد المطلب فيها.

ومن المؤكد إغلاق النبي ﷺ لأبواب أصحابه المشرعة على المسجد في وقت مبكر بعد هجرته إلى المدينة لحرمة دخول الجنب إلى المسجد المطهر واستثناء علي بن أبي طالب عليه السلام ونفسه ﷺ من ذلك.

واستثنى الله تعالى محمداً ﷺ وعلياً عليه السلام وفاطمة عليها السلام من سد الأبواب يؤكد الآية القرآنية في طهارة أهل البيت عليه السلام:

(١) مناقب الخوارزمي الحنفي ٢٢٥.

(٢) مناقب الإمام علي لابن المغازلي ٢٥٤، ٢٥٥، كشف الغمة ١/٢٣١-٢٣٢.

(٣) رواه السهوي في وفاء الوفاء ٢/٤٧٧، الندير ٢/٢٠٨ عن أبي نعيم في فضائل الصحابة، الآلية المصنوعة ١/٣٥٢، السيرة الحلبية ٣/٣٧٤، كنز العمال ١٥/١٥٥-١٥٦، مجمع الزوائد ٩/١١٥، مستدرک الحاكم ٣/١١٧.

خصائص النسائي ٧٤، ٧٥.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(١)
 وهذا يدعم ما ذكره النبي ﷺ لاحقاً: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، وعلي مني
 مثل هارون من موسى، وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي.
 وقد ذكرت حادثة سد الأبواب بواسطة عشرات الصحابة منهم علي بن أبي طالب عليه السلام
 وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عباس وأبو سعيد الخدري وعمر بن الخطاب، وعبد
 الله بن عمر بن الخطاب وزيد بن أرقم والبراء بن عازب، وجابر بن سمرة، وأنس بن
 مالك وجابر بن عبد الله وابن مسعود وأبو ذر الغفاري وأم سلمة في أمهات الكتب
 الإسلامية^(٢). وجاء في مسند أحمد بن حنبل من عدة طرق: فتكلم الناس فخطب
 رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فاني أمرت بسد هذه الأبواب غير
 باب علي، فقال فيه قائلكم، والله ما سددت شيئاً ولا فتحت، وإنما أمرت بشي فاتبعت^(٣).
 وقال عمر بن الخطاب: لقد أوتي ابن أبي طالب ثلاث خصال لان تكون لي واحدة
 منهن أحب إلي من حمر النعم: زوجة رسول الله ابنته وولدت له، وسد الأبواب إلا بابه في
 المسجد، وأعطاه الراية يوم خيبر^(٤).

وبالرغم من كل هذه المصادر الإسلامية المهمة عبر عشرات الصحابة فقد كذب ابن

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) سنن الترمذي ٦٣٩/٥، ٦٤٠، ٦٤١، مسند أحمد ١/١٧٥، ٢/٢٦، ٤/٣٦٩، فتح الباري ١٢/٧-١٤، مستدرک
 الحاكم ١١٧/٣، ١٢٥، ١٣٤، كنز العمال ١٥/٩٦، ١٠١، ١٢٠، ١٥٥، خصائص النسائي ٧٢-٧٥، إرشاد الساري
 ٨٤/٦-٨٥، وفاء الوفاء، السهودي ٢/٤٧٤-٤٨٠، الصواعق المحرقة ١٢١، ١٢٢، ١٢٥، حلية الأولياء ٤/١٥٣،
 اللآلئ المصنوعة ١/٣٤٦-٣٥٤، أنساب الأشراف ٢/١٠٦، تاريخ بغداد ٧/٢٠٥، المناقب، الخوارزمي ٢١٤،
 ٢٣٥، ٢٣٨، ترجمة الإمام علي من تاريخ ابن عساكر بتحقيق المحمودي ١/٢٥٢-٢٨١، ٣٢٧، علل الشرائع
 ٢٠١، ٢٠٢، ينابيع المودة ٢٨٣، لسان الميزان ٤/١٦٥، مناقب الإمام علي لابن الفزالي ٢٥٢-٢٦١، الإصابة
 ٥٠٩/٢، تذكرة الخواص ٤١، منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ٥/٢٩، سنن البيهقي ٧/٦٥، ورواه الطبراني
 في الكبير والأوسط، الدر المنثور ٣/٣١٤، أخبار القضاة ٣/١٤٩، الخصائص الكبرى ٢/٢٤٣، أحكام القرآن
 للجصاص ٢/٢٤٨، السيرة الحلبية ٣/٣٧٣، ذخائر العقبى ٧٦، ٧٧، ٨٧، شرح نهج البلاغة للمعتزلي ٩/١٩٥،
 نزل الأبرار ٣٤، ٣٥.

(٣) مسند أحمد ١/١٧٥، ٢/٢٦، ٤/٣٦٩.

(٤) الصواعق المحرقة، ابن حجر، الفصل ٣ الباب ٩، وروى ذلك عبد الله بن عمر بن الخطاب، المستدرک، الحاكم ١٢٥/٣.

تيمية الناصبي تلك الأحاديث^(١). دون دليل علمي إتباعاً لطريقته في طرح وتكذيب الأحاديث التي لا تنسجم مع منهجه.

ولو كذب المبطلون الأحاديث الصحيحة باهوائهم لبطلت الأحاديث كلها! وقد ردّ ابن حجر العسقلاني قائلاً: وهذه الأحاديث (أحاديث سد الأبواب) يقوي بعضها بعضاً، وكل طريق منها صالح للاحتجاج فضلاً عن مجموعها.

وأضاف: فهذه الطرق المتظافرة من روايات الثقات تدل على أن الحديث صحيح دلالة قوية.

وقال: فكيف يدعى الوضع على الأحاديث الصحيحة بمجرد التوهم، ولو فتح هذا الباب لادعي في كثير من الأحاديث الصحيحة البطلان، ولكن يأبى الله ذلك والمؤمنون^(٢).

وقال الجويني: حديث (سد الأبواب) رواه نحو من ثلاثين رجلاً^(٣). وكتب معاوية بن أبي سفيان كتباً إلى الآفاق جاء فيها: لا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وأتوني بمناقض له في فضائل الصحابة، فإن هذا أحب إليّ وأقرّ لعيني^(٤).

وتبعاً لأوامر معاوية في هذا المجال فقد روى المبطلون حديثاً مفاده «لا يبقين في المسجد باب إلا سد، إلا باب أبي بكر، أو لا يبقين في المسجد خوذة إلا خوذة أبي بكر...» قال ذلك ﷺ في مرضه الذي مات فيه^(٥).

(١) منهاج السنة ٩/٣.

(٢) القول المسدد ١٩، ٢٠، ٢٤، ٢٥، الآلئ المصنوعة ٣٥٠/١، فتح الباري ١٣/٧، ارشاد الساري ٨٥/٦ وفاء الوفاء ٤٧٦/٢.

(٣) فرائد السمطين ٢٠٨/١.

(٤) راجع الاستيعاب، ابن عبد البر ٦٥/١، الإصابة، ابن حجر ١٥٤/١، الكامل في التاريخ ١٦٣/٣، تاريخ ابن عساكر ٢٢٢/٣، وفاء الوفاء ٣١/١، النزاع والتخاصم ١٣، تهذيب التهذيب ٤٣٥/١، الأغاني ٤٤/١٥، شرح نهج البلاغة ١١٦/١.

(٥) سنن البخاري باب قول النبي ﷺ: سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر بهامش فتح الباري ١١/٧، ١٢، سنن مسلم ١٠٨/٧، والبداية والنهاية ٢٣٠/٥.

وقد روى هذا الحديث الموضوع إسماعيل بن عبد الله أبي أويس بن عبد الله الأصبحي، أبو عبد الله المدني.

فقال عنه ابن معين: لا يساوي فلسين، وقال هو وأبوه يسرقان الحديث.

وقال الدولابي: في الضعفاء.

وقال النضر بن سلمة: كذاب.

وقال سلمة بن شبيب: سمعته يقول: ربما كنت اضع الحديث لأهل المدينة، إذا اختلفوا في شيء.

ومن رواة الحديث فليح بن سليمان، أبو يحيى المدني، وفليح لقب غلب عليه، واسمه عبد الملك، قال ابن معين: ليس بثقة.

وقال مرة: يتقَى حديثه.

وقال الطبري: ولأه المنصور على الصدقات لأنه أشار عليه بحبس بني الحسن عليه السلام، لما طلب محمد بن عبد الله بن الحسن.

وضَعَفَهُ أبو حاتم ومظفر بن مدرك والنسائي وأبو داود وأبو أحمد وعلي بن المديني^(١).

كما أن أبا بكر لم يكن عنده بيت جنب المسجد، وأنه ليس من أهل البيت المطهرين، ليثبت له ذلك.

ولو كان أبو بكر مطهراً بالقرآن لسمح له الرسول ﷺ بفتح باب على المسجد مع علي عليه السلام، ولم يؤخره تسع سنين! ولو فُتِحَ باب أبي بكر لفتح باب عمر وعثمان وابن الجراح!

الغزوات بعد معركة بدر

وهي كثيرة: غزوة السويق على رأس إثنين وعشرين شهراً بقيادة رسول الله ﷺ وسببها غزو أبي سفيان أطراف المدينة فلاحقه المسلمون إلى مسافة بعيدة^(٢).

(١) دلائل الصدق، المظفر ٢ / ٤٠٢.

(٢) منازي الواقدي ١ / ١٨٢.

وغزوة قرارة الكُدُر وكانت على رأس ثلاثة وعشرين شهراً إلى بني سليم وغطفان^(١).
وغزوة غطفان بذي أمّر وكانت على رأس خمسة وعشرين شهراً ففرّوا من جيش المسلمين^(٢).

وغزوة بني سليم وكانت على رأس سبعة وعشرين شهراً وهدفها جمعاً لبني سليم، فخرج رسول الله ﷺ في ثلاثمائة رجل من أصحابه ولم يلق كيداً^(٣).
وسرية القردة وأميرها زيد بن حارثة على رأس سبعة وعشرين شهراً من هجرة النبي ﷺ، أصابت غير قريش المتجهة صوب الشام عبر طريق العراق، فكان الخمس عشرين ألف درهم^(٤).

غزوة بني قينقاع

و بعد معركة بدر اظهرت اليهود غدرها حقداً وحسداً لذلك الانتصار فوقعت الحرب بينها وبين المسلمين.

لما عاد رسول الله ﷺ من بدر اظهرت يهود له الحسد بما فتح الله تعالى عليه، وبغوا ونقضوا العهد، وكان وادعهم حين قدم المدينة مهاجراً.

إن بني قينقاع كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد وحاربوا فيما بين بدر وأحد. فبينما هم على مجاهرتهم وكفرهم، إذ جاءت امرأة مسلمة إلى سوق بني قينقاع فجلست عند صائغ لأجل حلي لها، فجاء رجل منهم فحلّ درعها إلى ظهرها، وهي لا تشعر، فلما قامت بدت عورتها، فضحكوا منها.

فقام إليه رجل من المسلمين فقتله. وهجم اليهود عليه وقتلوه فجمعهم ﷺ بسوق بني قينقاع ثم قال يا معشر اليهود احذروا من الله عز وجل مثلما نزل بقريش من النعمة وأسلموا فإنكم قد عرفتم أنني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وفي عهد الله إليكم.

(١) مغازي الواقدي ١/ ١٨٣.

(٢) مغازي الواقدي ١/ ١٩٤.

(٣) مغازي الواقدي ١/ ١٩٧.

(٤) مغازي الواقدي ١/ ١٩٨.

قالوا: يا محمد إنك ترى أنا كقومك لا يغرّك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة إنا والله لئن حاربنا لتعلمنّ أنا نحن الناس.

ونبذوا العهد إلى رسول الله ﷺ وتحصّنوا في حصونهم، فغزاهم رسول الله ﷺ وحاصرهم خمس عشرة ليلة، فنزلوا على حكمه.

وذلك في نهاية السنة الثانية للهجرة، فكلمه فيهم عبدالله بن أبي بن سلول فقال: يا محمد أحسن في مواليّ، وكانوا حلفاء الخزرج فأبطأ عليه النبي ﷺ فقال: يا محمد أحسن في مواليّ.

فأعرض عنه النبي ﷺ، فأدخل يده في جيب رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ أرسلني، وغضب رسول الله ﷺ حتّى رأوا في وجهه ضللاً يعني تلوناً ثمّ قال: ويحك أرسلني.

قال: لا والله لا أرسلك حتّى تحسن إلى مواليّ أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعوني من الأسود والأحمر تحصدهم في غداة واحدة وإنّي والله لا آمن، وأخشى الدوائر.

فقال رسول الله: خلّوهم لعنهم الله ولعنه معهم، فأرسلوهم ثمّ أمر بإجلالهم وغنم الله عزّ وجلّ رسوله والمسلمين ما كان لهم من مال، ولم تكن لهم أرضون إنّما كانوا صاغة، فأخذ رسول الله ﷺ منهم سلاحاً كثيراً وآلة صياغتهم وكان الذي ولي إخراجهم من المدينة بذرارهم عبادة بن الصامت فمضى بهم حتّى بلغ بهم ذباب وهو يقول الشرف الأبعد الأقصى فالأقصى. وكان رسول الله ﷺ استخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر^(١).

فكانت هذه الحادثة أوّل عملية غدر من اليهود في حقّ المسلمين تثبت حقدهم على الإسلام، وعدم التزامهم بالعهود والمواثيق.

والمدّهش أنّ حقنهم على الإسلام بلغ درجة دفعتهم لمواجهة قوّة الإسلام الفتيّة المنتصرة توّاً على قريش في معركة بدر!

(١) تاريخ الطبري ١٧٢/٢ - ١٧٤، تاريخ ابن الأثير ١٢٧/٢ - ١٢٨.

والأنكى أنهم فعلوا أمرين أثبتوا فيه فقدانهم للدين وتحللهم من التقوى، بنقضهم عهداً لهم عهدوه للمسلمين أولاً، وكشفوا عورة امرأة وهو حرام في دينهم ثانياً.

ولادة الحسن

وفي منتصف شهر رمضان من السنة الثالثة للهجرة ولد الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام. فأخذه رسول الله ﷺ وأدخل لسانه في فيه، يُمصّه إياه، وأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى، وحلق رأسه وتصدق بوزن شعره فضة، وطفى رأسه بالخلوق^(١). وعق الرسول ﷺ عنه بكبشين.

وهو أول ولد لعلي وفاطمة عليهما السلام ولم يسمّه علي عليه السلام قائلاً لرسول الله ﷺ: ما كنت لأسبقك باسمه.

فأوحى الله تعالى إليه: إنّ علياً بمنزلة هارون من موسى، فسمّه باسم ابن هارون.

قال عليه السلام: وما كان اسمه؟

قال: شبر.

قال: لساني عربي.

قال: سمّه الحسن، فسمّاه الحسن^(٢).

وتربّى الحسن عليه السلام تربية إسلامية رائدة في حضن جدّه رسول الله ﷺ، وحضن أبيه أمير المؤمنين علي عليه السلام، وحضن سيّدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام. فكان مثلاً للمسلم المخلص في تقواه وسلوكه وعمله.

وقد نزلت في أهل بيت محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام آية التطهير ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٣).
وآية المباهلة: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا

(١) البحار ٤٣/٢٣٩.

(٢) البحار ٤٣/٢٤١، علل الشرائع ١/١٣٧.

(٣) الأحزاب ٣٣، سنن الترمذي ٥/٣٢٨، مستدرك الحاكم ٣/١٧٢، مسند احمد ٤/١٦٧، تفسير الطبري ١٢/٦.

وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين»^(١)

وقال النبي ﷺ فيه: «من آذى هذا فقد آذاني»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ الحسن مني وأنا منه^(٣).

وقد عرف الحسن ﷺ بالسخاء والعلم والحلم والشجاعة وحب العبيد والفقراء^(٤).

وقد شدد معاوية الهجمة على الحسن لمناقبه إياه في السلطة إذ كان معاوية عاهد الحسن ﷺ على إرجاع الحكم إليه بعد وفاته، وهذا النص الذي حرّك معاوية لتجنيد كل قواه للحط من منزلة الحسن ﷺ في أنظار الناس فظهر زيف كثير في هذا المجال، فكانت الهجمة الحكومية على الإمام الحسن ﷺ اجتماعية وسياسية بينما كانت الهجمة على الإمام الحسين ﷺ عسكرية.

وحاول الأمويون بشتى الوسائل الجاهلية من الكذب والإفراء الحط من منزلته في قلوب الناس مثلما فعلوا بجده من قبل. فوصموه بالجبين ومخالفته لأبيه ﷺ وكثرة زيجاته وأنه رجل مطلق وغير ذلك. وانتشر هذا الزيف في كتب المخالفين لأهل البيت ﷺ^(٥). ولما فشلت أعمالهم تلك توسلوا بالإغتيال، فوعدوا زوجته جعدة بنت الأشعث بالمال الكثير وزواجها من يزيد بن معاوية فقتلته بالسم^(٦).

الدلائل والعبر

كانت أول غزوة لرسول الله ﷺ في المدينة المنورة سرية حمزة بن عبد المطلب الى سيف البحر لاعراض قافلة من قوافل قريش بقيادة ابي جهل وفيها ثلاثمائة رجل.

(١) آل عمران ٦١. تفسير الزمخشري ١ / ٤٣٤، تفسير الفخر الرازي ٨ / ٨٠، الدر المنثور ٣ / ٣١١.

(٢) كنز العمال ٦ / ٢٢٢، المعجم الكبير، الطبراني ٣ / ٤٢ ح ٢٦٢٧.

(٣) كنز العمال ٧ / ١٠٧، ذخائر العقبين المحب الطبري ١٣٣.

(٤) تاريخ بغداد ٦ / ٣٤، ذخائر العقبين ١٣٨، الصواعق المحرقة ٨٣، البداية والنهاية ٨ / ٤٢، تاريخ دمشق، ترجمة الإمام الحسن ﷺ ١٤٨، تهذيب التهذيب ٢ / ٢٩٨.

(٥) راجع تاريخ الطبري ٤ / ١٢٣ - ١٤٥.

(٦) مختصر تاريخ ابن عساكر، ترجمة الإمام الحسن ٧، الإصابة ترجمة الإمام الحسن ٢٧ / ٢٢٧ وقاموس الرجال ٢ / ٢٨٤.

إن إرسال النبي ﷺ لحمزة فيه معاني كثيرة، أولها حث المسلمين على الجهاد، ليختلط القول بالعمل في مسيرة النضال ولو امتنع رسول الله ﷺ عن إرسال أرحامه إلى القتال لانتشر الجبن في صفوف الانصار والمهاجرين.

وبعثه ﷺ لحمزة فيه دلالة واضحة على إيمان النبي ﷺ وحمزة بالجهاد والشهادة في سبيل الله تعالى.

وثاني راية لرسول الله ﷺ كانت لعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف.

ثم جعل رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ﷺ حاملاً للوائه في كل المعارك الكبيرة.

وهذه التضحية المتواصلة بحمزة وعلي ﷺ وبنفسه ﷺ هي الطاقة المحركة للمسلمين للحرب والعطاء.

وفي هذا المنهج المخلص يكمن سر انتصار رسول الله ﷺ في معركة بدر الكبيرة وانتشار الاسلام في الحجاز والعالم اجمع، فذلك الفوز العسكري العظيم جعل القبائل تنظر لهم باحترام، فهبطت منزلة قريش في اذهان الكثير وبدأ العد التنازلي لطغاة مكة.

ولو كتب لكفار مكة الانتصار في بدر لتبدلت الكثير من الموازين في المنطقة.

ولأهمية المعركة فقد الح رسول الله ﷺ والمسلمون في الدعاء والتضرع إلى الله تعالى بالنصر، فانزل الله عز وجل ملائكته لدعم المؤمنين.

فتوفرت شروط الفوز المتمثلة في الإيمان والدعاء، وطاعة رسول الله ﷺ، والقتال ببسالة، والتضحية وتوفرت اركان الهزيمة في الكافرين.

واطاع المهاجرون والانصار رسول الله ﷺ في خطته الحربية وبذلوا دماءهم في هذا السبيل، فكانت هجمتهم قوية كشلال هابط من جبل، فاندحر المشركون رغم كثرتهم المساوية لثلاثة اضعاف المسلمين. وانتصر الموحدون.

وبقيت هذه المعركة وصمة عار في جبين المشركين، وفضيلة في سجل الموحدين.

فحاول الكفار واولادهم الانتقام لذلك مرّات عديدة، وفي كل مرّة تزداد موبقاتهم وتهبط منزلتهم، اذ قال يزيد بن معاوية عن قتله للحسين ﷺ في كربلاء

ليت أشياخي ببدر شهدوا
لست من خندف إن لم انتقم
جزع الخزرج من وقع الأسل
من بني احمد ما كان فعل^(١)

والعبرة في هذه الحادثة الحسينية انتصار ثان للمسلمين وانكسار آخر للقرشيين
فمجد الناس حسيناً ﷺ وبكوه وجعلوا منهجه مشروعاً لحياتهم، وعيّنوه قدوة لطريقهم
فكان الانتصار في بدر وكربلاء للاخلاق والاهداف.

فأصبح الاندحار القرشي في كربلاء وصمة أخرى في جبينهم لا تغسل.
فيرى المطالع اليوم انتصارين حضارين للمسلمين في بدر وكربلاء.
والانتصار الحضاري الآخر الذي حققه المسلمون في بدر هو في معاملتهم الحسنة
لأسرى المشركين في حين كانت قبائل العرب تسيء معاملته الأسرى وتقتلهم.
اذ اطلق رسول الله سراح الشاعر ابا عزة عمرو الجمحي من أجل بناته، رغم بقاءه
على الكفر! واطلق سراح من علم صبيان المسلمين القراءة والكتابة واطلق سراح من
أسلم منهم. ومن دروس معركة بدر غضب رسول الله ﷺ على زوجته سودة بنت زمعة
كما غضب نوح ولوط وصالح على زوجاتهم.

وسر غضبه ﷺ يكمن في رغبتها بانتصار جيش الكافرين على المسلمين!
وكانت سودة ام المؤمنين قد قالت لأسرى قريش في المدينة.
أعطيتكم بأيديكم كما تفعل النساء الامم كراماً!!^(٢)

وشهدت الأحداث بعد معركة بدر زواج علي ﷺ افضل انسان بعد رسول الله ﷺ من
فاطمة سيدة نساء العالمين باذن الهي ومباركة نبوية ليولد منهما الذرية الصالحة المتمثلة
في اهل البيت ﷺ، الذين وصفهم نبي البشرية بسفينة نوح وباب حطة الذي من دخله غفر
الله ذنبه^(٣)

واعطى الله تعالى علياً ﷺ كرامة اخرى متمثلة في سد ابواب المسجد إلا بابه، لتأكيد

(١) اللهوف ٧٥، ٧٦، البداية والنهاية ٨ / ١٩٢.

(٢) تاريخ ابن الأثير ٢ / ١٣١.

(٣) تفسير العياشي ٢ / ١٤٩، مستدرک الصحيحين، الحاكم، ٢ / ٢٤٣، كنز العمال ٦ / ٢١٦.

طهارته النازلة في القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(١)

ولما كثرت كرامات علي بن أبي طالب عليه السلام أصبح قدوة للموحدين، وأضحى هو وفاطمة وأولادهم من أهل البيت عليه السلام قصة حضارية في التجسيد الكامل والتطابق التام بين الصورة والسيرة الانسانية. كما قال الله تعالى في كتابه «نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين»^(٢)

﴿إِنْ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنْ اللَّهُ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٣)

وإليك بعض الآيات النازلة في حقهم والمبيّنة لمسيرتهم الانسانية:

﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ... وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى﴾^(٤)

ومعلوم أن عيسى إنما انتسب إلى إبراهيم بالأم لا بالأب فثبت أن ابن البنت قد يسمى ابناً فتدل الآية على أن الحسن والحسين عليهما السلام من ذرية رسول الله ﷺ^(٥).

﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾^(٦)

أخرج الثعلبي في تفسيرها عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال نحن حبل الله^(٧).

﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾^(٨)

: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(٩).

(١) الاحزاب ٣٣.

(٢) يوسف ٣.

(٣) آل عمران ٦٢.

(٤) الانعام ٨٤، ٨٥.

(٥) تفسير الزمخشري ٤٣٤/١، تفسير الفخر الرازي ٨٠/٨، الدر المنثور ٣/٣١١، تفسير الخازن ١/٣٤٣، الصواعق المحرقة ١٥٦، الاستيعاب ٣/٣٥.

(٦) آل عمران: ١٠٣.

(٧) نور الابصار، الشبلنجي ١١٢، الصواعق المحرقة ١٥١-١٥٢.

(٨) الفتح ٨، أسد الغابة ٧/٢٣٦-٢٣٧، تفسير الزمخشري ٤/١٩٧، اسباب النزول، الواحدي ٢٩٦، تفسير الرازي ٣٠/٢٤٤، نور الابصار، الشبلنجي ١١٢.

(٩) الشورى ٢٣، كنز العمال ١/٢٥١: المستدرک علی الصحیحین، الحاکم ٣/١٨٨ ح ٤٨٠٢، المعجم الاوسط، الطبراني ٣/٨٧، الفصول المهمة، ابن الصباغ المالکي ١٥٨.

أما يهود بني قينقاع فكان بإمكانهم العيش في المدينة في دعة وأمان استناداً إلى المعاهدة التي أثبت بموجبها رسول الله ﷺ والمسلمون اتباعهم لها وتمسكهم بينودها. واستناداً إلى الأخبار الصحيحة الموجودة عندهم في التوراة واحاديث موسى ﷺ في نبوة محمد ﷺ وضرورة اتباعه.

ولكنهم واعتماداً على نظريتهم السابقة في الغدر فقد بغوا وفسدوا فأذاقهم الله تعالى العذاب الأليم في الدنيا والآخرة، وجعلهم عبرة لمن اعتبر. ولما نزل بهم العذاب وندم بعضهم اعاد يهود بني نضير وبني قريظة الكرة ثانية وثالثة، فغدروا بالمسلمين وهم يعيشون في كنفهم وحمايتهم، فجزاهم رسول الله ﷺ ما يستحقونه عملاً بالعدل الإلهي.

ولم تكف اليهود هذه العبر الكثيرة والدلائل الواضحة على نبوة رسول الله فغدروا للمرة الرابعة في خير في محاولتهم تأليب قريش على المسلمين، فاضطر خاتم الأنبياء للنزول في ساحاتهم وكفهم عن دمائهم، فحصل ذلك بقوة الله عز وجل وسواعد المؤمنين.

ولكن إلى يومنا هذا لم تقف اليهود عن فسادها واجرامها وكيدها بالأنسانية جمعاء، وما دور البغاء والقمار والاعلام والسينما الفاسدة إلا مراكز يهودية لإفساد الحياة المدنية.

ويكفي معرفة ان الماسونية بنت من بنات الصهيونية لدرك المدى الذي وصلته هذه النطفة الفاسدة من خطر.

وطبقاً للحديث النبوي: لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين. نفهم بان هؤلاء لا تنفع معهم المعاهدات السياسية والامنية بل يتخذونها جسوراً لتدمير ما وصلوا اليه.



مرکز تحقیقات و پژوهش در علوم اسلامی

باب

مقتل المحاربين لله ورسوله





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

اغتيال أبي عفك اليهودي

وكان أبو عفك اليهودي يحرض على رسول الله ﷺ وعلى المسلمين مستمراً في ذلك. فصمم سالم بن عمير على اغتياله نذراً لله تعالى فقتله^(١). ولم يأمر النبي ﷺ بقتله. وقُتِل أبو عفك في شوال على رأس عشرين شهراً من مقدمه الشريف إلى المدينة وقد بلغ مائة وعشرين سنة^(٢).

مقتل عصماء بنت مروان اليهودي

وكان عمير بن عوف قد صمم على الانتقام من العصماء بنت مروان إن عاد النبي ﷺ من بدر سالماً^(٣) وكان ضرير البصر، وهو أول من أسلم من بني خطمة فسمي بالقاريء. كانت عصماء بنت مروان، (من بني أمية بن زيد) تحت يزيد بن زيد بن حصن الخطمي، وتوفي عنها وترك أيتاماً وهي تؤذي النبي ﷺ، وتعيب الإسلام، وتحرض على النبي ﷺ بالشعر قائلة:

فباست بني مالك والنسب
أطعمم أتاوي^(٤) من غيركم
وعوف وباست بني الخزرج
فلا من مراد ولا مذحج

(١) المغازي، الواقدي ١/ ١٧٤، تاريخ الخميس ١/ ٤٠٨.

(٢) الطبقات، ابن سعد ٢/ ٢٩، ولم يأمر النبي ﷺ بقتله.

(٣) راجع المغازي، الواقدي ١/ ١٧٢، ١٧٣، تاريخ الخميس ١/ ٤٠٦، ٤٠٧، البحار ٢/ ٧، أسد الغابة ٤/ ١٧٠.

(٤) الأتاوي: الغريب.

تَرْجُونَهُ بَعْدَ قَتْلِ الرُّؤُوسِ كَمَا يَرْتَجِي مَرْقُ الْمَنْضَجِ

قال عمير بن عدي بن خرشة بن أمية الخطمي، حين بلغه قولها وتحريضها: اللهم إنَّ لك عليّ نذراً لئن رددت رسول الله إلى المدينة لأقتلنَّها - ورسول الله ﷺ يومئذ ببدر - فلماً رجع رسول الله ﷺ من بدر، جاءها عمير بن عدي في جوف الليل، حتَّى دخل عليها في بيتها، ثم وضع سيفه على صدرها، حتَّى أنفذه من ظهرها، ثم خرج حتَّى صلَّى الصبح مع النبي ﷺ بالمدينة.

فلماً انصرف النبي ﷺ نظر إلى عمير فقال: أقتلت بنت مروان؟

قال: نعم بأبي أنت يا رسول الله، وخشي عمير أن يكون افتات^(١) على النبي ﷺ بقتلها، فقال: هل عليّ في ذلك شيء يا رسول الله؟

قال ﷺ: لا ينتطح فيها عنزان^(٢) إذا أحببتم أن تنظروا إلى رجل نصر الله ورسوله بالغيب فانظروا إلى عمير بن عدي.

فقال عمر بن الخطاب: انظروا إلى هذا الأعمى الذي تشدَّد في طاعة الله.

فقال (الرسول ﷺ): لا تقل الأعمى ولكنه البصير^(٣).

فلماً رجع عمير من عند رسول الله ﷺ، وجد بنينا في جماعة يدفنونها، فأقبلوا إليه حين رأوه مقبلاً من المدينة، فقالوا: يا عمير أنت قتلتها؟

فقال: نعم، فكيدوني جميعاً ثم لا تُنظِّرون، فوالذي نفسي بيده، لو قتلتم بأجمعكم ما قالت لضربتكم بسيفي هذا حتَّى أموت أو أقتلكم.

فيومئذٍ ظهر الإسلام في بني خطمة، وكان منهم رجال يستخفون بالإسلام، خوفاً من قومهم. فقال حسان بن ثابت يمدح عمير بن عدي:

بني وائل وبني واقف وخطمة دون بني الخزرج
متى ما دعت اختكم ويحها بسعولتها والمنايا تجي

(١) افتات: أي فرَّق عنه أصحابه.

(٢) لا ينتطح فيها عنزان: معناه أن شأن قتلها حين لا يكون فيه طلب نار ولا اختلاف.

(٣) المدهش أن رسول الله ﷺ يمدح عميراً وعمر يذمُّه، إذ مغازي الواقدي ١ / ١٧٤.

فهزّت فتىً ماجداً عرقه كريم المداخل والمخرج
فضرّجها من نجيع الدماء قبيل الصباح ولم يخرج
فاوردك الله بردَ الجنا ن جذلان في نعمة المولج^(١)

إغتيال أبي رافع اليهودي

وفي السنة الثالثة قُتل أبو رافع اليهودي الذي كان يظاهر كعب بن الأشرف على رسول الله ﷺ.

إذ توجه إليه عبدالله بن عتيك وعبدالله بن عقبة وآخرون من الأنصار وكان أبو رافع في حصن له في الحجاز. فدخل إلى الحصن عبدالله بن عتيك فتمكن من قتله^(٢). وقال الواقدي إنّ الحملة قد تمت في ذي الحجة من سنة أربع من الهجرة، وإنّ الذين توجهوا إليه فقتلوه كانوا أبا قتادة وعبدالله بن عتيك ومسعود بن سنان والأسود بن خزاعي وعبدالله بن أنيس وهؤلاء من الخزرج^(٣).

ظلم كعب بن الأشرف اليهودي

وكان أبو كعب عربياً أصاب دماً في الجاهلية، وهرب إلى المدينة عند يهود بني النضير، فحالفهم وتدين بدينهم^(٤). وممن حسد المسلمين على انتصارهم في بدر كعب إذ نقض ابن الأشرف عهده مع النبي ﷺ، وذهب إلى مكة لتحريض أهلها على المسلمين، فرحل إليها في أربعين ركباً فناح على قتلى بدر وبكاهم^(٥). وهجا النبي ﷺ ودخل أبو سفيان في أربعين وكعب في أربعين المسجد وأخذ بعضهم على بعض الميثاق بين الاستار

(١) مغازي الواقدي ١/ ١٧٤.

(٢) تاريخ الطبري ٢/ ١٨٢، ١٨٣.

(٣) تاريخ الطبري ١٨٣، مغازي الواقدي ١/ ٣٩١ - ٣٩٣.

(٤) عون المعبود، العظيم آبادي ٨ / ١٥٩.

(٥) البدء والتاريخ، البلخي ٢/ ٧٩.

والكعبة على حرب رسول الله ﷺ فأخبر الله تعالى رسوله بذلك^(١). وكانت حادثة مقتل كعب واجلاء بني النضير قد وقعت في وقت واحد، وذلك بعد معركة بدر بستة أشهر عملاً برواية الزهري^(٢). وقال محمد بن اسحاق وقعة بني النضير حدثت في السنة الرابعة للهجرة وهو الصحيح عندنا^(٣). واعتبر رسول الله ﷺ عمل كعب في التحالف مع أبي سفيان ضد المسلمين، وتحريضه المشركين عليهم، ومحاولته قتل النبي ﷺ نقضاً للعهد المبرم بين الطرفين. عليه يكون الأمر النبوي بقتله واجباً.

وشبّب بنساء المسلمين وأرحام النبي ﷺ قائلاً:
 أراحل أنت لم تحلل بمنقبة وتارك أنت أم الفضل بالحرم
 صفراء رادعة لو تُعَصَّر انعصرت من ذي القوارير والحناء والكتم
 لم أذر شمساً بليل قبلها طلعت حتى تجلّت لنا في ليلة الظلم^(٤)
 ذلك الشعر في أم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب يوم كان العباس في المدينة أسيراً ولم يكن من المهاجرين إليها، ولم يعلن إسلامه.

وحاول كعب قتل رسول الله ﷺ عندما جاء بيته يستقرض مالاً للمسلمين^(٥). والذين ذهبوا لقتله هم: سلكان بن سلامة بن وقش، وهو أبو نائلة أحد بني عبد الأشهل، وكان أخا كعب من الرضاعة، وعباد بن بشر بن وقش أحد بني عبد الأشهل، والحارث بن أوس بن معاذ أحد بني عبد الأشهل، وأبو عبس بن جبر أخو بني حارثة^(٦). فقتلوه جزاءً لغدره بالمسلمين.

(١) تاريخ الخميس ١ / ٤٦٠، البحار ٢٠ / ١٥٨، مناقب آل أبي طالب ١ / ١٩٦.

(٢) تاريخ الخميس ١ / ٤٦٠، المواهب اللدنية ١ / ١٠٤، تاريخ ابن الوردي ١ / ١٥٩، تاريخ الإسلام، الذهبي ١١٩ - ١٩٧ مجلد المغازي، البحار ٢٠ / ١٦٠ - ١٦٢.

(٣) دلائل النبوة، البيهقي ٣ / ٣٥٤ سيرة ابن هشام ٣ / ٥٨، ١٩٩.

(٤) تاريخ الطبري ٢ / ١٧٨، الروض الأنف ٥ / ٥١٣ - ٥١٤، طبقات الشعراء ص ٧١، البداية والنهاية ٤ / ٦، سيرة ابن إسحاق ٣١٧.

(٥) اعلام الوري ٨٨، البحار ٢٠ / ١٦٣.

(٦) تاريخ الطبري ٢ / ١٧٩، الروض الأنف، السهيلي ٥ / ٤١٣ - ٤١٤.

ولم يشترك محمد بن مسلمة في قتل كعب بن الأشرف فالإثنان أصلهما من اليهود، وقد عرف ابن مسلمة باغتيال المؤمنين في زمن عمر بن الخطاب مثل سعد بن عبادة^(١) بل أراد الحزب القرشي تعظيم صورته ليهوديته السابقة وبغضه لأهل البيت عليه السلام والأنصار. ورووا زيفاً قتل محمد بن مسلمة لاختيه الثاني مرحب اليهودي وقد قتله الإمام علي عليه السلام^(٢).

هل أمر النبي بقتل اليهود؟

جاء في رواية الطبري أن رسول الله ﷺ قال: من ظفرت به من رجال اليهود فاقتلوه، فوثب محيصة بن مسعود على ابن سينة اليهودي فقتله، فقال له أخوه حويصة - ولم يكن قد أسلم بعد -: يا عدو الله قتلته؟! أما والله لرب شحم في بطنك من ماله. فقال محيصة: لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لقتلتك. قال فوالله إنه كان لأوّل إسلام حويصة، فاستحلفه على ذلك، فحلف له فقال: إن ديناً بلغ بك ما أرى لعجب! ثم أسلم^(٣). ورووا زيفاً أن رأسه حمل إلى المدينة وهو أوّل رأس حمل في الإسلام^(٤). والصحيح أن النبي ﷺ لم يدع لقتل اليهود أبداً. ولم يأمر بحمل رؤوس القتلى. والرواية الصحيحة هي ما قالها ابن هشام:

«لما ظفر رسول الله ﷺ ببني قريظة (المحاربين للنبي ﷺ) أخذ منهم نحواً من أربع مائة رجل من اليهود، وكانوا حلفاء الأوس على الخزرج، فأمر رسول الله ﷺ بأن تضرب أعناقهم، فجعلت الخزرج تضرب أعناقهم ويسرهم ذلك. فنظر رسول الله ﷺ إلى الخزرج ووجوههم مستبشرة، ونظر إلى الأوس فلم ير ذلك

(١) طبقات ابن سعد ٣ / ٤٥٨، تاريخ الطبري ٤ / ٤٧.

(٢) راجع باب معركة خيبر.

(٣) تاريخ الطبري ٢ / ١٨٠ - ١٨١، البداية والنهاية ٤ / ٨، دلائل النبوة، البيهقي طبع دار الكتب العلمية ٣ / ٢٠٠، سيرة ابن إسحاق ٣١٩، ٣٢٠.

(٤) الروض الأنف، السهيلي ٥ / ٤١٣.

فيهم، فظنَّ أنَّ ذلك للحلف الذي بين الأوس وبين بني قريظة، ولم يكن بقي من بني قريظة إلا إثني عشر رجلاً، فدفعهم إلى الأوس، فدفع إلى كلِّ رجلين من الأوس رجلاً من بني قريظة وقال ليضرب فلانٌ وليذفَّ فلان.

فكان ممَّن دفع إليهم كعب بن يهودا، وكان عظيماً في بني قريظة فدفعه إلى محيصة بن مسعود وإلى أبي بردة بن نيار وقال ليضربه محيصة وليذفَّ عليه أبو بردة فضربه محيصة ضربة لم تقطع وذفَّ أبو بردة فأجهز عليه. فقال حويصة لأخيه محيصة وكان كافراً: قتلت كعب بن يهودا؟

قال: نعم.

فقال حويصة: أما والله لربِّ شحم قد نبت في بطنك من ماله، إنَّك للثيم يامحيصة. فقال له محيصة: لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لقتلتك.

فعجب من قوله ثمَّ ذهب عنه متعجباً. فذكروا أنَّه جعل يتيقظ من الليل: فيعجب من قول أخيه محيصة. حتَّى أصبح وهو يقول: والله إنَّ هذا لدين. ثمَّ أتى النبي ﷺ فأسلم^(١). وعن المثلة بالإنسان قال السهيلي: كان رأس عمرو بن الحقيق الخزاعي أول رأس حمل في الإسلام^(٢). بأمر معاوية، والصحيح أول رأس حمل هو رأس محمد بن أبي بكر^(٣).

وحرم الرسول ﷺ المثلة ولو بالكلب العقور، وأول من خالف هذا النصَّ هو معاوية بن أبي سفيان ثمَّ يزيد بن معاوية.

فالنبي ﷺ لم يعط أمراً بقتل اليهود عامّة، بل أمر بقتل كلِّ محارب للإسلام، يهودياً كان أو كافراً مثلما أمر بقتل يهود بني قريظة الذين تحالفوا مع كفّار قريش وغطفان في معركة الخندق لمحاربة المسلمين، ونقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ.

وكان النبي ﷺ عند محاربته يهود بني النضير الذين نقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ.

(١) الروض الأنف، السهيلي ٤١٨/٥ طبع دار أحياء التراث العربي - بيروت.

(٢) الروض الأنف ٤١٣/٥.

(٣) راجع كتاب هل اغتيل النبي للمؤلف.

لم يعلن الحرب على يهود بني قريظة، لأنهم تمسكوا يومها ببند الصلح مع المسلمين. وكان الأنصار قد صمّموا على قتل كعب بن الأشرف وأبي رافع اليهودي وغيرهما لإعلانهما الحرب على الإسلام. ولم يأمر النبي ﷺ باغتيالهما ولا اغتيال غيرهما لمخالفته عمليات الاغتيال.

ولم يفتك النبي ﷺ بطغاة قريش في مكة وحتى عقبة بن أبي معيط الذي أهان رسول الله ﷺ لم يقتله في مكة بل قتله أسيراً في معركة بدر.

وتبع مسلم بن عقيل بن أبي طالب هذه المدرسة فلم يفتك بعبيد الله بن زياد الذي زار منزل هاني بن عروة^(١). ومسلم مختفٍ في ذلك البيت.

وكان ذلك الاغتيال سهلاً جداً لأن عبيد الله بن زياد بقي وحده في منزل هاني بن عروة ومع هذا لم يقدم على قتله مسلم بن عقيل ﷺ امثالاً لحديث رسول الله ﷺ: الإيـمان قـيـد الفـتك^(٢).



مركز تحقيقات كميّة وعلوم إسلاميّة

هل كفر اليهود؟

الخطر في الأمر أن اليهود كانوا يفضلون الكفار على النصارى والمسلمين ممّا يبيّن كفرهم وانحطاطهم، إذ سأل أبو سفيان كعباً:

أديننا أحبّ إلى الله أم دين محمد وأصحابه وأئنا أهدى في رأيك، وأقرب إلى الحقّ. إنّنا لنطعم الجزور الكوماء ونسقي اللبن على الماء، ونطعم ما هبّت الشمال. فقال له: أنتم أهدى منهم سبيلاً^(٣).

ودافع معاوية عن كعب بن الأشرف وذكر مظلومية مصرعه بأنّه قُتل غدرًا^(٤). ممّا يبيّن

(١) الجامع الصغير ١/١٢٤ الكامل، ابن الأثير ٤/٢٧، مستدرک الحاکم ٤/٣٥٢، تاريخ الطبري ٤/٢٧١، مقتل الحسين، أبو مخنف ٣٤.

(٢) تفسير القرطبي ٥/١٢١.

(٣) السيرة النبوية، ابن كثير ٣/١١، البداية والنهاية ٤/٨، دلائل النبوة، البيهقي ٣/١٩١.

(٤) مشكل الآثار ١/٧٧.

استمرار ميوله للكفار واليهود بعد اسلامه!

والفتك لا يجوز إلا بإذن النبي ﷺ أو الإمام^(١). بينما الغدر بالمحارب جائز.
وقد امتنع محمد بن مسلمة من مبايعة علي عليه السلام^(٢). في خلافته فقال علي عليه السلام ذنبي إلى محمد بن مسلمة أنني قتلت أخاه يوم خيبر مرحب اليهودي^(٣).
ومحمد بن مسلمة هو الذي كسر سيف الزبير^(٤). أثناء الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام.
وهو الذي قتل سعد بن عباد^(٥) غيلة في الشام وكانت وظيفته ملاحقة الولاة في زمن عمر ومتابعة أمورهم فحدثت له مشادة مع عمرو بن العاص وسعد بن أبي وقاص.
وحقيقة الأمر أن محمد بن مسلمة من اليهود الذين أعلنوا إسلامهم، وهو من يهود بني النضير المتحالفين مع قبيلة بني عبد الأشهل، لذا سمي بمسلمة الأشهلي.
وقد أراد البعض إضفاء بعض الصفات الجيدة على محمد بن مسلمة لكونه من أعمدة رجال الدولة فأدخلوا اسمه في قصص البطولة مثل اشتراكه في عملية قتل كعب بن الأشرف وقتل مرحب اليهودي. والصحيح أنهم أجمعوا على قتل علي عليه السلام لمرحب^(٦).
والحقيقة كشفها الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام حين قال: وذنبي إلى محمد بن مسلمة أنني قتلت أخاه يوم خيبر مرحب اليهودي^(٧).
فابن مسلمة من اليهود السابقين ومن الممتنعين عن بيعة علي عليه السلام في خلافته فمجده الامويون. ولأنه يهودي سابق فقد قال عنه كعب بن الأشرف: هو أخي محمد بن مسلمة^(٨).

(١) التهذيب، الطوسي ٢١٣/١٠، ٢١٤، الكافي ٣٧٦/٧.

(٢) شرح النهج، المعتزلي ٩/٤، الإمامة والسياسة ٥٣/١، قاموس الرجال ٣٨٨/٨.

(٣) شرح النهج ٤٨/٦، قاموس الرجال ٣٨٨/٨.

(٤) شرح النهج، ٤٨/٦، قاموس الرجال ٣٨٨/٨.

(٥) قاموس الرجال ٣٨٨/٨.

(٦) مختصر تاريخ دمشق ٥ / ١٨٠، سنن البخاري، باب المغازي، معركة خيبر، سنن مسلم باب فضائل الصحابة.

(٧) مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر ٢٣ / ٣١٥-٣١٨.

(٨) مختصر تاريخ دمشق ١٣ / ٢١٨.

والظاهر أنّ مرحب كان أخاً لمحمد بن مسلمة من أمه وللتغطية على هذا الأمر فقد ادعى الأمويين قتل محمد بن مسلمة لمرحب!

ولم يكن لمحمد بن مسلمة أمر يذكر في زمن رسول الله ﷺ وظهر اسمه في أيام عمر لتنفيذ العمليات السريّة التي كان يقودها عمر ضد المعارضة السياسية له.

الدلائل والعبر

كانت اليهود والعرب في الجاهلية تتوسل بالإغتيال للوصول إلى أهدافها المنشودة فانتشرت هذه العادة السيئة بين صوف المشركين وأصبحت جزءاً من ثقافتهم.

فذهب طالب بن أبي طالب ضحية الغدر بعد امتناعه عن حضور معركة بدر وانقذ الله تعالى رسوله من الاغتيال مرّات عديدة.

ولما جاء الاسلام منع خاتم الرسل الاغتيالات قائلاً: الايمان قيد الفتك .

فلم يسمح النبي ﷺ بقتل المسلمين ولا المعاهدين له من اهل الكتاب الا المتجاهرين بالحرب عليه مثل كعب بن الاشرف.

فكان النبي ﷺ افضل الناس عملاً بالنصوص الشرعية، ولولا زيارة كعب بن الاشرف لقريش وذهابه إلى مكة في اربعين راكباً حاجياً النبي ﷺ معلناً الحرب على الاسلام والمسلمين وتحالفه معهم على حرب رسول الله ﷺ لما أجاز المسلمون قتله.

ولا يسمح الدين الاسلامي بقتل المعارض السياسي لعدم انطباق الشرط عليه في كونه محارباً لله ورسوله.

وقد استفاد فراعنة السياسة من ذلك مكرماً منهم في قتل اعدائهم، فكاد الملحدون أعداءهم المؤمنين فقتلوهم تحت ذلك العنوان! ولم يكونوا محاربين لله ورسوله.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کتب و تاریخ علوم اسلامی

باب

معركة أحد





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

معركة احد

خرجت قريش إلى معركة أحد وهم في ثلاثة آلاف مقاتل، وفيهم سبعمائة دارع، ومثتا فارس، وألف بعير على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة النبوية .
وكان معهم أبو عامر الفاسق من أهل المدينة وهذه المعركة تطرح أسئلة كثيرة منها هل رغب النبي ﷺ في الحرب خارج المدينة أم في داخلها؟ وما هي الأسباب الحقيقية لهزيمة المسلمين؟

فلما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب، ورجع فلهم إلى مكة ورجع أبو سفيان بن حرب بغيره (قافلته) مشى عبدالله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم وأخوانهم وأبنائهم يوم بدر فكلّموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة فقالوا:

يامعشر قريش إنَّ محمّداً قد وترككم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حرب له لعلنا ندرك منه ثأراً بمن أصاب منا ففعلوا.

وقال ابن سعد: لما رجع من حضر بدرًا من المشركين إلى مكة وجدوا العير التي قدم بها أبو سفيان بن حرب موقوفة في دار الندوة فمشت أشراف قريش إلى أبي سفيان فقالوا: نحن طيبو أنفس أن تجهزوا بربح هذه العير جيشاً إلى محمّد.

فقال أبو سفيان: فأنا أول من أجاب إلى ذاك وبنو عبد مناف^(١).

(١) أي بنو أمية وبنو نوفل ابنا عبد مناف فهما عدوان قديمان لهاشم والمطلّب.

فباعوها فصارت ذهباً، وكانت ألف بعير والمال خمسين ألف دينار، فسلم إلى أهل العير رؤوس أموالهم وأخرجوا أرباحهم، وكانوا يربحون في تجارتهم لكل دينار ديناراً. قال ابن إسحاق ففيهم أنزل الله تعالى

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أموالهم لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾^(١)

فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العير بأحبيشها^(٢) ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة. وكتب العباس بن عبدالمطلب إلى رسول الله ﷺ بخبرهم كله فأخبر رسول الله ﷺ المسلمين بكتاب العباس.

وكان أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي قد منّ عليه رسول الله ﷺ يوم بدر وكان فقيراً ذا عيال وحاجة وكان في الأسارى فقال: يا رسول الله أني فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتها فامنن عليّ صلى الله عليك، فمنّ عليه رسول الله ﷺ فقال له صفوان بن أمية: يا أبا عزة إنك رجل شاعر فأعنا بلسانك فأخرج معنا.

فقال: إن محمداً قد منّ عليّ فلا أريد أن أظاھر عليه قال: بلى فأعنا بلسانك فلك الله على إن رجعت أن أغنيك وإن أصبت أن أجعل بناتك مع بناتي يصيبهنّ ما أصابهنّ من عسر ويسر، فرجع أبو عزة ومشافع بن عبد مناف يستنفران الناس بأشعارهما، فأما أبو عزة فظفر به رسول الله ﷺ بعد الوقعة بحمراء الأسد، فقال يا محمداً: أقلني.

فقال ﷺ: لا والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمداً مرّتين، ثم أمر عاصم بن ثابت فضرب عنقه.

وخرجوا معهم بالظعن (النساء) التماس الحفيظة، وأن لا يفروا. فأقبلوا حتّى نزلوا بعين - جبل ببطن السبخة من قناة على شفير الوادي مقابل المدينة -.

وبنو خزاعة هم الذين أخبروا رسول الله ﷺ بخروج جيش قريش إلى المدينة، وفي هؤلاء نفر عمرو بن سالم وقد ساروا بسرعة فوصلوا المدينة بعد أربعة أيام^(٣).

(١) الانفال ٣٦.

(٢) التحبش: التجمع، وقيل حالقوا قريشاً تحت جبل يسمى حبشياً فسمّوا بذلك.

(٣) مغازي الواقدي ١ / ٢٠٥، شرح النهج ١٤ / ٢١٨، ٢١٩.

وفي طريق المشركين إلى المدينة دعت هند بنت عتبة إلى نبش قبر آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ وأيدها أبو سفيان إلا أن سائر قريش خافوا أن تتعلم خزاعة وبنو بكر ذلك العمل السيئ وتعمله بموتى قريش؛ وهدف هند وأبو سفيان من ذلك هو مبادلة أعضاء أمه بأسرى قريش من النساء إن حصل ذلك^(١).

وهذه النوايا العدوانية تبين المستوى انحطاط الأخلاقي لقريش وزعمائها وعلى رأسهم أبو سفيان وهند.

ورغب رسول الله ﷺ في محاربة المشركين خارج المدينة وأيدت الغالبية من المسلمين ذلك، ولو بقوا في المدينة لألحق الكفار خسائر فظيعة بنخلهم وزرعهم، وبثوا الرعب في قلوبهم. وبقاؤهم بلا خندق فيه مشاكل كثيرة للمسلمين لا يمكن تلافيها. ولو أراد رسول الله ﷺ البقاء في المدينة لأمكنه اقناع أهلها بذلك والمخلصون يأخذون برأيه، والمنافقون لا فائدة ترجى منهم. وقد ذكروا رغبة النبي ﷺ في البقاء في المدينة بعد خسارة المسلمين. ولكن المشكلة ليست في ذلك، فقد انتصر المسلمون أول الأمر في حرب أحد وسقطت راية قريش وقتل قادتها. إلا أن رغبة البعض في الغنائم، وتركهم أوامر النبي ﷺ في حراسة ممر أحد كان السبب الرئيسي في إجهاض النصر واستحالة إلى هزيمة.

ولا يمكن للرسول أن يوافق على غزو قريش للمدينة فما غزي قوم في قعر دراهم إلا ذلوا.

فأشارت عليه الأنصار بالخروج؛ وكان رأي عبدالله بن أبي سلول أن لا يخرج، إليهم فقال رجل من المسلمين ممن أكرمه الله بالشهادة يوم أحد وغيره ممن فاتته بدر مع رسول الله ﷺ: أخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أننا جنبنا عنهم وضعفنا، فلم يزالوا برسول الله ﷺ حتى دخل فلبس لامته^(٢) وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة ثم خرج إليهم والمسلمون ثلث الكفار في بدر واحد.

(١) المغازي الواقدي ١ / ٢٠٦.

(٢) اللامة: الدرع.

فقال رسول الله ﷺ ما ينبغي لنبي إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل.
عليه فالجري خلف الغنائم وترك أوامر القائد سبب الخسارة دائماً سواء في المدينة
أو خارجها.

وكانت هزيمة قريش محزنة فكل واحد من الصحابة يقول: والله إنني لأنظر إلى هند
وصواحبها منهزمت وما دون أخذهن شيء لمن أرادهن ولكن لا مرد لقضاء الله^(١).
والمناققون هم الذين أرجعوا سبب خسارة المسلمين إلى تركهم رأي ابن أبي سلول
بالبقاء في المدينة.

إذ قال المنافقون: «لو أطاعونا ما قتلوا»^(٢).

وكانت وقعة أحد في شوال لسبع ليالٍ خلون منه في السنة الثالثة للهجرة.
ورأى النبي ﷺ في منامه: أن في سيفه ثلثة وأن بعيراً يُذبح له، وأنه أدخل يده في
درع حصينة؛ وتأولها نبينا محمد ﷺ أن قرأ من أصحابه يُقتلون، وأن رجلاً من أهل
بيته يصاب، وأن الدرع المدينة.

حتى إذا كانوا بالشوط بين المدينة وأحد انخرل^(٣) عنه عبدالله بن أبي بثلث الناس
وقال: أطاعهم وعصاني ما ندري على ما نقتل أنفسنا، فرجع بمن تبعه من قومه من أهل
النفاق والريب، واتبعهم عبدالله بن عمرو بن حرام يقول: يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا
قومكم ونبئكم عندما حضر عدوهم.

قالوا: لو نعلم تقاتلون لما أسلمناكم ولكننا لا نرى أنه يكون قتال. فلما استعصوا وأبوا
إلا الانصراف قال: أبعدكم الله أعداء الله، فسيغني الله عنكم نبيه.

فلما رجع عبدالله بن أبي بثلثمائة سقط في أيدي الطائفتين من المسلمين، وهما أن
يقتلا وهما بنو حارثة وبنو سلمة. جاء أنهما اختلفا في قتال المنافقين العائدين ونزلت
آية:

(١) شرح النهج ١٤ / ٢٣٩، المغازي، الواقدي ١ / ٢٢٩.

(٢) آل عمران ١٦٨.

(٣) أي انخرل.

﴿فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا﴾^(١)

وقال الأنصار للرسول ﷺ: يا رسول الله ألا نستعين بحلفائنا من يهود؟

فقال ﷺ: لا حاجة لنا فيهم^(٢).

وكان هناك حلف بين أهل المدينة واليهود لصد المهاجمين ورغم هذا لم يرغب

النبي ﷺ بالاستفادة من الكفار قائلًا: لا أستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك. ولما

تبعه مشرك في معركة بدر قال رسول الله ﷺ: أتؤمن بالله؟

قال: لا. قال: فارجع فلن أستعين بمشرك^(٣).

جبل احد

واختار رسول الله ﷺ منطقة جبل أحد بحيث جعل جيشه جبل أحد في ظهورهم

والعدو من أمامهم، وقال للرماة الذين يحملون جيش المسلمين: احموا ظهورنا فإن

رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشاركونا^(٤).

وظاهر الرسول ﷺ يومئذ بين درعين، وأخذ سيفاً فهزه وقال: من يأخذه بحقه؟

فقال عمر بن الخطاب: أنا. فأعرض ﷺ عنه.

وقال الزبير: أنا، فأعرض عنه، فوجدوا في أنفسهما.

فقام أبو دجانة سماك بن خرشة فقال: وما حقُّ يا رسول الله؟

قال ﷺ: تضرب به حتى ينثني. فقال: أنا آخذه بحقه، فاعطاه إياه^(٥). وكان أبو دجانة

عند حسن ظن رسول الله ﷺ إذ رفع سيفه فوق رأس هند بنت عتبة ثم تركها لما

صرخت ولم يجبهها أحد^(٦).

(١) النساء ٨٨.

(٢) عيون الأثر ١/٨٠٤.

(٣) فتح القدير ٢/١٧٠، مجمع البحرين ٢/٨٤٠.

(٤) السيرة الحلبية ٢/٢٢٢، تاريخ الخميس ١/٤٢٤ وحاول أبو عامر الفاسق استمالة قومه ففشل.

(٥) دلائل النبوة، البيهقي ٣/٢١٣، المعارف، ابن قتيبة ص ١٥٩.

(٦) السيرة الحلبية ٢/٢٢٢، المغازي، الواقدي ١/٢٥٩، تاريخ الخميس ١/٤٢٤، البداية والنهاية ٤/١٧، ١٦.

وقد ذكر الطبري شرط النبي ﷺ في إعطاء سيفه وحذف اسم عمر. قائلًا: قال الزبير عرض رسول الله ﷺ سيفاً في يده يوم أحد، فقال: من يأخذ هذا السيف بحقه؟ قال: فقلت، فقلت: أنا يا رسول الله، قال: فأعرض عني ثم قال: من يأخذ هذا السيف بحقه؟

فقلت فقلت: أنا يا رسول الله فأعرض عني، ثم قال: من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام أبو دجانة سماك بن خرشة، فقال: أنا آخذه بحقه، وما حقه؟ قال ﷺ: حقه ألا تقتل به مسلماً، وأن لا تفرّ به عن كافر. قال: فدفعه ﷺ إليه^(١). وهذا الأمر من دلائل نبوة رسول الله ﷺ في امتناعه من إعطاء سيفه لعمر والزبير إذ فرّا في معركة أحد وحنين، وشارك الزبير في قتل سبعين مؤمناً في ليلة باردة بعد أن نقض اتفاقه مع والي البصرة سهل بن حنيف على الهدنة^(٢) وقبل المعركة حاول أبو سفيان خداع الانصار قائلًا: خلوا بيننا وبين ابن عمنا فنصرف عنكم فلا حاجة بنا إلى قتالكم فردّوا عليه بما يكره^(٣) وكان شعار المسلمين أمت، أمت.

وأمر رسول الله ﷺ عبدالله بن جبير على الرماة وهم خمسون رجلاً، وحملت خيل المشركين على المسلمين ثلاث مرّات كلّ ذلك تنضح بالنبل فترجع مفلولة.

شروع القتال

وحمل المسلمون على المشركين فنهكوهم قتلاً، وكان لواء المشركين عند طلحة بن عثمان من بني عبد الدار. ولواء المسلمين مع علي بن أبي طالب عليه السلام^(٤)

(١) تاريخ الطبري ٢/ ١٩٥، دلائل النبوة، البيهقي ٣/ ٣١٥.

(٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣/ ٢١٧.

(٣) تاريخ ابن الأثير ٢/ ١٥١.

(٤) كان لواء المسلمين مع علي عليه السلام في كل المعارك، مستدرك الحاكم ٣/ ١١١، مناقب، الخوارزمي ١/ ٢٢، الأرشاد،

وكان مع المشركين خمس عشرة امرأة يضربن بالدفوف خلف الرجال يحرصنهم
فقالت هند:

وبها بني عبد الدار وبها حماة الأدبار
ضرباً بكل بئار

وتقول:

إن تقبلوا نعانق ونفرش النمارق أو تدبروا نفارق فراق غير وامق.

من قتل حاملي ألوية الكفر؟

واقْتتلوا قتالاً شديداً، وقتل حامل لواء المسلمين علي بن أبي طالب عليه السلام حملة لواء
المشركين من بني عبد الدار، فسقط لواءهم ولم يجرؤ على حمله أحد^(١).
وطلب حامل لواء المشركين طلحة بن عثمان المهارزة فتقدم إليه علي عليه السلام.
فقد كان طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين قد قال: يَا معشر أصحاب محمد
إنكم تزعمون أن الله يعجلنا بسيوفكم إلى النار ويعجلكم بسيوفنا إلى الجنة، فهل منكم
أعجله بسيفي إلى الجنة أو يعجلني بسيفه إلى النار؟
فقام إليه علي بن أبي طالب عليه السلام.

فقال طلحة: لقد علمتُ يا قَضيْمُ أنه لا يجسر عليّ أحد غيرك، فصرعه علي عليه السلام فوق
كالثور يخور في دمه (كان علي عليه السلام في صباه في مكة يقضم أناف وآذان الصبيان
المهاجمين لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)^(٢). وجاء أيضاً:

فضربه عليّ رجله فقطعهما، فكشف طلحة عورته. وحلفه بالرحم ألا يقتله فتركه

→ المفيد ٤٨، الثقات، ابن حبان ٢٢٤ / ١ - ٢٢٥، البحار ٤٩ / ٢٠، الاوائل، أبو هلال ١ / ١٨٣، المصنف، عبد الرزاق
٢٨٨ / ٥، فتح الباري ٨٩ / ٦، أسد الغابة ٤ / ٢٠، الشافعي، أبو حمزة ٤ / ١٦٤، أنساب الاشراف ٢ / ١٠٦. ولما
كسرت يد علي عليه السلام في أحد أخذ به يده اليسرى فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إنه صاحب لوائي في الدنيا والآخرة تاريخ الخميس
٤٣٤ / ١، ذخائر العقبى ٧٥، شرح التجريد، القوشجي ٤٨٦.

(١) دلائل النبوة، البيهقي ٣ / ٢١٣، المعارف ١٥٩.

(٢) تفسير القمي، تاريخ ابن الاثير ٣ / ٢١٧.

الإمام عليه السلام ^(١).

إنَّ قوَّة رسول الله ﷺ وعلي عليه السلام ليست في الشجاعة فقط بل في ربط الشجاعة بالأخلاق، فأخلاق الإمام عليه السلام تتمثل في عدم قتل الفار والأسير ومن كشف عورته. فتقدم عثمان بن أبي طلحة وأخذ الراية فقتله الإمام علي عليه السلام.

ثم أخذ الراية أبو غدير بن عثمان بن أبي طلحة فقتله علي عليه السلام.

ثم أخذ الراية عبد الله بن أبي جميلة بن زهير فقتله الإمام علي عليه السلام.

ثم أخذ الراية أبو سعيد بن أبي طلحة فقتله الإمام علي عليه السلام.

وقبل موته كشف عورته أيضاً ^(٢).

ثم أخذها أرطاة بن شرحبيل فقتله الإمام علي عليه السلام.

ثم أخذها مولاهم صواب فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على رأسه فقتله.

ثم أخذ راية الكفار شريح بن قانط فقتله علي عليه السلام.

وسقطت الراية إلى الأرض فأخذتها عمرة بنت علقمة الحارثية فقبضتها. وأصحاب

اللواء المقتولون بلغوا أحد عشر رجلاً. قال الطبري وابن الزبير: وكان الذي قتل حاملي

اللواء علي عليه السلام ولولا لواء الحارثية أصبحوا يباعون في الاسواق بالثمن البخس ^(٣).

لذلك حقدت قريش على علي وآل علي عليه السلام واستمر هذا الحقد يغلي في دماء رجال

الحزب القرشي إلى يومنا هذا فقتلوهم في مواطن عديدة منها كربلاء. فقالت فاطمة بنت

محمد ﷺ: إنَّ ما جرى عليهم بعد وفاة رسول الله ﷺ قد كان بسبب الأحقاد البدرية

والترات الأحدية ^(٤).

وفرَّ المشركون فراراً مرّاً، وبقي خالد بن الوليد في فرقة من فرسان قريش منتظراً

فرصة نزول الرماة من جبلهم.

وفي معركة احد نادى أبو سعد بن أبي طلحة أيضاً صاحب لواء المشركين بين الصفيين:

(١) تفسير القمي ١/ ١١٣، تفسير الطبري ٤/ ١٦٦، تاريخ الطبري ٢/ ١٩٤، مغازي الواقدي ١/ ٢٢٦.

(٢) تاريخ الخميس ١/ ٤٢٧.

(٣) تاريخ الخميس ١/ ٤٢٧، تفسير القمي ١/ ١١٣.

(٤) المناقب، ابن شهر آشوب ٢/ ٢٠٣، البحار ٤٣/ ١٥٦.

أنا قاصم من يبارز برازاً، فلم يخرج إليه احد، فقال: يا أصحاب محمد زعمتم أن قتلاكم في الجنة وأن قتلانا في النار كذبتهم واللات، لو تعلمون ذلك حقاً لخرج إلي بعضكم، فخرج إليه علي بن أبي طالب عليه السلام فاختلفا ضربتين، فضربه علي فقتله^(١). وهو أول من كشف عورته أمام علي عليه السلام^(٢).

هزيمة المسلمين

وكانت فرقة الرماة قد تركت أمر رسول الله ﷺ في الثبات فوق الجبل وحماية ظهر المسلمين فنزلت لجمع الغنائم! فاستغل خالد وجنوده هذه الفرصة فهاجم المسلمين من الخلف وعادت فلول الكفار فاطبقوا الحصار على المسلمين وقتل وحشي حمزة وقُتل ثمانية وستون مسلماً ومن المشركين قُتل اثنان وعشرون كافراً^(٣).

ففر المسلمون إلى جبل أحد، وبقيت طائفة قليلة منهم مع رسول الله ﷺ.^(٤) ولما دارت الدوائر على المسلمين قال رسول الله ﷺ: من فرّ يوم الزحف فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير.

واختلفت الأحداث في معركة أحد، إذ دارت الدوائر على المسلمين لعدم طاعتهم أوامر الرسول ﷺ، فانهزموا من أرض المعركة، مخلفين النبي ﷺ مع بعض المسلمين في وسط عسكر الكفار؟!

وأجمعت الأخبار على انهزام عمر وأبي بكر وعثمان ومعظم المسلمين من أرض المعركة، وتركهم نبيهم محمداً ﷺ يلاقي سيف قريش الحاكمة عليه وعلى الإسلام. وذكر أبو القاسم البلخي أنه لم يبق مع النبي ﷺ يوم أحد إلا ثلاثة عشر نفساً خمسة من المهاجرين: أبو بكر وعلي وطلحة وعبد الرحمن وسعد بن أبي وقاص والباقون من الأنصار... وأما سائر المنهزمين فقد اجتمعوا على الجبل، وعمر بن الخطاب كان من

(١) سيرة ابن هشام ٣ / ٢٢٢، سيرة ابن كثير ٣ / ٣٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) تاريخ يعقوبي ٢ / ٤٨، تاريخ ابن الأثير ٢ / ١٤٩ - ١٦٤ تاريخ الطبري ٢ / ١٨٧ - ٢٠٨.

(٤) دلائل النبوة، البيهقي ٣ / ٢١٣، المعارف ١٥٩.

اولئك الفارين، كما في خبر ابن جرير^(١).

وذكر الفخر الرازي: «ومن المنهزمين عمر إلا أنه لم يكن في أوائل المنهزمين، ولم يبعد بل ثبت على الجبل إلى أن صعد النبي ﷺ؛ ومنهم أيضاً عثمان انهزم مع رجلين من الأنصار، يقال لهما: سعد، وعقبة، انهزما حتى بلغوا موضعاً بعيداً، ثم رجعا بعد ثلاثة أيام»^(٢).

وقد اعترف عمر بفراره في يوم أحد، إذ جاءت امرأة لعمر أيام خلافته، تطلب بُرداً من بُرود كانت بين يديه، وجاءت معها بنت لعمر، فأعطى المرأة ورداً ابنته. فقيل له في ذلك.

فقال: عمر إنَّ أب هذه ثبت في يوم أحد، وأب هذه (أي عمر) فرَّ يوم أحد، ولم يثبت^(٣) وهذه هي الصراحة. والشيء الملفت للنظر نزول قرآن في هؤلاء المنهزمين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾^(٤).

وذكر ذلك الزمخشري: «﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ طلب منهم الزلل، ودعاهم إليه ببعض ما كسبوا من ذنوبهم ومعناه: إنَّ الذين انهزموا يوم أحد، كان السبب في توليهم أنهم كانوا أطاعوا الشيطان، فاقترفوا ذنباً فلذلك منعهم التأييد وتقوية القلوب حتى تولوا». وقال السيوطي قال عمر: لما كان يوم أحد هزمونا، ففررت حتى صعدت الجبل، فلقد رأيتني أنزو كأنني أروى^(٥).

وقال النيسابوري: الذي تدل عليه الأخبار في الجملة، إنَّ نفرأ قليلاً تولوا وأبعدوا، فمنهم من دخل المدينة، ومنهم من ذهب إلى سائر الجوانب، ومن المنهزمين عمر^(٦).

(١) تفسير روح المعاني للآلوسي ٩٩/٤، أنساب الأشراف عن هامش كتاب المغازي ١٨/١.

(٢) مفاتيح الغيب ٥٢/٩، تفسير الفخر الرازي ٣٩٨/٣، السيرة الحلبية ٢٢٧/٢.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٢٢/١٥.

(٤) آل عمران: ١٥٥.

(٥) حياة الصحابة ٤٩٧/٣، كنز العمال ٢٤٢/٢، دلائل الصدق ٣٥٨/٢، تفسير ابن كثير ج ١.

(٦) تفسير غرائب القرآن ١١٢/٤-١١٣، بهامش تفسير الطبري.

«وكان خالد بن الوليد يُحدِّث وهو بالشام عن فرار عمر وعدم قتله له! قائلاً:
الحمد لله الذي هداني للإسلام! لقد رأيتني ورأيت عمر بن الخطاب حين جالوا
وانهزموا يوم أُحُد، وما معه أحد، وإنِّي لفي كتيبة خشناء، فما عرفه منهم أحدٌ غيري،
فنكبت عنه، وخشيت إن أغريتُ به من معي أن يصمدوا له، فنظرت إليه مُوجهاً إلى
الشَّعب»^(١). لكن لماذا لم يقتله؟!

الجواب: كان عمر مأموراً بقتل رسول الله ﷺ قبل وبعد إسلامه وخالد عارف بذلك!
وقال الطبري: «لَمَّا قَتَلَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَصْحَابَ الْأُلُويَّةِ، أَبْصَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
جَمَاعَةً مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، فَقَالَ لِعَلِيِّ أَحْمِلْ عَلَيْهِمْ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ فَفَرَّقَ جَمْعَهُمْ وَقَتَلَ
عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْجُمَحِيَّ، ثُمَّ أَبْصَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَمَاعَةً مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، فَقَالَ لِعَلِيِّ
إِحْمِلْ عَلَيْهِمْ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ فَفَرَّقَ جَمَاعَتَهُمْ، وَقَتَلَ شَيْبَةَ بْنَ مَالِكٍ أَحَدَ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ.
فَقَالَ جَبْرِيلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذِهِ الْمَوَاسَاةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّهُ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، فَقَالَ
جَبْرِيلُ: وَأَنَا مِنْكُمْ فَاسْمَعُوا صَوْتًا قَالَ ﷺ إِنَّهُ جَبْرِيلُ يَقُولُ:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي^(٢)

وقد حذف ابن كثير اسم جبريل واسم علي ﷺ من الرواية! حسداً لو صي المصطفى؟^(٣)
وكان ذو الفقار سيف علي ﷺ أنزله جبرائيل فكان به يحارب وحليته من فضة^(٤). وقال
ابن الأثير صار للنبي ﷺ فوهبه لعلي ﷺ^(٥).

والذين قتلوا بسيف علي ﷺ في معركة أُحُد أيضاً: أبو الحكم بن الأخنس، وأمّية بن
أبي حذيفة^(٦)، وعمرو بن عبد الله الجمحي وشيبة بن مالك^(٧).

(١) مغازي الواقدي ٢/ ٢٣٧، تفسير ابن كثير ١/ ٦٤٨.

(٢) تاريخ الطبري ٢/ ١٩٧، الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ١٥٤، شرح النهج، ١٤ / ٢٥٠، ٢٥١، مجمع الزوائد ٦ / ١١٤، ١٢٢، البحار ٢٠ / ٥٤، ٩٥، ١٠٥.

(٣) البداية والنهاية ٤/ ٥٤.

(٤) البحار ٤٢ / ٥٧.

(٥) الكامل في التاريخ ٢/ ١٣٧.

(٦) مغازي الواقدي ١/ ٣٠٧.

(٧) تاريخ الطبري ٢/ ١٩٧.

الملاحظ أن علياً عليه السلام وحده هجم على جيوش قريش وفرقها وقتل حاملي ألويتها. وكان ابن قميتة قد نادى قتلت محمداً واللات والعزى.

ووقع رسول الله ﷺ لشقه وشج رأسه وكسرت رباعيته وساح الدم غزيراً في وجهه وأصيب أمير المؤمنين عليه السلام في وجهه ورأسه وصدره وبطنه ويديه ورجليه تسعون جراحة فتحاموه.

وكانت هند بنت عتبة في وسط العسكر فكلما انهزم رجل من قريش رفعت إليه ميلاً ومكحلة وقالت: إنما أنت امرأة فاكتحل بهذا^(١).

وفضح أنس بن مالك المحسوب على حزب أبي بكر المنهزمين واخفى اسم أبي بكر قائلاً: إنتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم فقال: ما يجلسكم؟ قالوا قُتل محمد رسول الله.

قال أنس: فما تصنعون بالحياة بعده، قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل.

وجاء: «إن أنس بن النضر سمع نفرأ من المسلمين يقولون لمَّا سمعوا أن النبي قُتل: ليت لنا من يأتي عبد الله بن أبي بن سلول ليأخذ لنا أماناً من أبي سفيان قبل أن يقتلونا.

فقال لهم أنس: يا قوم إن كان محمد قد قُتل فإن ربَّ محمد لم يقتل، فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد. اللهم إني أعتذر إليك ممَّا يقول هؤلاء وأبرأ إليك ممَّا جاء به هؤلاء! ثم قاتل حتى قتل^(٢).

واضح من هذا النص وجود علاقة قويّة بين ابن أبي زعيم المنافقين وأبي سفيان رئيس الكفار، وكان الكفار لا يقتلون المنافقين المدسوسين في جيش المسلمين كما هو واضح في أقوال خالد بن الوليد وضرار بن الخطاب وسعيد بن العاص وهذا يبيّن قوّة

(١) تفسير القمي ١/ ١١٦.

(٢) تاريخ الطبري ٢/ ١٩٧، الكامل في التاريخ ٣/ ١٥٦، تاريخ الطبري ٢/ ٢٠١، مغازي الواقدي ١/ ٢٨٠، تفسير ابن

كثير ١/ ٦٤٩، السيرة النبوية، ابن كثير ٣/ ٦٨، تفسير القمي ١/ ١١٦.

جهاز الجاسوسية عند قريش وتقدمها في هذا المضمار.

ومعرفة المنافقين الجواسيس في جيش النبي ﷺ سهل جداً لعدم إقدام الكفار على قتلهم وعدم قتلهم للكفار وفرارهم في الحروب ومعاداتهم للرسول وأهل بيته وحبهم لقريش وبغضهم للأنصار.

وانتهت الهزيمة بجماعة من المسلمين فيهم عثمان بن عفان وغيره إلى الأعوص فأقاموا به ثلاثاً، ثم أتوا النبي ﷺ فقال لهم ﷺ حين رآهم: لقد ذهبتم فيها عريضة^(١). وقال ابن كثير: وفرَّ عثمان بن عفان وسعد بن عثمان رجل من الأنصار حتى بلغوا الجَلْعَب، جبل بناحية المدينة مما يلي الأعوص، فأقاموا ثلاثاً، ثم رجعوا، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال لهم: لقد ذهبتم فيها عريضة^(٢).

وقد ذكر ابن كثير (والمؤرخون وأصحاب السنن ومنهم البخاري) فرار عثمان بن عفان يوم بدر، واحد، وتغيبه عن بيعة الرضوان، لكنه عذره باعذار شتى^(٣) لا تنفع. إنَّ فرار عثمان البين في معارك أحد وحسين، وتخوفه من منازلة عمرو بن عبد ود العامري في معركة الخندق، وعدم مشاركته في حروب الردة، والفتح في زمن أبي بكر وعمر وأيام خلافته يثبت فراره في بدر^(٤).

والمجموعة التي استعدت لطلب الأمان من أبي سفيان، هي مجموعة عمر وأبي بكر الفارين فوق الجبل، وقد ذكر الذهبي هذه الحادثة قائلاً: انهزم الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحد فبقي معه أحد عشر رجلاً سبعة من الأنصار ورجلين من قريش^(٥). والرجلان هما علي بن أبي طالب وأبو دجانة^(٦).

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ١٥٨/٢، البداية والنهاية، ابن كثير ٣٢/٤، تاريخ الطبري ٢٠٣/٢.

(٢) السيرة النبوية، ابن كثير ٥٥/٣، البداية والنهاية ٣١/٤، ٣٢.

(٣) السيرة النبوية، ابن كثير ٥٥/٣، البداية والنهاية، ابن كثير ٣١/٤، ٣٢، وصحيح البخاري، كتاب المغازي في التاريخ ١٥٨/٢، كتاب المغازي ٢١ باب ح ٤٠٦٨.

(٤) راجع المثالب، ابن الكلبي ص ١٨٢.

(٥) تاريخ الإسلام للذهبي المغازي ص ١٩١، دلائل النبوة، البيهقي ٢٣٤/٣، صحيح مسلم ١٧٨/٥.

(٦) شرح نهج البلاغة ٢٩٣/١٣، وآخر عثمانية: ٢٣٩.

وقال الدكتور مارسدن جونز في مقدمة كتاب المغازي للواقدي ويظهر بوضوح أنَّ النصَّ في المخطوطة الأم، كان يذكر عثمان وعمر، أو عمر وحده، أو عثمان وحده، ممَّن ولوا الأدبار يوم أحد ولكنَّ الناسخ لم يقبل هذا في حقِّ عمر أو عثمان، فأبدل اسميهما أو اسم أحدهما بقوله: «فلان»^(١).

وذكر ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه عمر وعثمان بدل فلان من جملة الفارين^(٢). وذكر البلاذري عن الواقدي أسم عثمان، ولم يذكر عمر^(٣). وهذا من أدلة عمل النساخ في تغيير السيرة النبوية وفق أهوائهم، وحذف مثالب رجال الحزب القرشي.

وبعد أن ذكرت النصوص السابقة فرار سعد بن أبي وقاص ذكره الحاكم عن سعد نفسه: «لما جال الناس عن رسول الله ﷺ تلك الجولة تنحيت، فقلت: أذود عن نفسي، فأما أن استشهد وإما أن انجو.. إلى أن قال: فقال رسول الله ﷺ: أين كنت اليوم يا سعد؟ فقلت: حيث رأيت»^(٤). فيكون سعد ممَّن فرَّ يوم أحد! ولما رجع سعد بن أبي وقاص من بئر معونة قال له رسول الله ﷺ: ما بعثتك قط إلا رجعت إليَّ من بين أصحابك^(٥).

وكان المثنى بن حارثة الشيباني شجاعاً وبعدهما قُتل^(٦) تزوج سعد بن أبي وقاص زوجته (سلمى بنت جعفر) فوجدت سلمى تراجعاً وجنباً من سعد في القادسية فقالت: واُمُثَيَّاه، ولا مُثَنَّى للمسلمين اليوم! فلطمها سعد.

فقالت: أغيرةٌ وجُبْناءٌ؟!

(١) مغازي الواقدي، ج ١، مقدمة مارسدن جونز ص: ١٨.

(٢) شرح النهج ٣/٢٩٠ طبع دار الكتب العلمية، مصر.

(٣) أنساب الأشراف ١/٢٢٦.

(٤) مستدرك الحاكم ٣/٢٦.

(٥) مغازي الواقدي ١/٣٥٢.

(٦) بيد سعد راجع كتاب اغتيال الخليفة أبي بكر للمؤلف.

فذهبت مثلاً^(١). فعُرف جبن سعد في أمثال العرب!
 وذكر محمد حسنين هيكل في كتابه: أن أبا بكر وعمر كانا ممّن فرّ في معركة أحد^(٢).
 وممّا يؤيد فرار أبي بكر وعمر في معركة أحد ما جاء في شرح النهج حيث قال:
 حضرت عند محمد بن معد العلوي الموسوي الفقيه، في داره بدرب الدواب ببغداد، في
 سنة ثمان وستماية، وقارئ يقرأ عنده مغازي الواقدي، فقرأ حدّثنا الواقدي عن ابن أبي
 سير عن خالد بن رباح عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد، قال: سمعت محمد بن سلمة
 يقول: سمعت أذناي ورأت عيناي رسول الله يقول يوم أحد، وقد انكشف عنه الناس إلى
 الجبل، وهو يدعوهم ولا يلوون عليه:

إلّٰي يا فلان إلّٰي يا فلان أنا رسول الله فما عرج عليه أحد منهما، ومضيا مع من مضى
 عنه؟ فقال هذه كناية عنهما فأشار ابن معد إلّٰي أي إسمع، فقلت وما في هذه فقلت له
 ويجوز أن لا يكون عنهما لعلّه عن غيرهما.
 فقال: ليس في الصحابة من يحتشم ويستحي من ذكره باسمه بالفرار، وما شابهه من
 العيب، فيضطر القائل إلى الكناية إلّا هما (أي أبو بكر وعمر). قلت: هذا وهم.
 فقال: دعنا من جدلك ومنعك، ثمّ حلف بالله إنّ الواقدي ما عنى غيرهما، ولو كان
 غيرهما لذكره صريحاً، وبان في وجهه التنكّر من مخالفتي له^(٣).
 وقال الأستاذ محمد حسنين هيكل: وكان أكبر همّ كل مسلم أن ينجو بنفسه إلّا من
 عصم الله أمثال علي بن أبي طالب^(٤).

ولم يفرّ رسول الله ﷺ من القتال وما ادّعاه البعض فهو للتمويه على فرار الآخرين
 فقد نزل قرآن في الفارين. وكيف يفر وقد انزل الله في الفارين ما أنزل.
 وثانياً قال الواقدي: وصل رسول الله ﷺ إلى الشعب مع أصحابه فلم يكن هناك

(١) أسد الغابة ٦٠/٥.

(٢) حياة محمد، هيكل ٣٠٩.

(٣) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ٣/٣٩٠ طبع مصر دار الكتب العربية الكبرى.

(٤) حياة محمد، محمد حسنين هيكل ص ٣٠٩.

قتال^(١).

ولم يصعد المسلمون إلى قمة الجبل، بل بقوا في سفحه، فقد قال الواقدي: إن المسلمين لم يصعدوا الجبل وكانوا في سفحه، ولم يجاوزوه إلى غيره وكان فيه النبي ﷺ^(٢). فسأل أبو سفيان علياً رضي الله عنه عن مقتل محمد ﷺ فقال علي رضي الله عنه: والله ما قُتل محمد ﷺ وهو يسمع كلامك فقال أبو سفيان: أنت أصدق، لعن الله ابن قميته زعم أنه قتل محمداً. وقال أبو سفيان: إن موعدنا وموعدكم في عام قابل فقال رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين رضي الله عنه: قل نعم^(٣).

ونزلت في أحد: ﴿إِنْ يَمْسَسْكَ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلَهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾^(٤).

(أولمّا أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم)^(٥).

ونزلت أيضاً: «منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة»^(٦).

فكان تركهم للجبل لجمع الغنائم الطامة الكبرى لهم إذ قتلهم المشركون وتركوهم صرعى على الغنائم! فقال ابن مسعود: ما شعرت أن أحداً من أصحاب النبي ﷺ كان يريد الدنيا وعرضها حتى كان يوم أحد^(٧).

وقد قال الإسكافي عن أبي بكر أنه: لم يرم بسهم قط ولا سل سيفاً ولا أراق دمًا، وهو أحد الأتباع غير مشهور ولا معروف ولا طالب ولا مطلوب. ورد الإسكافي على الجاحظ بقوله: «أما ثباته (أبو بكر) يوم أحد، فأكثر المؤرخين وأرباب السير ينكرونه»^(٨). فرغب الطلقاء وأحزاب الخندق في زعامته في السقيفة وخالفه أهل

(١) معاذي الواقدي ٢٨١/١.

(٢) معاذي الواقدي ٢٧٨/٢.

(٣) تفسير القمي ١١٧/١ - ١٢٤.

(٤) آل عمران ١٤٠.

(٥) آل عمران ١٦٥.

(٦) آل عمران ١٥٢.

(٧) تفسير الطبري ٤ / ١٧٤.

(٨) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٢٩٣/١٣، وآخر العثمانية ص ٣٣٩.

البيت ﷺ والأنصار!

ومن أدلة فرار أبي بكر يوم أحد ما أعترف به هو نفسه، إذ ورد عن عائشة: «كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد بكى ثم قال: ذاك كان يوم طلحة... ثم أنشأ يحدث، كنت أول من فاء (فرَّ) يوم أحد، فرأيت رجلاً يقاتل مع رسول الله ﷺ فقلت: كن طلحة، حيث فاتني ما فاتني، يكون رجلاً من قومي^(١)».

وسوف يظهر قريباً أنَّ طلحة التيمي قد فرَّ أيضاً مع أبي بكر وعمر!! وفي هذا النص اعترف أبو بكر بفراره قائلاً: فاتني أي الاشتراك في الحرب، وبكى من هروبه ذاك.

قال الأمير أسامه بن منقذ: «لَمَّا دَوَّنَ عمر الدواوين، جاء طلحة بنفر من بني تميم يستقرض لهم. وجاء انصاري بسلام مصفر سقيم، فسأل عنه عمر، فأخبر أنه البراء بن أنس ابن النضر، ففرض له في أربعة آلاف، وفرض لأصحاب طلحة في ست مئة، فاعترض طلحة.

فأجابه عمر: إنِّي رأيت أبا هذا جاء يوم أحد، وأنا وأبو بكر قد تحدَّثنا: أنَّ رسول الله قُتِل، فقال: يا أبا بكر ويا عمر: مالي أراكما جالسين؟ إن كان رسول الله قُتِل فإنَّ الله حيٌّ لا يموت^(٢)!

وهكذا أبطل عمر قول أبي بكر بشبَّات طلحة التيمي في معركة أحد واثبت بانه كان مع أبي بكر الفار فوق الجبل، يتحدث بأنَّ محمداً ﷺ قد مات. أمَّا أنس بن النضر فقد ثبت. وقالت المعتزلة: ذلك الذنب (الفرار) إن كان من الصغائر جاز العفو عنه من غير توبة، وإن كان من الكبائر لم يجز إلا مع التوبة^(٣).

فَقُتِل حمزة بن عبد المطلب بواسطة وحشي غلام جبير بن مطعم الذي اغرته هند أم معاوية بنفسها وجواهراتها. وأراد جبير من مطعم قتل رسول الله ﷺ أو حمزة أو

(١) طبقات ابن سعد ٣/١٥٥، السيرة النبوية لابن كثير ٣/٥٨، كنز العمال ١٠/٢٦٨، تاريخ الخميس ١/٤٣١، حياة الصحابة ١/٢٧٢، دلائل الصدق ٣٥٩، البداية والنهاية ٤/٣٣، تاريخ الإسلام، الذهبي، كتاب المغازي ص ١٩١، تفسير ابن كثير ١/٦٥٤، المستدرک، الحاكم ٣/٢٧.

(٢) لباب الآداب ١٧٩، حياة محمد ﷺ لهيكل ٢٦٥، تاريخ الطبري ٢/١٩٩.

(٣) تفسير الفخر الرازي ٣/٣٩٩.

علي عليه السلام بعمه طعيمة بن عدي^(١).

وقال أبو سفيان بعد اسلامه في منطقة معركة احد: والآن لو وجدت رجالاً^(٢)

واستمر الأمويون في حقدهم على حمزة والإسلام ففي أيام عثمان ضرب أبو سفيان

قبر حمزة برجله قائلاً: يا أبا عمارة إن الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمسى في يد

غلماننا اليوم يتلاعبون به^(٣).

وأجرى معاوية الماء على قبر حمزة وباقي قبور الشهداء في احد فقال جابر

الانصاري:

فلقد رأيتهم يحملون على أعناق الرجال كأنهم قوم نيام، وأصابته المسحاة طرف

رجل حمزة فانبعث دم^(٤).

وقد حرّم رسول الله ﷺ المثلة بالانسان^(٥).

وبكى رسول الله ﷺ على حمزة قائلاً: أما حمزة فلا بواكي له^(٦).

ومنع عمر للبكاء نابع من محاولته منع فاطمة رضي الله عنها من البكاء على أبيها رسول الله ﷺ

الذي فيه معانٍ سياسية كثيرة على رأسها توجيه الأنظار إلى قاتليه ومخالفه سياسته من

رجال الحزب القرشي. ونظريته تتمثل في تحريم البكاء على من قتلهم الحزب القرشي.

وقتل من المسلمين تسعة وسبعون رجلاً وقتل من المشركين ستة عشر.

(١) السيرة الحلبية ٢ / ٢١٧، المغازي، الواقدي ٢ / ٢٨٥، وبعدما أسلم وحشي استمر في شرب الخمر فطرد من

الديوان واستمر في ذلك إلى أن مات غريقاً في بركة خمر في دمشق، السيرة الحلبية ٢ / ٢٤٩، تاريخ الخميس

١ / ٤٢٦، سيرة ابن هشام ٣ / ٩٧.

(٢) ربيع الإبرار ١ / ٥٥٩.

(٣) شرح النهج ٤ / ٥١، قاموس الرجال ١٠ / ٨٩، ٥ / ١١٦.

(٤) السيرة الحلبية ٢ / ٢٥٠، تاريخ الخميس ١ / ٤٤٣، المغازي، الواقدي ١ / ٢٦٧، ٢٦٨، دلائل النبوة، البيهقي

٣ / ٢٩١، دلائل النبوة، أبو نعيم ٤٤٩، طبقات ابن سعد ٣ / ٥.

(٥) سنن البيهقي ٩ / ٦٩، سنن البخاري ٣ / ٣١، المصنف ٩ / ٢٥٩، المغازي، الواقدي ١ / ٢٩٠.

(٦) السيرة الحلبية ٢ / ٨٩، الإصابة ٢ / ٢٥١، طبقات ابن سعد ٣ / ٣٩٦، ٢ / ٣١٣.

الدلائل والعبر

إن طاعة القائد (رسول الله ﷺ) تسببت في انتصار المسلمين في بداية المعركة، ولما خالف حراس الجبل أوامر رسول الله ﷺ غلبوا وهزموا. واستمرت تلك الحادثة في أذهان المسلمين دالة على خطورة المعصية.

وبعد ما خسر المسلمون معركة أحد قرر رسول الله ﷺ بحكمته ملاحقة قوات العدوان والاجتماع في حمراء الأسد في اليوم الثاني، وخرج المقاتلون وكلهم رغبة في الانتقام من المشركين، فخاف أبو سفيان وجنوده بحيث أعطى أبو سفيان أحد الأعراب إيلاً كثيرة مع حملتها على أن يمنع رسول الله ﷺ من ملاحقتهم. فكذب ذلك الاعرابي كذبة تتمثل في وصول قوات أخرى لقريش وهم في الروحاء على بعد خمسة وثلاثين ميلاً من المدينة.



ولاحق النبي ﷺ الكفار.

وفر أبو سفيان ورجاله فراراً منكراً حول معه انتصارهم إلى هزيمة، وتحولت هزيمة المسلمين إلى نصر واقام المسلمون هناك ثلاثة أيام وأخذوا أبا عزة الجمحي أسيراً. وبعد عودة رسول الله ﷺ والمسلمين إلى المدينة أعطى النبي ﷺ سيف علي عليه السلام لفاطمة عليها السلام قائلاً:

خذي يا فاطمة فقد أدّى بملك ما عليه اليوم، وقد قتل الله بسيفه صناديد قريش^(١).
أمّا أبو عزة فلقد أسره المسلمون في بدر وأطلقه الرسول ﷺ لبناته الخمس! بعد أخذه عليه العهد أن لا يعود لحرب المسلمين، وأن لا يظهر عليه أحد، فنقض ذلك. فأمر الرسول ﷺ بقتله.

ومن الناحية التربوية والفقهية حرم الرسول النظر الى العورة وكشفها والتمثيل بالموتى بينما وقعت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ يجدعن الأذان والأنوف حتى اتخذت هند من آذان الرجال وآنفهم

(١) الأرشاد، المفيد ٥٤، البحار ٢٠ / ٨٨ مجمع البيان ٢ / ٥٣٩.

خدماً وقلائد وأعطت خدمها وقلائدها واقراطها وحشياً وبقرت كبد حمزة فلاкте فلم تستطع أن تسيغه فلفظته^(١).

ومن العبر أن المنافقين من جواسيس قريش ومنافقي الأنصار لم يشتركوا في المعركة وبيئت الحرب الصادقين وفضحت الفاسقين، وقال النبي ﷺ لعثمان الفار لمدة ثلاثة أيام: لقد ذهبت بها عريضة^(٢).

مقتل رقية ربيبة النبي ﷺ

هي رقية بنت هالة^(٣) بنت خويلد وخالتها خديجة ولما مات أبوها وامها أصبحت ربيبة رسول الله ﷺ.

وتزوجها في مكة عتبة بن أبي لهب، ثم طلقها بأمر أبيه وأمه حمالة الحطب^(٤). ثم طلب عثمان من رسول الله ﷺ أن يزوجه رقية ويدخل الاسلام، فتألفه رسول الله ﷺ وزوجه اياها.

ثم ساءت علاقته بها مثلما ساءت علاقة عثمان برسول الله ﷺ وعلي ﷺ وعمار بن ياسر وصحابة رسول الله ﷺ ولم يذب عثمان في الاسلام كما ذاب عمار وسلمان والمقداد وأبو ذر وسعد بن عباد ففي معركة بدر امتنع عثمان من المشاركة فيها فغيره بذلك عبدالرحمن بن عوف وابن مسعود والمقداد^(٥).

واستنقص هؤلاء الصحابة لعثمان يثبت فراره ولا يترك المجال للشك في هذا الموضوع إذا استمروا في تغييره بذلك الأمر على مدى سنوات عديدة ولم يتخلص عثمان من تلك القضية حتى في أواخر سني عمره.

(١) عيون الأثر ١/ ٤٢٤.

(٢) تاريخ ابن الأثير ٣/ ١٥٨.

(٣) زبدة البيان، الاردبيلي ٥٧٥.

(٤) البحار ٢١/ ٣٦٩.

(٥) شذرات الذهب ١/ ٢٤٦، تاريخ المدينة المنورة ٣/ ١٠٣٣، شرح النهج ١/ ٦٦.

ولا يمكن اجتماع هؤلاء الصحابة على الكذب خاصة وان جميع كتب السيرة والحديث والتفسير تتفق على فرار عثمان في معركة بدر^(١).

ولم تتمكن المؤسسة الأموية من الوقوف أمام تلك الاحاديث المتواترة.

وقد حدثت معركة بدر في السنة الثانية للهجرة.

وفي السنة الثالثة للهجرة حدثت معركة احد، وفي تلك السنة فر عثمان بن عفان فراراً لم يفره باقي الصحابة إذ عاد بعد نهاية الحرب بثلاثة أيام لذهابه إلى منطقة الجلب ف قال له ولصحبه رسول الله ﷺ:

لقد ذهبتم بها عريضة^(٢).

وفي هذه الحادثة الثانية ايضاً كانت الاحاديث متواترة والأخبار شائعة بما لا مجال للشك والظن فيها فذكر فرار عثمان في معركة احد الكتاب الأمويون وغيرهم .

فأصبح عثمان الأموي معروفاً بالهزيمة بين صحابة رسول الله ﷺ ومن الطبيعي ان يكون مهاناً ومطروداً عن المنزلة الرائدة والفاضلة التي حصل عليها سائر المسلمين المشاركين في تلك المعركتين.

ومن الطبيعي أن تكون نظرة المسلمين له نظرة شكٍ وريبة سيما وإنه من اعوان القرشيين عامة والامويين خاصة، ودعمت هذه النظرية وجود أبي سفيان الأموي زعيماً لقريش وقائداً لجيشها.

فكثرت وازدادت النقمة الإسلامية على عثمان الفار في معركتين عظيمتين بين الموحدين والكافرين وشاعت الطعون عليه فلم يتمكن من القضاء عليها حتى في أيام حكومته، رغم مرور اكثر من ثلاثين سنة على هاتين الواقعتين.

ورغم القوة القاهرة التي كان يتمتع بها والمعتمدة على البطش والقتل والتبديد وقطع الموارد المالية والطرود من المناصب الحكومية عيَّره الصحابة في خلافته بإنتهاكاته

(١) شذرات الذهب ١ / ٢٤٦، تاريخ المدينة ٣ / ١٠٣٣، شرح النهج ١ / ٦٦.

(٢) سيرة ابن كثير ٣ / ٥٥، البداية والنهاية ٤ / ٣٢، ٣١.

العديدة للتشريع الاسلامي والدماء الكثيرة التي هدرها.
وهكذا أصبح اسم عثمان بن عفان في القائمة الأموية بعد مرور فترة قصيرة على
مكث المسلمين في المدينة.
والذي فجر الاحداث قضية معاوية بن المغيرة بن أبي العاص الأموي فهذا الرجل كان
مع قريش في معركة احد التي انتصر فيها المشركون.
ثم قام مع هند بنت عتبة بتمزيق اوصال حمزة سيد الشهداء^(١).
وبعد انسحاب جيش المشركين بقي معاوية بن المغيرة يتجسس أخبار المسلمين
وتحركاتهم العسكرية مما أوقعه في مأزق وخاف وقوعه بأيدي المسلمين أسيراً فجاء
إلى بيت عثمان بن عفان.
ورغم الواجب الديني الداعي لطرد ذلك المجرم الخطير فقد قام عثمان بن عفان
بإخفائه في زاوية من زوايا بيته.
وهذا العمل بين تفضيل عثمان لبني أمية على رسول الله ﷺ، وهذا الحب الأموي
استمر طيلة حياة عثمان قبل وبعد زمن حكمه وقد قال عثمان رأيه بصراحة في
هذا الأمر. والمدهش في قضية معاوية بن المغيرة الأموي ذهابه إلى بيت عثمان بن
عفان دون تردد .
وهذا الأمر لا يحدث إلا إذا كان عثمان منسجماً مع السيرة الأموية وكيف لا يكون
منسجماً معها وهو الذي امتنع من محاربة قريش في بدر واحد.
وباختفاء جاسوس قريش في بيت عثمان أصبح ذلك البيت وكرّاً لجواسيس
المشركين .

وأخباره النبي ﷺ بهذه القضية سيكون قطعاً من دلائل النبوة له ﷺ.
وقال عثمان لزوجته رقية: لا تخبري أباًك .
فقالت: ما كنت لأكتم النبي ﷺ عدوه^(٢).

(١) السيرة الحلبية ٢ / ٢٦٠، أنساب الاشراف ١ / ٣٣٧.

(٢) الكافي ٣ / ٢٥١.

فنزل جبرئيل من السماء وأخبر الرسول ﷺ باخفاء عثمان لمعاوية في بيته فأرسل ﷺ مجموعة من الصحابة إلى بيت عثمان فاخرجوا معاوية منه، وجاءوا به إلى رسول الله ﷺ.

فجاء عثمان وتوسل برسول الله ﷺ للصفح عن معاوية، فتركه ﷺ وأمهله ثلاثة أيام للخروج من المدينة وأقسم النبي ﷺ على قتله إن وجدته في أطرافها، وسار رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد.

لكنه لم يخرج منها وبقي في أطراف المدينة يتجسس أخبار جيوش المسلمين؛ فأخبر جبرائيل رسول الله ﷺ بذلك فأرسل علياً ﷺ وعماراً فقتله علي ﷺ^(١). وبعد مقتل معاوية بن المغيرة الأموي ثارت ثائرة عثمان بن عفان على رقية لدرجة أن تناول عليها ضرباً وقال: أنتِ أخبرت أباك بمكانه.

فبعثت إلى النبي ﷺ ثلاث مرّات تشكو ما لقيت والنبي ﷺ لا يستجيب. وفي الرابعة أرسل النبي ﷺ علياً ﷺ ليأتي بها؛ فإن حال بينه وبينها أحد فليحطمه بالسيف، فأخرجها علي ﷺ.

فلما نظرت إلى النبي ﷺ رفعت صوتها بالبكاء، وبكى النبي ﷺ وأخذها إلى منزله وأرتهم ما بظهرها ثم ماتت رقية في اليوم الرابع. وبات عثمان ملتحفاً بجاريته^(٢).

وورد في دعاء شهر رمضان ذكر لهذه الحادثة حيث جاء:
«اللهم صلّ على أم كلثوم بنت نبيك والعن من أذى نبيك فيها»^(٣).
وأم كلثوم هو كنية رقية.

(١) السيرة العلية ٢ / ٢٦٠، النزاع والتخاصم ٢٠، أنساب الأشراف ١ / ٣٢٧، شرح النهج ١٥ / ٤٦، ٤٧، البحار ٢٠ / ١٤٥، البداية والنهاية ٤ / ٥١.

(٢) الكافي ٣ / ٢٥١ - ٢٥٣ - الإصابة ٤ / ٣٠٤، الإشتياع المطبوع بهامش الإصابة ٤ / ٣٠١، قاموس الرجال ١٠ / ٤٠٨ - ٤٠٩.

(٣) رجال المامقاني ٣ / ٧٤، قاموس الرجال ٦ / ٤٠٦، ٤٠٧، الصحيح من سيرة النبي، جعفر مرتضى العاملي.

«وانتقصت عائشة عثمان بفعله ذاك (قتله رقية) قائلة: ولكن كان منك فيها ما قد علمت»^(١)

ولقد لفت نظري شدة تأثر عثمان لابن عمه معاوية بن المغيرة إذ لم يكتفِ بقتل رقية بل جامع جاريتها في ليلة قتلها! وهذا فعل لا يغفر ولقبح الجريمة فقد أخبر جبرئيلُ النبي ﷺ بذلك.

الانتقام النبوي

ومن الطبيعي اشتداد حزن رسول الله ﷺ على ربيته المظلومة المقتولة في سبيل الله والشهيدة في طريق الإسلام.

فكيف إذا اضيف إلى ذلك نكاح عثمان لجاريتها في ليلة موتها وقبل دفنها فرغب رسول الله ﷺ في الانتقام لها على طريقته الخاصة فكان اعظم عقوبة نبوية لعثمان .
إذ قال رسول الله ﷺ لا يتبعنا أحد الم (نكح) بجاريتها البارحة^(٢) قال ذلك أمام المشيعين من الصحابة.

فعند ذلك عرف عثمان بانه المقصود بذلك الكلام النبوي. فكان موقفاً محرّجاً له وخطيراً فهو بين أمرين:

الأول: البقاء ضمن المشيعين وهذا ما يدفع بالرسول ﷺ للإشارة إليه بانه هو المقصود بكلامه.

والثاني: العودة إلى بيته وترك مراسم التشيع وسيكون ذلك أمام انظار المشيعين الآخرين، فعندها يشترك المسلمون في تشيع رقية ويطرد زوجها فقط!
وهذه ضربة قوية لسمعة عثمان ومنزلته الاجتماعية والسياسية.

وقد انتخب عثمان الطريقة الاولى فبقي في صفوف المشيعين غير مهتم لقول رسول

(١) قاموس الرجال ١٠ / ٤٤٠.

(٢) سنن البخاري طبع سنة ١٣٠٩، ١ / ١٥٢، ١٤٦ مستدرک الحاكم ٤ / ٤٧، الإصابة ٤ / ٣٠٤، الروض الأنف ٣ /

١٢٧، فتح الباري ٣ / ١٢٧، البداية والنهاية، ٥ / ٤٧، الكافي ٣ / ٢٥٢، ٢٥٣.

الله ﷺ والَاخْبَار السَّامَوِي .

فكرر النبي ﷺ القول ثلاث مرّات فلما كان في الرابعة قال ﷺ: لينصرفن أو لأسميته باسمه.

فأقبل عثمان متوكئاً على مولى له فقال: إني أشتكي بطني. فقال ﷺ: انصرف^(١) وقال أحمد بن حنبل: فلعه رسول الله ﷺ خمس مرّات! ومنعه ﷺ من حضور مراسم تشييعها ودفنها قائلاً: لا يتبعنا أحد ألم بجاريته البارحة لأجل أن عثمان ألم (جامع) بجارية رقية، فرجع عثمان بدعوى ألم في بطنه^(٢).

وقال ابن حبيب: إن السر في إثارة أبي طلحة على عثمان (في نزول قبرها) أن عثمان كان قد جامع بعض جواريه في تلك الليلة فتلطف ﷺ في منعه النزول في قبر زوجته بغير تصريح^(٣).

وقال الكليني في الكافي: إن رقية لما قتلها عثمان وقف النبي ﷺ على قبرها ورفع رأسه إلى السماء فدمعت عيناه وقال للناس: إني ذكرت هذه وما لقيت فرقت لها واستوهبتها من ضمة القبر^(٤).

وذلك الطرد النبوي لعثمان من مراسم دفن زوجته هو أعظم عقوبة ينالها مسلم. وهذه العقوبة هي التي شجعت المسلمين على الثورة عليه والنيل منه ثم تركه جثة هامدة على مزابل المسلمين ثلاثة أيام ثم دفنه في مقابر اليهود^(٥).

ورغم هذه العقوبة فقد استمر عثمان في نهجه الأموي فبدل رجوعه عن ذلك مضى في عمله انتقاماً لذلك! وكان مع عمر يمنع الناس من دفنه ﷺ ويناديان بعدم موته وذهابه إلى ربّه!^(٦) وامتنع عن حضور مراسم دفن رسول الله ﷺ.

(١) الكافي ٣ / ٢٥١ - ٢٥٣، الإشتعاب المطبوع بهامش الإصابة ٤ / ٣٠١، قاموس الرجال ١٠ / ٤٠٨ - ٤٠٩، الإصابة ٤ / ٣٠٤.

(٢) مسند أحمد برواية الصراط المستقيم ٣ / الباب ١٢ / ٣٤، المستدرک، الحاكم ٤ / ٥٢، الأربعين، القمي الشيرازي ٥٨٧.

(٣) فتح الباري ٣ / ١٢٧.

(٤) قاموس الرجال ١٠ / ٤٣٩.

(٥) تاريخ يعقوبي ٢ / ١٧٦.

(٦) العثمانية، الجاحظ ٢٩.

اي ان رسول الله ﷺ قتل معاوية بن المغيرة، وعثمان قتل رقية واحدة بواحدة! ولكن اين معاوية من رقية، فمعاوية مجرم حارب المسلمين ومثل بجسد حمزة سيد الشهداء وتجسس على المسلمين، ورقية لم ترتكب ذنباً ولم تقتل احداً. ثم لم يعين رسول الله ﷺ عثمان في اى منصب حكومى. ولم يقر عثمان بالجريمة وعفا الرسول عنه باعتباره ولى الدم.

الانتقام العثماني

ان عثمان الأموي سار على المنهج القبلي البعيد عن العدل فقتل فرداً من الافراد المحسوبين على القبيلة التي قتلت ابن عمه. والآنكى من ذلك ان عثمان لم يصدق المقولة النبوية بإخبار جبرئيل له بوجود معاوية بن المغيرة في بيت عثمان وأصرَّ على اعتقاده المبني على أخبار رقية للنبي ﷺ بذلك وهذا شيء خطير لان الإسلام يؤمن بالأخبارات الغيبية وبنفيها ينتفي الإسلام، إذ قال تعالى: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾^(١). وانتقم عثمان بن عفان مرة ثانية لنفسه بالمشاركة مع معاوية في الهجوم على بيت فاطمة بنت محمد ﷺ وقتلها^(٢).

فيكون عثمان قد قتل رقية ربيبة النبي ﷺ وشارك في قتل فاطمة بنت النبي ﷺ. وانتقم عثمان من علي عليه السلام قاتل معاوية بن المغيرة^(٣) بالافعال السابقة التي فعلها عثمان ضد رسول الله ﷺ وابنته فاطمة رضي الله عنها، وما فعله من اغتصاب خلافته وهضم حقوقه وانتقاص منزلته.

ولما كان عمار بن ياسر هو الشخص الثاني المشارك في قتل الكافر معاوية بن المغيرة

(١) البقرة ٢، ٣.

(٢) الاختصاص للمفيد ١٨٤-١٨٧.

(٣) الكافي ٣/ ٢٥١ - ٢٦٣.

الأموي فقد انتقم منه عثمان بن عفان إذ هجم عليه بنفسه في صلاة الجمعة في مسجد رسول الله ﷺ فضربه بيده ورجله ففتق بطنه^(١).

ثم قتله الأمويون في معركة صفين وشوهوا سمعته فابرزوه في صورة عبد الله بن سبأ^(٢).

واستفحل العداء بين الهاشميين والأمويين فشارك معاوية بن أبي سفيان في الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام وقتلها.

وثأر المشركون لقتلهم في بدر في معركة أحد، فعبث يزيد بن معاوية برأس الحسين بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ انتقاماً لبدر ومقتل معاوية بن المغيرة قاتلاً:

ليت اشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل^(٣)
لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من ساداتهم وعبدلناه ببدر فاعتدل
لعبت هاشم بالملك فيلا خبر جاء ولا وحسي نزل
لست من خندف إن لم انتقم من بني أحمد ما كان فعل^(٤)

فقالت له زينب: ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوء أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤون^(٥).

وانتقم لاحقاً عبد الملك بن مروان (حفيد معاوية بن المغيرة) لجده بظلمه لأهل البيت عليهم السلام ومطاردتهم وقتلهم.

أي ان الأمويين (عثمان ومعاوية بن أبي سفيان ويزيد وعبد الملك بن مروان) قد انتقموا لقتلهم مرات عديدة في بدر واحد رغم موتهم على الكفر واعمالهم المخزية.

والإعتداء على النساء عادة قرشية جاهلية ارتكبوها بحق رقية وفاطمة عليهما السلام وفعلوها

(١) البحار ٣١ / ١٩٤، شرح النهج ١ / ٢٣٩، المعتمد الفريد ٢ / ٢٧٢، الشافعي، المرتضى ٤ / ٢٩١.

(٢) راجع كتاب عبد الله بن سبأ لمرتضى العسكري.

(٣) الأسل: السيف.

(٤) اعلام النساء ١ / ٥٠٤، البداية والنهاية ٨ / ١٩٢.

(٥) بحار الانوار ٤٥ / ١٣٣.

مع زينب ربيبة رسول الله ﷺ وكانت حامل إذ هجم عليها عمرو بن العاص وهبار بن الأسود في الطريق بين مكة والمدينة فاسقطت جنينها^(١).

روايات واحاديث مزيفة

وكرت الاكاذيب الأموية في سبب تخلف عثمان عن معركة بدر فمرة قالوا: بتخلفه عن بدر لانه كان مريضاً بالجدرى^(٢).

ومرة قالوا انه تخلف لتمرّض رقية واعطاه رسول الله ﷺ سهمه^(٣).

وهذه من اكاذيب الأمويين لان النبي ﷺ لم يسهم له بشيء ولم يسهم لكل الفارين. وأسهم فقط لأبي امامة بن ثعلبة الذي بقي لتمرّض أمه بأمر النبي ﷺ فضرب له ﷺ بسهمه وصلى ﷺ على قبرها بعدما عاد من بدر^(٤).

وفي يوم الشورى بعد موت عمر قال علي بن أبي طلحة وعثمان وباقي اعضاء الشورى: أفيكم أحد كان له سهم في الحاضر وسهم في الغائب؟ قالوا: لا^(٥).

وقد عيّره عبد الرحمن بن عوف عدّة مرات بفراره عن بدر فقد قال الوليد بن عقبة له: مالي أراك جفوت أمير المؤمنين عثمان؟ فقال له عبد الرحمن: أبلغه أنني لم أفر يوم عنين (أحد) ولم اتخلف عن بدر ولم أترك سنة عمر^(٦).

(١) شرح النهج ٦ / ٢٨٢، ١٤ / ١٩٢، الإصابة ٣ / ٥٨، أسد الغابة ٥ / ٣٨٤.

(٢) السيرة النبوية ٢ / ١٨٥، ١٤٦.

(٣) شذرات الذهب ١ / ٢٤٦.

(٤) الإصابة ٤ / ٩، الإستيعاب بهامش الإصابة ٤ / ٤، السيرة الحلبية ٢ / ١٤٧.

(٥) اللآلئ المصنوعة ١ / ٣٦٢، الضعفاء الكبير ١ / ٢١١ - ٢١١، ترجمة الإمام علي من تاريخ ابن عساكر بتحقيق المحمودي ٣ / ٩٣.

(٦) مستند أحمد ١ / ٦٨، الدر المنثور ٢ / ٨٩، مغازي الواقدي ١ / ٢٧٨، محاضرات الادباء ٢ / ١٨٤، شرح النهج

في حين كان عبد الرحمن بن عوف أقرب الناس لعثمان فقد آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عثمان، وهو الذي بايع بالخلافة لعثمان وترك علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وحاول الأمويون التستر على قتل رقية بدعوى مزيفة مفادها زواج عثمان من أم كلثوم بنت النبي ﷺ وانها أيضاً ماتت بعد اختها. وهذه الرواية أيضاً من أكاذيب الأمويين، لأن أم كلثوم لا حقيقة لها كما اثبتنا في هذا الكتاب وكنية رقية أم كلثوم.

ومن الأحاديث الكاذبة ان رقية بنت رسول الله ﷺ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما زوجت عثمان أم كلثوم إلا بوحي من السماء أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه^(١)، من طريق أحمد بن محمد بن المفلس الكذاب الوضع الشهير. عن عبد الكريم بن روح البزاز الأموي البصري قال أبو حاتم: مجهول، ويقال: إنه متروك؛

وقال ابن حبان: يخطيء ويخالف ومجهول (ص ١٠١) وقال الذهبي: لا يعرف تفرد عنه ولده روح.

فإن تعجب فعجب سكوت مثل الخطيب عن سند هذا شأنه صوناً لكرامة الأمويين^(٢). لقد وجد الأمويون اعمال عثمان بن عفان فعالجوها بأكاذيبهم المعروفة فغلبت على البعض وغلب البعض عليها.

فعدروا عثمان بتمريضه لرقية في معركة بدر ولم تكن مريضة حينها، ولانعدام التخطيط الأموي المحكم في الكذب فقد عذره آخرون منهم بأنه مرض بالجدرى! ولما كانت رقية قد ضربت وقتلت في قضية معاوية بن المغيرة الأموي فقد قدم الأمويون واذنابهم زمن موتها فقالوا بموتها في معركة بدر!

ولما وجدوا أكاذيبهم لا تنفع مع الواقع والأحاديث الصحيحة في طرد النبي ﷺ لعثمان من مراسم دفن رقية المكناة بأم كلثوم فقد وضعوا روايات في تزويج النبي ﷺ عثمان من اختها أم كلثوم. وان أم كلثوم هي التي ماتت بعد معركة احد!

ولكن الروايات الصحيحة الكثيرة فضحتهم وكشفتهم وبقيت الاسئلة المطروحة عليهم

(١) تاريخ بغداد ٢ / ٣٦٤.

(٢) الغدير، ٥ / ٣٢٦.

دون جواب منهم حول قضية معاوية بن المغيرة الأموي وضرب عثمان لرقية حتى الموت وفرار عثمان من بدر واحد والرضوان ومنع النبي ﷺ لعثمان من حضور مراسم دفن رقية.

من منع البكاء على المظلومين؟

لقد دعا رسول الله ﷺ للبكاء على حمزة قائلاً: علي مثل حمزة فلتبك البواكي وبكى هو عليه وعلي رقية أمام المسلمين.

وتأثر رسول الله ﷺ بموت رقية ومظلوميتها المرة فقال الحقي بسلفك الصالح عثمان بن مظعون، وفاطمة عليها السلام علي شفير القبر تنحدر دموعها في القبر^(١). فجعل ﷺ يمسح الدموع عن وجه فاطمة عليها السلام^(٢).

ثم وقف رسول الله ﷺ على قبرها ورفع يديه تلقاء السماء ودمعت عيناه^(٣). ورغم الموقف النبوي بكائه عليه السلام فقد خالف عمر ذلك.

اذ اخرج النسائي وابن ماجة عن أبي هريرة: مات ميت في آل محمد ﷺ فاجتمع النساء يبكين عليها فقام عمر ينهاهن ويطردهن ويضربهن بسوطه، فاخذ النبي ﷺ سوطه وقال: دعهن يبكين يا عمر^(٤) فإن العين دامعة والقلب مصاب والعهد قريب^(٥).

أقول: لقد خاف عمر يومها انفجار الوضع على عثمان ومقتله فعمل ما ذكرناه! ولقد عُرف عمر بن الخطاب بمنعه البكاء على الميت. ومن خلال قراءتي للسيرة النبوية وكتب الحديث وجدت بأنه صاحب نظرية خاصة تتمثل في منع البكاء على المقتولين بيد رجال الحزب القرشي واجازته للبكاء على غير هؤلاء!

فقد منع عمر البكاء على رقية لان قاتلها عثمان بن عفان، والبكاء عليها يسبب حركة

(١) وسائل الشيعة ٢ / ٩٢١.

(٢) السنن الكبرى البيهقي ٤ / ٧٠.

(٣) كتاب الزهد، الحسين بن سعيد الكوفي ٨٧.

(٤) مستدرک الوسائل، النوري ٢ / ٤٦٧.

(٥) عمدة القاري ٤ / ٧٨.

اجتماعية سياسية دينية تهدد عثمان وأصحابه.

ثم منع فاطمة من البكاء على رسول الله ﷺ بعد مقتله لأنه قُتل بيد زعامة الحزب القرشي^(١). فبنى لها علي عليه السلام بيتاً لذلك الغرض سمي بيت الاحزان.

ولما قُتل أبو بكر بيد الحزب القرشي منع عمر البكاء والنوح عليه فأدخل الرجال بيت عائشة وضرب أم فروة بنت أبي قحافة فاعمى عينها وأصبحت عوراء^(٢).

لان ذلك المجلس الجماهيري في البكاء والنوح والرتاء للميت قد يسبب انتفاضة عارمة على الدولة المتسببة في قتل أبي بكر فلم يراع عمر حرمة لأم فروة وغيرها ولم يهتم لعائشة ونداءاتها في تحريم دخول بيتها^(٣).

ولما أمر عمر بن الخطاب بقتل خالد بن الوليد وتحقق ذلك عمل بنو مخزوم مجلساً نسائياً لهذا الغرض فهاجم عليه بنفسه بصحبة الرجال وضرب النائحة وكشف شعرها.

ولم يراع في ذلك حرمة لقبيلة بني مخزوم الكبيرة ولا لأم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية خالة خالد التي أقامت مجلس الغزاء في بيتها، وضرب كل نساء بني مخزوم الحاضرات في المجلس بنفسه وبدرته^(٤).

في حين بكى عمر طويلاً على قتلى المشركين في بدر الذين القاهم رسول الله ﷺ في القلب قائلاً:

وكائن بالقلب قلب بدر	من الفتيان والعرب الكرام
أيوعدنا ابن كبشة أن سنحيا	وكيف حياة أصداء وهام
ايعجز ان يرد الموت عني	وينشرني إذا بليت عظامي
فقل لله يمنعي شرابي	وقل لله يمنعي طعامي ^(٥)

(١) راجع كتاب هل اغتيل النبي محمد ﷺ للمؤلف.

(٢) راجع كتاب اغتيال الخليفة أبي بكر والسيدة عائشة للمؤلف.

(٣) تاريخ الطبري ٤ حوادث سنة ١٣ هـ، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٠٤، كنز العمال ١٨ / ١١٨ كتاب الموت، طبقات ابن سعد ٢٠٨.

(٤) عبقرية عمر، العقاد ٣٣.

(٥) اسباب النزول، الواحدي وأخرجه الطبري في تفسيرها الآية: لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى ٢ / ٢٠٣، ٢١١، ربيع الابرار، الزمخشري، تفسير الآية.

لقد أدرك المسلمون قيمة البكاء والرثاء وأجاز القرآن الكريم ذلك ودعا النبي ﷺ للبكاء على حمزة وبكى هو على حمزة وبكى على الحسين عليه السلام. وشرعت زينب في معركة خطابية رثائية عارمة للتعريف بثورة وشهادة الإمام الحسين^(١).



(١) سبل السلام، ابن حجر ١١٥/٢، الاحتجاج ١٩٤/١.



مرکز تحقیقات کتب و علوم اسلامی

باب

الغزوات بعد معركة أحد





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

بعد معركة احد حدثت غزوة حمراء الأسد على رأس إثنين وثلاثين شهراً من هجرة رسول الله ﷺ لملاحقة قوات قريش الذين يأتُمرون للرجوع إلى المدينة ففرت قريش راجعة^(١).

وسرية أبي سلمة إلى قُطَن وهدفها الإغارة على بني أسد وهم مائة وخمسون رجلاً فلم يصيبوا كيداً وأصابوا النعم والشاء^(٢).

وغزوة بئر معونة على رأس ستة وثلاثين شهراً حيث غدروا بالمسلمين فدعا النبي ﷺ على بني لحيان وعُظْل والقارة^(٣) وهذه الغزوات الإسلامية الكثيرة تبين إصرار رسول الله ﷺ والمسلمين على الدفاع عن الإسلام والجهاد في سبيله دون كلل ولا ملل. وتلك الروح الإسلامية العالية هي التي نصرت الإسلام وفتحت البلدان.

غزوة بئر معونة

حدثت غزوة بئر معونة في صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً. وعند الواقدي وغيره كانت في زمن واحد مع سرية الرجيع^(٤) ولم يكن في تلك السرية إلا أنصاري واستثنى البعض عمرو بن أمية الضمري^(٥) اذ اتفق أبو البراء مع رسول

(١) مغازي الواقدي ١/ ٣٣٨، ٣٣٩.

(٢) مغازي الواقدي ١/ ٣٤٢، ٣٤٣. و شاء جمع شاة.

(٣) مغازي الواقدي ١/ ٣٥٠ - ٣٥٢.

(٤) مغازي الواقدي ١/ ٣٤٩، السيرة الحلبية ٣/ ١٧٢، ١٧٤، سيرة ابن دحلان ١٠/ ٢٦٠.

(٥) المغازي، الواقدي ١/ ٣٥٢، طبقات ابن سعد ٢/ ٣٦، ٣٧، سنن البخاري ٣/ ١٩، عمدة القاري ١٧/ ١٧٤.

الله ﷺ على حماية المسلمين الذين يرسلهم للدعوة في نجد، فأرسل النبي ﷺ ستة نفر إلى نجد ليعلموهم .

وكان رسول الله ﷺ قد شافى أبا البراء ملاعب الأسنة من دويلة خرجت في بطنه^(١). ولما زار عامر بن الطفيل رسول الله ﷺ تعجب من أخلاقه إذ لم يستطع معرفته من بين المسلمين. وطلب عامر أن يكون لرسول الله ﷺ السلطة على العهل وله السلطة على أهل الوبر وله خلافة النبوة. وكان عنده ألف أشقر وألف شقراء.

ولمّا لم يتفق عامر بن الطفيل مع رسول الله ﷺ ولم يُسلم فقد أقدم على محاولة قتل المسلمين الذين أرسلهم النبي ﷺ^(٢).

ولما قتل عامر بن الطفيل حرام بن ملحان قال: لا احسبه إلا أن له أصحاباً فاقتصوا أثره حتى أتوهم فقتلوهم^(٣).

ومن الطبيعي وقوع مسؤولية مقتل هؤلاء على أبي البراء الذي تعهد بحمايتهم، لذا طعن ربيعة بن أبي براء عامر بن أبي الطفيل وقتله.

وتمكن عمرو بن أمية الضمري من العودة إلى رسول الله ﷺ سالماً ولم يقتله عامر بن الطفيل لأنه مضرى واكتفى بجز ناصيته^(٤) وهذا يبين عمق الإحساس القومي القبلي في صفوف عرب الجاهلية^(٥).

غزوة الرجيع

وكانت في صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً إذ بعث رسول الله ﷺ عيوناً له إلى

(١) تاريخ يعقوبي ٧٢ / ٢.

(٢) وفي رواية كان عددهم سبعين وفي رواية أربعين وفي رواية سبعة وفي رواية ستة ولا يعقل إرسال النبي ﷺ عدد كبير من المسلمين كملعين.

(٣) الدر المنثور ٩٥ / ٢، تاريخ الطبري ٥٥٠ / ٢، المغازي، الواقدي ٣٤٨ / ١.

(٤) مغازي الذهبي ٢٣٧، مغازي عروة ١٨٠، سيرة ابن هشام ٣ / ٢٣٢، سنن مسلم ١٩٠٢ كتاب الأمانة باب ثبوت الجنة للشهيد.

(٥) وقيل بأنه مات بدعاء رسول الله ﷺ عليه فرماه الله تعالى بالذبح، مجمع الزوائد ١٢٥ / ٦، ١٢٦.

مكة ليخبروه باوضاع واهداف قريش فسلكوا على النجدية فاعترضهم بنو لحيان عندما كانوا بالرجيع.

لما قُتل سفيان بن خالد بن نبيح الهذلي مشيت بنو لحيان إلى عضل والقارة فجعلوا لهم فرائض على أن يقدموا على رسول الله ﷺ فيكلموه فيخرج إليهم نفرًا من أصحابه يدعونهم إلى الإسلام فنقتل من قتل صاحبنا، ونخرج بسائرهم إلى قريش بمكة فنصيب بهم ثمنًا، فإنهم ليسوا الشيء أحب إليهم من أن يؤتوا بأحد من أصحاب محمد يمثلون به ويقتلونه بمن قتل منهم بيد.

فقدم سبعة نفر من عضل والقارة وهما حيّان من الهون بن خزيمة مقرين بالاسلام (زيفاً) فقالوا لرسول الله ﷺ إنّا فينا إسلاماً فاشياً فابعث معنا نفرًا من أصحابك يقرئونا القرآن ويفقهوننا في الإسلام فبعث معهم سبعة نفر هم:

مرثد بن أبي مرثد الغنوي، وخالد بن أبي البكير، وزيد بن الدثنة، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، وعبد الله بن طارق البلوي، وأخاه لأمه معتب بن عبيد، وحبيب بن عدي بن الحارث.

ولما وصلوا إلى ماء الرجيع هجم عليهم اللحيانيون، فحصل بينهم قتال، فأسر حبيب بن عدي، وزيد بن الدثنة، وعبد الله بن طارق. وأمّا عاصم وخالد ومعتب فأبوا أن يقبلوا جوارهم وأمانهم وقال عاصم: إنّي نذرت ألا أقبل جوار مشرك أبداً فقاتل حتى قُتل. وكانت سلافة بنت سعد بن الشهيد قد قُتل زوجها وبنوها أربعة قتل عاصم منهم اثنين فنذرت لئن أمكنها الله منه أن تشرب في قحف رأسه الخمر. وقُتل معتب^(١).

فباعوا حبيب بن عدي وزيد بن الدثنة إلى قريش، وأقدم كفار قريش على قتلها^(٢). وهذه العملية من قبل بني لحيان وقريش تبين الفكر والعقائد الجاهلية على أسوأ

(١) مغازي الواقدي ١ / ٣٥٧، السيرة الحلبية ٣ / ١٦٥، صفة الصفوة ١ / ٢٥٥، أسد الغابة ٢ / ١٠٣، البداية والنهاية ٤ / ٦٢.

(٢) المصادر السابقة.

حال، وتوضّح المكر الذي وصل إليه الأعراب.

محاولة يهود بني النضير قتل النبي ﷺ

وبنو النضير من يهود الشام لذلك سادوا على سائر يهود المدينة وهو الصحيح وقيل من قبيلة جذام العربية ثم تهوّدوا^(١). والنضير جبل على بعد ميلين من المدينة^(٢). وكان بنو النضير قد عاهدوا رسول الله ﷺ أن لا يحاربوه، ولا يحاربوا معه^(٣).

وقال ابن اسحاق وقعة بني النضير في السنة الرابعة للهجرة^(٤) وهو الصحيح عندنا. وكانت العداوة بين اليهود وبالأخص بنو النضير وبين المسلمين قد ساءت بعد اعمال كعب بن الأشرف ضد المسلمين ومحالفته مشركي قريش، وتحتم على المسلمين ابعادهم عن المدينة.

ولما قتل المسلمون كعب بن الأشرف اشتدت العداوة ففكر اليهود في قتل رسول الله ﷺ. وكانت هناك روايتان في ذلك مرّة في محاولة قتله بصخرة ومرّة بمحاولة قتله بخنجر.

لقد خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في الديّة، للقتيلين الذين قتلها عمرو بن أميّة وهما من بني عامر، للعهد الذي كان ﷺ اعطاهما، وكان بين بني النضير وبين بني عامر عهد وحلف.

وعند وصول النبي محمد ﷺ إلى بني النضير حاولت اليهود اغتياله، فخطط يهود بني النضير لالقاء صخرة عليه أثناء زيارته لهم، فاخبره الله تعالى بذلك قبل الجريمة.

بينما قال الزهري وقعت الحادثة في السنة الثانية للهجرة أي بعد غزوة بدر بستة أشهر نقلا عن عروة بن الزبير وأيدهما النووي، والسهيلي، وموسى بن عقبة، والعسقلاني،

(١) تاريخ يعقوبي ١ / ٤٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤ / ٣٣١.

(٣) تفسير الطبرسي ٥ / ٢٥٨.

(٤) دلائل النبوة، البيهقي ٣ / ٣٥٤، طبعة دار الكتب العلمية، سنن البخاري، كتاب المغازي، باب حديث بني النضير، فتح الباري ٧ / ٣٢٩، وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب اجلاء اليهود من الحجاز ص ١٣٨٧ - ١٣٨٨، ح ٦٢.

والذهبي^(١)

قالوا: نعم يا أبا القاسم نُعينك على ما أحببت، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه، ورسول الله ﷺ إلى جانب جدار من بيوتهم قاعد. فقالوا: من رجل يعلو هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيقتله بها فيريحنا منه، فانتدب لذلك عمرو بن جحّاش بن كعب فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقي عليه صخرة ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه وقال سلام بن مشكم لقومه لا تفعلوا والله ليخبرن بما هممتم به^(٢).

فأتاه الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وقال لأصحابه: لا تبرحوا، فخرج راجعاً إلى المدينة. وقيل إنهم رموا الحجر على رسول الله ﷺ وأخذه جبريل^(٣) فلما استبطأ النبي ﷺ أصحابه قاموا في طلبه، فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسألوه عنه فقال: رأيته داخلاً المدينة. فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه فأخبرهم الخبر بما أرادت يهود من الغدر.

وفي رواية حاول يهود بني النضير الغدر برسول الله ﷺ إذ قالوا له: أخرج إلينا في ثلاثة من أصحابك ويلقاك ثلاثة من علمائنا فإن آمنوا بك اتبعناك فاشتمل اليهود على الخناجر، فارسلت امرأة من بني النضير إلى أخ لها من الانصار مسلم تخبره بخبر بني النضير^(٤) وان قريشا قد أمرت اليهود بحرب النبي ﷺ وان هذا الأمر هو الذي تسبب في غزوة بني النضير أي ان النبي ﷺ لم يذهب إليهم.

واعتبر رسول الله ﷺ محاولتهم قتله نقضاً للعهد المبرم بينهما، وقد قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾^(٥) ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾^(٦).

(١) تاريخ الإسلام، الذهبي ١٢٢، ١٩٧، تاريخ الخميس ١/ ٤٦٠، فتح الباري ٧/ ٢٥٥، الدر المنثور ٦/ ١٨٦، فتح الباري ٧/ ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٦، البحار ٢٠/ ١٦٠ - ١٦٢، طبقات ابن سعد ٢/ ٥٧، سنن البخاري ٣/ ١٠، سيرة ابن كثير ٣/ ١٤٥، سيرة ابن دحلان ١/ ٢٦٠، الروض الأنف ٣/ ٣٥٠، الجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٣٦، فتوح البلدان ١/ ١٨، البداية والنهاية ٤/ ٧٤.

(٢) الطبقات الكبرى ٢/ ٥٧، سيرة ابن دحلان ١/ ٢٦٠.

(٣) دلائل النبوة، أبو نعيم ٤٢٣.

(٤) فتح الباري ٧/ ٢٥٥، الدر المنثور ٦/ ١٨٩.

(٥) النحل ٩١.

وقال النبي ﷺ: لا دين لمن لا عهد له^(٧).

وقال الإمام علي لمالك الاشر: ولا تمسّ مال أحدٍ من الناس مصل ولا معاهد^(٨).

الحصار

فأمرهم النبي ﷺ أولاً بالرحيل من المدينة بسبب نقضهم للصلح ومحاولتهم قتل النبي ﷺ لكن اهل النفاق ثبتوهم فقويت نفوسهم واستكبر حيي بن اخطب واليهود ونقضوا عهودهم مع الرسول ﷺ، فأمر رسول الله ﷺ بحربهم والسير إليهم، فسار بالناس حتى نزل بهم فتحصنوا منه في الحصون.

وحاصرهم المسلمون خمسة عشر يوماً^(٩) فدخل في نفوس اليهود الرعب .

﴿وقذف في قلوبهم الرعب﴾^(١٠)

وكان اللواء بيد علي عليه السلام^(١١) وفي اثناء الحصار رمى يهودى قبة النبي ﷺ بسهم فلاحقه علي عليه السلام وقتله. وجاء في سورة الحشر عن الواقعة:

﴿ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الله

الفاسقين﴾^(١٢).

واللينة: النخلة ما لم تكن عجوة أو برنية. فان كانت من الالوان فهي الرديئة فليستبقوا لانفسهم العجوة والبرنية، وان كانت من كرام النخل فليكن غيظ اليهود اشد^(١٣). وكان نخلهم في منطقة البويرة فقطع المسلمون بعض نخيلهم لتسهيل حركة الجيش .

(٦) البقرة ١٧٧.

(٧) السن الكبرى ٩ / ٢٣١، غرر الخصائص الواضحة ٦٠.

(٨) نهج البلاغة ح ٣ / ٩٠ رسالة ٥١.

(٩) مغازي الواقدي ١ / ٣٧٤، تاريخ الطبري ٢ / ٢٢٥ طبقات ابن سعد ٢ / ٥٨.

(١٠) الحشر ٢.

(١١) الثقات ١ / ٢٤٢.

(١٢) الحشر ٥.

(١٣) تفسير الفخر الرازي ١٠ / ٥٠٥، تفسير الزمخشري ٤ / ٥٠٠.

قال قتادة والضحاك: إنهم قطعوا من نخيلهم وأحرقوا ست نخلات.
وقال محمد بن اسحاق: إنهم قطعوا نخلة وأحرقوا نخلة^(١). لا يجاد سعة في المكان
ليسهل القتال^(٢).

وشق ذلك على اليهود فقالوا: يا محمد ألسنت تزعم أنك نبي تريد الصلاح، أفمن
الصلاح قطع النخل وحرق الشجر.. فنزلت الآية بتصديق من نهى عن القطع وتحليل من
قطع من الإثم، وأخبر أن قطعة وتركه بإذن الله فأجابهم الله تعالى بأن قطعها قد حصل
ليخزي به الفاسقين^(٣).

وكان سعد بن عباد يبعث بالتمر إلى المسلمين أثناء حصارهم لبني النضير^(٤).

إخراج اليهود

وكان النبي ﷺ قد حاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ، فأعطوه ما أراد منهم فصالحهم
على أن يحقن لهم دماءهم وأن يخرجهم من أرضهم وأوطانهم، وأن يسيرهم إلى خيبر
وفدك وأذرعات الشام^(٥).

وأنا استبعد خروجهم إلى أذرعات الشام لأنها كانت بيد الروم المعارضين لتواجد
اليهود في الشام^(٦). وقد بدأت هجرة اليهود إلى الشام في زمن عمر بعد أسلام كعب
الأحبار وطلبه ذلك^(٧).

فاتفق معهم رسول الله ﷺ على أن لهم ما حملت الإبل دون الذهب والفضة

(١) تفسير القرطبي ١٨ / ٦.

(٢) تفسير الزمخشري ٤ / ٥٠٠، تفسير الرازي ١٠ / ٥٠٥، تفسير القرطبي ١٨ / ٦ تاريخ الطبري ١ / ٤٦١.

(٣) تفسير الطوسي ٩ / ٥٦١، تفسير الطبرسي ٥ / ٢٥٨.

(٤) السيرة الحلبية ٢ / ٢٦٥.

(٥) دلائل النبوة، البيهقي ٢ / ٣٥٤ - ٣٥٩، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت، تاريخ الطبري ٢ / ٢٢٣، ٢٢٤ طبعة

الأعلمي - بيروت، الثقات ١ / ٢٤٣، سيرة مغلطاي ٥٣، التنبيه والإشراف ٢١٣، الدر المنثور ٦ / ١٨٨، مرآة الجنان

٩ / ١، تاريخ الإسلام، الذهبي، المغازي ٢٣٣.

(٦) راجع كتاب نظريات الخلفيتين ٢ / ٣٨٣ - ٤٠٠ للمؤلف.

(٧) راجع كتاب نظريات الخلفيتين، المؤلف ٢ / ٣٨٧.

والسلاح^(١).

وأسلم من بني النضير رجلان هما يامين بن عمير وأبو سعد بن وهب فاحرزا أموالهما. وكانت عند بني النضير أموال كثيرة وسلاح متمثل في خمسين درعاً وخمسين بيضة وثلاثمائة وأربعين سيفاً^(٢).

وذهب سلام بن أبي الحقيق وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وحيي بن اخطب والآخرون إلى خيبر، ولأنهم سادة بني النضير فقد سادوا خيبر.

واستقبلتهم يهود خيبر بما فيهم النساء والأطفال، والقيان تعزف بالدفوف والمزامير خلفهم^(٣).

وحملوا على ستمائة بعير، وكان بعض الانصار تهودوا بواسيطة امهاتهم اللاتي نذرن ذلك إن عاشوا، فلما اخلت بنو النضير قال آباء اولئك: لا ندع أبناءنا وانزل الله تعالى: لا اكراه في الدين.

وبقيت النخيل والمزارع لرسول الله ﷺ خاصة فقسمها بين المهاجرين الأولين دون الانصار واعطى سهل بن حنيف وأبا دجانة والحارث بن الصمة من الانصار لفقرهم. وتلك الأموال مما لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، فهي له ولكن رسول الله ﷺ اعطاها للمسلمين، والظاهر بانهم لم يقاتلوا، فلو قاتلوا لأصبحت أموالهم غنائم لكل المسلمين. وكان ﷺ ينفق على اهله منها نفقة سنة^(٤).

وقال الكلبي: قسم رسول الله ﷺ أموال بني النضير إلا سبعة حوائط منها أمسكها ولم يقسمها^(٥).

(١) تاريخ يعقوبي ٤٩/٢.

(٢) المغازي، الواقدي ٣٧٧/١، السيرة الحلبية ٣٦٨/٢.

(٣) تاريخ الخميس ٤٦١/١، السيرة الحلبية ٢٦٧/٢، تاريخ يعقوبي ٤٩/٢.

(٤) تاريخ الخميس ٤٦١/١، الطبقات الكبرى ٥٨/٢، سيرة ابن دحلان ٢٦١/١، دلائل النبوة، أبو نعيم ٤٢٩،

تاريخ الطبري ٥٥٣/٢، فتح القدير ٢٧٥/٥، الجامع لاحكام القرآن ٢٨٠/٣، ١٨/١١

(٥) الخراج، القرشي ٣٦.

ولما قسم الاراضي على المهاجرين أمرهم برد اراضي الانصار التي اعطوها لهم^(١).
وحزن المنافقون على بني النضير حزناً شديداً^(٢) وانضم إليهم حسان بن ثابت ومدح
بني النضير في كرمهم وسقيهم الناس الخمر^(٣).

والملاحظ بان الله سبحانه قد سلب هؤلاء اليهود عقولهم فاصبحوا حمقى لا يتعادهم
عن الحق فضاعت دنياهم بعدما ضيعوا بانفسهم آخرتهم، وقد لفت سلام بن مشكم
نظرهم إلى ذلك بوجوب اتباع رسول الله ﷺ لكنهم رفضوا ذلك.

وكان بنو النضير ألف رجل وهم من بني هارون وسادة يهود المنطقة، وكان النضيري
إذا قتل يهودياً قريظياً يدفع نصف الدية، بينما إذا قتل قريظي نضيرياً يدفع الدية كاملة^(٤)
وجاء في سورة الحشر التي نزلت في بني النضير:

﴿هو الذي اخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم
أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا
وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا
أولي الأبصار﴾^(٥).

والغدر اليهودي بالمسلمين والنصارى من الأمور المشهورة كما في حوادث غدرهم
بالاسبان الأمر الذي تسبب في طردهم من هناك فأوتتهم الدولة العثمانية واسكنتهم في
مدينة سالونيك فغدروا بالمسلمين إذ قام كمال اتاتورك اليهودي بمحاربة الإسلام في
محاولة منه للقضاء عليه في البلاد التركية^(٦)!

(١) السيرة الحلية ٢ / ٢٦٨، احكام القرآن، ابن العربي ٤ / ١٧٧٦، الكشف ٤ / ٥٠٥، ارشاد الشاري ٥ / ٢١٠.

(٢) الطبقات، ابن سعد ٢ / ٥٧، مغازي الواقدي ١ / ٣٧٦.

(٣) السيرة الحلية ٢ / ٢٠٤.

(٤) تفسير جامع البيان ٦ / ١٥٤، ١٥٧، ١٦٤، ١٦٥، فتح القدير ٢ / ٤٣، ٤٤، البحار ٢ / ١٦٦، ١٦٨، تفسير القمي

١ / ١٦٨، ١٦٩ تفسير البرهان ١ / ٤٧٢.

(٥) الحشر ٢.

(٦) راجع كتاب الفكر القومي اسلامياً وتاريخياً للمؤلف.

الدلائل والعبر

من الناحية التربوية استمر غدر اليهود عبر التاريخ يقابله اخلاص ووفاء نبوى .
ومن الناحية الفقهية حرم الرسول قطع النخيل وباقى الاشجار الا لضرورة .
لم يأمر رسول الله ﷺ إلا بقطع ست نخلات فقط لايجاد فسحة ارضية لتحرك الجيش، ولو أراد قطع النخيل لقطع المئات منها في تلك المدة التي حاصروهم بها. وقد اتفقت الروايات بأن المسلمين لم يقطعوا إلا ستاً. ورواية تقول بأنهم قطعوا واحدة فقط. لعلم رسول الله ﷺ بأن ملكها سيكون للمسلمين والله تعالى يجيز قطع الاشجار الكائنة في طريق جيوش المسلمين والممانعة لتحركهم ويحرم الفساد. وتصور اليهود أنهم سيقطعون كل النخيل وينسحبون فخابت آمالهم وظنونهم لأن رسول الله ﷺ جاء لفتح مدينتهم ومزارعهم وتوزيع الأموال على المسلمين.

وأُنزل تعالى سورة قرآنية كاملة في تلك الواقعة

﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾^(١).

وكان رسول الله ﷺ قد وعد المسلمين فتح مدينة بني النضير، لذا قال عمر لرسول الله ﷺ: لماذا تقطع النخل وأنت وعدتنا بالفتح.

لذلك تكون التحليلات والشروح حول جواز قطع اشجار النخيل الرديئة (الالوان وعدم قطع الجيدة منها العجوة والبرنية في غير موضعها. ولم ينفع اليهود طعامهم الذي كان يكفيهم سنة وماؤهم الجاري)^(٢).

والأمر الثاني: بين الله تعالى في سورة الحشر أن وعود المنافقين لحلفائهم يهود بني النضير بالحرب إلى جانبهم وعود كاذبة إذ قال سبحانه:

(١) الحشر ٢

(٢) مغازي الواقدي ١ / ٣٦٨

﴿ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون﴾^(١).

ومن الدلائل والعبر سرعة سقوط الحصون المنيعة المذكورة إذ سقطت في خمسة عشر يوماً^(٢).

وكان خراب تلك الديار أسرع من المتصور إذ شارك في ذلك المهاجمون والمدافعون! كما جاء في القرآن والسيرة النبوية، وهذا مصداق لقوله ﷺ: من كان مع الله كان الله معه^(٣). إذن أهم شيء في الدنيا هو الإخلاص لله تعالى والتضرع إليه ليكون الجواب الإلهي بتقديم النصر المؤزر على الأعداء. قال تعالى في سورة الحشر:

﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون﴾^(٤).

ويبين تعالى حكم الفيء في القرآن الكريم:

﴿فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾^(٥).

والفيء هو ما حصل عليه المسلمون دون حرب.

وقدرة رسول الله ﷺ الإدارية والعسكرية تمثلت في ابتداء غزوته ببني قريظة كي لا يحارب على جبهتين ولا تتعرض قواته ومدينته للاغارة أثناء حصاره لبني النضير، وهذه من دلائل قدرته ﷺ الفائقة في الحرب فعاهدهم أولاً ثم انصرف بالكتائب إلى بني النضير فقال زعيم بني قريظة كعب بن أسد: لا ينقض العهد رجل من بني قريظة وأنا حي^(٦).

(١) الحشر ١١، ١٢.

(٢) مغازي الواقدي ١ / ٣٧٤، تاريخ الطبري ٢ / ٢٢٥.

(٣) كشف الخفاء، المجلوني ٢ / ٢٧٢.

(٤) الحشر ١٩.

(٥) الحشر ٧.

(٦) تاريخ عيون الأثر ٢ / ٢٥.

ولم يرغب رسول الله ﷺ بحرب يهود بني النضير وهم في دورهم وحين اضطر إلى ذلك بدأ المسلمون يخربون بيوت اليهود المتحصنين فيها، وفي نفس الوقت كان اليهود يهدمون تلك الدور من أدبارها! إلى أن وصلوا إلى آخر دورهم وهم ينتظرون المنافقين وما كانوا منهم^(١) وتبين الحادثة فقدان زعماء بني النضير للحكمة إذا طلب منهم رسول الله ﷺ أولاً الجلاء لا غير فرفضوا وأعلنوا الحرب فكبر رسول الله ﷺ والمسلمون^(٢). وتبين الحادثة اعتماد رسول الله ﷺ التام على علي عليه السلام في خلافته له إذ رجع رسول الله ﷺ إلى بيته في الليلة الأولى وترك الجيش الإسلامي بقيادة علي عليه السلام^(٣) وهو حامل لوائه الذي قتل بطل بني النضير غزول مع عشرة آخرين^(٤).

وجاء عن علي كرم الله تعالى وجهه قوله: خرجت مع رسول الله ﷺ فصاحت نخلة بأخري هذا النبي المصطفى وعلي المرتضى. فقال رسول الله ﷺ: يا علي إنما سمي نخل المدينة أي هذا النوع صيحاناً لأنه صاح بفضلتي^(٥). وكان الإمام علي عليه السلام هو الذي قتل بطل يهود خيبر مرحب وهو الذي قاد لواء الحرب على بني قريظة لهذا فقد عليه اليهود من أمثال كعب الأحمار وعبد الله بن سلام ووهب بن منبه وأتباعهم وحلفائهم من المنافقين والكافرين.

ومن الناحية الفقهية تجدر الإشارة هنا إلى أنه لم ينزل تحريم الخمر في بني النضير كما اشاعوا ذلك في قضية مسجد الفضيل بل حرمه الله تعالى في مكة في بداية البعثة كما هو محرم في سائر الديانات^(٦).

(١) مغازي الذهبي، ١٥٠، مغازي الواقدي ١ / ٣٨٠.

(٢) مغازي الواقدي ١ / ٣٧٠، السيرة الحلبية ٢ / ٢٦٥.

(٣) مغازي الواقدي ١ / ٣٧١.

(٤) السيرة الحلبية ٢ / ٢٦٥، الثقات ١ / ٢٤٢، الأرشاد ١ / ٩٢.

(٥) السيرة الحلبية ٢ / ٢٦٥.

(٦) راجع وفاء الوفاء ٣ / ٨٢٠، السيرة الحلبية ٢ / ٢٦٣ - ٢٦٧، تاريخ الطبري ٢ / ٢٢٤ - ٢٢٨، مغازي الذهبي

١٤٥ - ١٥٥، مغازي الواقدي ١ / ٣٧٥ - ٣٨٥.



مرکز تحقیقات کتب و علوم اسلامی

باب

معركة الخندق





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

إسلام سلمان الفارسي

كان سلمان الفارسي من عائلة فارسية غنية في رامهرمز، والناس في بلده على دين المجوسية، وتعرّف على تعاليم النصرانية فتنصّر.

وذكر الصنعاني أنّ إسلامه كان عن طريق راهب نصراني، وبعدها أخرج أهل سلمان ذلك الراهب فسافر سلمان معه إلى مدينة الموصل.

وروى أصحاب الأخبار أنّ سلمان التقى بعيسى ابن مريم عليه السلام ^(١) فبشره بظهور النبي ﷺ قريباً في الحجاز. وفي طريقه إلى المدينة أخذه اللصوص وباعوه فجعله اليهود الذين ابتاعوه في حائط بستان لهم.

وقد أخبره الراهب أنّ النبي محمداً ﷺ لا يأكل الصدقة، ويأكل الهدية، وبين كتفيه خاتم النبوة وأمره باتّباعه ^(٢). ولما وفق الله تعالى سلمان في الوصول إلى المدينة بصورة عبد مملوك حاول التثبت من صفاته ﷺ. وفي المرّة الأولى من لقاءاته جاء إليه برطب صدقة فأبى النبي ﷺ الأكل منه وأعطاه أصحابه فحصلت عنده صفة من صفات رسول الله ﷺ.

وفي المرّة الثانية جاء إلى النبي ﷺ برطب هدية فأكل النبي ﷺ منه، فحصلت الصفة الثانية.

(١) البحار ٥١ / ٢٠٥.

(٢) المصنّف، الصنعاني ٤١٨/٨.

وبقي سلمان متشوقاً للتثبت من الصفة الثالثة. وفي تشييع جنازة في بقيع الغرقد استدار سلمان الفارسي خلف رسول الله ﷺ لرؤية خاتم النبوة، فكشف له النبي عن خاتمه، فحصلت عند سلمان صفة النبي ﷺ الثالثة فانكب عليه يقبله ويبكي ثم أسلم وحكى قصته لرسول الله ﷺ والمسلمين. وأعانه الرسول ﷺ على أداء ما عليه فحرّره، ثم شارك المسلمين في معركة الخندق^(١).

وبلغ إخلاص وإيمان وأخلاق سلمان درجة أن رغب فيه المهاجرون والأنصار إلا أنه كان إلى الرسول ﷺ وأهل بيته أقرب منه إلى سواهم فقال الرسول ﷺ: سلمان منا أهل البيت. وكان من شيعة الإمام علي بن أبي طالب ﷺ وروى سلمان أحاديث كثيرة منها حديث: إن أكثر الناس شبعاً في الدنيا أكثر جوعاً في الآخرة^(٢).

ولادة الحسين

وبعد سنة على ولادة الإمام الحسن ﷺ ولد الإمام الحسين ﷺ في الثالث من شعبان من السنة الرابعة للهجرة في المدينة المنورة^(٣) وأذن النبي ﷺ في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى، وبكى عليه وسمّاه رسول الله ﷺ حسيناً وعق عنه كبشاً، وحلق شعره وتصدّق بوزنه فضّة، وختنه في اليوم السابع من ولادته، ولم يسمّ الناس في الجاهلية أولادهم بالحسن والحسين ﷺ فاسماهما من أسماء الجنة^(٤) ولم يولد مولود لستّة أشهر عاش غير عيسى والحسين ﷺ^(٥).

وكان الحسين ﷺ مثلاً للتضحية في سبيل الإسلام، إذ قدّم في هذا الطريق دمه وماله

(١) الإصابة ٦٢/٢.

(٢) البحار ٩٩/٧٠.

(٣) الإصابة ٣٣٢/١، أسد الغابة ١٨/٢، الإستيعاب بهامش الإصابة ٣٧٨/١، تاريخ دمشق، ترجمة الإمام الحسين ١٢، ٢٣، ٢٥، ٢٨٨، صفة الصفوة ١/٧٦٢، تذكرة الخواص ٢٣٢، المناقب، ابن شهر آشوب ٧٦/٤، مقتل الحسين، الخوارزمي ١٤٣/١، تاريخ بغداد ١٤١/١، مجمع الزوائد ١٦٤/٩، الإرشاد، المفيد ٢١٨.

(٤) ذخائر العقبى ١١٩، تاريخ الخميس ٤١٧/١، ٤١٨، مسند أحمد ٥٥٧/٢، البحار ٢٥٢/٤٣.

(٥) المناقب، ابن شهر آشوب ٥٠/٤.

وولده وأهله وصحبه.

فتأثر بحركته المسلمون والكافرون فقال غاندي زعيم الهند: تعلّمت من ثورة الإمام الحسين عليه السلام كيف أكون مظلوماً فانتصر.

وقال رسول الله ﷺ فيه: حسين مني وأنا من حسين^(١) وحسين أحب أهل الأرض إلى أهل السماء^(٢)

وأخبر جبريل رسول الله ﷺ بمقتل الحسين عليه السلام والأرض التي يقتل فيها وأعطاه تربة حمراء من تربة كربلاء^(٣) وأعطى رسول الله ﷺ تلك التربة لأم سلمة قائلاً: إذا تحولت هذه التربة دماً فاعلمي أن ابني الحسين قد قتل^(٤).

والحسن والحسين عليهما السلام من ذرية النبي ﷺ بمصداق من كتاب الله.

ومن ذريته داود وسليمان وإيوب ويوسف وموسى... وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس^(٥) فعيسى من ذرية إبراهيم بأمه والحسن والحسين من ذرية محمد ﷺ بأمهما.

ويوم مقتل الحسين عليه السلام لم يقلب حجر إلا وجد تحته دم عبيط^(٦). وقال الزهري وعبد الملك بن مروان: ما رفع بالشام حجر يوم قتل الحسين بن علي عليه السلام إلا عن دم^(٧). لذلك قال الصادق عليه السلام: من زار قبر الحسين عارفاً بحقه كتب الله له في عليين، وإن حول قبر الحسين عليه السلام سبعين ألف ملك شعثاً غبراً سيكون عليه إلى يوم القيامة^(٨).

(١) سنن الترمذي ٣٠٧ / ٢، أسد الغابة ٢٠ / ٢، سنن ابن ماجه ٥١ / ١، مستدرک الحاكم ١٩٤ / ٣.

(٢) أسد الغابة ٢٣٤ / ٣، كنز العمال ٨٦ / ٦، مجمع الزوائد ١٨٦ / ٩، الإصابة ١٥ / ١.

(٣) مستدرک الصحيحين ٣٩٨ / ٤، كنز العمال ٢٢٣ / ٦، مجمع الزوائد ١٨٨ / ٩.

(٤) تهذيب التهذيب ٣٤٧ / ٢، مجمع الزوائد ١٨٩ / ٩، سنن الترمذي ٣٠٦ / ٢، مستدرک الصحيحين ٣٩٧ / ٤، الإجابة ١٧ / ٢.

(٥) الأنعام ٨٤، ٨٥.

(٦) تهذيب التهذيب ٣٠٥ / ٢٠، تاريخ دمشق، ترجمة الإمام الحسين ٢٤٧.

(٧) مجمع الزوائد ١٩٦ / ٩، سنن البيهقي ٣٢٧ / ٣، ذخائر العقبين ١٤٥، تفسير الطبري ٧٤ / ٢٥، حلية الأولياء ٢ / ٢٧٦، فيض القدير ٢٤٠ / ١.

(٨) ذخائر العقبين ١٥١.

وقال الرسول ﷺ في الحسينين عليهما السلام: الحسنان سبطا هذه الأمة^(١)
والحسنان صفوة الله والحسنان خير الناس جداً وجدّةً وأباً وأماً^(٢).
وقال رسول الله في أهل البيت: أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها
غرق^(٣).

التحضير للحرب

ووقعت معركة الخندق في السنة الخامسة للهجرة بقول محمد بن اسحاق والواقدي
والبلاذري^(٤)، وهو الصحيح.

وقد اختلفوا في تاريخها إذ قال موسى بن عقبة وأئده البخاري^(٥)، سنة أربع للهجرة.
وقال اليعقوبي: سنة ست للهجرة^(٦).

والذي حزّب الأحزاب على رسول الله ﷺ هم اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق
النضري وحئي بن أخطب النضري وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضري وهوذة بن
قيس الوائلي. إذ قدموا مكة فدعواهم إلى حرب رسول الله ﷺ على أن يكونوا معهم
حتى يستأصلوه.

فقالت لهم قريش: إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نخلف فيه نحن ومحمد
أفديننا خير أم دينه؟

قالوا: بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه فأنزل تعالى:
﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون

(١) كنز العمال ٦ / ٢٢١، ذخائر العقبى ١٥١.

(٢) تاريخ بغداد ١ / ٢٥٩.

(٣) كنز العمال ٦ / ٢٢١، ذخائر العقبى ١٣٠.

(٤) مستدرک الصحيحين ٢ / ٣٤٣، كنز العمال ٦ / ٢١٦.

(٥) سيرة ابن هشام ٣ / ٢٢٤، تاريخ ابن الأثير ٢ / ١٧٧، المغازي، الواقدي ١ / ٤٤١، تاريخ الطبري ٢ / ٢٣٣، البدء
والتاريخ، البلخي ٢ / ٨٩، مروج الذهب ٢ / ٢٨٩، جمل من أنساب الأشراف، ١ / ٤٢٧.

(٦) سيرة ابن دحلان ١ / ٤٣٢.

(٦) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٥٠.

للمؤمنين سبيلاً^(١)

للمؤمنين كفروا^(٢)

فلما قالوا ذلك لقريش سر : قالوا ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله فأجمعوا لذلك واتعدوا له، ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان فدعوههم إلى حرب رسول الله ﷺ^(٣)

فأخبر جبريل رسول الله ﷺ بأمر قريش، وقيل : إن قبيلة خزاعة هي التي أخبرت رسول الله بذلك^(٤)

وقال الواقدي : إن اليهود واعدوا غطفان تمر خير سنة إن حاربوا المسلمين وانتصروا عليهم^(٥)

وتمكن زعماء يهود بني النضير وخيبر من اقناع يهود قريظة في دخول الحرب اذ سمع كعب بن أسد زعيم يهود قريظة صوت حيي بن اخطب فلم يفتح له الباب قائلاً : ويحك يا حيي انك رجل مشؤوم اني قد عاهدت محمداً ﷺ ولست بناقض ما بيني وبينه ولم أر منه إلا وفاءاً وصدقاً.

فقال حيي : جئت بكريش بقيادتها وساداتها وغطفان على ساداتها وقاداتها قد عاهدوني أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه. فقال كعب : جئتني والله بذل الدهر.

فلم يزل حيي بكعب حتى سمح له بأن اعطاه عهداً وميثاقاً لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن ادخل معك في حصنك.

فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ بعث سعد بن معاذ سيد الأوس وسعد بن عباد سيد الخزرج ومعهما عبدالله بن رواحة وخوات بن جبير قائلاً : انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا، فان كان حقاً فالحنوا لنا لحناً نعرفه ولا تفتوا اعضاء الناس. وان كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس.

(١) النساء، ٥١.

(٢) تاريخ الطبري ٢/ ٢٣٣، ٢٣٤.

(٣) البحار ٢٠ / ٢٤٤.

(٤) مغازي الواقدي ١ / ٥٣.

وخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على اخبث مما بلغهم عنهم إذ قالوا: لا عهد بيننا وبين محمد، فشاتمهم سعد بن عباد وشتاموه، وقال سعد بن معاذ: دع عنك مشاتمهم فإن ما بيننا وبينهم اعظم من المشاتمة.

ثم أقبلوا إلى رسول الله ﷺ وقالوا لغدر عضل والقارة بأصحاب رسول الله ﷺ وأصحابه أصحاب الرجيع.

فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر ابشروا يا معشر المسلمين^(١) ثم رمى العرقة سعد بن معاذ بسهم في كاحله فمات شهيداً بعد وقعة بني قريظة.

وعمل نعيم بن مسعود الاشجعي بالخدعة بين اليهود وسائر الأحزاب حين طلب من بني قريظة ان تأخذ رهناً من اشراف قريش وغطفان كي لا ينسحبوا ويتركوهم لوحدهم، ومن جهة اخرى اخبر قريشاً وغطفان بخيانة بني قريظة ورغبتها في أخذ زعماء قريش وغطفان كرهاً واعطائهم لرسول الله ﷺ ليقتلهم^(٢) فافقد الجانبين ثقتهم ببعضهم.

ثم روي عن الزهري عرض رسول الله ﷺ ثلث تمر المدينة على عيينة بن الحصين ليخذل الأحزاب ويرجع بالناس فأبى إلا النصف فاستشار النبي ﷺ سعد بن معاذ وسعد بن عباد فقالا: إن كنت امرت بشيء فامض له، وإلا فإننا لا نرضى أن نعطيهم إلا السيف. قال ﷺ: فنعم إذن^(٣).

والزهري من أعضاء البلاط الأموي، ويستحيل تنازل النبي ﷺ لقبيلة بني غطفان الضعيفة بذلك الشكل مع تعجب ابن معاذ وابن عباد.

المنافقون

وتحرك منافقوا المدينة في خطى الأحزاب^(٤).

(١) تفسير الطبرسي ٤٣ / ٣٤٠.

(٢) تفسير الطبرسي ٤ / ٣٤٤.

(٣) جعل من أنساب الاشراف ١ / ٤٣١، مغازي الزهري ٧٩.

(٤) تاريخ الطبري ٢ / ٢٤٠، تاريخ يعقوبي ٢ / ٥٠، ٥١، الطبقات ٢ / ٦٦ - ٦٩، البدء والتاريخ، البلخي ٢ / ٨٩، سيرة ابن هشام ٣ / ٢٢٤ - ٢٤٣، المغازي، الواقدي ١ / ٤٤٠ - ٥٤٩.

فقال أوس بن قيظي، أحد بني حارثة بن الحارث: يا رسول الله، إن بيوتنا عورة من العدو، وذلك عن ملأ من رجال قومه، فأذن لنا أن نخرج فنرجع إلى دارنا، فإنها خارج المدينة. فأقام رسول الله ﷺ، وأقام عليه المشركون بضعاً وعشرين ليلة، قريباً من شهر، لم تكن بينهم حرب إلا الرمي^(١) بالنبل والحِصار.

فقال المنافقون: يعدنا كنوز كسرى وقيصر وما يقدر أحدنا أن يخرج يتخلى، وألا تعجبون من محمد يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم بأنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق (الخوف) لا تستطيعون أن تبرزوا^(٢).

فنزل القرآن: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾^(٣).

والمشاكل التي واجهت المسلمين تمثلت في:
كثرة عدد وعدة العدو الخارجي المتمثل في الأحزاب.

وكثرة عدد العدو الداخلي المتمثل في اليهود والمنافقين، فكان المنافقون يتسللون تدريجياً إلى المدينة تاركين جبهات القتال فراراً دون إذن بدعوى أن بيوتهم عورة فقال تعالى:

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا، فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يخَافُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ يُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٤)

حفر الخندق

فقال سلمان الفارسي لرسول الله ﷺ: إِنَّا كُنَّا بِفَارِسٍ إِذَا حَوْصَرْنَا خَنْدَقْنَا عَلَيْنَا فَهَلْ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ نَخْنُقَ؟

(١) الرمي (بكسر الراء والميم مشددتين وتخفيف الياء): المراماة.

(٢) البحار ٢٠ / ٢٥٣، ٢٧٠، السيرة الحلبية ٢ / ٣١٣، سيرة ابن هشام ٣ / ٢٣٠، تفسير القمي ٢ / ١٧٨.

(٣) الأحزاب ١٢.

(٤) النور ٦٣.

بينما ذكر كاتب السيرة ابن اسحاق قضية الخندق دون ذكر لمشورة سلمان الفارسي^(١).

والظاهر أن محمد بن اسحاق قد قرأ رسالة رسول الله الجوابية لأبي سفيان التي جاء فيها: وأما قولك من علمنا الذي صنعنا من الخندق فإن الله الهمني ذلك^(٢).

وسأهم رسول الله ﷺ في الخندق بالمعول والمسحاة والمكتل فتراه يضرب بالمعول ثم يرفع التراب بالمسحاة ثم يحمل التراب بالمكتل على ظهره وعاتقه^(٣). وعمل سلمان بقوة في الخندق فتنافست فيه قريش والانصار فقال رسول الله ﷺ: سلمان منا أهل البيت^(٤).

ودخل سلمان الفارسي مجلس رسول الله ﷺ ذات يوم فعظموه وقدموه وصدروه اجلالاً لحقه واعظاماً لشيعته واختصاصه بالمصطفى وآله.

فدخل عمر فنظر اليه فقال: من هذا الأعجمي المتصدر فيما بين العرب؟ فصعد رسول الله ﷺ المنبر فخطب فقال: إن الناس من عهد آدم إلى يومنا هذا مثل أسنان المشط لا فضل للعربي على الأعجمي ولا للأحمر على الأسود إلا بالتقوى سلمان بحر لا ينزف وكنز لا ينفد، سلمان منا أهل البيت^(٥).

وكان النبي والمسلمون يقولون الاشعار طيلة عملهم في حفر الخندق وما قالوه:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينه علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الأولى لقد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا^(٦)

وقال ﷺ ايضاً:

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٦٦، دلائل النبوة، البيهقي ٢/ ٣٩٩.

(٢) خاتم النبيين ٢/ ٩٤٢.

(٣) مغازي الواقدي ٢/ ٤٥٣، وفاء الوفاء ٤/ ١٢٠٧، السيرة الحلبية ٢/ ٣١٢.

(٤) مغازي الواقدي ٢/ ٤٤٧، أسد الغابة ٢/ ٣٣١.

(٥) البحار ٢٢/ ٣٤٨، الاختصاص ٣٤١.

(٦) مغازي الذهبي ٢٤٥، البداية والنهاية ٤/ ٩٦، تاريخ الخميس ١/ ٤٨١، البحار ٢٠/ ١٩٩.

اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للانصار والمهاجرة
 اللهم العن عضلاً والقارة إذ كلفوني انقل الحجارة^(١)
 وقال الانصار:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً
 فأجابهم رسول الله ﷺ:

اللهم إن الخير خير الآخرة فاغفر للانصار والمهاجرة^(٢)

ان الاخوة الإسلامية والتضحية هي التي نصرت المسلمين ومن مصاديقها ان سعد بن
 الربيع الانصاري قال لعبد الرحمن بن عوف: هلم أقسم مالي بيني وبينك نصفين ولي
 امرأتان أنظر أعجبهما اليك اطلقها فإذا انقضت عدتها فتزوجها!^(٣)

وجعل رسول الله ﷺ للخندق ثمانية أبواب عليها حرس من كل قبيلة نقرأ لحكمة
 نبوية فقال الفرزدق:

كانهم إذا صالوا وصلنا بباب الخندقين مصافحونا
 وقال كعب بن مالك:

بباب الخندقين كأن أسداً شوابكهن يحمين العرينا^(٤)

ففي الجنوب كانت بساتين النخيل الكثيرة وابنية المدينة المتشابكة مع بعضها، فكان
 أحد جانبي المدينة عورة وسائر جوانبها مشبكة بالبنيان والنخيل لا يتمكن العدو منها،
 فجعل رسول الله ﷺ معسكره تحت جبل سلع^(٥).

واستمر حفر ذلك في اربعة وعشرين يوماً^(٦) وفي اثناء الحصار قل الطعام ومن شدة

(١) ومغازي الواقدي ٢ / ٤٥٣، السيرة الحلبية ٢ / ٣١٢.

(٢) مغازي الواقدي ٢ / ٤٥٢، سيرة دحلان ٢ / ٣.

(٣) سيرة ابن دحلان ١ / ٤١٩.

(٤) سيرة ابن هشام ٣ / ٢٦٧، البحار ٢٠ / ٢٢٠، تفسير القمي ٢ / ١٧٩ وفاء الوفاء ٤ / ١٢٠٦.

(٥) مغازي الواقدي ٢ / ٤٥٠، الرسول العربي وفن الحرب ٢٣٤، وفاء الوفاء ٤ / ١٢٠٥، تاريخ الخميس ١ / ٤٨١، السيرة
 الحلبية ٢ / ٣١٥.

(٦) وفاء الوفاء ١ / ١٢٠٨، تاريخ الخميس ١ / ٤٨٢، سيرة ابن دحلان ٢ / ٤، عيون الأثر ٢ / ٥٧.

الجوع ربط رسول الله ﷺ على بطنه الحجر، وفي تلك الأيام الصعبة المقترنة بالجوع والتعب والخوف بشرهم رسول الله ﷺ بفتح قصور الروم وفارس.

إذ ظهرت صخرة في الخندق صعب على المسلمين تحطيمها فضربها النبي ﷺ ضربة فصدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لا بتي المدينة فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة وكبر المسلمون.

ثم ضربها الثانية فكذلك ثم الثالثة فكذلك أيضاً فصدعها، فأخبرهم ﷺ أنه بالبرقة الاولى أضاءت له قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأخبره جبريل بأن أمته ظاهرة عليهم. وفي الثانية أضاءت له القصور الحمر من أرض الروم، وأخبره جبريل بأن أمته ظاهرة عليها.

وفي الثالثة أضاءت له قصور صنعاء وأخبره جبريل بأن أمته ظاهرة عليها فابشروا فاستبشر المسلمون وقالوا: الحمد لله موعد الصدق وعدنا النصر بعد الحصر.

وكان المسلمون سبع مئة رجل^(١) وهو الصحيح والمعقول إذ لو كان عددهم مثل عدد جنود الأحزاب فلا حاجة للخندق ولواجهوا الكفار مباشرة.

وقال ابن خلدون كانوا تسع مئة^(٢) وقال البخاري كانوا ألفاً^(٣) وقالوا ثلاثة آلاف^(٤) ومن معاجز الخندق أنه اشتدت عليهم في بعض الخندق كُدية، فشكوها إلى رسول الله ﷺ، فدعا بإناء من ماء، فثفل فيه، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكُدية؛ فيقول من حضرها: فوالذي بعثه بالحق نبياً، لانهارت^(٥) حتى عادت كالكتيب، لا تردّ فأساً ولا مسحاة^(٦).

وجعل رسول الله ﷺ قبته من آدم (جلد) احمر فوق منطقة مرتفعة مسيطرة على

(١) البحار ٢٠ / ٢١٨، تفسير القمي ٢ / ١٧٧، السيرة الحلبية ٢ / ٣١٤، تاريخ يعقوبي ٢ / ٥٠.

(٢) العبر وديوان المبتدا والخبر ٢ / ٢٩.

(٣) فتح الباري ٧ / ٣٠١، دلائل النبوة، البيهقي ٣ / ٣٩٤.

(٤) سيرة ابن هشام ٢ / ٢٣١، مغازي الذهبي ٢ / ٢٣٣، تاريخ الخميس ١ / ٤٨٠، البحار ٢٠ / ٢٠٠.

(٥) انهارت: تفتت.

(٦) سيرة ابن هشام ٢ / ٢٢٨.

قوات الأحزاب.

وتعجبت قريش وجيوش الأحزاب من الخندق فقالوا: إن هذه المكيدة ما كانت العرب تكيدها^(١) فطول الخندق نحواً من خمسة آلاف ذراع وعرضه تسعة أذرع وعمقه سبعة أذرع^(٢).

فركب رسول الله ﷺ فرساً له ومعه نفر من أصحابه من المهاجرين والانصار فارتاد موضعاً ينزله، فكان أعجب المنازل إليه أن يجعل سلعاً - جبل معروف بسوق المدينة - خلف ظهره ويخندق على المزاد إلى ذباب إلى راتج^(٣).

وقال الواقدي: كان الخندق ما بين جبل بني عبید إلى راتج^(٤) وجاء أيضاً: خط رسول الله ﷺ الخندق عام الأحزاب من أجم الشيخين (السمر) طرف بني حارثة حتى بلغ المذاذ (المدايح)^(٥).

دلائل النبوة

لقد وصف رسول الله ﷺ أماكن فارس التي سوف يفتحها المسلمون لسلمان وللمسلمين فقال سلمان: صدقت يا رسول الله ﷺ هذه صفتها أشهد أنك رسول الله ﷺ ثم قال رسول الله ﷺ: هذه فتوح يفتحها الله بعدي يا سلمان^(٦) فصدق قوله .

ومن دلائل النبوة اخبار النبي ﷺ سراقه بأنه سيلبس سواري كسرى فكان ذلك^(٧). وقال ابن إسحاق: إن أبنه لبشير بن سعد، قالت: دعني أمي عمرة بنت رواحة، فأعطتني حفنة من تمر في ثوبي، ثم قالت: أي بُنية، إذهيبي إلى أبيك وخالك عبدالله بن

(١) الروض الأنف ٣ / ٨٤، تاريخ الخميس ١ / ٣٩٥، السيرة الحلبية ٢ / ١٩٣.

(٢) الرسول العربي وفن الحرب، مصطفى طلاس ٢٤٠، السيرة النبوية، الندوي ٢٨١.

(٣) السيرة الحلبية ٢ / ٣١١، مغازي الواقدي ٢ / ٤٤٤.

(٤) مغازي الواقدي ٢ / ٤٥٠، وراتج محلة فيها بنو راتج .

(٥) تاريخ الطبري ٢ / ٢٣٥، دلائل النبوة، البيهقي ٣ / ٤١٨.

(٦) السيرة الحلبية ٢ / ٣١٤، مغازي الواقدي ٢ / ٤٥٠.

(٧) تاريخ ابن الوردي ١ / ١٠٧.

رواحة بغدائهما قالت: فأخذته ، فانطلقت به ، فمررت برسول الله ﷺ وأنا ألتمس أبي وخالي؛ فقال: تعالي يا بنية، ما هذا معك؟

فقلت: يا رسول الله، هذا تمر، بعثني به أمي إلى أبي بشير بن سعد، وخالي عبدالله بن رواحة يتغديانه.

قال: هاتيه؛ قالت: فصبيته في كفي رسول الله ﷺ، فما ملأتهما، ثم أمر بثوب فبسط له، ثم دحا بالتمر عليه، فتبدد فوق الثوب، ثم قال لإنسان عنده: اصرخ في أهل الخندق: أن هلم إلى الغداء.

فاجتمع أهل الخندق عليه، فجعلوا يأكلون منه، وجعل يزيد، حتى صدر أهل الخندق عنه، وإنه ليسقط من أطراف الثوب.^(١)

وقال جابر بن عبدالله: عملنا مع رسول الله ﷺ في الخندق، فكانت عندي شويهة غير جد سمينه^(٢) فقلت: والله لو صنعناها لرسول الله ﷺ. فأمرت امرأتي، فطحنت لنا شيئاً من شعير، فصنعت لنا منه خبزاً، وذبحت تلك الشاة، فشويناه لرسول الله ﷺ.

فلما أمسينا وأراد رسول الله ﷺ الانصراف عن الخندق وكنا نعمل فيه نهارنا، فإذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا؛ قلت: يا رسول الله، إني قد صنعت لك شويهة كانت عندنا، وصنعنا معها شيئاً من خبز هذا الشعير، فأحب أن تنصرف معي إلى منزلي، وإنما أريد أن ينصرف معي رسول الله ﷺ وحده.

قال ﷺ: نعم، ثم أمر صارخاً فصرخ: أن انصرفوا مع رسول الله ﷺ إلى بيت جابر ابن عبدالله؛ قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون؛ والله انها الفضيحة .

فأقبل رسول الله ﷺ، وأقبل الناس معه؛ فجلس وأخرجناها إليه فبرك وسمى الله، ثم أكل، وتواردها الناس، كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس، حتى صدر أهل الخندق عنها^(٣).

(١) سيرة ابن هشام ٢ / ٢٢٩.

(٢) غير جد سمينه: غير كاملة السمن.

(٣) المصدر السابق.

محاصرة المدينة

وكان سكان المدينة حوالي ستة آلاف نفر. وشعار المسلمين حم لا ينصرون^(١) وجاءت الكفار بقياداتها قريش وقائدها أبو سفيان وغطفان وقائدها عيينة بن حصين والحرث بن عوف في بني مرة، ومسعر بن جيلة الاشجعي في قبيلة اشجع وطليحة بن خويلد الاسدي في أسد وأبو الاعور الاسلمي في اسلم^(٢).

وعن الخيل والابل فقد جاء ذكر لبعض أرقامها مثل ألف بعير لغطفان وفزارة^(٣) وألف فرس مجموع الخيل ثلاث مئة مع غطفان وثلاث مئة مع قريش^(٤).

وحامل لواء قريش عثمان بن طلحة بن أبي طلحة وقائدهم أبو سفيان والتحق يهود قريظة بالأحزاب بطلب من حيي بن أخطب فنقض زعيمهم كعب بن أسد عهده مع رسول الله ﷺ، ووقف أبو الاعور في السقيفة مع أبي بكر وحارب مع معاوية في صفين^(٥).

ولما حفر المسلمون خندقهم جاءت قريش في أربعة وعشرين ألف رجل من أحابيشهم ومن تابعهم من كنانة وأهل تهامة، وغطفان ومن تابعهم من أهل نجد، ويهود خيبر، في حملة الأحزاب^(٦).

وقال ابن شهر آشوب ثمانية عشر ألف رجل^(٧) وقال الواقدي والذهبي والقمي: كانوا اثني عشر ألفاً وهو الصحيح عندنا^(٨) وقالوا: عشرة آلاف رجل^(٩).

قال تعالى: ﴿يا ايها النبي حرّض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون

(١) مغازي الواقدي ٢ / ٤٧٤، الكافي ٥ / ٤٧، سيرة ابن هشام ٣ / ٢٣٧.

(٢) تفسير الطبرسي ٤ / ٣٤٠، تفسير الكشاف، الزمخشري ٣ / ٥٢٣.

(٣) نهاية الإرب ١٧ / ١٦٧.

(٤) المغازي، الواقدي ١ / ٤٥٥، مغازي الذهبي ٢٣٣، عيون الأثر ٢ / ٥٦، تاريخ الخميس ١ / ٤٨٠.

(٥) البحار ٢٠ / ٢١٧.

(٦) التنبيه والاشراف، المسعودي ٢١٦.

(٧) البحار ٢٠ / ٢٧٢، مناقب آل أبي طالب ١ / ١٩٧.

(٨) مغازي الواقدي ٢ / ٤٤٤، وفاء الوفاء ١ / ٣٠١، مغازي الذهبي ٢٣٣، تفسير القمي ٢ / ١٧٧.

(٩) تاريخ الطبري ٢ / ٢٣٦، تاريخ ابن الأثير ٢ / ١٨٠، فتح الباري ٧ / ٣٠٧.

صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا...»^(١).
 وكان النبي ﷺ يبعث الحرس إلى المدينة لحماية النساء والأطفال من يهود بني قريظة^(٢).

بطل العرب والعجم

وعندما اجتمعت الأحزاب لحرب المسلمين في معركة الخندق كانت الكفار تتوقع نصراً أسهل من انتصارهم في معركة احد.
 وجاءت قريش في هذه المرة ببطل العرب عمرو بن عبد ود العامري، المعادل لالف فارس في حساباتهم...؟!

وكان لوجود هذا البطل المغوار في صفوف قريش الأثر القوي في زيادة معنويات الكفار وضعف معنويات بعض المسلمين. ويسمى بفارس ياليل؛ لأنه هزم فوارس وادي ياليل العائدين لقبيلة بني بكر الذين تصدوا له ولصحبه في أثناء طريقهم للمدينة^(٣).
 وشاءت الصدفة أن يتمكن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود العامري وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب، وضرار بن الخطاب الفهري ونوفل بن عبد الله المخزومي. من عبور الخندق، وهنا ازداد الرعب في نفوس المسلمين...
 وبسبب الشهرة المطبقة للآفاق لهذا الفارس المغوار، فقد جبن المسلمون عن منازلته القتال حين طلب ذلك، وكان أبو بكر وعثمان وعمر بن الخطاب من جملة الخائفين والممتنعين من البراز إليه.

فقد ذكر البيهقي في دلائل النبوة، عن ابن اسحاق قال: خرج عمرو بن عبد ود، وهو مقنع بالحديد، فنادى: من يبارز؟

فقام علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: أنا له يا نبي الله. فقال: إنه عمرو، اجلس.
 ثم نادى عمرو: ألا رجل يبرز؟ فجعل يؤنبهم ويقول: اين جئتكم التي تزعمون أنه من

(١) الانفال ٦٥.

(٢) السيرة الحلبية ٢ / ٣١٥، سيرة ابن دحلان ٢ / ٤، تاريخ الخميس ١ / ٤٨٣، عيون الأثر ٢ / ٥٨.

(٣) تفسير الطبرسي ٢ / ٣٤٠.

قتل منكم دخلها أفلا تبرزون إليّ رجلاً؟

فقام عليّ عليه السلام فقال: أنا يا رسول الله؟ فقال: اجلس. ثم نادى الثالثة، فقال:

ولقد بُحِثَ من النداء بجمعكم هل من مُبارز
ووقفتُ إذ جَبُنَ المشيخُ موقفَ القرْنِ المناجز
ولسّذاك إنسي لم أزلُ متسرّعاً قبلَ الهزائز
إنّ الشجاعةَ في الفتى والجود من خيرِ الغرائز

فقام عليّ عليه السلام قائلاً: يا رسول الله أنا. فقال: إنه عمرو، فقال وإن كان عمراً. فأذن له

رسول الله صلى الله عليه وسلم فمشى إليه، حتى أتى وهو يقول:

لا تَعْجَلَنَّ فقد أتاك مجيبُ صوتك غيرُ عاجز
في نيّةٍ وبصيرةٍ والصدقُ منجى كل فائز
إنني لأرجو أن أقيمَ عليك نائحةَ الجنائز
من ضربةٍ نجلاء يبقى ذكرها عندَ الهزائز

فقال له عمرو: من أنت؟

قال: أنا علي.

قال: ابن عبد مناف؟

قال: أنا علي بن أبي طالب.

فقال يا ابن أخي من أعمامك من هو أسن منك فأني أكره أن أريق دمك؟^(١)

فقال له علي: لكنني والله لا أكره أن أريق دمك.

فغضب وسل سيفه كأنه شعلة نار، ثم أقبل نحو عليّ عليه السلام مغضباً واستقبله عليّ عليه السلام بدرقته، فضربه عمرو في درقته فقتلها، وأثبت فيها السيف، وأصاب رأسه فشجّه، وضربه عليّ عليه السلام على حبل عاتقه فسقط، وثار العجاج وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير، فعرفنا أنّ

(١) كان عليّ عليه السلام رجلاً معروفاً في مكة والمدينة وهو الذي قتل أبطال المشركين في بدر وأحد. قال الجزري: كانت ضربات عليّ عليه السلام مبتكرات لا عوناً أي إن ضربته كانت بكرة يقتل بواحدة لا يحتاج أن يعيد الضربة ثانية، سفينة البحار ١/أ، ح ٣٤٥.

علياً عليه السلام قد قتله.

ذكر الواقدي وقد خاف عمرو منازلة علي عليه السلام فقال: كان أبوك لي نديماً، فارجع فأنت غلام حدث^(١). وبلغ ذله وخزيه حداً أن كشف سوائته في أرض المعركة أمام الكفار والمسلمين واليهود^(٢)، خوفاً من سيف علي بن أبي طالب عليه السلام ناسياً أنه بطل العرب! ولما أعلن الإمام علي عليه السلام عن استعدادده للبراز اليه تعجب عمر، وذكر بطولة من بطولات عمرو في الجاهلية في قتله مجموعة من قطاع الطرق لوحده لوعلى مدى ثلاث مرّات أعلن الإمام علي عليه السلام عن استعدادده للمنازلة بينما جبن المسلمون عن المنازلة.

وبعد براز علي عليه السلام لعمرو وقتله، قال الرسول ﷺ: قتل علي لعمر بن عبد ود أفضل من عبادة الثقلين^(٣).

ولقد تخوّف عمرو وأبو بكر وعثمان وغيرهم من منازلة أبطال المشركين عثمان بن طلحة في أحد وعمرو بن عبد ود في الخندق ومرحب اليهودي في خيبر. بل امتنعوا عن محاربة الكفار واليهود وعاملهم هؤلاء بالمثل.

وفي رواية ثم حمل ضرار بن الخطاب (الفهري) وهبيّة بن أبي وهب على علي كرم الله وجهه، فأقبل علي عليه السلام عليهما، فأما ضرار فولّى هارباً ولم يثبت، وأما هبيّة فثبت ثم ألقي درعه وهرب، وكان فارس قريش وشاعرها.

وعرضت قريش شراء جيفة عمرو بن عبد ود بعشرة آلاف.

فقال ﷺ: لا نأكل ثمن الموتى!

فكان علي بن أبي طالب عليه السلام قد سدّ الثغرة التي عبر منها أبطال قريش، وقتل عمراً وابنه حسل، ونوفل بن عبد الله المخزومي، ولولا ذلك لعبر جيش الأحزاب (الكفار واليهود) إلى قلب المدينة. وكانت قريش لا تقتل جواسيسها في صفوف المسلمين والمعروفين بالمنافقين. وذكر أن ضرار ابن الخطاب لما هرب تبعه عمر بن الخطاب، وصار يشتد في اثره، فكرّ ضرار راجعاً، وحمل على عمر بالرمح ليضعه ثم أمسك. وقال:

(١) مغازي الواقدي ٤٧١/١.

(٢) البداية والنهاية ١٢٢/٤، دلائل النبوة، البيهقي ٤٣٨/٣، ٤٣٩، السيرة النبوية، ابن كثير ٢٠٣/٣، ٢٠٤.

(٣) السيرة الحلبية ٣٢٠/٢.

يا عمر هذه نعمة مشكورة اثبتتها عليك، ويدُّ لي عندك غير مجزئ بها فاحفظها. ووقع له مثل هذا مع عمر في أحد، فإنه التقى معه فضرب عمر بالقناة، ثم رفعها عنه، وقال له: ما كنت لاقتلك يا ابن الخطاب^(١).

ولم يقتله خالد في أحد حين تمكن منه!^(٢) فالظاهر معرفتهما بحال عمر وحقيقته! وكان علي رضي الله عنه قد قال عند عبور فوارس قريش الخندق:

أعليّ تقتحم الفوارس هكذا عني وعنهم أخروا أصحابي^(٣)
وروي أن علياً لما قتل عمراً لم يسلبه فجاءت أخت عمرو حتى قامت عليه، فلما رآته غير مسلوب سلبه، قالت: ما قتله إلا كفؤ كريم، ثم سألت عن قاتله.
قالوا علي بن أبي طالب، فأنشأت هذين البيتين:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله لكنت أبكي عليه آخر الأبد
لكن قاتله من لا يعاب به أبوه من كان يدعى سيّد البلد^(٤)

النصر الإلهي في معركة الخندق

بقيت قوات الأحزاب على أبواب الخندق بضعة وعشرين يوماً والتراخي بينهم مستمر بالنبل والحجارة.

ونزلت في الخندق سورة الأحزاب:

﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً، إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم إذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا، هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً﴾^(٥).

(١) السيرة الحلبية، الحلبي الشافعي ٣٢١/٢.

(٢) منازل الواقدي ١ / ٢٣٧.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير ٤ / ١٢٢، دلائل النبوة ٣ / ٤٢٢، سيرة ابن هشام ٣ / ٢٦٥، طبقات ابن سعد ٢ / ٦٨.

(٤) تاريخ الخميس، الديار بكري ١ / ٤٨٨.

(٥) الأحزاب ٩ - ١١.

فظن المنافقون ان المسلمين يُستأصلون وظن المؤمنون أنهم يتتلون.
فأرسل الله تعالى ريح الصبا على جيش الأحزاب فقال رسول الله ﷺ: نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور. فقد بعث الله تعالى عليهم ريحاً باردة في ليلة شاتية مع ألف من الملائكة فسفت التراب في وجوههم وقلعت الملائكة الأوتاد، وقطعت الأطناب واطفأت النيران واكفأت القدور وماجت الخيل بعضها على بعض وقذف في قلوبهم الرعب واظلمت الدنيا. وقتل من المسلمين ستة ومن المشركين ثمانية.

وحدث الاختلاف بين قوّات الأحزاب فاليهود لم يوافقوا على الحرب يوم السبت، وقريش لم توافق على إعطاء يهود قريظة رهناً مقابل دخولها الحرب. وأرسل الله سبحانه عليهم ريحاً شديدة قتلت ماشيتهم وأذتهم.

وقتل علي رضي الله عنه ابطال الكفار عمرو بن عبد ود وابنه حسيل ونوفل بن عبد الله وعندها قرّر أبو سفيان العودة إلى مكة وقطع ذلك الحصار الذي دام نيّفاً وعشرين يوماً.
فقال أبو سفيان: والله ليست بدار مقام، لقد هلك الخف والكراع، وأجذب الجنب، وأخلفنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقد لقينا من الريح ما ترون، والله ما يثبت لنا بناء، ولا تطمئن لنا قدر، فارتحلوا فإني مرتحل^(١).

ولما عادت قوّات قریش وجدت غطفان مكان قریش خالياً فتراجعت إلى مساكنها^(٢).

وبقي يهود قريظة وحدهم في الميدان مقابل قوّات رسول الله ﷺ فخاب سعيهم ومكرهم وقد قال تعالى:

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(٣)

وكان نتيجة ذلك الحصار إنتصار المسلمين في دفاعهم المذكور عن أنفسهم ومدينتهم، بعد أن نجحوا في حفر خندق عظيم يحول بين الغزاة وبينهم في مدة قصيرة.

(١) مغازي الواقدي ٢/٤٩٠.

(٢) راجع سيرة ابن هشام ٢/٢٤٤، تاريخ الطبري ٢/٢٤٠، تاريخ يعقوبي ٢/٥٠، ٥١، المغازي، الواقدي ١/٤٤٠-٤٤٩.

(٣) الانفال ٣٠.

وأثبتت القيادة الحكيمة لرسول الله ﷺ حنكتها وصبرها وإدارتها الرائعة لدفة الأحداث.

وكان لانتصار فارس الإسلام علي بن أبي طالب عليه السلام على فرسان قريش بقيادة عمرو بن عبد ود العامري الأثر القوي في دحر معنويات قريش وإجبارها على الفرار من أرض المعركة.

مهاجمة بني قريظة

كانت قريظة في عهد مع رسول الله ﷺ وهو يفي لهم بعهوده فمضت خمس سنوات على ذلك وعهوده لهم ترسخ وتقوى وإطمئنانهم إلى عدله يزداد.

لكنهم غدروا برسول الله ﷺ ونقضوا معاهدتهم معه وحاربوه في معركة الأحزاب طمعاً في القضاء عليه وعلى دينه وعلى المسلمين.

وبعد انسحاب الأحزاب من المدينة إلى مساكنهم بقيت قريظة وحدها بلا عهد ولا صلح بل على حرب الله ورسوله.

فلما كان الظهر، أتى جبريل رسول الله ﷺ، معتجراً^(١) بعمامة من إستبرق^(٢)، على بغلة عليها رحال^(٣)، عليها قطيفة من ديباج، فقال: أوقد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: نعم.

فقال جبريل: فما وضعت الملائكة السلاح بعد، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم، إن الله عز وجل يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة، فأني عامد إليهم فمزّلزل بهم. فأمر رسول الله ﷺ مؤذناً، فأذن في الناس: من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة. واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم.

قال ابن إسحاق: وقدم رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب برايته إلى بني قريظة،

(١) الاعتجار: أن يتعمم الرجل دون تلح، أي لا يلقي شيئاً تحت لحيته.

(٢) الإستبرق: ضرب من الديباج غليظ.

(٣) الرحالة: السرج.

وابتدرها الناس. فسار علي بن أبي طالب عليه السلام، حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ، فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ بالطريق، فقال: يا رسول الله، عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث.

قال: لِمَ أظنك سمعت منهم لي أذى؟

قال: نعم، يا رسول الله.

قال ﷺ لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً. فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم.

قال: يا إخوان القردة، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته؟

قالوا: يا أبا القاسم، ما كنت جهولاً.

ومرّ رسول الله ﷺ بنفر من أصحابه بالصوريين ^(١) قبل أن يصل إلى بني قريظة، فقال:

هل مرّ بكم أحد؟

قالوا: يا رسول الله، قد مرّ بنا دحية بن خليفة الكلبي، على بغلة بيضاء تحتها قطيفة

ديباج.

فقال رسول الله ﷺ: ذلك جبريل، بُعث إلى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم، ويقذف

الرعب في قلوبهم.

ولما أتى رسول الله ﷺ بني قريظة، نزل على بئر من آبارها من ناحية أموالهم، يقال

لها بئر أنا ^(٢).

وتلاحق به الناس، فأتى رجال منهم من بعد العشاء الآخرة، ولم يصلّوا العصر، لقول

رسول الله ﷺ: لا يصلّين أحد العصر إلّا ببني قريظة، فشغلهم ما لم يكن لهم منه بدٌّ في

حربهم، وأبوا أن يصلّوا، لقول رسول الله ﷺ: حتى تأتوا بني قريظة.

وحاصرهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة، حتى جهدهم الحصار، وقذف الله

في قلوبهم الرعب.

(١) الصوريين: موضع قرب المدينة (عن معجم البلدان).

(٢) أنا (كهنا أو كحتى أو بكسر النون المشددة؛ ويروى بموحدة بدل النون): من آبار بني قريظة. (راجع الروض وشرح

المواهب ومعجم البلدان).

وقد كان حُيي بن أخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم، حين رجعت عنهم قريش وغطفان، وفاءً لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه. وحيي بن أخطب من زعماء بني النضير الذين هَجَرهم رسول الله ﷺ لغدرهم إلى خيبر ولم يقتلهم، فنراه هنا يخون المسلمين مرة أخرى في حرب الخندق بتأليب الكفار واليهود عليهم.

فلما أيقنوا بأن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد لهم: يا معشر يهود، قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإني عارض عليكم خلافاً ثلاثاً، فخذوا أيها شتم.

قالوا: وما هي؟

قال: نتابع هذا الرجل ونصدقّه، فوالله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل، وأنه للذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون على دماءكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم.

قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبداً، ولا نستبدل به غيره.

قال: فإذا أيتّم عليّ هذه، فهلمّ فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمّد وأصحابه رجالاً مصلتين السيوف، لم نترك وراءنا ثقلًا، حتى يحكم الله بيننا وبين محمّد، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه، وإن ظهر فلعمري لنجدن النساء والأبناء.

قالوا: نقتل هؤلاء المساكين! فما خير في العيش بعدهم؟

قال: فإن أيتّم عليّ هذه، فإن الليلة ليلة السبت، وإنه عسى أن يكون محمّد وأصحابه قد أمنونا فيها، فانزلوا علينا نصيب من محمّد وأصحابه غرة.

قالوا: نفسد سبتنا علينا، ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت، فأصابهم ما لم يخف عليك من المسخ!

قال: ما بات رجل منكم منذ ولدت أمّه ليلة واحدة من الدهر حازماً.

ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ: أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر، أخا بني عمرو بن عوف، وكانوا حلفاء الأوس، لنستشيره في أمرنا، فأرسله رسول الله ﷺ إليهم.

فلما رأوه، قام إليه الرجال، وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه، فرق لهم، وقالوا له: يا أبا لبابة! أترى أن ننزل على حكم محمّد؟

قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه، إنه الذبيح. قال أبو لبابة: فوالله ما زلت قدماي من مكانهما حتى عرفت أنني قد خنت الله ورسوله ﷺ. ثم انطلق أبو لبابة على وجهه، ولم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من اعمدته.

وقال: لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله عليّ ممّا صنعت، وعاهد الله: أن لا أطأ بني قريظة أبداً، ولا أرى في بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً. وأنزل الله تعالى في أبي لبابة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١) فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره، وكان قد استبطأه، قال: أما إنه لو جاءني لاستغفرت له، فأما إذ قد فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه.

ونزلت توبة أبي لبابة على رسول الله ﷺ من السحر، وهو في بيت أم سلمة فقالت أم سلمة: سمعت رسول الله ﷺ في السحر وهو يضحك. فقلت: ممّ تضحك يا رسول الله؟ أضحك الله سنك. قال ﷺ: تيبّ على أبي لبابة.

قلت: أفلا أبشّره يا رسول الله؟ قال ﷺ: بلى، إن شئت، فقامت على باب حجرتها، وذلك قبل أن يضرب عليهنّ الحجاب. فقالت: يا أبا لبابة؛ أبشر فقد تاب الله عليك. فثار الناس إليه ليطلقوه.

فقال: لا والله حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقني بيده، فلما مرّ عليه رسول الله ﷺ خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه^(٢).

وأقام أبو لبابة مرتبطاً بالجذع ستّ ليال، تأتيه امرأته في كلّ وقت صلاة، فتحلّه للصلاة، ثم يعود فيرتبط بالجذع.

والآية التي نزلت في توبته قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا

(١) الانفال ٢٧.

(٢) سيرة ابن هشام ٢ / ٢٤٨.

عَمَلًا صَالِحًا وَآخِرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ^(١)
 فَلَمَّا أَصْبَحُوا نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَوَاتَبَتِ الْأَوْسُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ،
 إِنَّهُمْ مَوَالِينَا دُونَ الْخَزْرَجِ، وَقَدْ فَعَلْتَ فِي مَوَالِي إِخْوَانِنَا بِالْأَمْسِ مَا قَدْ عَلِمْتَ وَقَدْ كَانَ
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ حَاصِرَ بَنِي قَيْنِقَاعَ قَبْلَ بَنِي قَرِظَةَ، وَكَانُوا حُلَفَاءَ الْخَزْرَجِ فَتَزَلُّوا عَلَى
 حُكْمِهِ فَسَأَلَهُ إِيَّاهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَرْزَةَ سُلُولُ فَوَهَبَهُمْ لَهُ^(٢).
 فَلَمَّا كَلَّمَتْهُ الْأَوْسُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَوْسِ أَنْ يَحْكُمَ فِيهِمْ
 رَجُلٌ مِنْكُمْ؟

قَالُوا: بَلَى.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَذَاكَ إِلَى سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ.

فَقَالَ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ: عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ عَهْدُ اللَّهِ وَمِثَاقُهُ أَنْ الْحُكْمَ فِيهِمْ لِمَا حَكَمْتُ؟
 قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ: وَعَلَى مَنْ هَاهُنَا فِي النَّاحِيَةِ الَّتِي فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.
 فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: نَعَمْ.

قَالَ سَعْدٌ: فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ الرِّجَالُ وَكَانَتْ عِدَّتُهُمْ سَبْعُمِائَةٍ وَخَمْسِينَ
 رَجُلًا، وَتُقَسَّمُ الْأَمْوَالُ وَتُسَبَّى الذَّرَارِيُّ وَالنِّسَاءُ، وَتَجْعَلَ أَمْوَالُهُمْ لِلْمُهَاجِرِينَ دُونَ
 الْأَنْصَارِ. فَقَتَلُوا.

فَأَخَذَ الْمُسْلِمُونَ الْأَسْرَى إِلَى خَنَادِقٍ فِي الْمَدِينَةِ وَقَتَلُوهُمْ وَمِنْ جَمَلَتِهِمْ حَيٍّ بَن
 أَخْطَبَ زُعَيْمَ بَنِي النَّضِيرِ فَلَمَّا جِيءَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيَدَاهُ مَجْمُوعَتَانِ إِلَى عُنْقِهِ
 بِحَبْلِ نَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ مَا لُمْتُ نَفْسِي فِي عِدَاوَتِكَ وَلَكِنَّهُ مِنْ يَخْذُلُ
 اللَّهَ يُخْذَلُ ثُمَّ جَلَسَ فَضْرِبَتْ عُنْقَهُ.

وَقُتِلَ اثْنَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْحَصَارِ^(٣).

(١) التوبة ١٠٢

(٢) تاريخ الطبري ١٧٢/٢ - ١٧٤، تاريخ ابن الأثير ١٣٧/٢ - ١٣٨.

(٣) سيرة ابن هشام ٢٤٨/٣ - ٢٥٠، تاريخ الطبري ٢٤٥/٢ - ٢٤٨، تاريخ اليعقوبي ٥٢/٢، المغازي، الواقدي ٥٢٠/١.

الدلائل والعبر في معركة الخندق

كان من المسلمين الصبر والدعاء والاخلاص في العمل والاستعداد للجهاد فأجابهم الله تعالى بالنصر والعزة لهم والهزيمة لاعدائهم والنصر الإلهي تمثل في الريح والريح والخوف والبرد ونفاد القوات وانقطاع المدد وتشنت الأحزاب وانقسامهم على انفسهم ومقتل زعمائهم بيد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

ومن القضايا الاخلاقية والفقهية عدم جواز النظر إلى العورة كما فعل الإمام علي عليه السلام مع عمرو بن عبد ود الذي كشف عورته بعدما ضربه علي عليه السلام. ويستفاد أيضاً عدم جواز بيع جثث القتلى إذ رفض النبي ﷺ استلام مال مقابل جثة عمرو وجثة نوفل.

واستفدنا أيضاً عدم اقدام علي عليه السلام على سلب القتلى ثيابهم وهذا من أخلاق الأوصياء والأنبياء.

وتعلمنا اقدام محمد ﷺ وعلي عليه السلام على الاشتراك في العمل والجهاد إلى جنب سائر المسلمين وأطلعنا على رغبة قريش في قتل رسول الله ﷺ وسائر المسلمين وعدم رغبتها في قتل عمر بن الخطاب!

وكان الكفار عارفين بهوية المسلمين والمنافقين.

والدلائل والعبر من وقعة بني قريظة تتمثل في هزيمة وخذلان كل من يمكر برسول الله ﷺ والمسلمين ويخونهم وان الدين يجوز قتال من نقض العهد مع المسلمين مثل بني قريظة الذين نقضوا العهد وعلنوا الحرب على رسول الله ﷺ والمسلمين، والدين يجوز حصارهم، ويجوز تحكيم المؤمنين مثلما حكم رسول الله ﷺ سعد بن معاذ في قضية بني قريظة. ووافق الإمام علي عليه السلام على تحكيم عبد الله بن عباس في قضية معركة صفين إلا أن الخوارج اجبروه على تحكيم أبي موسى الاشعري^(١).

ودلت الواقعة على ندم كعب بن أسد اليهودي وايمانه برسول الله ﷺ إلا أنه أصر على

المذهبية الدينية المشابهة للعصبية القومية والاقليمية والحزبية.
 انّ غدر اليهود المستمر في التاريخ يؤيّده القرآن الكريم وتثبتته الأحداث الكثيرة فلقد
 جبلت نفوسهم على الغدر والعصيان. وقد وصف الله تعالى الغادرين بقوله:
 ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُويْدًا﴾^(١)
 وأخذ رسول الله ﷺ ريحانة اليهودية في سهمه^(٢).



(١) الطارق ١٥، ١٦، ١٧.

(٢) تاريخ يعقوبي ١/٥٠، البدء والتاريخ ٢/٩٠، تفسير الطبرسي ٤/٣٤٠، تفسير الزمخشري ٣/٥٣٢ - ٥٣٦.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کتب و تراث اسلامی

باب

صلح الحديبية





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

صلح الحديبية

الحديبية قرية متوسطة، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع الناس رسول الله ﷺ تحتها، وبعض الحديبية في الحل وبعضها في الحرم. وقيل كلها في الحرم. وأهلها ألف وخمسمائة.^(١)

وكان النبي ﷺ رأى في المنام أنه دخل البيت وحلق رأسه وأخذ المفتاح وسميت هذه السنة بسنة الاستئناس، وخلف على المدينة ابن أم مكتوم. وأحرم ﷺ من ذي الحليفة^(٢) وقيل احرم من المدينة ليعلم الناس أنه لا يريد حرباً، واجمعت قريش على صدّه عن البيت الحرام.

وفي صلح الحديبية جاء الرسول ﷺ مع سبعمائة رجل وسبعين بدنة كل بدنة عن عشرة نفر فيهم متناً فارس إلى منطقة الحديبية^(٣). وذلك في شهر ذي القعدة في السنة السادسة للهجرة، وهدفه ﷺ العمرة فساق معه الهدى، ولم يخرج بسلاح إلا سلاح المسافرين السيوف في القرب^(٤)، ولضعف العدد والعدة فقد رغب قريش وجواسيسها

(١) معجم البلدان ٢ / ٢٦٥.

(٢) تاريخ يعقوبي ١ / ٥٠، التنبيه والاشراف ٢٢٠، تاريخ ابن خلدون ٢ / ٤٤٧، مغازي الواقدي ١ / ٥٧٢، تاريخ الخميس ٢ / ١٦.

(٣) وهي بئر أو شجرة أو قرية على بعد تسعة أميال من مكة أكثر أرضها في الحرم.

(٤) مغازي الواقدي ١ / ٦١٤، تاريخ الخميس ٢ / ١٦، السيرة الحلبية ٣ / ٨، تاريخ الطبري ٢ / ٢٧١، تاريخ خليفة ٣٦، وقال ابن اسحاق عددهم سبعمائة رجل بسبعين بدنة فكل بدنة عن عشرة نفر، وقيل عددهم ١٣٠٠ رجل، وقيل ١٤٠٠ رجل قاله الزهري وابن سعد، وقيل عددهم ١٥٠٠ رجل عن جابر الانصاري وقيل عددهم ١٦٠٠. عيون الأثر ٢ / ١١٣، ١١٤، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٠٠، مغازي الواقدي ١ / ٥٧٤.

الموجودين في الجيش الإسلامي في الحرب.

وكان اللواء بيد علي بن أبي طالب^(١).

وقال رسول الله ﷺ: كان علي لي كالعصا السحرية لموسى عليه السلام. وقال ﷺ: يا علي لو قاتلك أهل الشرق والغرب لقتلتهم أجمعين^(٢).

ولما خرج رسول الله ﷺ في عمرة الحديبية نزل الجحفة فلم يجد بها ماء، فبعث سعد بن مالك (سعد بن أبي وقاص) بالروايا حتى إذا كان غير بعيد رجع بالروايا فقال: يا رسول الله ﷺ ما استطع أن أمضي لقد وقفت قدماي رُعباً من القوم. فقال له النبي ﷺ: اجلس.

ثم بعث رجلاً آخر^(٣) فخرج بالروايا حتى إذا كان بالمكان الذي انتهى إليه الأول رجع فقال له النبي ﷺ: لم رجعت؟

فقال: والذي بعثك بالحق ما استطعت أن أمضي رُعباً.

فدعا رسول الله ﷺ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فأرسله بالروايا وخرج السقاة وهم لا يشكون في رجوعه لما رأوا من رجوع من تقدمه. وجاءت الأحاييش وثقيف مع قريش. فخرج علي عليه السلام بالروايا حتى ورد الحرار فاستقى ثم أقبل بها إلى النبي ﷺ ولها زجل (صوت) فكبر النبي ﷺ ودعا له بخير^(٤).

رغبة قريش في الحرب

فلما كان النبي ﷺ بذي الحليفة قلد الهدى، وأحرم هو وأصحابه منها، ليأمن الناس حربه. ولما وصل جيشه إلى قرب جيش خالد بن الوليد أمر خيله بالوقوف في إزاء جيش خالد. وشاهد المسلمون غلظة وخشونة من قبل المشركين، فأبدوا لهم مثل ذلك،

(١) الأرشاد، المفيد ١/ ١١٩.

(٢) تفسير القمي ٢/ ٢٦٨.

(٣) تعبير رجل موضوع خاصة لابي بكر او عمر.

(٤) الإصابة ٢/ ١٩٩، مناقب آل أبي طالب ٨٨/ ٢، البحار ٣٥٩/ ٢٠، مغازي الواقدي ١/ ٥٧٨، السيرة الحلبية ٣/ ١٠.

كما قال الله سبحانه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾^(١)

ولما خرج عكرمة بن أبي جهل في خيله، ناوشه المسلمون، ورموهم بالحجارة، حتى أدخلوهم مكة... وعلى اثر ذلك ازداد الرعب في صفوف المشركين، وانخلعت افئدتهم خوفاً من جيش المسلمين الرابض على أبواب مكة.

وقال ﷺ: يا ويح قريش، نهكتهم الحرب، فماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين العرب، فإنّ هم أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم، دخلوا في الإسلام وافرين، وإن أبوا قاتلوني وبهم قوة؟ فما تظن قريش، فوالله الذي لا إله إلا هو، لا أزال أجاهد على الذي بعثني به ربّي، حتّى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة (وهي صفحة العنق كناية عن قتله).

وقال ﷺ: والذي نفس محمد بيده، لا تدعوني اليوم قريش إلى خطّة يسألوني فيها صلة رحم إلا أعطيتهم إياها.

ويظهر من قول الرسول ﷺ، رغبته في الصلح مع قريش، للانفراد بسائر العرب في الجزيرة، فيسهل عليه نشر الإسلام بينهم.

وحاول الرسول ﷺ عدم الاصطدام بجيش الكفار فسلك ارضاً جرداء ليس فيها ماء. وكانت قريش تعرف بمسير رسول الله ﷺ وجيشه إلى مكة فأرسلوا له خالد بن الوليد في جيش فحاول إثارة جيش المسلمين فصدّوه دون قتال. وتقدم خالد لاستقبال جيش المسلمين في ذي طوس، فسلك رسول الله ﷺ غير الطريق التي هم بها وسلك ذات اليمنى على مهبط الحديبية فبركت به ناقته وقال ﷺ: حبسها حابس الفيل^(٢)

(١) التوبة، ١٢٣.

(٢) تاريخ الخميس ٣٩٠/٢، السيرة الحلبية ١٠/٣ - ١٤، سيرة ابن حبان ٢٨١/١ - ٢٨٢، تاريخ ابن الأثير ٢٠٠/٢، تاريخ اليعقوبي ٥٤/٢.

ممثلو قريش

وقال رسول الله ﷺ لبديل بن ورقاء الخزاعي لم نأت لقتال أحد ولكننا معتمرين فأخبر قريشاً بذلك.

ثم أرسلوا له مكرز بن حفص بن الاحنف من بني عامر بن لؤي.
فقال النبي ﷺ: هذا رجل غادر فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ رفض أن يكلمه وقال
هذا رجل فاجر، فرجع إلى قريش وأخبرهم بذلك.

فبعثوا له الحليس بن علقمة الكناني وهو يؤمئذ سيد الاحابيش، فما ان رآه رسول
الله ﷺ حتى قال: إن هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى في وجهه، فلما رأى الهدى في
قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس رجع إلى قريش فقال: يا معشر قريش قد رأيت ما
لا يحل صده الهدى في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله. لتخلن بين
محمد وما جاء له أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد.

فقالوا: كف عنا حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به.

ثم بعثوا له عروة بن مسعود الثقفي فلما رأى المغيرة قال: أي غادر.

ثم بعث رسول الله ﷺ خراش بن أمية الخزاعي إلى مكة.

وكانت خزاعة عيبة رسول الله ﷺ مسلمها ومشركها لا يخفون عليه شيئاً كان بمكة
وكان بديل بن ورقاء سيد خزاعة.

ثم بعث قريش سهيل بن عمرو أحد بني عامر بن لؤي وقالوا: انت محمدًا وصالحه،
ولا نكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا، فوالله لا نتحدث العرب أنه دخلها علينا
عنوة أبداً، فأتى سهيل بن عمرو فلما رآه النبي ﷺ قال: قد أراد القوم الصلح فبعثوا هذا
الرجل^(١).

(١) تاريخ الخميس ٢ / ٣٩٠، السيرة الحلبية ٣ / ١٠ - ١٤، سيرة ابن حبان ١ / ٢٨١ - ٢٨٢، تاريخ ابن الاثير ٢ /

٢٠٠، تاريخ يعقوبي ٢ / ٥٤.

الآيات الباهرة

وفي السنة السادسة للهجرة أجذب الناس فاستسقى رسول الله ﷺ في شهر رمضان فسقاه الله تعالى^(١).

وعطش المسلمون في الحديبية ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة يتوضأ فيها فأقبل الناس نحوه فقال ﷺ: ما لكم ما لكم.

قالوا: ليس عندنا ماء نشرب ولا نتوضأ منه إلا ما في ركوتك.

فوضع رسول الله ﷺ يده في الركوة^(٢) فجعل الماء يفور بين أصابعه أمثال العيون.

قال: فشربنا وتوضأنا ولو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة^(٣).

وهجم خمسون مشركاً على أطراف المسلمين ليصيبوا لهم من أصحابهم أحداً فأخذهم المسلمون وعفا عنهم رسول الله ﷺ وأطلق سراحهم^(٤).

وقضية الحرب على الماء قضية قديمة، فقد حاول الكافرون دائماً السيطرة على الماء ومنع المسلمين منه لقتلهم عطشاً^(٥). فقد منع المشركون الماء عن عبدالمطلب بن هاشم وصحبه لقتلهم عطشاً في صحراء الجزيرة ولما نبع الماء تحت قدميه لم يمنعه عبدالمطلب من قریش.

ومنع المشركون الماء عن المسلمين في بدر بعد سيطرتهم على آبارها، ولما سيطر رسول الله ﷺ على الماء لم يمنعه من^(٦). وسيطر الكافرون على الماء في غزوة الحديبية لقتل النبي ﷺ والمسلمين عطشاً، فجاءهم علي بن أبي طالب بالماء في منطقة الجحفة وبارك لهم الله تعالى في عين الحديبية بدعاء رسول الله ﷺ^(٧).

(١) التنبية والاشراف ٢٢١، مروج الذهب ٢ / ٢٨٩.

(٢) أثناء صغير يشرب فيه الماء.

(٣) عيون الأثر ٢ / ١١٤.

(٤) عيون الأثر ٢ / ١١٨، تاريخ ابن خلدون ٢ / ٤٤٧.

(٥) راجع موضوع الماء كسلاح في الحروب.

(٦) البحار ٣٢ / ٤٤٧.

(٧) البحار ٤١ / ٦٨.

ومنع طلحة بن عبد الله الماء عن عثمان بن عفان وصحبه وأهله أثناء الثورة على عثمان وردّ شفاعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في إعطاء الماء لهم ^(١).
ومنع معاوية ابن أبي سفيان الماء عن أمير المؤمنين علي عليه السلام وجيشه في معركة صفين ولما سيطر الإمام علي عليه السلام على الماء سمح لمعاوية وجيشه بالشرب منه ^(٢).
وسقى الإمام الحسين عليه السلام جيش يزيد بن معاوية الماء في صحراء كربلاء، ولما سيطروا هم على الماء منعوا الحسين عليه السلام وأهله وصحبه منه فقتلوه عطشاً ^(٣).

سبب بيعة الرضوان

اعتقد زعماء قريش بأن الصلح مع رسول الله ﷺ في غير صالحهم. وهذا المبدأ قديم التزم به قريش قبل وبعد هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة لأن الصلح يمكن المسلمين من نشر الإسلام بسهولة في مدن وأراضي شبه جزيرة العرب. بل يساعدهم على نشر الدين خارج البلاد أيضاً.
ويعني الصلح الاعتراف برسالة النبي محمد ﷺ ودولته في المدينة ممّا يسهل على المسلمين إقامة العلاقات المحترمة مع سائر القوى القبلية والمدينية في المنطقة.
والصلح مع رسول الله ﷺ سيمكّن المسلمين من الانتصار على باقي القوى المحالفة لقريش من الأحزاب مثل خيبر وغطفان وبني سليم وغيرها. وفعلاً حدث ذلك إذ فتح رسول الله ﷺ خيبر وحارب بني سليم. وأرسل جيشاً إلى مؤتة في الشام.
وفي مدة سنتين عظمت شوكة المسلمين وضعفت منزلة المشركين فأقبلت الناس على دخول الإسلام رغبة في الدين من البعض ورغبة في المغانم من البعض الآخر فدخل عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري وأبو هريرة وخالد بن الوليد في الإسلام في تلك الفترة.

(١) بحار الانوار ٣١ / ٢٨٧.

(٢) صفين ١٦٠-١٦٦. تاريخ أبي مخنف ١ / ١٥٩-١٦٢.

(٣) الاخبار الطوال ٢٤٨. تاريخ ابن عساكر في ترجمة الامام الحسين ٤٤٧.

ودخلت قبيلة خزاعة في حلف مع المسلمين فتضاعفت جيوش رسول الله ﷺ وأدرك عمر بن الخطاب ما أدركته قريش أيضاً وشاركه في ذلك عثمان بن عفان وأبو بكر والمغيرة. وذهب عثمان إلى مكة للعمرة بدعوة من أبي سفيان في حين رفض الدعوة عبدالله بن أبي زعيم المنافقين الذي قال له ابنه: كيف تطوف الكعبة ورسول الله ﷺ ممنوع من الطواف بها!

واعتقد القرشيون أن جيش المسلمين في الحديبية لقمة سائغة فهم في عددهم قليل بلا عدة حربية.

وأدرك رسول الله ﷺ نوايا قريش من رفضهم الصلح ومحاولة قتلهم سفيره خراش بن أمية الخزاعي وهجمة جيشهم على المسلمين بقيادة عكرمة بن أبي جهل، والهجوم الغادر عليهم من قبل خمسين آخرين ومحاولة خالد قتل المسلمين في الصلاة فنزلت آية:

﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ﴾^(١).

ولخطورة الوضع ردّ عليهم رسول الله ﷺ بالوسائل التالية:

اجراء بيعة الرضوان التي بايع فيها المسلمون على الموت وعدم الفرار لتخويف المشركين الداعين للحرب.

والبيعة وسيلة جماهيرية تبين مكانة الزعيم في صفوف الناس وتعود المسلمين على اتباع هذه الطريقة دائماً، وتزيد من المحبة بين القائد وشعبه لذلك يخاف هذه البيعة المستبدون الظالمون.

فأدرك زعماء مكة أن هذه الحرب ستكون كبدر لا كأحد وعندها تتحطم رؤوسهم كما تحطم رأس عتبة وشيبة والوليد وأبي جهل وأمّية بن خلف وعتبة بن أبي معيط في بدر. فتلك البيعة على الموت أخافت المشركين وخلعت أقدتهم وسلبتهم نومهم.

وهددهم رسول الله ﷺ بأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام^(٢) الذي قتل زعماءهم

(١) النساء ١٠٢، البداية والنهاية ٤ / ١٩٠ - ١٩٥، تاريخ الطبري ٢ / ١٧٥ - ١٨٥، سيرة ابن دحلان ١ / ٤٨٣.

(٢) المستدرك للحاكم ٤ / ٢٩٨.

وابطالهم في بدر واحد والخندق واي جولة اخرى له ستمكنه من قتل رموزهم الآخرين مثل أبي سفيان وحكيم بن حزام وصفوان بن أمية وخالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل. وهذا التهديد النبوي لهم ثبَّط عزائمهم ونشر الخوف في اوصالهم كيف لا وعليه لا يقف امامه احد فهو منصور بالعناية الالهية وبلغت سمعته حداً اجازت لأبطال العرب كشف عوراتهم أمامه للهروب من سيفه، بينما كان العرب يهتمون بسمعتهم أكثر من أي شيء آخر.

واطلق رسول الله ﷺ سراح الاسرى القرشيين الخمسين المهاجمين للمسلمين تعبيراً عن حسن النية^(١).

إنّ ذهاب عثمان بن عفان الى مكة للعمرة بدعوة أبي سفيان كان من الأسباب الداعية لبيعة الرضوان لأنّه ذهب الى مكة عناداً للنبي ﷺ وإرضاءً للحزب القرشي فاعتقد المشركون إنّ المسلمين مثل عثمان فأراد رسول الله ﷺ أن يبيّن هوية الموحدّين ببيعة الرضوان على الموت فخافت قريش وتراجعت.

كما كسب النبي ﷺ ودّ القرشيين في محادثاته ورسائله لقريش قائلاً:

لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحم وهي من حرّمت الله إلا أعطيتهم إياها، وإن كان فيها تحمل المشقة^(٢).

كسب النبي ﷺ زعماء القبائل الحليفة والقريبة من قريش مثل ثقيف وخزاعة والاحابيش ففي حديثه مع عروة بن مسعود الثقفي (سيد ثقيف) تكلم بكل لطف لكسبه إلى جانبه ونجح في ذلك رغم اعمال أبي بكر والمغيرة إذ اهانته أبو بكر قائلاً له: امصص بظر اللات^(٣) وضربه المغيرة بن شعبة على يده بالحديدة^(٤).

(١) عيون الأثر ٢ / ١٢٣ / ١٢٧، تاريخ الطبري ٢ / ٢٧٩ - ٢٨٣، سيرة ابن دحلان ١ / ٤٩٠ - ٤٩٥، البداية والنهاية ٤ / ١٩٠ - ١٩٤.

(٢) سيرة ابن دحلان ١ / ٤٨٤.

(٣) البداية والنهاية ٤ / ١٩٠، سيرة ابن دحلان ١ / ٤٩٠ - ٤٩٥، عيون الأثر ٢ / ١٢٣ - ١٢٧، تاريخ الطبري ٢ / ٢٨٠.

(٤) المصادر السابقة.

فقال عروة لقريش: إنني والله ما رأيت ملكاً في قومه قط مثل محمد في أصحابه، ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً فروا رأيكم^(١).

لقد عمل عروة بن مسعود عمليين رائدين لرسول الله ﷺ مرة في اقناع قريش بالصلح من منطلق منزلته الاجتماعية العالية لكونه رئيس قبيلة ثقيف وزعيم الطائف ومرة في محاولته اقناع قومه في دخول الإسلام فنجح في الأولى واستشهد في الثانية على يد قومه^(٢).

فقال رسول الله ﷺ: إن مثل عروة مثل صاحب آل ياسين^(٣) فحقد الكافرون وبعض المسلمين على عروة لمحبتته رسول الله ﷺ.

وانا أعجب من جرأة ذلك العبد^(٤) الغادر (المغيرة) على الأشراف والزعماء إذ قتل أسياده من ثقيف غدرًا وهم ثلاثة عشر شخصاً^(٥) وضرب عروة بن مسعود الثقيفي بالحديدة على يده^(٦).

وضرب فاطمة بنت محمد ﷺ سيدة نساء العالمين^(٧)

وأول من دعا لترك مراسم جثمان النبي ﷺ والذهاب للسقيفة^(٨).

ولعن المغيرة أمير المؤمنين علياً^(٩) في مسجد الكوفة.

ولا ادري لماذا أحبه عمر وولاه البحرين ثم البصرة ثم الكوفة^(١٠)؟ وهو يعلم أنه فاسق.

(١) المصادر السابقة.

(٢) تاريخ المدينة المنورة ١ / ٤٧٠، أسد الغابة ٣ / ٤٠٦، مغازي الواقدي ٣ / ٩٦٦، الإصابة ٢ / ٤٧٠، سيرة ابن هشام ٤ / ٩٦٤.

(٣) تاريخ المدينة المنورة ١ / ٤٧٠، مغازي الواقدي ٣ / ٩٦٦، الإشتعاب ٣ / ١١٢، سيرة ابن هشام ٤ / ٩٦٥.

(٤) شرح النهج ٢ / ٣١ - ٣٤، تاريخ المدينة، ١ / ٥٠٢.

(٥) سير اعلام النبلاء، الذهبي ٣ / ١٢٠، السيرة الحلبية ٣ / ١٥، شرح النهج ٤ / ٨.

(٦) البداية والنهاية ٤ / ١٩٠، عيون الأثر ٢ / ١٢٣ - ١٢٧.

(٧) شرح النهج ٦ / ٣٠.

(٨) البدء والتاريخ ١٣٩، شرح النهج ٦ / ٤٣.

(٩) البحار ٣٠ / ٦٥٣.

(١٠) عبقريّة عمر، العقاد ٤٢.

وورث ذلك الحب معاوية فجعله والياً على الكوفة إلى اللحظات الأخيرة من حياته وقد قال عمر: من استعمل فاجراً وهو يعلم أنه فاجر فهو مثله^(١).

وأحب المغيرة أبا بكر وعمر فهو أول من بايع أبا بكر في السقيفة^(٢) وأول من سمي عمر بأمير المؤمنين^(٣).

وأحب يزيد بن معاوية فهو أول من دعا لبيعته^(٤).

وكانت قريش تحب المكر والغدر وكانت دار الندوة مقراً لانعقاد جلسات قريش في يوم السبت فسمي يوم مكر وخديعة^(٥).

وفي يوم السبت قرّروا اغتيال رسول الله ﷺ.

وقال الإمام علي عليه السلام عن بيعة عثمان: «خدعة وأيما خدعة»^(٦).

ولما أرسل عثمان المغيرة إلى ثوار العراق ومصر لإرضائهم قالوا له: يا أعور وراءك يا فاجر وراءك يا فاسق وراءك^(٧).

ولما سأل الحجاج رجلاً عن عبد الملك بن مروان قال: ما أقول في رجل أنت سيئة من سيئاته^(٨) ومعرفة الأمراء بمعرفة أعوانهم أسهل طريقة منطقية عقلية.

وكان حليس بن علقمة سيد الاحابيش من قوم يتألهون، فقدم رسول الله ﷺ الهدى امامه في قلائده قد أكل اوباره من طول الحبس فتأثر تأثراً كبيراً فأصبح في جانب رسول الله ﷺ قائلاً:

يا معشر قريش والله ما على هذا حالناكم ولا على هذا عاهدناكم، أيصد عن بيت الله

(١) تاريخ عمر، ابن الجوزي ٥٦.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٢٣ الإصابة، ابن حجر ١ / ٣٢٥.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ١٨ / ٢٦١.

(٤) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢١٤ - ٢١٥، تاريخ الطبري ٦ / ١٦٩ - ١٧٠.

(٥) سيرة ابن دحلان ١ / ٢٥٦.

(٦) تاريخ الطبري ٣ / ٣٠٢.

(٧) أنساب الاشراف ٥ / ١١١، ١١٢.

(٨) السيرة الحلبية ١ / ١٨٠.

من جاءه معظماً له؟ والذي نفس حليس بيده لتخلن عن محمد وبين ما جاء له أو لأنقرن بالاحابيش نفرة رجل واحد^(١)

فخافت قريش وتنازلت عن تصميمها على الحرب وقالت له: مه كف عنا نأخذ لأنفسنا ما نرضى به^(٢).

وتحدث رسول الله ﷺ مع بديل بن ورقاء سيد خزاعة وصحبه عن سبب مجيئه وعن الإسلام فكسبهم إلى جانبه.

فجاءوا قريشاً قائلين لهم: إنه لم يأت يريد حرباً وإنما جاء زائراً للبيت ومعظماً لحرمة فاتهمتهم قريش وجبهتهم^(٣) وأصبحت خزاعة في صف رسول الله ﷺ ولما وقع ﷺ وثيقة الصلح اعلنت خزاعة عن حلفها مع المسلمين دون أي تأخير.

وتأثر سهيل وصحبه برسول الله ﷺ وبيعة الرضوان إذ رجع حويطب بن عبد العزى وسهيل بن عمرو ومكرز بن حفص إلى قريش فأخبروهم نبأ اقدام أصحاب رسول الله ﷺ على البيعة، فدعى أهل الرأي منهم إلى مصالحة محمد ﷺ^(٤)

وتجاوب رسول الله ﷺ مع سهيل بن عمرو أفضل تجاوب ممكن فمحا عبارة رسول الله ﷺ من وثيقة الصلح رغم معارضة المسلمين ذلك.

ولما هرب أبو جندل بن سهيل بن عمرو رده رسول الله ﷺ إلى المشركين عملاً بشروط الصلح رغم معارضة المسلمين ذلك.

بطلب من ذهب عثمان إلى مكة؟

وكانت قريش قد دعت بعض المسلمين للطواف في الكعبة وزيارة مكة عنادا للنبي

(١) البداية والنهاية ٤ / ١٩٠، سيرة ابن دحلان ١ / ٤٩٠ - ٤٩٥، عيون الأثر ٢ / ١٢٣ - ١٢٧، تاريخ الطبري ٢ /

٢٨٠، مغازي الذهبي ٣٧٠ - ٣٧٦، السيرة الحلبية ٣ / ١٠ - ١٥، سنن البخاري، كتاب المغازي، الأرشاد ١ / ١٢٠

- ١٢٣، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٠٤ - ٢٠٨، سيرة ابن حبان ١ / ٢٨٠ - ٢٨٧.

(٢) المصادر السابقة.

(٣) المصادر السابقة.

(٤) مغازي الواقدي ١ / ٦٠٥.

فلبى ذلك عبدالله بن أبي وعثمان بن عفان. فتدخل عبدالله بن أبي فمنع أباه،
قائلاً: لا تفضحنا بكل موطن أتطوف ولم يطف رسول الله ﷺ؟
فروى زيفاً أن عثمان كان موفداً مع عشرة مسلمين إلى مكة
فقال الحلبي: لم أقف على اسمائهم! (١) ولم يقف على اسمائهم سائر رجال الحديث
والسيرة!

ولم يبايع رسول الله ﷺ بدلاً عنهم لزيف الموضوع!
ان عثمان لم يكن موفداً من قبل رسول الله ﷺ، بل ذهب بنفسه إلى مكة بدعوة
قرشية، في حين ردّ عبد الله بن أبي زعيم المنافقين دعوة قريش قائلاً:
لا أطوف حتى يطوف رسول الله ﷺ (٢)
وكان عبدالله بن عبد الله بن أبي قد قال: يا رسول الله ﷺ أقتل أبي؟ فقال ﷺ: لا
تقتل أباك (٣).

إنّ العلاقة بين رسول الله ﷺ وعثمان قد ساءت بعد فرار عثمان عن معركة بدر
واحد ثم اخفائه جاسوس المشركين والممثل بجثة حمزة معاوية بن المغيرة بن أبي
العاص، وقتله رقية ربيبة رسول الله ﷺ (٤).

من جانب آخر توثقت علاقة عثمان بقريش لأفعاله السابقة.
وتواترت أخبار غياب عثمان عن بيعة الرضوان في العصر الإسلامي الأول لذا قال
الطبري لإخفاء الحقيقة: «إنّ الذي كان من أمر عثمان باطل» (٥).

ويعني بذلك ذهاب عثمان إلى مكة دون إذن رسول الله ﷺ والامتناعه عن بيعة الرضوان.
وقال رجل لعبد الله بن عمر: انشدك بحرمة هذا البيت أتعلم أنّ عثمان تخلف عن بيعة

(١) السيرة الحلبي ١٦ / ٣.

(٢) سيرة ابن دحلان ١ / ٤٩٢.

(٣) تاريخ المدينة، ابن شبة ١ / ٣٦٥.

(٤) اقرأ هذا الموضوع في هذا الكتاب.

(٥) تاريخ الطبري ٢ / ٢٨٠.

الرضوان؟^(١). وهذا الأمر يبين فرار عثمان إلى مكة وانتشار هذا النبأ بين المسلمين ولكن الأمويين حاولوا طمس ذلك بالكاذيب.

ومن الأكاذيب اشاعة مقتل عثمان ولا أدري من يقتله هناك أبو سفيان أم معاوية أم الحكم بن أبي العاص أم الوليد بن عقبة بن أبي معيط وهم قادة المشركين وجميعهم من بني أمية؟ وكيف يقتلوه وقد لبى دعوتهم عنادا لرسول الله ﷺ والمسلمين!

لذا قال ابن عباس: اتقرن يا معاوية رجلاً غاب عن بدر ولم يشهد بيعة الرضوان وفر يوم التقى الجمعان، ابن مخنف قريش الذي لم يسلم سيفاً، ولم يدفع عن نفسه ضيماً إلى قريع العرب وفارسها وسيف النبوة وحارسها أكثرها علماً واقدمها سلماً^(٢).

وعير عبدالله بن مسعود عثمان بن عفان قبل مقتله قائلاً:

لستُ كذلك، ولكن صاحب رسول الله ﷺ يوم بدر ويوم بيعة الرضوان^(٣).

مشيراً إلى غيابه في بدر والرضوان.

وأقدم عبد الرحمن بن عوف الزهري على تعبيره بذلك أمام الناس وانتشر الخبر في الآفاق وفي كتب المسلمين إذ قال لعثمان في المسجد النبوي أمام المسلمين: والله ما شهدت بدرًا، ولا بايعت تحت الشجرة، وفررت يوم حنين^(٤).

وقال رسول الله ﷺ: ولا تفرن يوم الزحف فإنه من فرّ يوم الزحف فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير^(٥).

وقال المقداد بن عمرو في يوم الشورى أمام الناس جميعاً عن عثمان: لا تبايعوا رجلاً لم يشهد بدرًا، ولم يبايع بيعة الرضوان وانهزم يوم أحد يوم التقى الجمعان. ويقصد به عثمان.

(١) تفسير السيوطي ٢ / ٨٦، لسان العرب ١٣ / ٨٢، سنن البخاري ٤ / ٢٠٣، تفسير القرطبي ٤ / ٢٤٥، البداية

والنهاية ٤ / ٣٦، النهاية ١ / ١٩١.

(٢) أخبار الدولة العباسية ٤٩.

(٣) أنساب الأشراف ٥ / ٣٦، والغدير ٩ / ٣، المسترشد، ابن جرير الطبري ١٦٤، المستدرک ٣ / ١٠٥.

(٤) البحار ٣١ / ٢٨٨، تاريخ المدينة المنورة ٣ / ١٠٣١.

(٥) المستدرک الحاكم ٤ / ٤٤.

فقال عثمان: أمّ والله لئن وليتها لأردنّك إلى ربّك الأول^(١)

وفعلاً وفى عثمان بقسمه وقتل المقداد في زمن حكمه!

وقال سالم بن عبد الله بن عمر: إنّ عثمان لم يشهد البيعتين كليهما بيعة الرضوان وبيعة

الفتح^(٢).

وبذلك يكون الصحابة عبد الله بن مسعود والمقداد بن عمرو وعبد الرحمن بن عوف

وابن عباس قد عيّروا عثمان أمام المسلمين بفراره في بدر واحد وبيعة الرضوان وبيعة

فتح مكة، وايدهم الصحابة في هذا الموضوع.

وقال عبد الله بن مسعود: كنا نتذاكر في أمر الدجال فقال رسول الله ﷺ: إنّ في البيت

لمن هو أشدّ على أمتي من الدجال، وقد مضى من كان في البيت يومئذٍ غيري وغير

عثمان^(٣)!

ولا يعقل عاقل أن يكون فرار عثمان من معارك بدر واحد وخير وحنين وبيعة

الرضوان وبيعة الفتح قد حدث صدفة.

لذلك أحببت قريش عثمان أكثر من عمر، فهو الذي أخفى طاغيتي المشركين معاوية

بن المغيرة بن أبي العاص وعبد الله بن أبي سرح^(٤). رغم ما في ذلك من خطورة على

حياته وسمعته.

وقد يسأل القارئ اللبيب عن سبب طمس الحقائق وتغيير الوقائع في التاريخ

الإسلامي فنحيل جوابه هذه المرة إلى أبي هريرة الذي يجيب قائلاً:

حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين فأما أحدهما فبثته وأما الآخر فلو بثته قطع هذا

البلعوم^(٥)!

(١) الامالي، المفيد ١١٤، مسند أحمد ١٠١/٢، الصراط المستقيم ٣٤/٣، كتاب الأربعين، القمي الشيرازي ٥٨٧.

(٢) الغدير ١٠ / ٧١، الرياض النضرة ٢ / ٩٤.

(٣) البحار ٢٨٢ / ٣١.

(٤) المستدرک، الحاكم ٤٨ / ٣.

(٥) سنن البخاري ١ / ١٢٢ باب حفظ العلم ١١٨، والعلقوم مجرى النفس خروجاً ودخولاً والمرىء ممر الطعام

ولطمس الحقيقة فقد نشر الامويون الاكاذيب منها :

لقد وردت اشاعة قوية بمقتل عثمان بن عفان في مكة فصمم رسول الله ﷺ على حرب المشركين فاجرى بيعة الرضوان والراوي جراح بن المنهال أبو العطوف الجزري وقد كذبه البخاري ومسلم وابن المديني والدارقطني والنسائي وابن حبان وكان يشرب الخمر ايضاً^(١) فهو لاء جميعاً كذبوا تلك الرواية.

وفي رواية كاذبة اخرى أن رسول الله ﷺ ضرب بيسراه على يمينه بدل بيعة عثمان، وأن الكفار أخذوا عثمان وعشرة مسلمين رهناً وأخذ المسلمون سهيل بن عمرو رهناً^(٢)، الجواب : لم يبايع النبي ﷺ للمسلمين العشرة المرافقين لعثمان ولم يذكروا اسماءهم ؟ والمعروف عن عثمان كونه من بني أمية وابن عمه أبو سفيان قائد المشركين ووقف عثمان الى جانب معاوية بن المغيرة بن أبي العاص الممثل بجسد حمزة وجاسوس قريش في معركة احد إذ أخفاه في بيته^(٣)، والاسباب التي دعت إلى هذه الروايات الاموية الكاذبة هو ذهاب عثمان الى مكة. وقد بين الصحابة كذب الامويين يوم عدوا ذهاب عثمان الى مكة وفراره من بيعة الرضوان مثلبة من مثالبه وايد عثمان عصيانه بسكوته على اقوال الصحابة فيه.

بيعة الرضوان

ولما كان الرسول ﷺ يحمل راية الصلح والسلام في يد، ويحمل السيف في اليد الاخرى، تخويفاً وتهديداً لقريش نراه جمع أصحابه للبيعة تحت شجرة، فكانت بيعة الرضوان. فبايعوه بأجمعهم على الموت في نصرته وعلى أن لا يفرّوا، (وفيهم كهف

→ والشراب وهو تحت الحلقوم، والبلعوم تحت الحلقوم. أراد أبو هريرة بالوعاء الأول ما حفظه من احاديث عامة واما الثاني فما حفظه من اخبار الفتن واشراط الساعة وما أخبر به الرسول من فساد الدين على يد الامويين وافعال الظلمة بحق أهل البيت ﷺ فقال أبو هريرة: لو شئت ان أسميهم بأسمائهم.

(١) لسان الميزان ٢ / ١٠٠.

(٢) البداية والنهاية ٤ / ٢٠٠ - ٢٠٣، تاريخ ابن خلدون ٢ / ٤٤٧، عيون الأثر ٢ / ١٢٢ - ١٢٦.

(٣) السيرة الحلبية ٢ / ٢٦٠، أنساب الاشراف ١ / ٣٣٧.

المنافقين ابن سلول) لم يتخلف منهم إلا رجل يدعى الجد بن قيس الانصاري وعثمان ابن عفان.^(١)

وأقام رسول الله ﷺ والمسلمون في الحديبية بضعة عشر يوماً^(٢) ومن شدة حب المسلمين لبيعة الرضوان كانوا يصلون عند تلك الشجرة عند ما يمرون بها فأمر عمر بقطعها^(٣) وبعد بيعة الرجال جرت بيعة النساء، وكانت بيعة النساء لرسول الله ﷺ تتمثل في أمره أمير المؤمنين علياً^(٤) في طرح ثوب للنساء ثم مسح به ﷺ بيده، فكانت مبايعتهن للنبي ﷺ بمسح الثوب^(٥).

ومثلما تعهد الرسول ﷺ بالصلح مع قريش، فقد وافق على شروطهم للسلام لحكمة إلهية. ولأجل اعتقاد المسلمين بنبوته محمد ﷺ، وحكمته، وأفعاله المسددة من الله تعالى فقد سكتوا، ورضوا بشروط الهدنة^(٥).



إعتراض علي بنود صلح الحديبية

لقد فرح رسول الله ﷺ بقدوم سهيل بن عمرو ممثلاً لقريش لمعرفة برغبة سهيل في الصلح وفعلاً كان سهيل مخولاً في إمضاء عقد الصلح وعرف عمر بن الخطاب بذلك أيضاً فغضب ورغب في اغتيال سهيل وستلاحظ في الموضوع القادم أنه اغرى ابنه بقتله لماذا؟
الجواب: إن عمر أحب قريشاً ولا يرغب بانتصار أحد عليها لذا رفض سفارة سهيل ورغب في سفارة رجل متشدد من قريش يقف أمام طموحات المسلمين في فتح مكة عنوة.

واستمر عمر في كرهه لسهيل بن عمرو رغم موقفه الشريف في الحديبية وبعد مقتل

(١) راجع البداية والنهاية ٤ / ٣٢، السيرة الحلبية ٢ / ٩، السيرة النبوية، دحلان المرفقة بسيرة الحلبي ٢ / ١٦٥ - ١٨٣.

(٢) عيون الأثر ٢ / ١٢٥.

(٣) عيون الأثر ٢ / ١٢٥.

(٤) الأرشاد، ١ / ١١٩.

(٥) راجع تاريخ يعقوبي ٢ / ٥٥ والسيرة الحلبية ٢ / ١٩.

رسول الله ﷺ إذ ارتد القرشيون وثبت سهيل ودعاهم للإسلام.
 لذلك لم يعين عمر في زمن حكمه سهيلاً في أي منصب ولم يهتم به وأخرجه إلى
 الشام جندياً عادياً فمات فيها في ظروف غامضة فقيل قتل وقيل مات بالطاعون^(١).
 وكان الطرف الإسلامي يودُّ الصلح وكذلك بعض القرشيين وخزاعة والأحباش
 وزعيم ثقيف، وهذه الجبهة هي التي أجبرت قريشا على الصلح.
 وكان قادة قريش وجواسيسهم يودّون الحرب لاعتقادهم بأن الخاسر فيها هم
 المسلمون!

وبعد الصلح خالف عمر بن الخطاب تلك الشروط إذ جاء في تفسير عبد الرحمن
 السيوطي في تفسير سورة الفتح: فقال عمر بن الخطاب:
 ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ، فأتيت النبي ﷺ فقلت: ألسنت نبي الله؟
 قال: بلى.

فقلت: ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟
 قال: بلى.

قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذن؟
 قال: إنني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري.
 قلت: أوليس كنت تحدّثنا: أنا سنأتي البيت ونطوف به.
 قال: بلى، أفأخبرت أنك تأتیه العام؟
 قلت: لا.

قال ﷺ: إنك آتیه ومطوف به^(٢).

أمّا عمر فقد غفل عن كل هذا، وأخذ يعامل الرسول ﷺ كرجل عادي، وهو غافل
 عن كونه رسول الله ﷺ إذ أخذته الحمية في هذا المجال وغضب، فقال: يا أبا بكر:
 أليس هو رسول الله؟

(١) اسد الغابة ٢/٤٨٠.

(٢) المغازي، الواقدي ١/٦٠٧.

قال: بلى.

قال أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى.

قال: أليسوا بالمشركين؟ قال: بلى.

قال: فعلى م نعطي الدنية في ديننا.

فقال له أبو بكر: أيها الرجل إنه رسول الله، وليس يعصي ربّه، وهو ناصره استمسك بخرزه (أي استمسك بطاعته) حتى تموت فإنني أشهد إنه رسول الله^(١).

وأخرج البخاري - في آخر كتاب الشروط من صحيحه - حديثاً جاء فيه، أنه قال: فقلت ألسنت نبي الله حقاً؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل. قال:

بلى. قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذا؟

قال ﷺ: إنني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري.

قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فخطوف به.

قال ﷺ: بلى أفأخبرتكم أنا نأتيه العام؟

قلت: لا.

قال ﷺ: فإنك آتية ومطوف به^(٢).

قال عمر: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقاً؟

قال: بلى.

قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟

قال: بلى. قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذا؟

قال: أيها الرجل إنه لرسول الله، وليس يعصي ربّه، وهو ناصره، فاستمسك بخرزه،

فوالله إنه لعلى الحق.

(١) السيرة الحلبية، ج ٢/ ١٩، السيرة النبوية، دحلان، المرفقة بسيرة الحلبية ١٦٥/٢ - ١٨٣.

(٢) فلما كان عام الفتح وأخذ المفتاح قال ﷺ: - كما في السيرة الحلبية - ادعوا لي عمر بن الخطاب فلما أتاه قال: يا عمر هذا الذي قلت لكم، ولما كان في حجة الوداع ووقف ﷺ بعرفة استدعى عمر أيضاً فقال له: هذا الذي قلت لكم، صحيح البخاري، آخر كتاب الشروط.

فقلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى. أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا. قال: فإنك آتية ومطوف به.

قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً^(١) (ضد صلح الحديبية) فغضب رسول الله ﷺ إذ قال البخاري: إن رسول الله كان يسير في بعض أسفاره في العودة من الحديبية، وكان عمر بن الخطاب يسير معه ليلاً، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء، فلم يجبه رسول الله ﷺ، ثم سأله فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه. فقال عمر بن الخطاب: ثكلتك أمك يا عمر نزلت رسول الله ﷺ ثلاث مرّات كل ذلك ولا يجيبك.

قال عمر: فحركت بعيري ثم تقدمت أمام المسلمين، وخشيت أن ينزل في قرآن..^(٢) وكانت هذه الحادثة عند نزول سورة الفتح بعد عودة النبي ﷺ والمسلمين من الحديبية^(٣).

وقد بلغ غضب النبي ﷺ على عمر وأعماله أنه ﷺ لم يكلم عمر، وترك أسئلته ثلاث مرّات.

وقال الشعبي في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(٤) هو فتح الحديبية، لقد أصاب فيها مالم يُصب في غزوة^(٥) كذلك قال الترمذي وابن مسعود والفراء والضحاك ومجاهد^(٦).

والأعمال التي قام بها عمر لاحقاً ضدّ صلح الحديبية المتضمنة لبيعة الرضوان وتبين حقه على هذه المعاهدة! هي:

-
- (١) سيرة الحلبي في غزوة الحديبية، البداية والنهاية، ابن كثير ٢٠٠/٤.
 (٢) البداية والنهاية، ابن كثير الدمشقي ٢٠٢/٤، دار احياء التراث العربي - بيروت، تفسير ابن كثير، سورة الفتح ٢٩٦/٤، ورواه الترمذي والنسائي، دار احياء التراث العربي، بيروت.
 (٣) تفسير الكشاف، الزمخشري ٣٣١/٤، سورة الفتح.
 (٤) الفتح: ١.
 (٥) تفسير القرطبي ٢٦٠/١٦.
 (٦) المصدر السابق.

قطع شجرة الرضوان التي بايع المسلمون تحتها رسول الله ﷺ! (١) وهدّد كل من صلّى عندها! فنلاحظ اتفاق وجهة نظر عثمان وعمر في قضية الحديبية فعثمان لم يبايع فيها، وعمر منع الناس من الصلاة تحت الشجرة، ثمّ قطعها لما رأى عدم الكفّ عن الصلاة تحتها. والسبب يكمن في عدم رغبة عمر في فتح مكة عنوةً ورغب الكافرون والمنافقون يومها في الحرب لقلّة عدد وعدّة المسلمين. ولأنّ الفتح يقلل من احترام قريش بين قبائل العرب. وهو منطق زعماء مكة.

ودعا عمر أبا جندل لقتل أبيه سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود العامري (٢). وقال ما شككت إلّا يومئذٍ (٣). وقال عمر في خلافته لابن عباس عن صلح الحديبية: ارتبت ارتياباً لم أرتبه منذ أسلمت إلّا يومئذٍ، ولو وجدت ذلك اليوم شيعةً تخرج عنهم رغبة عن القضية لخرجت (٤).

أي إنّ عمر لو وجد انصاراً لثار بهم على النبي محمد ﷺ وعلى الإسلام! لأنه ارتاب في ذلك اليوم وشكك في صحة رسالة النبي ﷺ! كما قال (٥).

فخاف عمر من ان يفضحه الله تعالى فقال: خشيت أن ينزل فيّ قرآن (٦). ولما جعل عمر يردّ على رسول الله ﷺ الكلام قال له أبو عبيدة بن الجراح: ألا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله ﷺ ما يقول، نعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فقال الرسول ﷺ يومئذٍ: يا عمر إنّي رضيت وتأبى؟ (٧)

(١) شرح نهج البلاغة ٥٩/١.

(٢) السيرة الدحلانية ١/٤٨٨-٤٩٤.

(٣) تفسير السيوطي سورة الفتح.

(٤) مغازي الواقدي ٦٠٧/١، موضوع غزوة الحديبية.

(٥) تاريخ الخميس ٢/٢٠، البداية والنهاية ٤/٢٠١-٢٠٣.

(٦) البداية والنهاية، ابن كثير ٢٠٢/٤.

(٧) النص والاجتهاد ١٧٤.

شروط الصلح

ولما اتفق رسول الله ﷺ وسهيل بن عمرو على وثيقة الصلح دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل: لا أعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم. وقال رسول الله ﷺ: اكتب باسمك اللهم هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ وسهيل بن عمرو.

فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله ﷺ لم أقاتلك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله. ولم يمحها علي رضي الله عنه فمحها رسول الله ﷺ بيده وقال لعلي: تدعى لمثلها فتجيب. فكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو^(١).

وكان الصلح على أن يرجع رسول الله ﷺ بأصحابه من الحديبية فإذا كان العام القابل، تخرج قريش من مكة، فيدخلها رسول الله ﷺ بأصحابه، فيقيم بها ثلاثاً، وليس معه من السلاح سوى السيوف في القرب والقوس. وأن توضع الحرب بينه وبينهم ثلاث سنين^(٢)، يأمن فيها الناس، ويكف فيها بعضهم عن بعض.

وأنه من أحب من العرب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه.

وأن يكون بين الفريقين عيبة مكفوفة (أي صدور منظوية على ما فيها لا تبدي عداوة) وإنه لا إسلال ولا إغلال (أي لا سرقة ولا خيانة).

وأنه من أتى محمداً من قريش ممن هو على دين محمد بغير إذن وليه رد إليه، ومن أتى قريشاً ممن مع محمد فارتد عن الإسلام لا ترده قريش إليه، فقال المسلمون: سبحان الله كيف نرد للمشركين من جاءنا منهم مسلماً. وعظم عليهم هذا الشرط.

(١) الأرشاد ١ / ١٢٠ - ١٢٢، سيرة ابن حبان ١ / ٢٨١ - ٢٨٤.

(٢) قال اليعقوبي ثلاث سنين ١ / ٥٤، وقال موسى بن عقبة سنتين، عيون الأثر ٢ / ١٢٨، وقالوا عشر سنين السيرة الحلبية ١٢ / ٣ - ٢٠.

فقالوا يا رسول الله: اتكتب هذا على نفسك؟

قال: نعم إنه من ذهب منّا مرتداً أبعد الله، ومن جاءنا مسلماً فرددناه إليهم سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً^(١).

وطالب سهيل بشرط صعب الا وهو إرجاع العبيد الفارين إلى مالكيهم مثل بلال الحبشي وعمار بن ياسر قائلاً: يا محمد إن أرقاءنا لحقوا بك فارددهم علينا، فغضب رسول الله ﷺ حتى تبين الغضب في وجهه ثم التفت إلى أبي بكر وعمر فقال لهما: ما تقولان؟

قالا: صدق الرجل.

فتغير وجه رسول الله ﷺ والتفت إلى الوفد وقال ﷺ:

لننتهنّ أو ليعث الله عليكم رجلاً امتحن الله قلبه للايمان يضرب رقابكم على الدين.

فقال بعض من حضر: يا رسول الله ﷺ أبو بكر ذلك الرجل؟

قال ﷺ: لا.

قيل: فعمر.

قال ﷺ: لا ولكنه خاصف النعل في الحجرة فتبادر الناس ينظرون من الرجل؟ فاذا هو أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه^(٢).

ولو عاد بلال وعمار وصحبهم لقتلهم المشركون بمن قتلوا في بدر واحد!

وبينما رسول الله ﷺ هو وسهيل بن عمرو بن عبد ود العامري يكتبان الكتاب بالشروط المذكورة، إذ جاء أبو جندل - واسمه العاص - بن عمرو بن عبد ود العامري الى المسلمين، يرسف في قيوده.

وكان أسلم بمكة قبل ذلك، فمنعه أبوه من الهجرة وحبسه موثقاً، وحين سمع أن النبي ﷺ وأصحابه في الحديبية، احتال حتى خرج من السجن.

(١) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٠٥، التنبيه والاشراف ٢٢١، عيون الأثر ٢ / ١٢٠، البداية والنهاية ٢٠١ - ٢٠٥.

(٢) اعلام الوري ١٩١، الأرشاد ١ / ١٢٣، المستدرک، الحاكم ٤ / ٢٩٨، تاريخ بغداد ١ / ١٣٣، البحار ٢٠ / ٣٦٠.

مصباح الانوار ١٢١، سنن الترمذي ج ٢، كنز العمال ٦ / ٤٠٧، خصائص النسائي ١١، فضائل الخمسة في الصحاح

السته ٢ / ٣٣٧.

وتتكَّب الطريق في الجبال حتَّى هبط على المسلمين ففرحوا به وتلقَّوه، لكن أخذ أبوه بتلايبيه يضرب وجهه ضرباً شديداً (والمسلمون سيكونون رحمة له) وهو يقول: يا محمد هذا أول ما أقاضيك عليه، أن ترده إليَّ،

فقال له النبي ﷺ: إِنَّا حتَّى الآن لم نفرغ من كتابة الكتاب. قال سهيل: إذاً لا أصالحك على شيء. فقال له النبي ﷺ: فأجره لي.

قال: ما أنا بمجير له لك.

قال: بلى فافعل.

قال: ما أنا بفاعل.

فقال مكرز بن حفص وحويطب بن عبد العزى، وهما من وجوه قريش. قد أجرناه لك يا محمد، فاخذه وأدخله فسطاطاً وكفأ أباه عنه.

ثم قال سهيل: يا محمد: قد تمَّت القضية ووجبت بيني وبينك قبل أن يأتي ابني إليك. قال: صدقت. وحينئذٍ قال ﷺ لابي جندل: اصبر واحتسب فقد تمَّ الصلح قبل أن تأتي، ونحن لا نغدر وقد تلطَّنا بأبيك فأبى، وإنَّ الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً^(١).

فدخلت قبيلة خزاعة في عهد محمد رسول الله ﷺ ودخلت بنو بكر في عهد قريش، فأمن الناس لمدة سنتين ودخل في الدين في تينك السنتين ما دخل فيه قبل ذلك وأكثر^(٢) وكان رسول الله ﷺ والمسلمون قد أحرموا من ذي الحليفة فقلَّد ﷺ الهدى وأشعره وبعد إمضاء العقد قال رسول الله ﷺ: يا أيها الناس اجعلوها عمرة فانحروا واحلقوا فنحر رسول الله ﷺ هديه ثم حلق فقام الناس ينحرون ويحلقون^(٣)

وكان عثمان بن عفان وأبو قتادة الانصاري ممن لم يحلقا عناداً لأمر رسول الله ﷺ^(٤).

(١) السيرة الدحلانية، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٢/ ٢٠٥.

(٢) ابن الأثير ٢/ ٢٠٥.

(٣) عيون الأثر ١/ ١٢٢.

(٤) عيون الأثر ٢/ ١٢٢ سيرة ابن حبان ١/ ٢٨٣ - ٢٨٥، التنبيه والإشراف ٢٢١.

وقد اعتمر رسول الله ﷺ من المدينة أربع مرات: عمرة من الحديبية في ذي القعدة في السنة السادسة وعمرة في السنة السابعة في ذي القعدة، وعمرة من الجعرانة في ذي القعدة بعد تقسيم غنائم حنين في السنة الثامنة، وعمرة مع حجته في السنة العاشرة. والعجيب في رواية البخاري التي أورد فيها محاولة رسول الله ﷺ الهجوم على نساء واطفال قريش في الحديبية ونصيحة أبي بكر باجتناّب ذلك^(١) ولا أدري لماذا يكره البخاري رسول الله ﷺ إلى هذا الحد؟!

والحزب القرشي أراد دائماً اتهام النبي ﷺ بعدم الوفاء والغدر ففشل ودحر. ومن الحوادث المهمة تعجب الناس من بثر الحديبية التي كانت تقطر فأصبحت تجري بالماء فقال عبد الله بن أبي: ما رأيت مثلها.

وقال أبو سفيان متعجباً: ما رأينا كالיום قط وهذا من سحر محمد^(٢)! وقال عمر: ما شككت إلا يومئذ واستنكر عمر قول النبي ﷺ بالمجىء للبيت والطواف به^(٣).

مركز تحقيقات كويتية للدراسات الإسلامية

من حرض على قتل سفير قريش؟

ولمّا تمّ الصلح وقال النبي ﷺ: نحن لا نغدر، وبشّر أبا جندل بالفرج له ولأصحابه، وثب عمر بن الخطاب إلى أبي جندل يغريه بقتل أبيه، ويدني إليه السيف. قال عمر: كما في السيرة الدحلانية وغيرها - رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه، وجعل يقول له: إنّ الرجل يقتل أباه، والله لو أدركنا آباءنا لقتلناهم. لكنّ أبا جندل لم يجبه إلى قتل أبيه خشية الفتنة، وعملاً بما أمره به رسول الله ﷺ من الصبر والاحتساب.

وقال لعمر: مالك لا تقتله أنت؟

(١) سنن البخاري، كتاب المغازي، البداية والنهاية ٤ / ١٩٨.

(٢) السيرة العلوية ٣ / ١٢.

(٣) سنن البخاري، آخر كتاب الشروط، مغازي الواقدي ١ / ٦٠٧، غزوة الحديبية، مغازي الذهبي ٣٧١.

قال عمر: نهانا رسول الله عن قتله وقتل غيره.

فقال أبو جندل: ما أنت أحق بطاعة رسول الله مني^(١).

فلاحظ من ذلك أن حلم أبي جندل أكثر من حلم عمر، وأن عمر تصرف تصرفاً شخصياً وهو يعرف عاقبة الأمور. إذ لو أقدم أبو جندل على قتل أبيه لحدثت فتنة بين الفريقين تطول مدتها، والنبي ﷺ يريد فتح مكة بأسهل الطرق واقصرها مدة.

واعتقد أبو جندل بأن عمر أراد الفتنة لمنع فتح مكة عنوة إذ كيف تمر حادثة مقتل سهيل بن عمرو بن عبد ود العامري بسهولة. وكيف لا تفهمها قريش غدرًا من النبي ﷺ وأصحابه.

وسهيل سفير قريش، والسفير لا يقتل، لذلك لم يقتل كسرى الفرس الكافر سفير النبي محمد ﷺ، بل قال: لو كان السفير يقتل لقتلته...؟! فهل يكون النبي ﷺ دون كسرى في الوفاء بالعهود والأعراف والعياذ بالله!!

وقد رفض عمر بنود صلح الحديبية، وقال ما شككت إلا يومئذ وعملت لذلك أعمالاً، فكان طلبه قتل سفير قريش نابعاً من رغبته في تحطيم معاهدة الحديبية؟

وبينما قال تعالى عن فتح الحديبية: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(٢) قال عمر عن فتح الحديبية: ما هذا بفتح^(٣).

ومن خلال ترغيبه ومساعدته على قتل سفير قريش، ورئيس وفد لها، وأحد وجوهها البارزين، نتذكر ما صمم عليه عمر في مكة قبل إعلان إسلامه من نيته وعزمه على قتل النبي ﷺ، ونتذكر طلبه من أبي بكر الأقدام على قتل علي عليه السلام بعد حادثة السقيفة، وطلبه من جماعته قتل سعد بن عباد (رئيس الانصار)^(٤).

إن سبب امتناع عمر عن قتل سفير قريش بنفسه، وطلبه من أبي جندل الأقدام على

(١) السيرة الدحلانية المرفقة بسيرة الحلبي ١٦٥/٢ - ١٨٣، تاريخ ابن الأثير ٢/٢٠٥.

(٢) دلائل النبوة، البيهقي ١٥١/٤.

(٣) تفسير القرطبي ١٢/٢٦٠ الدر المنثور ٦/٦٨. النص والاجتهاد.

(٤) الإمامة والسياسة ٧/٢ - ١٥.

ذلك، يعود إلى معرفة عمر بمقتل القاتل حتماً.

وأى معاهدة صلح تصوّر لها عمر، تبدأ بقتل أحد الموقعين عليها، وفي داخل سقيفة المفاوضات وقبل جفاف حبر الوثيقة؟

وكما توقع النبي ﷺ فقد أصبح الصلح مفتاحاً لنشر الإسلام وتعاليمه في مكة، على اثر زيارة المسلمين لها وزيارة الكفار للمدينة... فغير هذه الزيارات سقطت أغشية الحقد والكراهية، وبسقوطها سقط هبل واللات والعزى، فاطلع الكفار على خلق النبي ﷺ الكريم، وعظم صفاته، وكمال شريعته، وانبهروا ببركة الاسلام، وأمنه، واحكامه الغراء، وما فتحه الله عليهم من مدن وارااضي واسعة. وهذه الأسباب هي التي ساعدت على فتح مكة بعد سنتين من صلح الحديبية، ففتحها الرسول ﷺ مظفراً عزيزاً، بعد ان زارها للعمرة مع صحبه في السنة السابعة للهجرة؟!

ولا يعني هذا عدم قدرة الرسول ﷺ على فتح مكة في السنة السادسة للهجرة، بل أراد الله سبحانه أن يبين أن الحرب ليست المفتاح الوحيد لنشر الإسلام وفتح الدول. وأراد تعالى فتح مكة للمسلمين عنوة ودون اراقة دماء.

وقد بين الله سبحانه قدرة المسلمين على فتح البلدان قائلاً:

﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾^(١)

ولما رجعوا من وقعة الحديبية نزلت عليهم سورة الفتح:

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(٢).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْ أَجْرٍ عَظِيمٍ﴾^(٣).

إذ وعد الله تعالى رسوله بفتح مكة وفعلاً تم ذلك وفتحت مكة وتحطمت أصنامها. وكانت بيعتهم على الموت في سبيل الله على أن لهم الجنة:

(١) الفتح، ٢٢.

(٢) الفتح: ١.

(٣) الفتح: ١٠.

﴿سيقول المخلفون إذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا تتبعكم﴾^(١)
 لذا لم يسمح رسول الله ﷺ للمتخلفين عن غزوة الحديبية المجيء معه الى غزوة
 خيبر وقالوا عن فتح الحديبية : ما فتح الله فتحاً قبله كان أعظم منه، إذ انتشرت الدعوة
 الإسلامية في أراضي شبه جزيرة العرب بسهولة^(٢).

حصول فرج للمستضعفين

وكان في المستضعفين المعذبين في مكة رجل من أبطال المسلمين يدعى أبا بصير
 (عتبة بن أسد بن جارية)، احتال حتى خرج من السجن، ففرّ هارباً إلى رسول الله ﷺ،
 وهو في المدينة بعد رجوعه ﷺ من الحديبية، فكتبت قريش في رده كتاباً بعثت به
 رجلاً من بني عامر، يقال له خنيس، ومعه مولى يهديه الطريق، فقدم على رسول
 الله ﷺ بالكتاب فإذا فيه:

«قد عرفت ما شارطناك عليه من ردّ من قدم عليك من أبنائنا، فابعث إلينا أبا بصير»
 فقال النبي ﷺ: يا أبا بصير، إنّنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصح الغدر، فإنّ
 الله تعالى جاعل لك ومن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، فانطلق راشداً.
 قال: يا رسول الله إنّهم يفتنونني عن ديني.

قال ﷺ: يا أبا بصير انطلق؛ فإنّ الله سيجعل لك ولمن حولك من المستضعفين فرجاً
 ومخرجاً، فودّع الرجل رسول الله ﷺ وانطلق معهما، حتى إذا كانوا بذى الحليفة جلس الى
 الجدار ومعه صاحبا.

فقال لاحدهما: أصارم سيفك هذا يا أخا بني عامر؟

قال: نعم.

قال أبو بصير: أرنيه فناوله إياه فاستله أبو بصير ثم علاه فإذا هو يتشحّط بدمه، ثم همّ
 بالثاني فهرب منه، حتى أتى رسول الله ﷺ.

(١) الفتح: ١٥.

(٢) سنن مسلم ١٤١٢/٣ - ١٤١٦، مغازي الذهبي ٣٩٤ - ٤٠٠.

فلما رآه النبي ﷺ والحصن يطير من تحت قدميه من شدة عدوه، وأبو بصير في أثره قال ﷺ: قد رأى هذا ذعراً فلماً انتهى إلى النبي قال له ﷺ: ويحك مالك؟ قال: إن صاحبك قتل صاحبي، وأفلت منه ولم أكد، وأني لمقتول فأغثني يا محمد، فأمنه رسول الله، وإذا بأبي بصير يدخل متوشحاً سيفه يقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله وفيت ذمتك أسلمتني بيد القوم، وقد أمتنعت منهم بديني، أن أفتن فيه أو يفتن بي. فقال ﷺ له: إذهب حيث شئت. فقال: يا رسول الله ﷺ هذا سلب العامري الذي قتلته، رحله وسيفه فخّسه.

فقال له رسول الله ﷺ: إذا خمّسته رأوني لم أوف لهم بالذي عاهدتهم عليه، ولكن شأنك بسلب صاحبك، وعند ذلك ذهب أبو بصير إلى محلٍ من طريق تمرّ به عيرات قريش، واجتمع إليه جمع من المسلمين المستضعفين، الذين كانوا قد احتبسوا بمكة إذ بلغهم خبره.

وإن رسول الله ﷺ قال في حقّه «إنّه مسعر حرب لو كان معه رجال، فتسلّلوا حينئذ إليه، وانفلت أبو جندل بن سهل بن عمرو، وخرج من مكة في سبعين فارساً أسلموا، فلاحقوا بأبي بصير، وكرهوا أن يقدموا على رسول الله في تلك المدة - مدة المهادنة - وانضم إليهم ناسٌ من غفار وجهينه وأسلم، وطوائفٌ آخر من العرب حتّى بلغوا ثلاثمائة مقاتل فقطعوا مارة قريش، لا يظفرون بأحدٍ منها إلّا قتلوه، ولا مرّ بهم غير إلّا أخذوها، ومنعوا الدخول إلى مكة والخروج منها.

فاضطرت قريش أن تكتب لرسول الله تسأله بالأرحام التي بينه وبينها، ألا آواهم، وأرسلت أبا سفيان بن حرب في ذلك، فأبلغه أبو سفيان: أنّا أسقطنا هذا الشرط من شروط الهدنة، فمن جاءك منهم فامسكه من غير حرج.

وحينئذ كتب رسول الله ﷺ إلى أبي جندل وأبي بصير أن يقدموا عليه، وأن يلحق من معهما من المسلمين بأهليهم، ولا يتعرضوا لأحدٍ مرّ بهم من قريش، ولا لعيراتهم، فقدم كتاب رسول الله ﷺ عليهما وأبو بصير ﷺ يموت فمات والكتاب في يده، فدفنه أبو جندل مكانه، وجعل عند قبره مسجداً.

وقدم أبو جندل على رسول الله ﷺ مع ناس من أصحابه، ورجع باقيهم إلى أهلهم، وأمنت قريش على عيراتهم.

وبعد سنة على صلح الحديبية جاء رسول الله والمسلمون إلى مكة للعمرة، فاخلتها قريش ثلاثة أيام^(١).

وحينئذ عرف الصحابة الذين عظم عليهم ردُّ أبي جندل إلى قريش مع أبيه أن طاعة رسول الله ﷺ خير مما أحبوه، وعلموا أنَّ الحكمة كانت في الحديبية، وأنه لا ينطق عن الهوى^(٢).

ونفهم من ذلك حكمة النبي ﷺ في أفكاره وأقواله وأعماله، وإنَّ الله سبحانه ناصر المسلمين، ومخالفة البعض للنبي ﷺ نابعة من قصر نظرهم، وضعف حكمتهم. ولكن بالرغم من تلك الانتصارات وفتح مكة استمر البعض في معارضة رسول الله ﷺ!

غضب الحزب القرشي لمديح النبي ﷺ في الحديبية

غضبت عصابة قريش في الحديبية لقول النبي ﷺ في علي عليه السلام: هذا أمير البررة، قاتل الفجرة منصور من نصره، مخذول من خذله^(٣). وأمره ﷺ في بيعة الرضوان الناس بالسلام على علي عليه السلام بإمرة المؤمنين^(٤).

وكان رسول الله ﷺ قد قال: النظر إلى علي عليه السلام عبادة^(٥).

فعارض الحزب القرشي ذلك وحزنوا وغضبوا، فحاول عمر نقض معاهدة الحديبية بطلبه قتل سفير قريش سهيل بن عمرو بن عبد ود العامري.

(١) تاريخ يعقوبي ١/٥٥.

(٢) النص والإجتهاد لعبد الحسين شرف الدين الموسوي ١٩٤، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٢/٢٠٤ - ٢٠٦، المغازي، الواقدي ١/٦٨.

(٣) مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر ١٧/٣٥٦.

(٤) الأمالي المفيد: ٣٣٦.

(٥) مستدرک الحاكم ٣/١٥٢.

وفر عثمان من بيعة الحديبية (الرضوان)^(١)، فلم يبايع النبي ﷺ، مما حدا بعبد الرحمن بن عوف إلى فضحه في أيام حكمه^(٢). وفي الطائف بعد معركة حنين لما أطل الرسول ﷺ مناجاة علي عليه السلام رأى الكراهية في وجوه رجال، فقالوا: قد أطل مناجاته منذ اليوم^(٣). فقال النبي ﷺ: ما أنا بالذي انتجيته بل الله انتجاء^(٤). وأخطر شيء رفضه الحزب القرشي هو الخلافة لعلي عليه السلام لذلك أرادوا قتل النبي ﷺ في حملة تبوك لقوله ﷺ علي مني مثل هارون من موسى عليه السلام^(٥) وثاروا في حجة الوداع لأنه ذكر حديث الثقلين وخلافة علي وأولاده الخلفاء الأحد عشر من قريش^(٦).

الدلائل والعبر

انتشرت رؤيا رسول الله ﷺ في زيارته والمسلمين بيت الله الحرام قبل صلح الحديبية في شبه جزيرة العرب، وكان المسلمون في شوق لزيارة البيت الحرام بعد صد عنه دام ست سنوات. فخرج المسلمون إلى مكة وأحرموا من الجحفة. فحاول زعماء مكة منعه والمسلمين من ذلك وقرروا الدخول معه في حرب فخرج عكرمة بن أبي جهل في خمسمائة رجل، وخرج خالد بن الوليد في مئتي رجل، فأنحرف عنهم رسول الله ﷺ والمسلمون وسلكوا أرضاً صعبة وجرداء. فخاف المشركون على مكة فرجعوا للدفاع عنها.

(١) السيرة الحلبية ١٩/٢، السيرة النبوية، دحلان المرفقة بسيرة الحلبي ١٦٥/٢ - ١٨٣، البداية والنهاية، ابن كثير ٢٠٠/٤، تفسير ابن كثير ٦٥٧/١.

(٢) السيرة الحلبية ١٩/٢، السيرة النبوية، دحلان المرفقة بسيرة الحلبي ١٦٥/٢ - ١٨٣، البداية والنهاية، ابن كثير ٢٠٠/٤، تفسير ابن كثير ٦٥٧/١.

(٣) مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر ٣٧٨/١٧، ٣٧٩.

(٤) راجع موضوع اغتيال النبي ﷺ في نهاية الكتاب.

(٥) راجع غزوة تبوك.

(٦) ستقرأ في موضوع حجة الوداع في هذا الكتاب.

واستمر الرسول ﷺ في تصميمه على الصلح، وقبل توقيع عقد السلام حاول عمر بن الخطاب قتل سفير قريش بتقديمه سيفه إلى أبي جندل فامتنع هذا بالعناية الإلهية. فالإصرار النبوي على السلام ودعاؤه ﷺ في هذا السبيل هو الذي مكّنه من الحصول على النصر الإلهي فنزلت ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾^(١). واثبت رسول الله ﷺ أن الحرب ليست الطريق الوحيد للوصول إلى الأهداف بل قد يكون السلام أفضل وأسهل.

فقال عمر لرسول الله ﷺ: أين الرؤيا؟ في محاولة منه لإخراج رسول الله ﷺ.

فقال تعالى: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق...﴾^(٢)

وكان السلام في صالح الإسلام والمسلمين فانتشر التبليغ الإسلامي في كل مكان ودخل الناس في الدين الجديد.

وفي أيام السلم توجهت قريش إلى التجارة للحصول على الأموال فتحركت قوافلها إلى الشام ولكن المسلمين الفارين من مكة بقيادة أبي جندل وأبي بصير سرعان ما قتلوا رجالها وسلبوا امتعتها واستمر ذلك الوضع إلى شهور عديدة.

في حين توجه المسلمون لنشر الإسلام بروح عالية وأخلاق سامية فنجحوا في ذلك نجاحاً باهراً. أي توجهت قريش نحو المال وتوجه الرسول ﷺ نحو الإنسان.

وكان المسلمون الحاضرون في الحديبية سبعمائة رجل، وبعد سنتين علىبيعة الحديبية أي في السنة الثامنة للهجرة جاء المسلمون بعشرة آلاف مقاتل لفتح مكة فلم تتمكن قريش من الوقوف في طريقهم.

ومن المظاهر الأخلاقية لرسول الله ﷺ أنه لم يجرح أحداً بكلمة نابية بينما أهان أبو بكر عروة بن مسعود الثقفي قائلاً: امصص بظر اللات^(٣).

وعروة سيد ثقيف وقد أسلم فحسن إسلامه فقتله قومه فراح شهيداً. واحترم عروة

(١) الفتح ١.

(٢) الفتح ٢٧.

(٣) سيرة ابن دحلان ١ / ٤٨٧، البداية والنهاية ٤ / ٣١ - ٣٥، عيون الأثر ٢ / ١١٤ - ١١٦، تاريخ الخميس ٢ / ٢٠ - ٢٥.

رسول الله ﷺ فلم يرد علي أبي بكر. وكان في مفاوضات منصفاً للمسلمين.
فكان عروة على المنهج التربوي للنبي ﷺ وكان أبو بكر على المنهج التربوي لأبي
سفيان.

وبين رسول الله ﷺ أهمية البيعة الشعبية فأولاهها عناية خاصة تبعاً للآيات القرآنية
التي رفعت منزلة بيعة الشجرة فانزل تعالى فيها سورة الفتح.

وكثرة البيعات الإسلامية لرسول الله ﷺ تبين الأهمية الخاصة للشعب في الإسلام إذ
عقد رسول الله ﷺ بيعتي العقبة الأولى والثانية وأجرى بيعة الرضوان (الحديبية) وعقد
بيعة فتح مكة، وختم ذلك في حياته ببيعة الغدير حيث نصب علياً رضي الله عنه خليفة وإماماً
للمسلمين قائلاً:

من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره
وأخذل من خذله^(١).

وكان رسول الله ﷺ يعرف أين يطلب السلام ومتى ومع من وطلب ﷺ الصلح مع
المشركين واليهود ليتمكن من نشر رسالته، ولم يغير أبداً فكان مثلاً للوفاء والاخلاص.
وأدرك رسول الله ﷺ منزلة صلح الحديبية فبذل للصلح كل ما يستحق.

وأيقن عمر بن الخطاب بنتائج الحاصلة فبذل ما في وسعه لمنع الصلح، فخاف نزول
قرآن في حقه واستمر في كرهه لبيعة الرضوان إذ قال في حكمه:

لا أتى منذ اليوم بأحد صلى تحت الشجرة إلا قتلته بالسيف كما يقتل المرتد ثم أمر بها
فقطعت^(٢).

واختفت الحقائق عن المسلمين وجاءتهم الأكاذيب فقال الطبراني: الحديث الصحيح
في الحديث الكاذب مثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود^(٣).

(١) تاريخ الإسلام، الخطيب ٢٣٢، مسند أحمد ٤ / ٢٨١، الرياض النظرة، محب الدين الطبري ٢ / ١٦٩، الفصول
المهمة، ابن الصباغ المالكي ٢٥، تفسير القمى الرازي ٣ / ٦٣٦، الصواعق المحرقة ٢٦، التنبيه والإشراف،
المسعودي ٢٢١.

(٢) شرح النهج ١ / ٥٩ - ٦٠.

(٣) تفسير العياشي ٢ / ٢٣٣.

وقال سلمان الفارسي: لو حدثت الناس بكل ما أعلم لقالوا: رحم الله قاتل سلمان^(١). ونلاحظ أيضاً أن أعمال عمر وأبي بكر وعثمان والمغيرة بن شعبة تصب في هدف واحد وأن تخطيطهم المشترك كان قديماً. وعمر من أجراً الناس على النبي^(٢). ونفهم أيضاً أن عمر بن الخطاب أكثر الناس تشدداً من رجال الحزب القرشي. ومن قراءة الموضوع نفهم انخفاض نسبة العداء القبلي في المنطقة لرسول الله ﷺ وهو ما يلحظ منه نجاح المنهجية النبوية في الدعوة إلى الخير والعدالة الاجتماعية والسلام.



(١) تاريخ ابن عساكر ١٠ / ٤٥.

(٢) المنتظم، ابن الجوزي ٢ / ٢٧٣.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

فهرس محتوى الجزء الاول

المقدمة	٥
التمهيد: الفائدة من دراسة السيرة النبوية	١١
القسم الاول: النبي الاكرم في مكة المكرمة	١٧
الباب الاول: تاريخ ما قبل البعثة	١٧
الفصل الأول: العرب قبل الاسلام	١٩
حرب الفجار	٢٢
حلف الفضول	٢٦
الفصل الثاني: آباء النبي ﷺ	٣١
إيمان آباء النبي ﷺ	٣٣
علم النسب	٣٥
نسب النبي ﷺ	٣٦
هاشم بن عبدمناف	٣٨
عبدالمطلب بن هاشم	٣٩
بئر زمزم	٤٠
عبدالله بن عبدالمطلب وآمنة	٤١
الفصل الثالث: ملوك العرب	٤٣

٤٥	ملوك اليمن
٤٦	ملك اليمن المؤمن
٤٦	أهالي المدينة
٤٧	ملوك اللخمين
٤٨	ملوك غسان
٤٨	ملوك كندة
٤٩	قصة الفيل
٥١	الفصل الرابع: ولادة خاتم الأنبياء ﷺ
٥٣	أهل الكتاب يعرفون نبوة محمد ﷺ قبل الإسلام
٥٥	البشارات بولادة الرسول ﷺ
٥٨	ولادة رسول الله ﷺ
٦٦	من كفر أجداد النبي ﷺ والديه وأبا طالب
٧١	الفصل الخامس: طفولة خاتم الأنبياء ﷺ
٧٣	رضاعة رسول الله ﷺ
٧٨	محاولة اغتياله ﷺ أثناء الطفولة
٧٩	فقدانه ﷺ في الطفولة
٨٠	حادثة شق الصدر
٨١	آدابه ﷺ وهو طفل صغير
٨٣	الفصل السادس: صبا خاتم الأنبياء ﷺ
٨٥	كفالة أبي طالب لمحمد ﷺ
٨٦	صبا رسول الله ﷺ
٨٨	نبوته المبكرة
٨٩	رعيه الغنم
٩٠	رحلة الشام

٩٣	محاولة اليهود قتل الرسول ﷺ في الشام
٩٥	الفصل السابع: مكة
٩٧	من أشرف على بناء الكعبة
١٠٠	مشكلة وضع الحجر الأسود
١٠٣	رد الفعل الجاهلي
١٠٦	التعري في الطواف
١٠٨	الأنحراف عن دين ابراهيم ﷺ
١٠٩	بطون قريش
١٠٩	أهالي مكة
١١٦	بنو أمية وأصلهم
١٢١	تعظيم صورة الكفرة والطلاق
١٢٧	الفصل الثامن: عشية المبعث النبوي
١٢٩	التجارة مع خديجة
١٣٠	الزواج من خديجة
١٣٤	كانت خديجة عذراء
١٣٧	سن رسول الله ﷺ وخديجة عند الزواج
١٣٨	هالة بنت خويلد
١٣٨	المخزومي والتميمي رجل واحد أم اثنان؟
١٤٠	العبادة في حراء
١٤١	أولاد خديجة من رسول الله ﷺ
١٤٢	من هو الصهر الوحيد للنبي ﷺ؟
١٤٤	هل كانت فاطمة بنتا وحيدة للنبي ﷺ؟
١٤٦	رقية وأم كلثوم امرأة واحدة أم اثنان؟
١٥١	الوليد الوحيد للكعبة

١٥٦	التربية النبوية
١٥٩	الباب الثاني: البعثة النبوية
١٥٩	الفصل الاول: الايام الاولى من الاسلام
١٦٧	الأدلة على نبوة محمد ﷺ قبل البعثة
١٦٨	هل بدأت البعثة بنزول القرآن؟
١٧٠	أول صلاة جماعة في الكعبة
١٧١	الرسول ﷺ ينذر عشيرته
١٧٣	ولادة فاطمة وتاريخ موتها
١٧٥	المسلمون الأوائل
١٧٩	المستهزؤون وتعذيب المسلمين
١٨٥	الصراع الأبدي على السياسة
١٨٨	اسلام حمزة
١٨٨	محاولة قتل النبي ﷺ في مكة
١٩١	تصميم النبي ﷺ على تبليغ الرسالة
١٩٢	الدلائل والعبر
١٩٧	الفصل الثاني: الهجرة إلى الحبشة
٢٠٣	اسلام النجاشي
٢٠٤	قضية الغرائق والآيات الشيطانية
٢٠٦	كذب الهجرة الثانية الى الحبشة
٢٠٧	الدلائل والعبر
٢١١	الفصل الثالث: المقاطعة السياسية والاجتماعية والاقتصادية
٢١٣	صحيفة المقاطعة
٢١٤	أبو طالب بن عبدالمطلب
٢١٨	انشقاق القمر

٢١٩	نقض الصحيفة
٢٢٠	عام الحزن
٢٢٢	خروج النبي ﷺ إلى الطائف
٢٢٥	دعوة الناس إلى الإسلام
٢٢٦	إسلام الجن
٢٢٧	المجاعة الشديدة في مكة
٢٢٨	الدلائل والعبر
٢٣١	الفصل الرابع: الإسراء والمعراج
٢٤٠	الصلاة
٢٤٠	الدلائل والعبر
٢٤٣	الفصل الخامس: الدعوة وبيعتي العقبة
٢٤٥	بداية المنافسة على الملك
٢٤٦	دار أبي طالب مركز الإسلام والمسلمين
٢٤٧	كذب الدعوة السرية وزيف دار الأرقم
٢٥٥	حاجة الأنصار لمصلح
٢٥٦	بيعة العقبة الأولى
٢٥٨	بيعة العقبة الثانية
٢٦٣	الدلائل والعبر
٢٦٥	الفصل السادس: الهجرة إلى المدينة
٢٦٧	من صاحب النبي في الهجرة أبو بكر أم ابن بكر؟
٢٦٨	محاولة ممثلي قبائل قريش اغتيال النبي ﷺ في مكة
٢٧١	أداء الأمانة من قبله ﷺ
٢٧٢	الطريق إلى قباء
٢٧٣	من هاجر بالفواطم الى المدينة ؟

٢٧٤	استقبال الأنصار للرسول ﷺ
٢٧٧	الدلائل والعبر
٢٧٩	القسم الثاني: النبي الأكرم في المدينة المنورة
٢٧٩	الباب الأول: مرحلة البناء
٢٧٩	الفصل الأول: الحكومة الإسلامية في المدينة
٢٨١	أول صلاة جمعة
٢٨٢	بناء مسجد المدينة
٢٨٤	التأريخ الهجري
٢٨٥	الفصل الثاني: العلاقات الداخلية والخارجية
٢٨٥	الوحدة الإسلامية بين المهاجرين والأنصار
٢٨٧	وثيقة الوحدة الإسلامية والصلح مع اليهود
٢٩٢	الفصل الثالث: العبادات: فريضة الزكاة
٢٩٣	صوم شهر رمضان
٢٩٤	صرف القبلة إلى الكعبة
٢٩٥	الدلائل والعبر
٢٩٩	الباب الثاني: مرحلة التمكين
٢٩٩	الفصل الأول: معركة بدر
٣٠١	أول راية لرسول الله ﷺ
٣٠٣	غزوة بدر الكبرى
٣٠٤	منام عاتكة
٣٠٦	الخروج للحرب
٣١١	هل تردد عتبة وحكيم في الحرب؟
٣١٢	ماذا قال أبو بكر وعمر في معركة بدر؟
٣١٤	الماء كسلاح في الحروب

٣١٦	أحداث المعركة
٣١٧	الأخلاق الراقية في الحرب
٣١٨	لماذا لم يقتل العاص بن سعيد عمر؟
٣١٨	الفارّون من معركة بدر
٣٢٢	الأسرى
٣٢٥	القتلى
٣٢٧	الغنائم
٣٢٨	الدلائل والعبر
٣٢٩	الوقائع بعد معركة بدر
٣٣١	معركة ذي قار
٣٣٢	زواج علي ؑ من فاطمة ؑ
٣٣٤	إغلاق أبواب المسجد باستثناء بابين
٣٣٨	الغزوات بعد معركة بدر
٣٣٩	غزوة بني قينقاع
٣٤١	ولادة الحسن
٣٤٢	الدلائل والعبر
٣٤٧	مقتل المحاربين لله ورسوله
٣٤٩	اغتيال أبي عفك اليهودي
٣٤٩	مقتل عصماء بنت مروان اليهودي
٣٥١	إغتيال أبي رافع اليهودي
٣٥١	ظلم كعب بن الأشرف اليهودي
٣٥٣	هل أمر النبي بقتل اليهود؟
٣٥٥	هل كفر اليهود؟
٣٥٧	الدلائل والعبر

٣٥٩	الفصل الثاني: معركة أُحُد
٣٦١	معركة اُحد
٣٦٥	جبل اُحد
٣٦٦	شروع القتال
٣٦٧	من قتل حاملي ألوية الكفر؟
٣٦٩	هزيمة المسلمين
٣٧٩	الدلائل والعبر
٣٨٠	مقتل رقية ربيبة النبي ﷺ
٣٨٤	الانتقام النبوي
٣٨٦	الانتقام العثماني
٣٨٨	روايات واحاديث مزيفة
٣٩٠	من منع البكاء على المظلومين؟
٣٩٣	الغزوات بعد معركة أُحد
٣٩٥	غزوة بئر معونة
٣٩٦	غزوة الرجيع
٣٩٨	محاولة يهود بني النضير قتل النبي ﷺ
٤٠٠	الحصار
٤٠١	اخراج اليهود
٤٠٤	الدلائل والعبر
٤٠٧	الفصل الثالث: معركة الخندق
٤٠٩	إسلام سلمان الفارسي
٤١٠	ولادة الحسين عليه السلام
٤١٢	التحضير للحرب
٤١٤	المنافقون

٤١٥	حفر الخندق
٤١٩	دلائل النبوة
٤٢١	محاصرة المدينة
٤٢٢	بطل العرب والعجم
٤٢٥	النصر الإلهي في معركة الخندق
٤٢٧	مهاجمة بني قريظة
٤٣٢	الدلائل والعبر في معركة الخندق
٤٣٥	الفصل الرابع: صلح الحديبية
٤٣٧	صلح الحديبية
٤٣٨	رغبة قريش في الحرب
٤٤٠	ممثلو قريش
٤٤١	الآيات الباهرة
٤٤٢	سبب بيعة الرضوان
٤٤٧	بطلب من ذهب عثمان إلى مكة ؟
٤٥١	بيعة الرضوان
٤٥٢	إعتراض على بنود صلح الحديبية
٤٥٧	شروط الصلح
٤٦٠	من حرض على قتل سفير قريش ؟
٤٦٣	حصول فرج للمستضعفين
٤٦٥	غضب الحزب القرشي لمديح النبي ﷺ في الحديبية
٤٦٦	الدلائل والعبر
٤٧١	فهرس محتوى الجزء الاول

صدر للمؤلف

- ١- الفكر القومي إسلامياً و تاريخياً
- ٢- سقوط الدول والحكومات (دراسة في النموذج الأندلسي)
- ٣- سقوط الدول والحكومات (دراسة في النموذج العثماني)
- ٤- السقيفة انقلاب أبيض كمنهج تاريخي
- ٥- هل اغتيل النبي محمد ﷺ
- ٦- اغتيال الخليفة أبي بكر والسيدة عائشة
- ٧- نظريات الخلفتين (٢ مجلد)
- ٨- السيرة النبوية (٢ مجلد)